القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:
((حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد)) .
الشيخ : بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين, وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أظن أننا تكلمنا على فوائد ما سبق، أنهيناها.
قال الله تبارك وتعالى: **((بسم الله الرحمن الرحيم))** البسملة آية من كتاب الله عز وجل مستقلة، ليست من السورة التي قبلها ولا من السورة التي بعدها, ولكن يؤتى بها في ابتداء السور إلا سورة واحدة وهي سورة براءة, فإنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل فيها بسملة, ولهذا تركها الصحابة رضي الله عنهم بدون بسملة لعدم ثبوت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما ما قيل أنها تركت بلا بسملة لأنها نزلت بالسيف فإنه قول باطل, ليس هذا هو السبب, والسيف إذا كان رحمة فإنه غنيمة, ومعلوم أن السيف على الكفار رحمة يقصد به إعلاء كلمة الله عز وجل, ثم البسملة كما تشاهدون جملة ليس فيها فعل ولا اسم فاعل, لكنها جار ومجرور, ومضاف ومضاف إليه, وصفة وموصوف.
الجار هو الباء, والمجرور اسم, والمضاف اسم, والمضاف إليه لفظ الجلالة, وموصوف وهو الله, وصفة وهو الرحمن الرحيم, فأين المتعلق لأنه لابد لكل جار ومجرور أو ظرف لابد له من متعلق كما قال الناظم ناظم الجمل:

" لابد للجار من التعلق بفعل أو معناه نحو مرتقي
واستثنى كل زائد له عمل كالباء ومن والكاف أيضا ولعل "

فأين متعلق البسملة ؟ بسم الله الرحمن الرحيم, أحسن ما يقال: إن متعلقها فعل متأخر مناسب لما ابتدأ بالبسملة من أجله, فنحن الآن نريد أن نقرأ نقول المتعلق تقديره بسم الله أقرأ, نريد أن نتوضأ نقول التقدير باسم الله أتوضأ, نريد أن نذبح نقول التقدير باسم الله أذبح, وإنما قدرناه فعلا لا اسم فاعل لأن الأصل في العمل هو الفعل, وإنما قدرناه متأخرا لوجهين:
الوجه الأول: التيمن بالبداءة باسم الله, والثاني: إفادة الحصر, لأنك إذا

أخـرت العامـل وقـدمت المعمـول كـان ذلـك دليلا علـى الحصـر, إذ أن القاعدة المعروفة في البلاغة هي أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصـر, وإنما قدرناه مناسبا لما ابتدأ به لأنه أدل على المقصود, مثلا لـو قلـت إن التقدير باسم الله ابتدأ, صح لكن ابتدأ بأي شـيء, فـإذا قلنـا نقـدره فعلا خاصا مناسبا لما ابتدئ به صار ذلك أدل علـى المقصـود, ومعلـوم أن مـا كـان أدل علـى المقصـود كـان أبيـن فـي المـراد, هـذا هـو إعـراب هـذه البسملة.

أما معناها فإن اسـم مفـرد مضـاف, وكـل مفـرد مضـاف فـإنه للعمـوم, أرأيتم قول الله تعالى : **((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها))** فـإن نعمة مفرد مضاف لكن ليست نعمة واحدة, لأن النعمة الواحدة تحصـى, لكنها نعم كثيرة فتشمل كل ما أنعم الله به علـى العبـد, إذا كـان المفـرد المضاف يفيد العمـوم فمـا معنـى قولنـا: بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم ؟ معناها بكل اسم من أسماء الله أفعل كذا وكذا, بكل اسم, فتكـون أنـت الآن مستعينا بكل اسم من أسماء الله على هذا الفعل الذي بسملت من أجله, وأما اسم فقيل إنه مشـتق مـن السـمو وهـو الارتفـاع, وذلـك لأن الاسم يرفع المسمى ويبينه, وقيل أنه مشتق من السـمة وهـي العلامـة, قـال اللـه تعـالى : **((سيماهم فـي وجـوههم))** أي علامتهـم فـي وجوههم, وأيا كان فالاسم يعين مسماه ويميزه من غيره.

وأسماء الله سبحانه وتعالى كما مر علينا في التوحيد غير محصورة بعـدد كما جاء في الحديث الصحيح: **(أسألك بكل اسم هو لك سميت بـه نفسـك أو أنزلتـه فـي كتابـك أو علمتـه أحـدا مـن خلقـك أو استأثرت به في علم الغيب عندك)**؛ وأما الله فهو علم على الـذات المقدسة العلية وهو الله سبحانه وتعالى, قال النحويون: **" وهو أعرف المعارف "** أعرف المعارف هذا العلم, وقد رتبوا المعارف كما تعرفون بأن أعرفها الضمير ثم الأعلام, لكـن هـذا العلـم هـو أعرفهـا إذ لا تحتمـل المشاركة فيه, وغيره من المعارف يمكن المشاركة فيه.

وأما قوله: **((الرحمن))** فهو اسم من أسـماء اللـه دال علـى الرحمـة الواسـعة؛ والرحيـم اسـم مـن أسـماء للـه دال علـى الرحمـة الـتي تقـع بالفعل, فالرحمن للوصف, والرحيـم للفعـل, يعنـي أنـه رحمـان يرحـم, وبذلك تبين فائدة الجمع بينهما, فإن فائدة الجمع بينهما هو الدلالـة علـى أن رحمة الله واسعة وذلك في قـوله: **((الرحمـن))**, لأن فعلان يـدل علـى الامتلاء والسـعة, كمـا تقـول شـبعان وريـان ومـا أشـبهها, وأمـا

((الرحيم)) فهو باعتبار الفعل, أي إيصال الرحمة إلى من قدر الله أن يرحمه.
والبسملة لها أحكام: منها أنها تكون أحيانا شرطا في الحل كالتسمية على الذبيحة, فإن التسمية على الذبيحة شرط لحلها حتى إنه لو ترك التسمية ولو نسيانا لم تحل الذبيحة, وقد تكون واجبة لا شرطا كما في الوضوء عند بعض العلماء, فإن التسمية في الوضوء واجبة ولكنها ليست شرطا للصحة, إذ لو تركها نسيانا صح وضوءه, وقد تكون مستحبة في كل أمر ذي شأن كما جاء في الحديث: **(كل أمر ذي شأن لا يبدئ فيه باسم الله فهو أبتر)** أو: **(كل أمر ذي بال)** يعني ذي شأن مهم لا يبدئ فيه ببسم الله فهو أبتر, أي منزوع البركة, ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبتدئ بها في المكاتبات إلى الملوك وغيرهم, وكذلك الأنبياء من قبله كما جاء في القرآن الكريم: **((إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين))**
ثم قال الله تبارك وتعالى : **((حم))** هذه كلمة مكونة من حرفين مهملين هجائيين الحاء والميم, ولهذا ننطق بها باسمهما لا بلفظهما, فلا نقول: حم, بل نقول: حاء ميم باسمهما, فهما إذن حرفان مهملان هجائيان يتركب منهما كلام الناس, فهل لهذين الحرفين معنى ؟
يقول المؤلف: **" الله أعلم بمراده به "** يعني ما ندري ماذا أراد, هل أراد إثبات معنى أم لم يرد إثبات معنى ؟ وهل أراد معنى معينا أم ماذا ؟ المهم أننا نفوض, فموقفنا من هذا التفويض كغيره من الحروف الهجائية التي ابتدأت بها بعض السور, ولكن مقتضى كون القرآن باللسان العربي أن نقول أنهما حرفان هجائيان مهملان ليس لهما معنى, يعني نجزم بأنه لا معنى لهما, لأن القرآن نزل باللغة العربية, واللغة العربية لا تجعل للحروف الهجائية معنى, وهذا مروي عن مجاهد إمام المفسرين في زمانه زمن التابعين, وهو الحق لأن الله تعالى قال : **((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين))**.
فإن قال قائل: يرد على هذا القول أن في القرآن ما ليس له معنى وليس له فائدة, وإنما هو حروف مقطعة ليس لها فائدة, قلنا الجواب عن هذا الإيراد أن الله سبحانه وتعالى تكلم بذلك لمغزى لا لمعنى أي لحكمة بالغة, وهي أن هذا القرآن الذي أعجزكم أيها البلغاء العرب لم يكن أتى بشيء جديد من حروف بل أتى بالحروف التي تركبون منها

كلامكم ومع ذلك أعجزكم, عجزتم عن صف الحروف حتى تكون مثل القرآن, فإذا كنتم عجزتم عن ذلك فعجزكم عن معنى هذه الكلمات من باب أولى, وهذا الذي ذكره الزمخشري في تفسيره وارتضاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكره أيضا إما ابتداء أو تقليدا, المهم أن هذا هو الصواب عند المحققين وهو أن الله تعالى أنزلها لتمام التحدي لهؤلاء البلغاء الذين عجزوا أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل بعضه, وأيدوا قولهم هذا بأن الله تعالى لم يبتدأ سورة بحروف هجائية إلا ذكر بعدها القرآن إلا نادرا.

ثم قال الله عز وجل: **" ((تنزيل الكتاب)) القرآن "**يعني المراد بالكتاب هنا القرآن, مع أن الكتاب اسم جنس يحتمل أن تكون فيه أل للجنس فيشمل كل كتاب, ولكن الظاهر ما ذهب إليه المؤلف لأن المقصود بذلك تقرير كون هذا القرآن الذي نزل على المكذبين من عند الله عز وجل,

وقوله: **" مبتدأ "** يريد قوله: **((تنزيل))** أي أنها مبتدأ, والمبتدأ يحتاج إلى خبر, والخبر قوله: **((من الله))** ولهذا قال المفسر: **" ((من الله)) خبره "** تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

((العزيز)) قال: **" في ملكه ((العليم)) بخلقه "** العزيز ذو العزة, وقد سبق أن عزة الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع, وهو كذلك في كل موضع جاء العزيز فهذا هو معناه, أي أنه ذو عزة, والعزة ثلاثة أقسام: عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع؛ أما عزة القدر فمعناها أنه ذو شرف وسيادة, وأما عزة القهر فمعناها أنه ذو غلبة وسلطان, وأما عزة الامتناع فمعناه أنه ذو امتناع عن كل نقص وعيب, وقد سبق الاستشهاد على هذه المعاني الثلاثة وبيان اشتقاقها؛ فيكون قول المؤلف: **" ((العزيز)) في ملكه "** فيه قصور لأنه جعله بمعنى الغالب فقط, والصواب ما ذكرنا لكم.

((العليم)) قال: " بخلقه " والعليم أي ذو العلم, وعلم الله سبحانه وتعالى ليس بمحدود لا أولا ولا آخرا ولا مقدارا, علم الله تعالى واسع شامل لكل شيء, علم الله تعالى أزلي أي لم يسبقه جهل, علم الله تعالى أبدي أي لا يلحقه نسيان, فصار علم الله تعالى واسع شامل زمنا وكيفا, أي زمنا أي في المستقبل وفي الماضي, وكيفا أي أنه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم.

" ((غافر الذنب)) للمؤمنين ((وقابل التوب)) لهم ((شديد

العقاب)) للكافرين " قوله: **((غافر الذنب))** الغفر هو الستر مع الوقاية, ومنه المغفر ما يوضع على الرأس عند الحرب لاتقاء السهام, وكما ترون أن المغفر ساتر فهو جامع بين الستر والوقاية, والذنب المعصية, يقال: أذنب الرجل إذا عصى, ومعنى غافر الذنب أي ساتره المتجاوز عنه, وقول المؤلف: **" للمؤمنين "** فيه نظر واضح, لأن مغفرة الذنب شامل للمؤمنين وغير المؤمنين, قال الله تبارك وتعالى : **((قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف))** فهو غافر الذنب لكل من تاب إلى الله وسأل المغفرة, **((وقابل التوب))** قابله معناها أن من تاب إلى الله قبل الله توبته, والتوب بمعنى الرجوع إلى الله عز وجل من معصيته إلى طاعته, وقال المؤلف **: " لهم "** لمن ؟ للمؤمنين, وهذا أيضا ليس بصحيح فالتوبة مقبولة من المؤمنين والكافرين, قال الله تبارك وتعالى عن المشركين: **((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين))** وقال تعالى : **((إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ))** [النساء :18] قال: ((**يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**)) إذن لو تابوا قبل ذلك لقبلت, فتبين بهذا أن ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من تخصيص ذلك بالمؤمنين يعتبر قصورا, طيب.

قال: **" مصدر "** أيهما قابل أو التوب ؟ قابل اسم فاعل, إذن فالمصدر هو التوب, نعم.

" ((شديد العقاب)) للكافرين " المؤلف رحمه الله كأنه خص الغافر والقابل بالمؤمنين لقوله: **((شديد العقاب))** لأن شدة العقاب إنما هي للكافرين, ولكن في هذا نظرا لأن المقصود هنا ذكر صفة الله سبحانه وتعالى أنه جمع بين الفضل والعدل, بين الفضل في كونه غافر الذنب وقابل التوب, والعدل في كونه شديد العقاب, لأن شدة العقاب من الله عز وجل لمن استحقها عدل إذ أن الله أخبرنا وبين لنا أن من فعل كذا عاقبه بالعقوبة الشديدة, فإذا فعل الإنسان ما توعد عليه بالعقوبة الشديدة فهو الذي اختار لنفسه هذا فتكون معاملة الله له به تكون عدلا.

وقوله**: " أي مشدده "** انتبهوا لهذا التفسير أي مشدده لماذا عدل عن

ظاهر الآية التي تفيد أنه نفسه شديد العقاب ؟ نعم لأنهم ينفون الصفات الأشاعرة, والتشديد فعل بائن عن الله عز وجل, فلننظر الآن على كلام المؤلف تكون شديد بمعنى مشدد, ولنا أن نطالب فنقول هل فعيل تأتي بمعنى مفعل ؟ الجواب نعم تأتي فعيل بمعنى مفعل كقول الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

السميع هنا بمعنى المسمع, الداعي الذي يسمعه, يؤرقني فلا أنام وأصحابي هجوع نائمون, فمن حيث اللفظ لا اعتراض على المؤلف أي من حيث جعله فعيل بمعنى مفعل لا اعتراض عليه لأن ذلك وارد في اللغة العربية, لكن من حيث المعنى فيه نظر لأن ظاهر قوله: **((شديد العقاب))** أنه هو نفسه عقابه شديد وهو كذلك, فإذا كان العقاب شديدا لزم أن يكون الألم ألم من عوقب شديدا أيضا, والعقاب مأخوذ من المعاقبة وهي المجازاة, وسميت المجازاة عقابا لأنها تعقب العمل, لكنها تذكر غالبا فيما يسوء لا فيما يسر.

((ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير)) ذي: بمعنى صاحب, وهي مجرورة بالياء نيابة عن الكسرة لأنها من الأسماء الخمسة, والطول يقول: **" أي الإنعام الواسع "** هذا الطول, قال الله تبارك وتعالى : **((ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات))** إلى أخره فالطول هو الغنى الواسع, ومن تمام الغنى أن يكون منعما, والله سبحانه وتعالى منعم واسع الغنى **((ذي الطول))** **قال: " وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات, فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة "** فيه عدة صفات **((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول))** كم هذه ؟ هذه أربعة, الأخيرة غير مشتقة فإن **((ذي))** بمعنى صاحب غير مشتقة لكنها مؤولة بمشتق, أما ما قبلها شديد العقاب قابل التوب غافر الذنب فهي مشتقة, وجعل المؤلف رحمه الله هذه الصفات لا يراد بها إثبات المعنى المشتق منه ولكنها للتعريف فقط, ولا يخفى ما في هذا الكلام من القصور التام, كيف نجعل المشتق لمجرد التعريف ؟ كيف نقول غافر الذنب المراد بذلك التعريف بالله عز وجل لا أنه غافر ولا أن قابل ولا أنه شديد العقاب ؟ فهو قاصر جدا ولا يصح أن نفسر كلام الله تعالى بهذا الكلام, بل نقول غافر مشتق من الغفر وهو صفة مقصودة, ليس المقصود بها التعريف, وكذلك نقول في قابل التوب وفي شديد العقاب؛ وقول المؤلف: **" موصوف على الدوام بكل من هذه**

الصفات " قال ذلك هربا من إثبات صفات الأفعال, لأنك إذا قلت غـافر بمعنى يغفر صارت صفة فعل يتعلق بالمشيئة.
وعنـد الأشـاعرة وغيرهـم مـن المتكلميـن يمتنـع أن يوصـف اللـه تعـالى بوصف هو فعل لا يمكن, لمـاذا ؟ قـالوا لأن الفعـل يـدل علـى الحـدوث, والحدوث لا يكون في القديم, لا يكون الحدوث إلا لحادث, وقد سبق لنـا بيان بطلان هذا القول, فالصواب إذن أن غافر وقابل صفتان من صـفات الأفعال, وأما شـديد العقـاب فهـي أيضـا صـفة مـن صـفات الأفعـال لأن التقدير عقابه شديد, فهو من باب إضافة الصـفة إلـى الموصـوف أي أن عقابه شديد فتكون كما سبق من الصفات الفعلية, وأما ذي الطول فـإذا قلنا إن معناه ذي الغنى الواسع فهـي مـن صـفات الـذات, وإذا قلنـا إنهـا بمعنى الإنعام الواسع فهي من صفات الأفعال.
" ((إليه المصير)) المرجع " الجملة خبرية مكونة من مبتدأ وخـبر, والخبر فيهـا مقـدم أو مـؤخر ؟ مقـدم, وإذا قـدم الخـبر أفـاد التخصـيص والحصر؛ إليه: أي إلى الله وحده, المصير المرجع, وهـل المـراد بقـوله: **((إليه المصير))** أي المرجع في كل شيء أو إليه المصير بعد الموت ؟ الجواب إليه المصـير فـي كـل شـيء, فـإليه المرجـع فـي الحكـم بيـن الناس, إليه المرجع فـي تـدبير الأمـور, إليـه المرجـع بعـد المـوت, إليـه المرجع فـي كـل شـيء, **((هو الأول والآخـر والظـاهر والبـاطن وهو بكل شيء عليم))** ونؤجل الكلام علـى فوائـد الآيـة إلـى غـد إن شاء الله تعالى .
الطالب : ذكرنا أن شديد صفة فعل ...
الشيخ : ... لا هي صفة لفعله, ما هي صفة فعل, صفة لفعل اللـه, يعنـي نفس العقاب شديد, وهو جعلها مشدد شيئا منفصلا عن الله عز وجل.
الطالب : شيخ بارك الله فيك ما نقول في الحروف المقطعـة هـذه فـي أوائل السور تدخل فيما قال ابن عباس أن القرآن أربعة أقسام: القسـم الرابع أنه ما لا يعلمه إلا الله ؟
الشيخ : لا, هذه تدخل على رأي المؤلف, أمـا علـى القـول الـذي رجحنـا فإنه معلوم أنه ليس لها معنى, يعني مما يدخل تحت علمنا أنه ليـس لهـا معنى.
الطالب : ...
الشيخ : لا, لأن مشدد أي جـاعله شـديدا, فهـي مثـل القـادر يعنـي تعـود الصفة على مذهب الأشاعرة إلى القدرة وتعود علـى مـذهب الماتريديـة

إلى الخلق, لأن الماتريدية يثبتون الخلق والتكوين بخلاف الأشاعرة. نعم
الطالب : ...
الشيخ : لا, هذه أوصاف, وغافر الذنب وصف, ولهذا جاءت باسم الفاعل, وجاء الغفور الذي هو اسمه على صيغة المبالغة نعم.
الطالب : ...
الشيخ : سمعتم السؤال ؟ يقول: كيف نجمع بين القول بأن أسماء الله تعالى لا تحصى وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)** ؟
والجواب عن ذلك أن نقول: الجواب عن ذلك أو على ذلك ؟ إذا كان السائل مستفهما فقل الجواب على ذلك, وإذا كان مـ وردا أي مناقضا فقل الجواب عن ذلك؛ ولهذا يكون الجواب عن ذلك في مقام الرد على من اعترض عليك, والجواب على ذلك في جواب من استرشد, فالآن هل نقول بالنسبة لسؤال الأخ الجواب على ذلك أو عن ذلك ؟ على ذلك إحسانا للظن, وإلا لو جاء واحد يريد أن يعترض قلنا الجواب عن ذلك, أما الآن فنقول الجواب على ذلك أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ككلام الله لا يتناقض أبدا, فإذا كان قد ثبت عنه أنه قال: **(أو استأثرت به في علم الغيب عندك)** علمنا أن من أسماء الله ما لا يمكن الوصول إليه, ولا يمكن إدراكه لأن ما استأثر الله به لا يمكن أن نعلمه, فحينئذ يتعين أن نقول إن معنى قوله: **(إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)** أي: من أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة, فتكون جملة من أحصاها وصفا لكلمة **(اسما)** وليست جملة مستقلة مستأنفة, تكون معنى **(إن لله تسعة وتسعين اسما)** موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة, وله أسماء أخرى لكن اختر منها تسعة وتسعين فإذا أحصيتها دخلت الجنة, وما معنى إحصائها هل معناها أن تقرأها لفظا ؟ لا, إحصائها هو معرفتها لفظا ومعنى والتعبد لله بمقتضاها, أي معرفة لفظها ومعناها والتعبد لله تعالى بمقتضاها نعم .
الطالب : شيخ, عقاب الله منه النار وكأنها هي التي وصفت بالشدة فكيف وصفنا بها الله سبحانه وتعالى ؟
الشيخ : هو نفسه شديد العقاب, أنا مثلا إذا قلت فلان قوي الضرب, يعني ضربه هو الواقع منه قوي, العقاب الواقع منه شديد, الموصوف الله عز وجل شدة عقابه هو, أما المعاقب به فهذا شيء آخر, عندنا عقاب ومعاقب به ومعاقب وارد عليه العقاب, فإذا عاقبت شخصا

بالضرب فهذا الضرب معاقب به, وأما ضرب الضارب فهو وصفه الذي هو عقابه .
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: **((حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير لا يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ))** [غافر :6] .
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: **((حم))** إلى آخره البسملة جار ومجرور ومضاف ومضاف إليه وصفة وموصوف, فأين متعلقها ؟ يعني بأي شيء تعلقت ... لا, من جهة الإعراب ؟ متعلقة بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام, طيب الآن إذا كنت أريد أن أقرأ فكيف تقدر هذا المحذوف ؟ باسم الله أقرأ, في القرآن الكريم: **((اقرأ باسم ربك))** فأتى باقرأ, طيب الذين قدروا أبتدئ هل تقديرهم صحيح أو مرجوح ؟
الطالب: لا,
الشيخ: لماذا ؟
الطالب: ...
الشيخ: ليكون أنسب بمعنى مناسب للمقام, تمام تقديرهم صحيح لكن كون الفعل مناسبا أدل على المقصود, لأنك إذا قلت ابتدئ بأي شيء ؟ لكن إذا قدرته أقرأ أتوضأ أغتسل وما أشبه ذلك صار أدل على المقصود؛ فيه أيضا وجه آخر تبين لنا, وهو أنك إذا قلت باسم الله ابتدئ صارت البسملة على الابتداء فقط, إذا قلت باسم الله أقرأ صارت البسملة على كل الفعل, وهذه فائدة أكبر بكثير من مناسبة التعيين, إذا قلت باسم الله ابتدئ صارت البسملة على الابتداء فقط, إذا قلت باسم الله أقرأ صارت البسملة على كل الفعل, وكذلك باسم الله أتوضأ صارت البسملة على كل الفعل من أوله إلى آخره, بخلاف ما إذا قلت باسم الله ابتدئ فإن البسملة تكون على الابتداء فقط.
الشيخ: طيب هل سورة غافر مكية أو مدنية ؟ هي مكية, وكل السور المبتدئة بحروف الهجاء مكية إلا البقرة وآل عمران.

الشيخ: فما هو المكي والمدني ؟ إذن **((اليوم أكملت لكم دينكم))** مكية وهي نزلت يوم عرفة ؟ طيب ما نزل قبل الهجرة فهو مكي وما نزل بعدها فهو مدني, هذا هو أرجح الأقوال حتى وإن نزل بمكة.
الشيخ: ما هو القول الراجح في الحروف الهجائية التي تبدأ بها السور ؟ حم إيش القول الراجح فيها ؟ ... تمام قال المؤلف: **" الله أعلم بمراده بها "** لكن ما قلنا نحن أنه أرجح ؟
الطالب: مقتضى اللغة أنهما حرفان هجائيان.
الشيخ: وليس لهما معنى في حد ذاتهما, طيب ما وجه ترجيحنا لهذا القول ؟ ... أن القرآن نزل بلغة العرب ولغة العرب تقتضي أن هذه الحروف ليس لها معنى, لكن ذكرنا أن لها مغزى, ما هو ؟

الشيخ : ليس لهما معنى في حد ذاتهما, طيب ما وجه ترجيحنا لهذا القول نعم ؟ ... أن القرآن نزل بلغة العرب ولغة العرب تقتضي أن هذه الحروف ليس لها معنى, لكن ذكرنا أن لها مغزى, ما هو ؟
الطالب : ...
الشيخ : ولهذا نجد أن كل سورة ابتدأت بهذه الحروف يؤتى بعدها بذكر القرآن تمام؛
الشيخ : ما معنى قوله تعالى : **((تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم))** ؟
الطالب : ...
الشيخ : تنزيله من الله لا من غيره؛
الشيخ : اختيار لفظ العزيز العليم أو اختيار هذين الاسمين على غيرهما من الأسماء في هذه السورة, في سورة فصلت قال: **((تنزيل من الرحمن الرحيم))** هنا قال: **((تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم))** ؟
الطالب : ...
الشيخ : فصلت مكية . نتركها في الفوائد أحسن.
الشيخ : طيب ما معنى قوله ذي الطول ؟
الطالب : ذي بمعنى صاحب الغنى الواسع.
الشيخ : الغنى الواسع, ويترتب عليه الإفضال والإحسان,
الشيخ : قوله: **((إليه المصير))** أي مصير هو ؟ مصير كل شيء, طيب هل هناك شاهد لكون المصير هنا مصير كل شيء ؟ **((وإليه يرجع الأمر كله))** **((وإلى الله ترجع الأمور))** طيب.
الشيخ : نرجع الآن إلى فوائد هاتين الآيتين, يقول الله سبحانه وتعالى **((حم))** .
من فوائدها أن القرآن الكريم حروف, تكلم الله به بحروف, ففيه الرد على الأشاعرة ومن سلك سبيلهم الذين يقولون أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس, وأن الله لا يتكلم بحرف وصوت, لكن يخلق حروفا وأصواتا تسمع تعبيرا عما في نفسه, وحقيقة هذا القول نفي الكلام لأن ما في النفس من المعلومات المرتبة ليست كلاما ولكنها معلومات علم, وليست كلاما, مفهوم.
والرد عليهم معلوم من كتب العقائد: منها أن القول إذا أطلق فهو قول اللسان وإذا أريد به قول النفس حدد مثل: **((ويقولون في أنفسهم**

لولا يعذبنا الله بما نقول)) ومثل: **(إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها)** .

ومن فوائد الآية الكريمة علو الله عز وجل يؤخذ من قوله : **((تنزيل الكتاب من الله)**) لأن النزول لا يكون إلا من أعلى .

ومن فوائد الآية الكريمة أن القرآن كلام الله لا كلام غيره لقوله تعالى : **((تنزيل الكتاب من الله)**) وذلك أن ما ذكر الله أنه نزله ينقسم إلى قسمين: إما أن يكون أعيانا قائمة بنفسها فهذه مخلوقة, أو تكون أوصافا لا تقوم إلا بالغير فهذا غير مخلوق, عرفتم مثال الذي أضاف الله إنزاله إلى نفسه وهو عين قائمة بنفسها قوله تعالى: **((وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد الحديد)**) الحديد مخلوق, طيب **((وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)**) أعيان قائمة بنفسها مخلوقة, **((يا بني آدم قد أنزلنا عليهم لباسا)**) مخلوق, إذن فما أضاف الله إنزاله إليه وهو عين قائمة بنفسه فهو مخلوق وإلا فهو غير مخلوق, القرآن هل هو عين قائمة بنفسها أو كلام لا يقوم إلا بالغير ؟ الثاني, إذن هو غير مخلوق.

ومن فوائد الآية الكريمة وصف القرآن الكريم بالكتاب, الكتاب فلماذا وصف بالكتاب ؟ نقول: أولا لأنه يكتب فهو مكتوب بالمصاحف التي بأيدينا.

ثانيا: أنه بصحف بأيدي الملائكة: **((فمن شاء ذكره في صحف مكرمة))**.

ثالثا: أنه مكتوب في اللوح المحفوظ: **((بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)**) وعليه فكتاب بمعنى مكتوب, وحينئذ نسأل هل يأتي فعال بمعنى مفعول, نقول كثيرا كغراس بمعنى مغروس وبناء بمعنى مبني وفراش بمعنى مفروش وما أشبهه.

ومن فوائد الآية الكريمة إثبات ثلاثة أسماء من أسماء الله، الله والعزيز والعليم **((من الله العزيز العليم))** وإثبات ما دلت عليه هذه الأسماء من الصفات, فالله دل على الألوهية, والعزيز على العزة, والعليم على العلم, واعلم أن كل اسم من أسماء الله فهو متضمن لصفة, وليس كل صفة يشتق منها اسم, ولهذا قلنا إن الصفات أوسع من الأسماء.

ومن فوائد الآية الكريمة ذكر الأسماء المناسبة للمقام, يعني أن الله جل وعلا يذكر من أسمائه ما يناسب المقام, فهذه السورة تتحدث عن

المكـذبين للرسـول ومـا جـرى عليهـم مـن الهلاك والانتقـام, فمـا الـذي يناسبه من الأسماء ؟ العزة التي فيهـا الغلبـة والأخـذ, فلهـذا جـاءت هنـا العزيز, وجاء العليم ليفيد أنه لعزته أخذ هـؤلاء المكـذبين, ولعلمـه أنـزل الكتب وعلم كيف يأخذ هؤلاء المكذبين.

ومن فوائد الآية الكريمة الآية الثانية أن الله جل وعلا يغفر الذنوب جميعا لقوله: **((غافر الذنب))** والذنب هنا مفـرد محلـى بـأل فيكـون عامـا, لأن المفرد المحلى بأل يكون عاما مثل: **((إن الإنسان لفــي خســر))** أي إن كل إنسان.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة الحث على فعل ما تكون به المغفرة, وجه ذلك أن الله لم يخبرنا بأنه غافر الذنب من أجل أن نعلم أنـه غـافر فقـط لكن من أجل أن نتعـرض لمغفرتـه, فمـا هـي الأسـباب الـتي تكـون بهـا المغفرة ؟ الأسباب كثيرة منها الاستغفار اللهم اغفـر لـي, ومنهـا أعمـال صالحة يكفر الله بها الخطايا, ومنها إحسان إلى الخلق حتى أن اللـه عـز وجل غفر لامرأة بغي بسقيها كلبـا عطشـان, فأسـباب المغفـرة كـثيرة, وغفر لرجل وجد شجرة في الطريق تؤذي الناس فأزالها فغفـر اللـه لـه, المهم أن نتعرض لأسـباب المغفـرة لأن ذلـك مقتضـى قـوله: **((غافر الذنب)).**

ومن فوائد الآية الكريمة أنه يقبل التوبة من عباده, ولكن لا يقبل الشـيء حتى يكون جاريا علـى مقتضـى الشـريعة لقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم : **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).**

فما هي التوبـة الجاريـة علـى مقتضـى الشـريعة ؟ التوبـة الجاريـة علـى مقتضى الشريعة ما جمعت خمسة أمور وهي ما يعرف بشروط التوبة:

الأول الإخلاص لله عز وجل بأن يكون الحامـل للإنسـان علـى التوبـة هـو إخلاصه لله عز وجل حب التقرب إليـه والفـرار مـن عقـوبته, فلا يحملـه علـى التوبـة مراعـاة الخلـق ولا حصـول الجـاه والرئاسـة وإنمـا يحملـه الإخلاص لله.

الثاني: الندم على فعل المعصية أن يشعر الإنسان بانفعال ندم وحسـرة على ما وقع منه, فلا بد من ندم لأن الندم الـذي يتـبين بـه حقيقـة رجـوع الإنسان إلى الله وأن هذه المعصية أثرت في نفسه, فندم على ما جـرى منه, لا يقال أن الندم انفعال والانفعال يأتي بغير الاختيـار كالغضـب مثلا, والحزن من الواقع, يقال المراد بالندم هنا تحسر القلب فهو انفعال يقـع من الإنسان ليس كالانفعـال الـذي يـأتي سـببه مـن الخـارج هـذا ربمـا لا

يستطيع الإنسان أن يغير ما وقع.
الشرط الثالث: التخلي عن المعصية والانفصال عنها فإن تاب وهو مصر فإن توبته أشبه ما تكون بالاستهزاء, كيف يقول الذي يأكل لحم الخنزير أستغفر الله تعالى وأسأل الله أن يجعل طعامي طيبا, يصلح هذا أو ما يصلح ؟ وهو يأكل هو يمضغ اللحمة جيدا ويقول أستغفر الله من أكل لحم الخنزير وأسأل الله أن يجعل طعامي طيبا, هذا أشبه ما يكون بالمستهزئ, لو أن رجلا نهاك عن شيء ووجدك تعمل هذا الشيء وأنت تقول: أرجوا منك أن تعذرني وما أشبه ذلك وهو يأكل, وقال له: لا تأكل ويأكل, هذا الذي يخاطبه سوف يقول إنك تستهزئ بي وتسخر يي, فلا توبة مع الإصرار, لابد أن يتخلى عن الذنب,
طيب إذا كان الذنب لله فالتخلي عنه سهل, لكن إذا كان الذنب لغير الله يعني أذنب في حق غير الله فكيف يتخلى منه ؟ نقول: إذا كان مالا فالتخلي عنه بإيصاله إلى صاحبه بأي وسيلة كانت, فإن كان قد مات فإلى ورثته, فإن جهلهم فإلى بيت المال, أو إذا كان بيت المال غير منتظم أو يخشى عليه أن يضيع فليتصدق به هو لصاحبه, كم مرحلة الآن ؟ أربع, لصاحبه, لورثته, لبيت المال إن جهلهم, يتصدق به, وأيهما أولى بيت المال أو الصدقة ؟ الغالب أن الصدقة أولى لاسيما في زماننا هذا حيث أن بيت المال قد لا يتصرف فيه ولي الأمر التصرف الذي يرضي,
طيب إذا كان عدوانا على النفس ما هو مال, فالتوبة منه أن يمكن صاحب الحق من الاقتصاص منه, فمثلا إذا كان قد اعتدى على شخص بضرب فليذهب إليه ويقول أنا اعتديت عليك بالضرب اضربني كما ضربتك, كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم حينما رآه متقدما في الصف فقال الرجل: أقدني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه ليقيده, فماذا فعل الرجل ؟ قبله, فهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق وأحب الناس إلى أتباعه مكن من الاقتصاص منه, طيب هذا اثنان المال والبدن؛
إذا كان في العرض اعتديت على شخص بعرضه, يعني بأن اغتبته أو سببته, والفرق بين الغيبة والسب أن السب مواجهة والغيبة مع الغيبة, فذكرك أخاك بما يكره إن كان غائبا فهي غيبة وإن كان حاضرا فهو سب, التوبة من هذا أن تستحله, فهل لو قلت سبني كما سببتك يصح أو لا يصح ؟ لا يصح, لأن هذا جناية على نفسك, ولكن استحله, هذا إذا كان سبا

لأنه قد علم بذلك, إذا كان غيبة فهل تستحله تذهب إليه وتقول إني اغتبتك فاعذرني اسمح لي ؟ الجواب: قال بعض العلماء نعم يجب أن تذهب إليه وتقول أنا اغتبتك فاعذرني حلني, وقال بعض أهل العلم لا يلزم استحلاله بل يكفي أن تستغفر له كما جاء في الحديث وإن كان ضعيفا: **(كفارة من اغتبته أن تستغفر له)** استغفر له وأثني عليه بما هو أهله في الأماكن التي اغتبته فيها, تكون الحسنات يذهبن السيئات, وهذا القول أصح لأن هذا فيه البراءة وعدم التشويش, لأنه ربما لو تذهب إليه تقول اغتبتك فحلني, مهما أتيت به من صيغة الغيبة قد لا يقتنع بها, إذا قلت إني قلت فيك إنك بخيل قد يقول إنك قلت بخيل وجبان, أليس كذلك ربما يقول له الشيطان هكذا ويأبى أن يحللك فإذا كان لم يعلم فاحمد الله على ذلك واستغفر له وأثني عليه بما هو أهله في الأماكن التي كنت اغتبته فيها وبذلك تسلم من الإثم, هذه صفة التخلي من الذنب إذا كان في حق غير الله؛

طيب هنا سؤال: بعض الناس يكون عليه حق مالي لشخص إما سرقه أو جحده أو ما أشبه ذلك ثم يتوب هذا الفاعل ويذهب إلى صاحب الحق ويقول: خذ حقك فيأبى صاحب الحق, يأبى أن يأخذه فماذا يصنع ؟ وهذا يرد كثيرا يكون صاحب الحق قد حمل في نفسه على هذا الظالم الذي ظلمه ويأبى أن يقبل, فماذا يصنع هل نقول إنه حينئذ سقط حقه وصحت توبة المعتدي, ويبقى إن طلب حقه مرة أخرى أعطي وإن لم يطلب فإن المعتدي برئ ؟ نقول ننزل هذه الحال على القواعد الشرعية, القواعد الشرعية تقتضي أن هذا الذي عليه الحق قد برأ لأن الله يقول : **((لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)**) وهذا ما يسعه قدم الحق لصاحبه وقال خذ قال لا, لا آخذه أنت اعتديت علي بالأول ولا أقبل منك, هذا الذي أبى أن يقبله هو الذي أخطأ وجنا, لأنه ينبغي للإنسان إذا اعتذر إليه أخوه أن يقبل عذره, لكن هذا هو الذي جنا الآن, فهذا الرجل نقول أنت الآن برئت ذمتك خلي الدراهم عندك إن جاء يوما من الدهر أعطها إياه, وإن مات فهل يلزمه أن يعطيه الورثة ؟ الجواب: في هذا نظر وذلك أن الرجل الذي اعتدي عليه لم يقبل هذا المال ولم يدخل في ملكه, فإذا كان لم يقبله ولم يدخل في ملكه فكيف ينتقل إلى الورثة, ومن شرط الإرث انتقال المال عن الموروث وهذا الموروث لم يقبل هذا المال, وقد يقال إن الأصل أنه ملكه فيلزم الرد إلى ورثته, وهذا الأخير أحوط لكن في وجوبه نظر, لأن الذي اعتدى وأراد أن يرد تقول: أنا أعطيت الرجل

وأبى أن يتملكه فكيف ينتقل إلى الورثة ؟ ولكن نقـول الأحـوط والأولـى أن يرده إلى الورثة ليسلم منه, لكن لو فرض أنه لا ورثة لـه أو أن ورثتـه مجهولون فإن هذا التائب قد أدى ما عليه؛ هذه ثلاثة شروط.
الشـرط الرابـع: أن يعـزم علـى ألا يعـود إلـى الـذنب أو أن لا يعـود إلـى الذنب, الأول أو الثاني ؟ الأول أن يعـزم علـى أن لا يعـود إلـى الـذنب أو الشرط أن لا يعود إلى الذنب ؟ الأول, ما الفـرق بينهمـا ؟ الفـرق بينهمـا أننا إذا قلنا الشرط ألا يعود ثم عاد بطلت التوبة الأولى, وإذا قلنا الشرط العزم على ألا يعود وقد عزم ألا يعود ثم عاد فالتوبة الأولى تبقى صحيحة وعليه أن يتوب توبة ثانية للذنب الجديـد, وعلـى كـل حـال فالشـرط هـو العزم ألا يعود في المستقبل فـإن عـاد فعليـه توبـة أخـرى, فتـاب وعـاد يتوب, عاد يتوب, فعاد يتوب.
فإن قال قائل: أليس قد ثبت في الصحيح أن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم أخبر **(أن رجلا أذنب ذنبا فتاب ثم أذنـب فتـاب ثـم أذنـب فتاب ثم قال الله عز وجل علم عبدي أن لـه ربـا يغفـر الـذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شـاء)** فهـل هـذا يعنـي أن الإنسان إذا تكرر منه الذنب وهو يستغفر يغفر له ؟ الجـواب: نعـم مهمـا أذنـب ثـم اسـتغفر يغفـر لـه, لكـن لـو قـال قائـل إن ظـاهر الحـديث **(فليعمل ما شاء)** يعني فليعصي الله, قلنا لا يستقيم هذا لأنه يخالف الأدلة الكثيرة الدالة على أنه لابد لكل ذنب من توبة إلا طائفة واحدة مـن هذه الأمة هم الذين لا يحتاجون إلى توبة من الذنب وهـم أهـل بـدر فـإن الله اطلع إليهم وقال : **(اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).**
الشرط الخامس: أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه التوبة, وهـو أن تكون التوبة قبل طلـوع الشـمس مـن مغربهـا وقبـل حضـور الأجـل, الأول عام لكل أحد, لا توبة لأحد إذا طلعت الشـمس مـن مغربهـا لقـول النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **(لا تنقطع الهجـرة حـتى تنقطـع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها)** وهذا يؤيده قوله تعالى: **((أو يأتي بعـض آيـات ربـك يـوم يـأتي بعـض آيات ربك لا ينفـع نفسـا إيمانهـا لـم تكـن آمنـت مـن قبـل أو كسبت في إيمانها خيرا))** والمراد ببعض الآيات طلوع الشمس مـن مغربها.
الثاني: أن تكون قبل حضور الأجل فإذا حضر الأجل لم تنفع التوبة لقـول الله تبـارك وتعـالى: **((وَلَيْسَتِ التَّوْبَـةُ لِلَّـذِينَ يَعْمَلُـونَ السَّـيِّئَاتِ**

حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ)) [النساء :18]) هذا ليس لهم توبة, وتطبيق هذا عمليا أن فرعون لما أدركه الغرق قال: **((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين))** فقيل له: **((ءالئن))** تؤمن **((وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك))** لا رحمة بك ولكن **((لتكون لمن خلفك آية))** وأما روحك فلا نجاة لها, وإنما نجاه الله ببدنه لأنه قد أرعد بني إسرائيل ولا يكادون يصدقون بأنه هلك حتى يشاهدوه فيطمئنوا, فلهذا نجاه الله ببدنه ليشاهدوه.

طيب هل يشترط ألا يكون مصرا على ذنب آخر ؟ يعني لنفرض أنه تاب من شرب الخمر لكنه باق على الزنا والعياذ بالله, فهل تصح توبته من شرب الخمر ؟ في هذا خلاف, فمن العلماء من يقول لا تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر, ومنهم من قال بل تصح لأن كل ذنب له جرمه, ومنهم من قال إذا كان الذنب الذي أصر عليه من جنس الذي تاب منه فإن التوبة لا تصح, كرجل تاب من الزنا لكنه يطلق بصره في النظر المحرم فإن توبته من الزنا لا تصح, أو رجل تاب من النظر المحرم ولكنه لم يتب من المس المحرم هذا أيضا لا تقبل توبته, ومن العلماء من قال تقبل مطلقا إذا تاب من ذنب تاب الله عليه من هذا الذنب لأن الله عز وجل حكم عدل ورحمته سبقت غضبه وهذا الرجل عنده جنايات متعددة تاب من واحدة منها فليكن تائبا؛ وهذا القول أصح ولكن لا يطلق على هذا التائب وصف التوبة المطلق لأن توبته هذا مقيدة يعني لا يستحق وصف التائبين على الإطلاق, فلا يدخل في قوله تعالى : **((إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين))** لأن هذا الرجل لا يصدق عليه أنه تائب على وجه الإطلاق لكنه تائب من ذنب واقع في ذنب آخر, وهذا القول هو الذي تجتمع فيه الأدلة, فيقال استحقاق الوصف المطلق فيمن تاب من ذنب مع الإصرار على غيره لا يكون, وأما وصفه بتوبة مقيدة فهذا صحيح.

السائل: ... كالزنا ؟

الشيخ: لا الزنا ما يدخل في هذا, قل كالسرقة.

إذا قطعت يده فلا بد من رد المال إلى صاحبه, نقول هذا بالنسبة لحق الله سقط في إقامة الحد عليه, لكن لابد من أن يوصل المال إلى صاحبه.

السائل: ...

الشيخ: الواقع أن الزنا يشترك فيه الفاعل والمفعول به, حتى المفعول به يتلذذ ويجد شهوة, نعم إذا قلنا بالإكراه فهذا صحيح عدوان لابد من استحلاله ... حق الله نقيم عليه الحد وحق العباد وهو الإكراه والعدوان عليه لابد من استحلاله .

الطالب : ... فهل السكينة من الأعيان المنفصلة ؟

الشيخ : وصف في الغير **((هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين))** وصف في الغير, السكينة في قلوبهم.

الطالب : ...

الشيخ : طيب يسأل يقول رجل سرق من شخص مالا ثم رده عليه وقال هذه هدية هل يبرئ منه ؟

لا ما يبرأ, هو رده على أنه هديه وذاك قبله على أنه هديه, وأن المهدي له عليه منة وأنه يحتاج إلى مكافأة فرق, ... لو وضع ريال وقال هذه هدية ؟ لكان مخادعا, ألف ريال يحط معها ريال ويقول هذه هدية من أجل ريال من ألف, لا لابد, لكن الحمد لله يقول: والله أنا في حالة السفه ... وهذه تقع كثيرا في حال الصغر وإلا الكبير ما هو سارق إنشاء الله, لكن وهو صغير يسرق من دكان أو من صاحب له يأخذ قلم يأخذ ساعة لابد أن يوصله إليه ويقول: هذه حق لك علي, ولكن لو قال مثلا: هذه من إنسان تاب وقد سرقها منك ولا قال أنا ولا غيره, هل يصح أو لا ؟ هذا يصح, والظاهر أنه ينبني على استحلال المجموع .

الطالب: ... **" وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات "** فهو أثبت الصفات ؟

الشيخ: أي لكن على أنها صفات ذاتية, ثم هو أيضا المؤلف لاحظ شيئا آخر من جهة النحو, وهو أن غافر الذنب وقابل التوب وشديد العقاب هذه صفات مضافة, وإضافتها ليست محضة, إضافتها إضافة لفظية, والإضافة اللفظية لا تقتضي التعريف, أعرفت ؟

الطالب: لكن سماها صفات.

الشيخ: ما يخالف هي صفات لكن ما هو قصده ؟ شف عبارة المؤلف: **" وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات "** إذا كان موصوفا بها الدوام ماذا تكون ؟ صفات ذاتية, ثم يقول: **" فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة "** المشتق غافر وقابل وشديد يقول للتعريف يعني أن إضافتها أفادت التعريف كالأخيرة ذي الطول, فإن هذه الإضافة أفادت التعريف لا شك, لأنها إضافة اسم جامد إلى

معرفة فيكون معرفة, ... طيب انتبهوا اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة إذا أضيفت فإنها لا تفيد التعريف, ويسمون هذه الإضافة إضافة لفظية لا معنوية, وبعضهم يقول محضة وغير محضة, أتى المؤلف بهذا الكلام لأنه يورد عليه مسألة, الله العزيز العليم هذه معارف, إذا قلنا غافر صفة لله, وقلنا أن إضافتها لفظية ورد علينا إشكال, الإضافة اللفظية لا تقتضي التعريف فتكون الصفة نكرة وصف بها معرفة, ووصف المعرفة بالنكرة غير جائز, لا يجوز أن تقول: جاء زيد فاضل لا يجوز, يجب أن تقول جاء زيد الفاضل, فإذا كانت الإضافة في غافر وقابل وشديد لا تفيد التعريف وأعربناها على أنها صفة صار في هذا إشكال وهو أننا وصفنا معرفة بنكرة وهذا غير جائز, أراد المؤلف أن يصحح الموضوع فقال إن هذه الصفات لا يراد بها الحدوث وإنما هي صفات على الدوام, وإذا كانت الصفات على الدوام خرجت عن مشابهة الفعل وصارت الإضافة للتعريف, لأجل أن يصح وصف اسم الجلالة أو لفظ الجلالة بهذه الصفات لما كانت إضافتها محضة معنوية.
لكن للمعربين قول آخر بل قول ثالث: القول الآخر يقولون أن غافر وقابل وشديد أنها بدل من الله والبدل لا يشترط فيه موافقة المبدل منه لكن القول أنها بدل غير صحيح, لأن علامة البدل أن يحل محل المبدل منه وهذا لا يصح هذا وصف زائد على الموصوف.
فيه رأي ثالث لإخواننا الكوفيين السهلين الميسرين يقولون يجوز أن تنعت المعرفة بمثل هذا التركيب ولو كانت الإضافة لفظية غير محضة, يعني يقولون ما أضيف إلى المعرفة ولو كانت الإضافة غير محضة يجوز أن يكون نعتا للمعرفة اعتبارا باللفظ, لأن لفظ غافر الذنب معرفة أو نكرة ؟ معرفة لأنه أضيف إلى معرفة وإن كانت الإضافة عندهم غير حقيقية وإنما هي لفظية, فالنحويين يقولون لا يهم لفظية أو معنوية ما دام ظاهر اللفظ منسجم الصفة مع الموصوف فهذا يكفي, والقاعدة المتبعة عندنا فيما إذا ورد خلاف بين النحويين أن نتبع الأسهل اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما, ونحن لا نأثم أذا اتبعنا الكوفيين في رأيهم لأن ما هي مسائل شرعية؛ طيب على كل حال على رأي الكوفيين لا حاجة إلى كلام المؤلف, نقول الإضافة لفظية لكن صورتها أنها إضافة معنوية لأنه أضيف إلى معرفة فصح أن يوصف به المعرفة؛ على كل حال هذا البحث لا يدركه الإنسان تماما إلا إذا عرف أن الإضافة نوعان محضة معنوية

ولفظية غير محضة.
الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم تكلمنا بالأمس على شروط التوبة اذكرها بالإجمال ؟
الطالب: خمسة شروط: الشرط الأول الإخلاص, الشرط الثاني ترك الذنب والتخلي عنه الشرط الثالث ...
الشيخ: الندم على ما فات من الذنب ...
الشيخ: أو قبل طلوع الشمس من مغربها تمام.
الشيخ: إذا كانت التوبة من حق آدمي ؟ ذكرنا أنه أقسام.
الطالب: في المال أو البدن أو العرض, إذا كان في المال فلا بد أن يوصل المال إليه أو إلى ورثته أو إلى بيت المال, في البدن يمكنه ...
الشيخ: يمكنه من القصاص, وإذا كان في العرض ؟
الطالب: إن كان قد سبه أمامه فيمكن أن يستسمحه وإن كان في غيبته ...
الشيخ: إن كان في غيبته ففيه تفصيل, ما هو التفصيل ؟ ...
فإن كان قد علم أنه بلغه اغتيابه فلابد أن يذهب ويستحله هذه واحدة, وإذا لم يبلغه ففيه قولان للعلماء, القول الأول ؟
الطالب: أن يستغفر له ويمدحه في المواضع التي كان يسبه فيها, القول الثاني ...
الشيخ: أن يذهب إليه ويبلغه ويقول حللني, والصحيح الأول.

الشيخ: هل يشترط لصحة التوبة ألا يصر على ذنب آخر, بمعنى هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على آخر ؟
الطالب : للعلماء في ذلك قولان, القول الأول: لا تصح, القول الثاني أنها تصح ولكن لا يستحق التوبة المطلقة.
الشيخ: وصف التوبة المطلقة, أيهما أصح ؟ الثاني أصح أنها تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره, لكنه لا يصدق عليه وصف التائب على سبيل الإطلاق, نستمر الآن في استنباط الفوائد من الآية .
الطالب: فيه قول ثالث, أ، الذنب إذا كان من جنس الذنب.
الشيخ: قول ثالث هذا, لكن صححنا أنه يصح مطلقا يقول.
الشيخ: من فوائد الآية الكريمة: ((**غافر الذنب وقابل التوب**)) ذكرنا الحث على التوبة ؟ طيب .
من فوائدها: أن عقاب الله تعالى شديد لقوله تعالى: ((**شديد العقاب**)) ويتفرع على هذه الفائدة الحذر من التعرض لعقابه وقد قال الله عز وجل لنبيه: ((**نبأ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم**)) وقال في آية أخرى: ((**اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم**)) .
ومن فوائد الآية التي بعدها في قوله : ((**ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير**)) بيان كمال غنى الله لقوله: ((**ذي الطول**)) أي صاحبه, والطول هو الغنى كما شرحناه.
ومن فوائد الآية الكريمة: انفراد الله تعالى بالإلوهية لقوله: ((**لا إله إلا هو**)) والإلوهية أو انفراد الله تعالى بالإلوهية أحد أقسام التوحيد الثلاثة التي هي توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات, ويسمى توحيد العبادة فهو باعتبار العبد توحيد عبادة وباعتبار المعبود توحيد ألوهية.
من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أنه لا معبود إلا الله, كذا ؟ نعم لابد أن نقيد لا معبود حق إلا الله, لأن هناك ما يعبد من دون الله وتسمى آلهة, وقد سماها الله تعالى آلهة: ((**ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه**)) ((**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء**)) لكنها آلهة باطلة.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن المصير إلى الله عز وجل لقوله: ((**إليه المصير**)) .
ومن فوائدها: وجوب التحاكم إلى شريعة الله, تؤخذ من قوله: ((**إليه**

)) حيث قدم الخبر وتقديم الخبر يفيد الحصر والاختصاص.
ومن فوائد الآية الكريمة: الجمع بين الخوف والرجاء في السير إلى الله, وجه ذلك أن الإنسان إذا علم أن المصير إلى الله وأنه غافر الذنب وقابل التوب وشديد العقاب يرجوا من وجه ويخاف من وجه آخر, ما دام المصير إلى من هذا وصفه فإنه لا شك أنه يرجوا تارة ويخاف أخرى, وأيهما يغلب ؟ قال بعض العلماء: يجب أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا, لا يغلب الرجاء فيقع في الأمن من مكر الله, ولا يغلب الخوف فيقع في القنوط من رحمة الله, بل يكون خوفه ورجاءه واحدا, قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: **" ينبغي أن يكون خوفه ورجاءه واحدا فأيهما غلب هلك صاحبه ".**
وقال بعضهم: ينبغي أن يسير الإنسان إلى الله تعالى سير الطير جناحاه متساويان فإن مال أحد جناحيه جنح إلى الجانب الذي مال إليه, وقال بعض العلماء: ينبغي في جانب الطاعة أن يغلب جانب الرجاء وأن الله تعالى يقبلها, وفي جانب المعصية أن يغلب جانب الخوف لئلا يقع فيها, فإذا هم بسيئة ذكر شدة العقاب فخاف فارتدع, وإذا عمل صالحا ذكر الثواب والجزاء وقبول الله عز وجل فغلب جانب الرجاء.
وقال بعض العلماء: ينبغي أن يغلب جانب الخوف في حال الصحة وجانب الرجاء في حال المرض حتى يأتيه الموت وهو يحسن الظن بالله لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله).** فالأقوال إذن أربعة: أن يكون خوفه ورجاءه واحدا, والثاني أن يغلب جانب الرجاء في العمل الصالح وجانب الخوف إذا هم بالمعصية, والثالث أن يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة, ... طيب إذن, هذه أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا, طيب هذه ثلاثة أقوال والذي يظهر أن القول بأنه يغلب جانب الرجاء في حالة فعل الطاعة وجانب الخوف إذا هم بمعصية هو أقرب الأقوال, من أجل أن يردع نفسه إذا هم بمعصية خوفا من الله وأن يأمل القبول من الله والثواب إذا فعل الطاعة فيغلب جانب الرجاء.
((لا إله إلا هو إليه المصير)) ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على التوكل على الله, كيف كانت دليلا على الحث على التوكل على الله ؟ ... أنه لما كان المصير إلى الله كان ينبغي أن يتعلق الإنسان بربه لا بغيره, ما دام المصير إلى الله فتوكل على الله لا على غيره.
ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: اللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد وعند

طلب المحبوب, تؤخذ من ؟ **((إليه المصير))** فإذا اشتدت بـك شـدة فلا تلتفت إلى زيد أو عمرو, عليك بـالله عـز وجـل, حـتى الشـدائد الـتي أسبابها خفية لا ينفعك إلا الله**: ((وإما ينزغنك من الشـيطان نـزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم))**.

ثم قال الله عز وجل مبتدأ الدرس اليوم: **((ما يجادل في آيات اللـه إلا الذين كفروا))** مـا يجـادل إلا الـذي كفـروا, مـا: نافيـة, وإلا: أداة حصر, والجملة هنا جملة خبرية حصرية, خبرية لأنها منفية, حصـرية لأنـه حصر الجدال في الذين كفروا **((ما يجادل في آيات الله إلا الـذين كفـروا))** أمـا الـذين آمنـوا فلا يجـادلون فـي آيـات اللـه, والمجادلـة المنازعة والمخاصمة مأخوذة من الجدل وهو فتل الحبل, أتعرفون كيـف يفتل الحبل ؟ هكذا حتى يشتد ويقوى هكذا, هذا أصـل الجـدل المنازعـة, وهي مأخوذة من الجـدل أي فتـل الحبـل لأن كـل واحـد مـن المتنـازعين كأنما يفتل حبلا لمنازعه فيكون ذلك أشد في الإحكام.

وقوله: **((في آيات اللـه))** قـال المفسـر: **" القـرآن "** وينبغـي أن نفسر الآيات بمـا هـو أعـم, وهـذا الـذي فسـر المؤلـف الآيـات بـه يعتـبر قصورا, ولا ينبغي أن نفسر العام بأخص منه إلا إذا دلت قرينة قوية علـى ذلك, وهنا لا دلالة, فالمنازعون في آيات الله منهم من ينازع في القرآن, ومنهم من ينازع في السنة, ومنهم من ينازع فـي الخلـق, مثلا الكسـوف من آيات الله, خسوف القمر من آيات الله, من النـاس مـن يجـادل فيـه ويقول ليس هذا من باب تخويف العباد وأي رابطة بين هذا وبين التخويف وسببه طبيعي معلوم يدرك بالحساب, عرفتم ؟ يجادل في شرع الله في آيات الله فيقول مثلا لماذا كان كذا وكان في موضع آخر كذا وكذا, كقصة المعري الذي جادل في كون اليد تقطع في ربـع دينـار وديتهـا خمسـمائة دينار, وكقول بعضهم لماذا ينتقض الوضوء بالريح مـن أسـفل ولا ينتقـض بالريـح مـن أعلـى والريـح مـن أعلـى هـو الجشـاء ومـا أشـبه ذلـك مـن المجادلات في الآيات الشرعية.

منهم من يجادل في القرآن يقول القرآن فيـه تنـاقض قـال اللـه تعـالى: **((ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين))** وقال في آية أخرى: **((ولا يكتمون الله حديثا))** هذا تناقض فيجادل, فالمهم أن الجدل يكون في الآيات الشرعية الثابتة فـي القـرآن والسـنة ويكون أيضا في الآيات الكونية فينبغي أن نفسر الآيات بما هـو أعـم ممـا ذكره المؤلف, فنقـول: **((ما يجـادل فـي آيـات اللـه))** الكونيـة أو

الشرعية **((إلا الذي كفروا))** وأما المؤمنون فلا يجادلون, المؤمنون يقولون آمنا به كل من عند ربنا ولا يجادلون, من أين عرفنا أن المـؤمنين لا يجادلون ؟ من كونه حصر المجادلة في الذين كفروا.
قال: " ((إلا الذين كفروا)) من أهل مكة " وهذا تخصـيص آخـر, الله عز وجل يقول: **((إلا الذين كفروا))** والمؤلـف يقـول مـن أهـل مكة, سبحان الله القرآن يعم ونحن نخص هذا خطأ, قصور في التفسير, فنقول: **((في آيات الله))** أعم من القرآن **((إلا الذين كفــروا))** أعم من أهل مكة, يجادل في آيات الله الذين كفروا من أهل مكـة ومـن غير أهل مكة, من أهل المدينة من أهل الطائف من أهل جـدة مـن أهـل القصيم من كل مكان, كلهم يجادلون في آيات الله إذا كانوا كفارا.
((فلا يغررك تقلبهم في البلاد)) الفـاء للتفريـع علـى مـا سـبق, والخطاب في قوله: **((فلا يغررك))** إما للنبي صلى الله عليـه وسـلم لأنه الذي نزل عليـه القـرآن, وإمـا لعمـوم المخـاطبين لأن القـرآن نـزل للجميع, وأيهما أولى؟ الثـاني, لأن القاعـدة التفسـيرية عنـدنا أنـه إذا دار الأمر بين كون المعنى عاما أو خاصا فإنه يحمـل علـى العـام لأن الخـاص يدخل في العام ولا عكس, إذن فلا يغرركَ أيها المخاطب وأول من يدخل في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم, ويغررك يعني لا يخدعك ولا تغتر به.
((تقلبهم في البلاد)) التقلب هو التردد من شيء إلى شيء, ومنـه تقلب الإنسان في فراشه من جنب إلى جنب, المعنـى لا يغـرك ترددهـم في البلاد يمينا وشمالا وشرقا وغربا للتجارة ولغير التجارة, لماذا لا يغر ؟
قــال: " ((فلا يغــررك تقلبهــم فــي البلاد)) ســالمين فــإن عاقبتهم النار " ولكن لو قال: فإن عاقبتهم البـوار لكـان أحسـن, لأن الله تعالى ضـرب مثلا بمـن كـان علـى حـالهم بـأن اللـه أهلكهـم فقـال: **((كذبت قبلهم قوم نوح))** إلى آخره.
نأخذ فوائد الآية قبل أن نتجاوزها, يقول اللـه عـز وجـل: **((مـا يجـادل في آيات الله إلا الذين كفروا))**
فمن فوائد هذه الآية: أن الكفار يجادلون في آيات الله, لكن لأي شيء ؟ **((وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق)).**
ومن فوائدها: حـرص الكفـار علـى إبطـال الحـق بالمجادلـة والمجالـدة, المجادلة كما في الآية, المجالـدة إذا عجـزوا عـن إبطـال الحـق بالجـدل أبطلوه بالجلد بالقتال كما في آيات أخرى.

ومن فوائد الآية الكريمة: الحذر من مجادلة الكفار إذا كان ليس عند الإنسان سلاح, أي لا تدخل مع الكفار في جدل إذا لم يكن لديك سلاح لأنك سوف تهزم وهزيمتك ليست هزيمة شخصية لكنها هزيمة للإسلام.
ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي لنا أن نعرف معايب الكفار وأقوالهم حتى يمكننا أن نجادلهم, لأن الجدل كما قلنا فيما سبق المنازعة كل واحد ينازع الآخر ليفتل كلامه أمامه حتى يشتد عليه, فلابد أن تعرف ما هم عليه من الباطل من أجل أن تحاجهم فيه, يعني لا يكفي في مجادلة الكفار أن تعرف الحق الذي أنت عليه بل لابد أن تعرف الباطل الذي هم عليه, وأظن هذا واضحا, والله عز وجل يجادل الكفار بمثل هذا يقول: ((**آلله أذن لكم أم على الله تفترون**)) والآيات في هذا كثيرة, اعرف ما عند عدوك من الباطل من أجل أن تدحض حجته.
فإن قال قائل كيف نجمع بين هذه الآية الكريمة التي ذكر الله فيها أنه لا يجادل في الآيات إلا الكفار وبين قول الله تبارك وتعالى: ((**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)) [النحل :125] فأمر بالجدال مع أنه في هذه الآية ذم الجدال وقال إنه لا يجادل إلا الكفار؛ الجواب على هذا سهل أن المجادلة التي أمرنا بها هي المجادلة لإبطال الباطل وإحقاق الحق, أما الكفار فإنهم يجادلون لإبطال الحق وإحقاق الباطل عكس ما أمرنا به.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى يملي للكفار ويمهلهم ويمكنهم من التقلب في البلاد حيث شاءوا لقوله: ((**تقلبهم في البلاد**)).
ومن فوائد الآية الكريمة: تحذير المؤمن أن يغتر بما أنعم الله به على هؤلاء الكفار من التقلب في الدنيا حيث شاءوا لقوله: ((**فلا يغررك تقلبهم في البلاد**)).
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان سفه أولئك الذين أغروا واغتروا بالكفار, بيان سفههم في العقول وضلالهم في الدين, فإن بعض المسلمين ضعفاء الإيمان انبهروا مما عليه الكفار, وظنوا أن ما هم عليه من تحلل الأخلاق وفساد العقائد والكفر هو الذي أوجب أن يكونوا على هذا المستوى من التقدم المادي فانبهروا بذلك وانفلتوا من الدين, وضيعوا مشيتهم ومشية الحمامة صاروا كالغراب, يقولون إن الغراب أعجبه مشية الحمامة ومعروف الفرق بين مشية الحمامة ومشية الغراب، الغراب ... والحمامة تشمي كأنما تمشي على عجل أي على كفرات كما تقولون, فأعجبته المشية فقال: سأمشي مثل مشية الحمامة فأراد أن

يفعل ولم يدرك شيئا أراد أن يعود إلى مشيته الأولى فعجز أن يعرفها فضيع المشية الأولى والثانية, هؤلاء المساكين الذين انبهروا بما عليه الكفار من القوة المادية وما زخرف لهم من الدنيا ضيعوا دينهم ولم يصلوا إلى ما عليه هؤلاء من الدنيا, وقد قال الله تعالى لنبيه: **((ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى))**.

طيب ومن فوائد الآيات الكريمة: أنه مهما طال الأمد بهؤلاء الكفار فإن مآلهم الهلاك والبوار, وانظروا الآن كل الكفار السابقين أين ذهبوا ؟ ذهبوا إلى النار, لأننا نشهد بالله أن كل كافر في النار, فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر انتقلوا من الدنيا التي جعلت لهم جنة إلى النار والعياذ بالله.

وأظن قد قصصت عليكم قصة لابن حجر العسقلاني نعم, وكان قاضي القضاة في مصر يعني كبير القضاة, وكان إذا مشى يمشي على عربة تجرها الخيول أو البغال في موكب, فمر ذات يوم بيهودي سمان يعني يصنع السمن أو زيات وتعرفون الزيات والسمان تكون ثيابه ملوثة بالزيت وأحواله سيئة, فأشار إلى الموكب فوقف فقال لابن حجر إن نبيكم يقول: **(إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)** وكيف يتفق هذا القول مع حالي وحالك, أنت الآن مسلم وفي هذه الرفاهية وفي هذا الموكب العظيم وهو يهودي وتعس, في زيت أو سمن يلوث ثيابه ويديه وكل شيء, فقال له ابن حجر رحمه الله تعالى: " نعم لكن ما أنت فيه من البؤس هو جنة بالنسبة لما ستؤول إليه إذا مت " إذا مت أين يكون ؟ النار أو هذا ؟ هذا جنة بالنسبة للنار " وأما أنا فنعيمي هذا بالنسبة للجنة يعتبر سجنا " لأن نعيم الجنة أعلى بكثير من هذا فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. سبحان الله تبين له الأمر بكلمة بسيطة, فأقول إن هؤلاء الكفار مهما زينت لهم الدنيا فإنهم والعياذ بالله سيؤولون إلى عذاب, وكما نعلم جميعا أن الإنسان إذا آل إلى عذاب بعد النعيم صار العذاب عليه أشد, لكن لو انتقل من عذاب إلى عذاب صار أهون, أما من نعيم إلى عذاب صعب جدا **((فلا يغررك تقبلهم في البلاد))** إذ هؤلاء الكفار الذين يذهبون ويجيئون كل هؤلاء لا يغرنكم لاسيما إذا كان ترددهم في البلاد استكبارا في الأرض ومكر السيئ وعلوا على الخلق وزعما منهم أنهم سيدبرون الناس وسيسنون نظاما عالميا كما يقولون, فإننا نعلم أن مآلهم الفشل إذا نحن صدقنا الله, إذا نحن صدقنا الله فإن كيدهم لا يضرنا: **((إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا))**

يعني كيدا أعظم, ومعلوم أن الكيد الواقع من الله أشد من الكيـد الواقـع من البشر نعم .

الطالب: ... هل لكم فيها قول جديد في الجمع بين الخوف والرجاء ؟

الشيخ: لا ما هو جديد, هذا بقطع النظر عن حالات تعرض للإنسـان, كمـا نقول هذا الشيء مبـاح وقـد يكـون واجبـا وقـد يكـون حرامـا, فنحـن إذا رجحنا يعني ننظر إلى القول من حيث هو قول, لكن قد تعـرض للإنسـان حالات حتى إذا هم بالمعصية قد يكون يغلـب جـانب الرجـاء أو بـالعكس, فالقول من حيث هو قول القيـاس يقتضـي أننـا نغلـب جـانب الرجـاء إذا فعلنا الطاعة ونقول إن الله تعالى لم يوفقنا للطاعة إلا وسيقبلها منا: **((ادعوني استجب لكم))** ولهذا قال بعض العلماء: " من وفـق للـدعاء فليبشر بالإجابة " وإذا هم بالمعصية فمعلوم أنه إذا غلـب جـانب الخـوف سوف يرتدع, لكن هناك حالات تطرأ على الإنسان شيء آخر, فالحـالات العارضة نقول فيها الإنسان طبيب نفسه, أما القول مـن حيـث هـو قـول فهذا القول أقرب للقياس.

الطالب: من تاب من ذنب يتعلـق بـالآخر فيمـا سـبق قلتـم إذا كـان مـن جنس الذنب الأول فلا, والآن قلتم يقبل مطلقا ؟

الشيخ: نعم الصحيح أنه يقبل مطلقا, لأن هذا مقتضى العـدل, فعـل ذنبـا فتاب منه فلتقبل توبته نعم .

الطالب: بعض الناس يقول لا يجوز للإنسان أن يقول أن الكفار كلهم في النار, نقول الذي بلغته الدعوة نشهد أنه في النار ... ؟

الشيخ: لا, نقول كل كافر في النار, لكن من لم تبلغـه الـدعوة فلا نجـزم له بجنة ولا نار لأنه لم يصدق عليه أنه كافر إلـى الآن, ونقـول أمـره إلـى الله يوم القيامة, وهذا بخلاف الذي ينتسب للإسلام وفعل ما يكفر جـاهلا فقد سبق لنا القول في هذه المسألة وذكرنا لكم أن شيخ الإسلام رحمـه الله لما ناظر الجهمية وبين لهم الحق وأصروا على ما هـم عليـه قـال: **" أنا أعلم لو أنني لو قلت بما تقولـون لكنـت كـافرا وأمـا أنتـم فلستم كفارا عندي لأنكـم متـأولون "** هـذا وهـو ينـاظر الجهميـة ويبين لهم الحق, ذكر هذا في كتاب الاستغاثة.

وهذا يدل على مسألة يشتد فيها بعض الناس اليوم في مسـألة فعـل مـا يكفر حيث يكفرون الناس مطلقا بلا بينة والمسـألة هـذه كمـا قلنـا فيمـا سبق خطيرة, فالآن شيخ الإسلام رحمه اللـه كمـا سـمعتم يقـول: **" أنا أعلم أنني لو قلـت بقـولكم لكنـت كـافرا لأنـي أعلـم أن هـذا**

خلاف الحق أما أنتم فلستم تكفرون عندي لأنكم متأولون " وهم جهمية مع أن إطلاق الكفر على الجهمية عموما جاء ذلك عن الإمام أحمد وغيره, وكما نقلت لكم أيضا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه قال: **" إننا لا نكفر الذين اتخذوا صنما على قبر البدوي وعبد القادر لجهلهم وعدم من ينبههم "** وقد كان كثير من الناس أو من طلبة العلم يفرقون بين الأصل والفرع, فيقولون الفرع يعذر فيه الجهل والأصل لا يعذر فهذا ليس بصحيح, أولا أن تقسيم الدين إلى أصل وفرع يقول شيخ الإسلام هذا بدعة, ليس في القرآن ولا في السنة تقسيم الدين إلى أصل وفرع, وإنما حدث هذا من كلام المتكلمين بعد القرون المفضلة, قسموا الدين إلى أصل وفرع, وقال إن هذا التقسيم ينتقض بأن الصلاة عندهم فرع وهي من أصل الأصول, وبأن بعض المسائل التي فيها الخلاف فيما يسمونه أصولا لا يكفر المخالف فيه, كما مر علينا في الصراط وفي الميزان وفي عذاب القبر وفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه كل هذه مما يسمونه أصولا ومع ذلك ففيها الخلاف, وإن كان الخلاف في الأصل لم يرد لكن فروع الأصول فيها الخلاف, فهذه المسائل ينبغي لطالب العلم أن يحرر فيه القول قبل أن يحكم على عباد الله بما لم يجعله الله لهم .

الطالب : ...

الشيخ : اللهم صل على محمد, من قال هذا ؟ ... يعني إذا قاتل المسلمون الكفار وهم اثنا عشر ألفا فإنهم لن يغلبوا, لكن لن يغلبوا باعتبار الكمية أما باعتبار الكيفية فلو اجتمع اثنا عشر مليون هزموا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا أمن قلة يا رسول الله قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل)** وصدق الرسول, والله إننا اليوم غثاء كغثاء السيل, وإلا كيف يطيب لنا منام أو يهنئ لنا أكل وإخواننا في البوسنة والهرسك تمزق أوصالهم تمزيقا وتنتهك حرماتهم وتحتل ديارهم, أين الإسلام ؟ يعني لو مشوا الناس على أقدامهم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق نصرة لإخوانهم لم يكن هذا بغريب لو كان الدين حقيقة, لكن مع الأسف إخوانهم يفعل بهم هذا الفعل ونحن ساكتون نائمون على فرشنا, والله خزي وعار أمام الله وأمام الخلق, لو يقتل يهودي في أرض محتلة مغتصبة قامت الدنيا وقامت من ورائها الأمم, وهؤلاء يقتلون ووعد كذب وسنضرب الصرب

والكروات يقولونها اليوم, وغدا يقولون لا تضربون الصرب والكروات إن ضربتموهم اعتدوا على حفظة السلام من الأمم المتحدة, خلوهم يقتلون المسلمين ويسلمون جماعات الأمم المتحدة لا يهم, فالحاصل أن الحديث: **(لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة)** هذا لو أننا صدقنا الله, أما ونحن الآن لا نريد إلا شبع البطون وشهوة الفروج ولذة الفرش فسنغلب لو كنا اثني عشر ألف مليون, نعم .

الطالب: ... أخذنا فائدة منذ قليل وهي الحذر من مجالدة الكفار حتى يتهيأ السلاح, والآن حال البسنة والهرسك واضح جدا أنهم لا يصلهم السلاح ولا يصلهم العون وأنهم في تقهقر دائم, أفلا يفتي لهم العلماء بأنه يجب عليهم قبول أي خطة من أجل إنقاذ أرواح من تبقى. ؟

الشيخ: أنا أرى أنه يجب غير هذا, لو أن المسلمين اتخذوا سلاح المقاطعة للدول الكافرة, فهل تظنون أن الدول الكافرة تخضع أو لا تخضع ؟ تخضع رغما على أنوفها, ما الذي يشغل عمالهم ما الذي يشغل مصانعهم ؟ إلا استهلاك المسلمين لما يصنعونه, من الذي يمولهم بالبترول وغيره إلا المسلمون, والله لو قاطعناهم اقتصاديا دعنا من سياسيا لاستجابوا, أليست الآن الدول الغربية تحارب من تحارب بالاقتصاد, ماذا فعلوا بالعراق أليس ضيقوا عليه الآن الخناق ... اعتبار الواقع الرسول صلى الله عليه وسلم وافق على الصلح الذي جرى بينه وبين قريش في الحديبية, وهو صلح ظاهره أنه علينا وصار لنا والحمد لله, أنا ما ألوم مثلا رئيس البوسنة والهرسك بأن يوافق على الخطة التي اختطها هؤلاء, لا ألومه لأن هذا أهون الشرين, لكني والله ألوم الأمة الإسلامية وأرى أنها مسئولة عن ذلك أمام الله, أن تسكت هذا السكوت وتدع هؤلاء المسلمين فريسة للنصارى, وما الذي يأمننا الآن أنهم إذا قضوا على جمهورية البوسنة والهرسك أن يذهبوا إلى ألبانيا وأن يمشوا, يعني نحن نسمع أشياء ما نحب أن نقولها الآن باعتبار أطماع النصارى وأطماع الوثنيين, يعني يطمعون أن يصلوا إلى الكعبة فما الذي يأمننا ؟ والله أنا أحمل أمام الله المسلمين هذه المسئولية, وأرى أنهم مقصرون وأنهم تركوا هؤلاء الكفار يعيثون في الأرض فسادا وهم ساكتون, وأنتم لو فكرتم لوجدتم هذا حقيقة تقصير من المسلمين.

ثم المسلمين لا حول ولا قوة إلا بالله صم بكم عمي فهم لا يعقلون, الآن يحاولون الصلح مع اليهود, وماذا صنعت اليهود باللبنانيين ؟ تطردهم من ديارهم تقتلهم ويقولون تعالوا على مائدة الصلح, وين الصلح ؟ ثم هم

يصرحون أيضا رؤساء اليهود يقولن بأن القدس عاصمة اليهود الأبدية ولا يمكن أن نتحول عنها؛ فلنصالحهم على إيش.
فالمهم أن ما عندنا صدق لكننا إنشاء الله أرجوا الله عز وجل أن هذه النشأة الجديدة الشبابية هي التي يكون على يديها النصرة إذا وفقت للحكمة وعدم العنف, لأن الذي يضر الآن الشباب المتجه أنه يتسرع يريد أن تكون المسألة بين عشية وضحاها, لم يعلم أن الأمم الكافرة ومن ورائها أذنابها من ولاة بعض الدول الإسلامية أو العربية لا يدري أنهم أعداء لهم وأنهم متمكنون, فالواجب على الشباب أن يصبروا, يصبر على الأذية ويصبر في الدعوة الطريق طويل, لكن إخواننا يريدون أن يقفزوا من أسفل درجة إلى أعلى درجة, وهذا غير صحيح, والنصر بحول الله للمسلمين وما تجمع اليهود الآن من اليمين والشمال والشرق والغرب في فلسطين إلا توطئة وتمهيد لقتال المسلمين إياهم, ما هو لقتال العرب إياهم لقتال المسلمين, ولهذا يقول الشجر إذا تقاتل المسلمون واليهود المقاتلة الأخيرة يقول: **(يا مسلم أو يا عبد الله هذا يهودي فاقتله)** ما يقول يا عربي, والمعركة بين العرب واليهود فاشلة, كم حصل من معركة بين العرب واليهود ؟ ثلاثة أو أربعة كلها الهزيمة على العرب وستكون الهزيمة على العرب دائما ما داموا يقاتلون من أجل العروبة ستكون الهزيمة, من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الأعلى, فعلى كل حال نشكر الله عز وجل حالنا اليوم أننا في حال يرثى لها في الواقع, والله يبكي علينا الصديق وإن لم أجازف لقلت يبكي حتى العدو, الآن يقولون أنه في أمريكا بعض الناس الذين عندهم نوع من الرحمة فعلوا مظاهرات من أجل ما يفعل في البوسنة من هتك الأعراض وقتل الأطفال أمام أمهاتهم وآبائهم, حتى قيل أنهم يجبرون الأم على أن تشرب من دم ابنها وهو يذبح أمامها, أعوذ بالله شيء عجيب يرتاع له الضمير, ومع ذلك ساكتون نحن, لو واحد بس يشوف البراد والثلج والماء البارد والله بعض الأحيان إذا شربت الماء أقول كيف أشرب هذا الماء وإخواننا في البوسنة يشربون من المجاري, نسأل الله العافية, ما يخاف الله ما لا يشعر بشعور إخوانه, إنا لله وإنا إليه راجعون.

الطالب: ...

الشيخ: أنا أجزم جزما لو كان ولاة المسلمين فيهم الإحساس الذي في شعوبهم ما صبروا على هذا الوضع أبدا, لكن غالب حكام المسلمين مع

الأسف كل واحد منهم يريد أن يبقى على كرسيه بأي ثمن كان ولا يهمه, انظر الآن بعض ولاة المسلمين الآن يريدون أن تكون الدولة المسلمة علمانية يستوي فيها اليهودي والنصراني والبوذي والمسلم وكل واحد, هذا هو الواقع عند كثير من ولاة المسلمين, والله لو شعر ولاة المسلمين بما يشعر به الشعوب ما سكتوا ولعرفوا كيف يؤكل الكتف وعرفوا كيف يقابلون هؤلاء النصارى، النصارى الآن عائشون على المسلمين في الواقع, مصانعهم لا يستهلكها إلا المسلمون, أمورهم حتى العسكرية وظائف كبيرة هائلة لهؤلاء الكفار, نعم.

الطالب: ...

الشيخ: والله واجب الشعوب لا تقدر على أي شيء أبدا, لكن واجبها الدعاء تدعوا الله عز وجل أن ينصر الإسلام والمسلمين في كل مكان, والله عز وجل إذا دعاه الإنسان مضطرا أجابه, نعم .

الطالب : ...

الشيخ : نؤمن بأن الله تعالى يقول : **((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون))** هل المراد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الله أتم النور وصارت السيطرة للمسلمين أو أنه في كل زمان ومكان ؟ إذا قلنا بالثانية فلا يلزم إذا انطفأ النور في بلد أن ينطفئ في البلاد الأخرى, ولكن مع ذلك نرجو الله سبحانه وتعالى ألا يطفئ نوره في البوسنة ولا غيرها من بلاد المسلمين هذا ما نرجوه ونؤمله, ونعلم أن ما أصاب إخواننا في البوسنة هو بقضاء الله وقدره لا شك, فنرضى به من هذا الوجه لأنه قضاء الله, لكننا نعلم أنه إذا وقع الشيء بقضاء الله وقدره فيجب علينا أن نعمل بشرع الله حتى يرتفع قدر الله .

الشيخ : قال اللـه تعـالى : **((مـا يجـادل فـي آيـات اللـه إلا الـذين كفروا))** ما المراد بآيات الله ؟
الطالب : آيات الله الشرعية والكونية.
الشيخ : نعم, مثال المجادلة في الكونية ؟
الطالب: المجادلة في الكسوف.
الشيخ : كالمجادلة في الكسوف حيث ؟.
الطالب: يقـول أن اللـه كيـف يخـوف بهـا عبـاده وهـي معلومـة الزمـان والانتهاء, البداية والنهاية في الوقت الحاضر.
الشيخ : الآيات الشرعية ؟
الطالب: مثل قطع اليد أو الرجم.
الشيخ : نعم, يجادلون فيها ويقولون في هذا همجية ووحشـية ومـا أشـبه ذلك.
الشيخ : طيب كيف تجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى : **((وجادلهم بالتي هي أحسن))** فأمر بالمجادلة ؟ هنا أمـر: **((جادلهم))** وهنـا قال: **((ما يجادل إلا الذين كفروا))** .؟
الطالب: مجادلة الكفار تكـون بالبطـال لأبطـال الحـق أمـا الـذين آمنـوا فمجادلتهم تكون لبيان الحق.
الشيخ: طيب إذن المجادلة هنا غير المجادلة هناك, ما تقولون ؟ صحيح.
الشيخ: قوله: **((فلا يغررك تقلبهم))** ما معنى التقلـب فـي البلاد ؟ التردد في البلاد للتجارة والنزهة وغير ذلك؛ والخطـاب فـي قـوله: ((فلا يغررك)).
الطـالب : يمكـن أن يكـون الخطـاب للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وللمسلمين للجمع من الناس, وإذا دار المعنى بين عام وخـاص فنحملـه على العام .
الشيخ : لأن العام يشمل الخاص ولا عكس, طيب.
الشيخ : قال الله تبارك وتعالى : **((كذبت قبلهـم قـوم نـوح))** هـذا كالتعليل لقوله : **((فلا يغررك تقلبهم فـي البلاد))** يعنـي فلينظـر عاقبة من كان قبلهم حين كذبوا وقوله: **((قبلهم))** الضمير يعود على الذين كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم؛ **((قوم نوح والأحزاب مـن بعدهم))** نوح هو أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض بعـد أن اختلفوا, **((فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنـزل معهـم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه))** ونوح بعـث

إلى أهل الأرض لأن أهل الأرض كانوا هم قومه, أما حين تعددت الأقــوام فقد كان الرسول لا يبعث إلا إلى قومه خاصة كمـا ثبـت ذلـك عـن النـبي صلى الله عليه وسلم, **((والأحزاب))** جمع حزب وهي الطائفة يعنــي الطوائف **((من بعدهم))** أي من بعد قوم نوح.
يقول المفسر**: " كعاد وثمود وغيرهما "** فماذا أغنى عنهم التكـذيب, يقول الله عز وجل: **((فأخذتهم))**.
وقوله: **((وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه))** يعني كل أمة همت برسولهم أي بالذي أرسل إليهـم ليأخـذوه هـذه متعلقـة بهمـت أي همـوا ليقتلوه, واللام هنا بمعنى الباء أي بأن يأخذوه فيقتلوه, ومنهم من قتلهـم بالفعل من قتل النبيين بغير حق؛ **((وجادلوا بالباطل ليدحضــوا بــه الحق))** هذه تفسر معنى الجدال فيما سبق لقوله : **((ما يجادل في آيات الله إلا الـذين كفـروا))** فجـادلوا بالباطـل أي جعلـوا الباطـل سلاحا لهـم **((ليدحضوا))** ليزيلـوا بـه الحـق, فكـانوا يـأتون بالباطـل يحتجــون بــه علــى الحــق لإدحاضــه, واعلــم أن الــذي يــأتون بالباطــل ليدحضون به الحق لا يأتون بالباطل على وجهه بـل يزخرفـون القـول لـه كما قال تعالى : **((وكذلك جعلنا لكل نبيا عدوا شـياطين الإنـس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القـول غـرورا))** ولهـذا تجد الذين يجادلون بالباطل يأتون بعبـارات إذا رآهـا الإنسـان ظنهـا حقـا كأنه السراب للظمآن **((حتى إذا جاءه لم يجده شـيئا ووجـد اللـه عنده فوفاه حسابه))** وكما قال بعضهم:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

فهـم يـأتون بزخـرف القـول, الزخـرف يعنـي القـول المنمـق المحسـن المزين لأجل إدحاض الحق, قال الله تعالى: **((فأخذتهم))** الفـاء هنـا للسببية أي فبسبب ما قالوا به من المجادلة بالباطل والتكـذيب أخـذتهم, والضمير الفاعل يعود على الله سـبحانه وتعـالى, والمفعـول يعـود علـى هؤلاء المكذبين.
" ((فأخــذتهم)) بالعقــاب ((فكيــف كــان عقــاب)) " فسـر المؤلـف الأخـذ هنـا بالعقـاب لقـوله: **((فكيـف كـان عقـاب))** أي معاقبتي لهم, وكيـف هنـا للتعجـب وللتقريـر وللتعظيـم أيضـا, أي فكـان عقابي عظيما في كيفيته وفي وقوعه موقعه وفي شدته, فإنه عذاب لـم يبق أحدا منهم, وعلى هذا فالاستفهام له عدة معاني يعينها السياق.
وقوله: ((عقاب)) قـد يشـكل علـى النـاظر لأول وهلـة كيـف كـان

مجرورا مع أنه مبتدأ أو خبر مبتدأ, فيقال إنـه ليـس بمجـرور وأن الأصـل عقابي فحذفت الياء تخفيفا والكسرة قبلها دليل عليها.
" أي هو واقع موقعه " وهذا بنـاء علـى أن الاسـتفهام تقريـري, وإذا قلنا للتعظيم يكون المعنى: **((فكيف كان عقـاب))** أي فمـا أعظـم عقابي وأشده حيث أزالهم عن آخرهم.
يستفاد من هذه الآية فوائد أولا: أن الله تعالى أعذر إلى الخلـق بإرسـال الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علـى اللـه حجـة بعـد الرسـل لقوله: **((كذبت قبلهم قوم نوح))** وهـذا يـدل علـى أن هنـاك قـولا قاله الأنبياء فكذبه هؤلاء.
ومن فوائد الآية: أن نوحا هـو أول الرسـل لقـوله: **((والأحزاب مـن بعدهم))** فجعل الأحزاب المكذبين كلهم من بعد قوم نـوح, وهـذا يـدل على أن نوحا هو أول الرسل, وهذا أمر معلوم متقرر في عدة آيات وفي الأحاديث أيضا, وبه نعم أن من زعم أن إدريس قبل نوح فإنه خـاطئ ولا وجه لقوله .
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان ما تنطوي عليه صـدور المكـذبين للرسـل من الهم بقتلهم, يعني أن المكذبين للرسل لم يقتصروا علـى أن يكـذبوا فقط بل هموا بالقتل, والقتل والاغتيال وما أشبه ذلك هو سـلاح العـاجز, وكذلك السجن هو سلاح العاجز, ولهذا قال فرعون لموسى عليه الصـلاة والسـلام: **((لأجعلنك مـن المسـجونين))** وقـال أبـو إبراهيـم آزر: **((لئـن لـم تنتـه لأرجمنـك))** فالسـجن والقتـل والاغتيـال والسـب والشتم كله سلاح العاجز, لأن القـادر علـى دفـع الحجـة هـو الـذي يـدفع الحجة بمثلها بحجة, أما أن يستعمل سلطته فهذا يدل على عجزه.
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الأسباب لقـوله: **((فأخـذتهم))** لأن الفاء للسببية, وإثبات الأسباب حق وهو مقتضى حكمة الله عـز وجـل أن كل شيء له سبب, فالإنسان لا يولد لـه مثلا إذا بسـبب إذا تـزوج وجـامع وأنزل ولد له, فـالله عـز وجـل قـرن المسـببات بأسـبابها وهـو مقتضـى الحكمة, والناس في الأسباب ثلاثة أقسام: طرفان ووسط, فقسم أنكـر الأسباب وقال لا تأثير لها وما يحصـل بالسـبب فـإنه حاصـل عنـده لا بـه, والسبب أمارة علـى حلـول وقـت الحـادث وعلامـة فقـط علـى حصـول الحادث أو على حلول وقته, فانكسار الزجاجـة بـالحجر إذا أرسـل عليهـا ليس هي التي كسرته لكن الله قدر انكسارها عند وجـود الصـدمة فقـط وليس للحجر أي تأثير, فالأشياء تحصل عند الأسباب بغير الأسـباب لكـن

السبب جعله الله أمارة وعلامة على حلول وقت الحادث, ولهذا يقولـون لو أن أحدا أثبت تأثير الأسـباب لكـان مشـركا لأنـه أثبـت مـع اللـه خالقـا فاعلا.
والقسم الثاني الطرف الثـاني يقـول: بـل الأسـباب ثـابت تأثيرهـا وهـي مؤثرة بنفسها لأنهـا هـي القـوة الفاعلـة ولا علاقـة لل ه بها, وهـذا يشـبه مذهب القدرية وهو قول الفلاسفة, يقولون هكـذا المسـألة طبـائع, مـن طبيعة هذا الشيء أن يحدث به هذا الشيء, وهذا لا شـك أنـه خطـأ وأنـه نوع من الشرك.
والقسم الثالث: وسط يقول إن للأسباب تأثيرا ولكـن لا بنفسـها بـل بمـا أودع الله فيها من القوة المؤثرة, وهذا الذي دل عليه المنقول والمعقول وهو الحق.
والرد على الطبائعيين الذين يقولون أن الأسباب مؤثرة بطبيعتها أن اللـه تعالى قال لنار إبراهيم وهي محرقة قال لها: **((كـوني بـردا وسـلاما على إبراهيم))** فكانت بردا وسلاما فخرجت عن طبيعتها, إذن ليسـت الطبائع قوة مؤثرة بنفسها ولكن بما أودع الله فيها من القـوى المـؤثرة, والأدلة على تأثير الأسباب أكثر من أن تحصـى: **((اللـه الـذي يرسـل الرياح فتثير سحابا))** **((فأنزلنا به الماء فأخرجنا بـه مـن كـل الثمرات))** والأعمـال الصـالحة سـبب للفـوز والأعمـال السـيئة سـبب للخسران وهكـذا, فالأسـباب ثابتـة شـرعا ولا شـك فـي الأمـور الحسـية والأمور الشرعية, الآية التي معنا: **((فأخذتهم))** تفيد إثبات الأسـباب وتأثيرها ولكن بأمر الله سبحانه وتعالى .
ومن فوائد هذه الآية: تحريم المجادلـة بالباطـل لإدحـاض الحـق لقـوله : **((وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق))** ويتفرع على هذا أن هـذه العادة من عادات المكـذبين للرسـل, ومـن المجادلـة بالباطـل لإدحـاض الحق أن يجادل الإنسان للانتصار لقوله, وهـذا يقـع كـثيرا فـي المتفقهـة والمتكلمة وغيرهم يجادلون بالباطل من أجل الانتصـار للقـول كمـا قـال تعالى: **((يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنمـا يسـاقون إلـى الموت وهم ينظرون))** فمـن جـادل مـن أجـل أن ينصـر قـوله لا أن ينصر الحق ففيه شـبه مـن المكـذبين للرسـل الـذين يجـادلون بالباطـل ليدحضوا به الحق, ثم إن فيه أي في الذي يجادل لنصـر قـوله فقـط فيـه أنه قد عـرض نفسـه لأمـر عظيـم جـدا وهـو قـوله تعـالى : **((ونقلب أبصارهم وأفئدتهم كما لم يؤمنوا بـه أول مـرة ونـذرهم فـي**

طغيانهم يعمهون)) فإن الإنسان إذا جادل لنصرة قوله فإنه يكون لم يؤمن به أول مرة, وحينئذ يبتلى بهذه العاهة العظيمة أن الله يقلب فؤاده وبصره حتى لا يبصر الحق ولا يعي الحق ويكتم الحق لأنه لم يؤمن به أول مرة, والواجب على المؤمن قبول الحق من أول مرة لا يتردد في قبوله, كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك إذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا حرام امتثلوا, كفوا عنه فعلا في الحال, وإذا أمرهم ابتدروا أمره وهذا شيء له شواهد كثيرة وبذلك حققوا الإيمان عقيدة وقولا وعملا, طيب .

من فوائد الآية الكريمة بيان شدة عقاب الله لقوله : **((فكيف كان عقاب))** أي ما أعظمه وما أشده وما أحسنه لأنه وقع موقعه .

ومن فوائد الآية الكريمة أنه يخشى من معاجلة العقوبة, لأن العقوبة جاءت بالفاء: **((فأخذتهم فكيف كان عقاب))** ولأن المسبب يكون بعد السبب مباشرة فالإنسان العاصي عليه الخطر من معاجلة الله له بالعقوبة.

ثم قال : **((وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار))** كذلك: أي مثل ذلك الأمر وهو وقوع العقاب, حقت: وجبت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

المفسر رحمه الله قال: **" أي ((لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)) "** ففسر كلمة الله بذلك, ولكن في هذا نظرا واضحا لأن الله يقول: **((أنهم أصحاب النار))** هذه الكلمة, الكلمة هي قوله: **((أنهم أصحاب النار))** أي حقت كلمة ربك التي ثبتت أزلا أن هؤلاء أصحاب النار, وقوله: **((حقت كلمت ربك على الذين كفروا))** أي وجبت عليهم, والكلمة هي قوله: **((أنهم أصحاب النار))** ولهذا قال المفسر إنها: **" بدل من كلمة "** وإذا كانت بدلا من كلمة كيف نقول إن الكلمة هي قوله: **((لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين))** إذا كانت هي البدل فابن مالك يقول:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هذا البدل, إذن فالمقصود بالحكم المقصود بقوله: **((كلمة ربك))** هو قوله: **((أنهم أصحاب النار))**؛ وإذا وجدت في القرآن أصحاب النار فالمراد بها أصحابها المخلدون لأن الصحبة تقتضي الملازمة, ولا يمكن أن تكون أصحاب النار لمن توعدوا بدخول النار ثم يخرجون منها, إنما تكون لمن هم أهل النار الذين

هم أهلها وأصحابها.
في هذه الآية الكريمة من الفوائد: إثبات تقدير الله عز وجل الأشياء.
في هذا إثبات أن الأشياء قد كتبت من قبل لقوله: **((حقت كلمة ربك))** وهذا لا ينافي إرسال الرسل ولا ينافي الأمر بما أمر به ولا النهي عما نهى الله عنه, لماذا ؟ لأن الله تعالى أعطى الإنسان عقلا ورشدا وبصيرة يعرف كيف يتصرف, فإذا أرسلت الرسل مع الفطرة الأولى ثم عاند فقد قامت عليه الحجة.
ومن فوائد الآية الكريمة إثبات الكلام لله لقوله: **((كلمة ربك))** ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم بكلام مسموع وبحرف يعني أنه يسمع ويفهم بحروفه مرتبة, فقوله جل وعلا : **((الحمد لله رب العالمين))** نعلم أن الهمزة قبل اللام واللام قبل الحاء والحاء قبل الميم والميم قبل الدال وهكذا, حروف مرتبة لم تأتي جملة واحدة, وإذا كانت مرتبة لزم من ذلك الحدوث حدوث الكلمات لأن ما بعد الأول واقع بعده فيكون بهذا دليل على حدوث كلام الله عز وجل, وليس المراد أصل الصفة لأن أصل الصفة أزلي لم تكن حادثة من قبل, فإن الله سبحانه وتعالى لم يزل بصفاته, لم يزل عليما لم يزل متكلما لم يزل سميعا لم يزل قديرا, لكن الصفة قد تحدث شيئا فشيئا باعتبار آحادها وأفرادها, أما ما كانت صفة معنوية فالحدوث ليس لها ولكن لمتعلقها, فسمع الله عز وجل هل نقول إنه حادث ؟ لا, هو لم يزل لكن الذي يحدث هو المسموع؛ الكلام يحدث نفس الكلام لأنه نوع من الفعل, وعلى هذا فنقول في الآية إثبات الكلام لله ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بحرف مرتب وصوت مسموع.
طيب إذا قال قائل لو قلت إنه بحرف مرتب لزم أن يكون كلامه مشابها لكلام المخلوقين, فالجواب لا يلزم لأن الكلام لا يمكن أن يكون كلاما إلا بهذا, لكن صوت الرب عز وجل الذي يسمع ليس كأصوات المخلوقين لأن الصوت هو صفته, لكن الحروف صفة الكلام الذي تكلم به, وهي لا يمكن أن يكون كلاما إلا بترتيب بعضه بعد بعض.
ومن فوائد الآية الكريمة: عناية الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وسلم, وجهه ؟ **((ربك))** حيث أضاف إليه الربوبية وهذه الربوبية خاصة؛ لأن ربوبية الله عز وجل نوعان: عامة وخاصة, فالعامة الشاملة لكل شيء والخاصة المختصة بما أضيفت له, استمع إلى قوله تعالى : **((قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون))** في هذه

ربوبيـة عامـة وربوبيـة خاصـة, العامـة ؟ رب العـالمين, والخاصـة ؟ رب موسى وهارون.
((إنما أمرت أن أعبـد رب هـذه البلـدة الـتي حرمهـا ولـه كـل شيء)) الأول **((رب هذه البلدة))** يعني مكـة الـذي حرمهـا ربوبيـة خاصة **((وله كل شيء))** هذه عامة, إذن قوله: **((ربك))** من بـاب الربوبية الخاصة ولا شك أن أخص ربوبيـة تكـون للمربـوبين هـي ربوبيـة الرسل ولاسيما أولي العزم منهم وهم خمسـة: محمـد إبراهيـم موسـى عيسى نوح عليهم الصلاة والسلام.
ومن فوائد الآية الكريمة: خلود الذين كفروا في النار لقـوله: **((أنهـم أصحاب النار))** وهل هذا الخلود أبدي أو إلى أمد ؟ أبدي, جاء ذلك في آيات ثلاث في القرآن في سورة النساء وفي سورة الأحزاب وفي سورة الجن.
ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير ممـا يـوجب غضـب اللـه وسـخطه لئلا يكون الرجل قد حقت عليه كلمة الله عز وجـل لأن قـوله: **((كـذلك))** أي مثل ذلك الذي حصل لهؤلاء المكذبين تحق كلمة الله عز وجل.
ثم قال : **((الذين يحملون العرش ومـن حـوله يسـبحون بحمـد ربهم ويؤمنـون بـه ويسـتغفرون للـذين آمنـوا))** الـذين: مبتـدأ مستأنف, ويجب الوقوف على قبله **((أنهم أصحاب النار))** يجب أن تقف, لأنك لـو قلـت: **((الذين يحملـون العـرش))** ووصـلت لظـن الظان أن أصـحاب النـار هـم الـذين يحمل ون العـرش, وهـذا فسـاد فـي المعنـى, فـالوقوف علـى قـوله: **((أنهم أصـحاب النـار واجـب)).**
وقوله: **((الذين يحملون العرش))** مبتـدأ وجملـة **((يسـبحون))** خبر المبتدأ.
((الذين يحملون العرش)) العرش: هو عـرش الرحمـن عـز وجـل وهو أكبر المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأشـرفها فيمـا عـدا المكلفيـن, هذا العرش لا يعلم قدره إلى الله عز وجل, لأننا لـم نخـبر عـن قـدره ولا نعلم من أي مادة هو, أهو من نور أو خشب أو حديـد ؟ لا نعلـم, لأننـا لـم نخبر عن ذلك, ولم نعلم عـن لـونه ولـم نعلـم عـن ملمسـه أليـن هـو أم قاسي, كل هذا لا نعلمه إنما نعلم أنه عرش عظيـم محيـط بالمخلوقـات استوى عليه الرب عز وجل, وله حملة والمشهور أن حملتـه الآن أربعـة, وفي يوم القيامة يكونـون ثمانيـة, ومـن جملـة حملـة العـرش إسـرافيل الموكل بالنفخ في الصور فإنه أحد حملة العرش, الذين يحملون العـرش

هل نحن نعلم صفات هؤلاء الذين يحملون العـرش ؟ لا, لكـن نعلـم أنهـم ملائكة, أما كيف هم فإن ذلك موقوف على ما جاء به السمع.
((ومن حوله)) مـن معطوفـة علـى العـرش, توافقـون ؟ **((الذين يحملون العرش ومن حـوله))** توافقـون أن تكـون معطوفـة علـى العرش ؟ لا يصح, لأنه لو كان كذلك لكـان المعنـى ويحملـون مـن حـوله وليـس كـذلك, وعلـى هـذا فمـن معطوفـة علـى **((الـذين يحملـون العرش))** والذين حوله.
نعم: **" ((ومن حوله)) عطـف عليـه "** علـى المبتـدأ لأن المفسـر قال: **" مبتدأ ((ومن حوله)) عطف عليه "** أي على المبتـدأ, وهـو قوله: **((الذين يحملون العرش))**.
" ((يسبحون)) خبره " خبر المبتدأ ومـا عطـف عليـه, يعنـي حملـة العرش والذين حول العرش يسبحون بحمد الله, والتسبيح تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به من نقـص أو مماثلـة للمخلـوقين, والبـاء فـي قـوله: **((بحمد ربهم))** للملابسة أي تسبيحا ممزوجا بالحمد, فهم مسـبحون حامدون **" أي يقولون: سبحان الله وبحمده "** وقـد بيـن اللـه عـز وجل أن ذلك دائم مستمر فقال تعالى: **((ومـن عنـده لا يسـتكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفـترون))**.
قــال: **" ((يســبحون بحمــد ربهــم ويؤمنــون بــه)) تعــالى ببصائرهم أي يصدقون بوحدانيته ".**
الطالب : هل صحيح القول بأن الأسباب تقع بدون السبب لكن نحن نتبـع بالشرع الذي أمر بالأسباب فقط ؟
الشيخ : أنا لو كنـت قريبـا منـك لأوجعتـك ضـربا, حـتى تعلـم لأن الوجـع سـبب مـن ضـربي, الأشـاعرة يقولـون هـذا أن الأسـباب لا تـؤثر ولكنهـا علامات على حلول وقت الحادث.
الطالب : لماذا لا يكفر من يقول: إن القرآن محدث. ؟
الشيخ : لا يكون كفرا لأن فيه تأويلا, لأن لهم تأويلا يقول محـدث إنزالـه, ليس هو الذكر المحدث إنزاله, ولا شك أن هذا إقحام لكلمـة إنـزال فـي غير دليل, مثل قوله: **((وجاء ربك))** قـالوا المعنـى: وجـاء أمـر ربـك فأقحموا أمر, فنظرا لهذا التأويل لا نحكم بكفرهم.
الطالب : ...
الشيخ : لا ينافي ذلـك, أولا: كتـابته فـي اللـوح المحفـوظ لـم تثبـت عـن

طريق يطمئن إليه الإنسان, وأما قوله تعالى: **((وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم))** فإنه يمكن أن يكون المراد به ذكر هذا الكتاب كما قال تعالى : **((وإنه لفي زبر الأولين))** ومعلوم أن زبر الأولين ليس فيها القرآن وإنما فيها التحدث عنه وذكره, فليس هناك دليل قطعي يطمئن الإنسان إليه بأن القرآن كتب في اللوح المحفوظ, وإذا ثبت هذا فلا ينافي أن يكون كلام الله تعالى به محدثا بمعنى أنه يتكلم به ليلقيه على جبريل وإن كان مكتوبا من قبل في اللوح المحفوظ.

الطالب : شيخ بارك الله فيك, ما هو الدليل على أن الذين ذكروا من الأنبياء في القرآن كلهم رسل ؟

الشيخ: الدليل ذكرناه لكم سابقا: **((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك))** فكل من قصه الله علينا فهو رسول.

السائل: ...

الشيخ: نعم يأتي بقرينة, مثل قوله: **((فأخذتهم))** أهلكتهم ... هو على كل حال أخذهم للأنبياء قد يكون يأخذونهم ليحبسوهم كقوله : **((وإذ يمكر به الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك))** يثبتوك يعني يحبسونك فتكون ثابتا في مكان لا تتعداه, أو يقتلوك واضح, أو يخرجوك من البلد ...

ليأخذوه لقوله تعالى : **((ويقتلون الأنبياء بغير حق))** ولقوله: **((فأخذتهم))** فيكون إهلاكهم في مقابل ما يريدونه من إهلاك الرسل, الرسول صلى الله عليه وسلم ما هموا أن يقتلوه ؟ نعم أتدري ماذا أشار عليهم الشيخ النجدي ؟ قال: لا يمكن أن تقتلون قرشيا إلا كون عشرة شبان أقوياء وأعطوا كل واحد منهم سيفا فإذا خرج محمد فليقتلوه ضربة رجل واحد, حتى يتفرق دمه في القبائل فلا تستطيع قريش أن تطالب به, فيخضعوا لأخذ الدية, عرفت إذن هموا بقتله أو لا ؟ هموا بقتله, واليهود هموا بقتله في قصة بني النضير .

القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))** [غافر : 7-9].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا))** سبق الكلام على قوله تعالى : **((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به))**.

قال: **" ((ويؤمنون به)) تعالى ببصائرهم أي يصدقون بوحدانيته "** الإيمان في اللغة الإقرار بالشيء هو الإيمان به, لكن الإقرار بالقلب واللسان وليس هو مجرد التصديق, قد لا يعرض على الإنسان شيء فيؤمن به كما إذا شاهد شيئا بعينه فإنه يؤمن به وإن لم يعرض عليه, والقول بأنه في اللغة التصديق فيه نظر, لأن تفسير الشيء بالشيء يلزم أن يكون مطابقا له, ومن المعلوم أنك تقول آمنت به وتقول صدقت به وتقول آمنت له وتقول صدقت له, وتقول صدقته ولا تقل آمنته, وهذا يدل على أن الإيمان ليس هو التصديق, وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الإيمان, فقال: إن الإيمان بمعنى التصديق ليس بصحيح وإن كان قد يأتي بمعناه ولكن حقيقته أنه ليس إياه؛ فهو إقرار بالقلب ونطق باللسان, فيؤمنون بالله أي يؤمنون بوجوده عز وجل ووحدانيته وبكل ما يستحقه من أسماء وصفات وغيرها إيمان كامل؛ والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته وانفراده بذلك.

((ويستغفرون للذين آمنوا)) يستغفرون أي يطلبون المغفرة للذين آمنوا, وقد مر بنا مرارا أن المغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه؛ **((ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء))** جملة ربنا مقول لقول محذوف فسره المؤلف بقوله: **" يقولون ((ربنا وسعت كل شيء)) "** ربنا أي يا ربنا وحذفت منه ياء النداء لكثرة الاستعمال وتيمنا بالبداءة باسم الله عز وجل أو بوصفه بالربوبية, ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي وسعت رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء, فمعنى وسعت كل شيء أي أحطت به رحمة وأحطت به علما, فما بلغه علم الله بلغته رحمته, ولكن الرحمة إما عامة وإما خاصة كما سيأتي في الفوائد إن شاء الله.

((فاغفر للذين تابوا)) وجملة **((ربنا وسعت كل شيء))** هي عبارة عن توسل أي: توسلوا إلى الله تعالى توسلوا بسعة علم الله ورحمته إلى مطلوبهم يقول: **((ربنا وسعت كل شيء رحمة**

وعلما فاغفر للذين تابوا)) أي تابوا من الشرك ورجعوا إلى الله تعالى بالتوحيد والإخلاص **((واتبعوا سبيلك))** أي طريقك وهو دين الإسلام سواء كان إسلام محمد صلى الله عليه وسلم أو إسلام من قبله, لأن هذا الدعاء عام لكل المؤمنين فقول المؤلف: **" دين الإسلام "** يريد به الإسلام العام, فالذين اتبعوا الرسل السابقين مسلمون والذين اتبعوا محمد صلى الله عليه وسلم مسلمون لكن لا إسلام بعد محمد صلى الله عليه وسلم إلا بإتباع دينه.

وهنا قال: **((اتبعوا سبيلك))** وفي آية أخرى: **((ويتبع غير سبيل المؤمنين))** فأضاف السبيل إلى المؤمنين, وكذلك الصراط يضيفه تعالى أحيانا لنفسه مثل قوله : **((صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض))** وأحيانا للمؤمنين مثل: **((صراط الذين أنعمت عليهم))** فما هو الجمع بينهم ا ؟ الجمع بينهم ا أن الله أضاف السبيل أو الصراط إليه باعتبارين: الاعتبار الأول أنه هو الذي وضعه لعباده يسيرون عليه, والاعتبار الثاني أنه موصل إلى الله عز وجل فمن سلكه أوصله إلى ربه, أما إضافته للمؤمنين في قوله : **((ويتبع غير سبيل المؤمنين))** أو للذين أنعم عليهم في قوله: **((صراط الذين أنعمت عليهم))** فلأنهم سالكوه فأضيف إليهم باعتبار سلوكهم إياه وحينئذ ليس بين الآيات تعارض؛ **((واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم))** اغفر وقهم عذاب الجحيم أي: اجعل لهم وقاية من عذاب الجحيم وهو عذاب النار كما فسر بذلك المؤلف.

في هذه الآية فوائد, من فوائد الآية: إثبات العرش وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم في آيات عديدة ووصفه بأنه كريم وبأنه عظيم وبأنه مجيد.

ومن فوائدها: إثبات أن لهذا العرش حملة لقوله : **((الذين يحملون العرش))** وإثبات الحملة له مع قدرة الله سبحانه وتعالى على إمساكه بدون حملة إشعار بتعظيمه وأنه عظيم معتنى به, ولهذا أن الله قال في السماوات بغير عمد ولم يذكر لها حملة, والعرش ذكر له حملة مع أن الذي أمسك السماوات والأرض أن تزولا قادر على إمساك العرش بلا حملة, لكن هذا من باب التعظيم والتنويه بشرفه وعظمته .

ومن فوائد هذه الآية: أن حول هذا العرش ملائكة وأنهم كثيرون, ربما نستفيد كثرتهم من قوله: **((ومن حوله))** كأن كل الذي حول العرش, ثم ما الذي حول العرش هل يقدر بمسافة عشرة أمتار أو عشرين متر

أو مئة متر أو ألف متر ؟.

الشيخ: ولهذا نجد أن الله قال في السماوات بغير عمد ولم يذكر لها حملة, والعرش ذكر له حملة مع أن الذي أمسك السماوات والأرض أن تزولا قادر على إمساك العرش بلا حملة, لكن هذا من باب إيش ؟ التعظيم والتنويه بشرفه وعظمته .
ومن فوائد هذه الآية : أن حول هذا العرش ملائكة وأنهم كثيرون ربما نستفيد كثرتهم من قوله : **((ومن حوله))** كأن كل الذي حول العرش, ثم ما الذي حول العرش هل يقدر بمسافة عشرة أمتار أو عشرين متر أو مئة متر أو ألف متر, يقال الحول في كل مكان بحسبه فعندنا مثلا الأرض صغيرة بالنسبة للعرش والذي حول الإنسان فيها لا يتجاوز عشرة أمتار ربما نقول من حولك هو الذي يسمع كلامك المعتاد, لكن من حول العرش ما نعلم قد تكون مساحات كبيرة لا يعلمها إلا الله.
ومن فوائد الآية الكريمة: تعظيم هؤلاء الذين يحملون العرش والذين حول العرش للرب عز وجل لقوله : **((يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به))**.
ومن فوائدها: تنزيه الله عز وجل عن كل نقص وعن مماثلة المخلوقين؛ فإن قيل مماثلة المخلوقين من النقص فلماذا نقول وعن مماثلة المخلوقين أفلا يجدر بنا أن نقتصر على قولنا تنزيه الله عن النقص ؟ نقول لا, مرادنا بالتنزيه عن النقص أن صفاته الكاملة منزهة عن النقص, فقوته لا يعتريها نقص **((ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب))** علمه لا يعتريه نقص **((في كتاب لا يضل ربي))** ألا لا يجهل **((ولا ينسى))** فمرادنا بالنقص أن كماله لا يعتريه النقص, وأما نفي المماثلة فلأن الله نص على نفيها فينبغي أن نتبع في ذلك القرآن أن نقول منزه عن مماثلة المخلوقين.
ومن فوائد الآية الكريمة: وصف الله عز وجل بالكمال والإفضال لقوله: **((بحمد ربهم))** لأن الحمد وصف المحمود بالكمال والإفضال لأن الله يحمد على كماله مثل قوله : **((الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور))** وكذلك مثل قوله : **((وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليا من الذل))** كل هذا حمد على الكمال, ويحمد على إفضاله لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة**

فيحمده عليها) هذا حمد على الإفضال, طيب إذن يستفاد كمال اللـه عز وجل وإفضاله لقوله: **((بحمد ربهم)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: أن كمال الكمال بنفـي النقـص أو بـالجمع بيـن نفي النقص وإثبات الكمال, كمال الكمال أن تجمع بيـن النفـي والإثبـات في الكمال, يؤخـذ مـن **((يسبحون))** هـذا نفـي النقـائص **((بحمـد ربهم))** إثبات, إذن كمال الكمال بالجمع بين النفي والإثبات طيب .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضـيلة الملائكـة الـذين يحملـون العـرش ومن حوله, من أين تأخذ ؟ ...
إضافة الربوبية إليهم فإن هذه من الربوبية الخاصة **((يسبحون بحمـد ربهم))** وهي كما أشار إليها الإخوان من عدة وجوه, اختصاص الله لهم بحمل العرش, تسبيحهم بحمد الله, إضافة الربوبية إليهم .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الملائكة مكلفون لقوله: **((ويؤمنـون بـه))** ووجه الدلالة أنهم لولا أنهم مكلفـون قـاموا بمـا كلفـوا بـه لـم يكونـوا مستحقين للثناء بالإيمان, لو كان هـذا مـن طـبيعتهم وسـجيتهم لـم يكـن للثناء عليهم بذلك كبير فائدة, ويـدل علـى أنهـم مكلفـون قـوله تعـالى : **((وإذ قلنـا للملائكـة اسـجدوا لآدم فسـجدوا إلا إبليـس أبـى واستكبر))** ولا شك أن كل عبـاد اللـه الـذين لهـم فهـم وعقـل لابـد أن يكونوا مكلفين .
ومن فوائد الآية الكريمة: تسخير الله عز وجل للمؤمنين أن تستغفر لهم الملائكــة, وليــس الملائكــة مطلقــا بــل الملائكــة المقربــون لقــوله: **((ويستغفرون للذين آمنوا))**.
ومن فوائد الآية الكريمة: الحث على الإيمان حتى تدخل في ضمن مـن تستغفر لهم الملائكة, والإيمان كله خير كله سرور, كله نعمة في القلـب ونعمة في البدن, حتى البلاء الذي يصيب المؤمن هو له خير, فلهذا نقول احرص على تحقيق إيمانك بفعل الوسائل التي تنمي هذا الإيمان وتغـذيه وتقويه.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التوسل إلى الله سـبحانه وتعـالى بصـفاته كما يتوسل إليه بأسمائه, فهنـا توسـل الملائكـة إلـى اللـه بالربوبيـة فـي قولهم: **((ربنا))** وتوسلوا إليه بسعة الرحمة **((وسعت كـل شـيء رحمة))** وبسعة العلم **((وعلما))** والتوسل إلى اللـه تعـالى بصـفاته من أسباب إجابة الدعاء كالتوسل إليه بأسمائه.
وهنا يجدر بنا أن نتعرض لمعنى الوسيلة وحكمها: الوسيلة فعل ما يوصل

إلى المقصود يسمى وسيلة, وربما نقول إنه تناوبت فيه السين والصاد وأن أصل الوسيلة يعني الوصيلة, وصيلة بمعنى موصلة فهي فعيل بمعنى مفعل, فالوسيلة كل ما يوصل إلى المقصود يسمى وسيلة, والوسائل لابد أن تكون معلومة إما بالشرع وإما بالحس, وإنما قلت ذلك لدفع الوسائل الموهومة كالذين يعلقون على صدورهم أشياء لم يثبت شرعا ولا حسا أنها مفيدة لكن على سبيل الوهم أو الذين يعلقون نحاسا أو خيوطا أو ما أشبه ذلك, هذه وسائل للشفاء ادعوها ولكنها حقيقة ليست وسيلة لانتفاء ذلك شرعا وحسا, إذا كانت الوسيلة هي فعل ما يوصل إلى الشيء والعلم بإيصال هذا إلى المقصود, العلم بكونه موصلا يأتي عن طريق الشرع أو عن طريق الحس, كون العسل شفاء وتناوله وسيلة للشفاء هذا علمناه بطريق شرعي وربما حسي أيضا بعد التجربة, وكون السنا محركا للبطن مسهلا له هذه وسيلة حسية, أتعرفون السنا ؟ طيب باللغة العامية يسمى السناويك, هو أوراق شجر معروف يخمر بالماء ثم يشرب على الريق فإذا شربه الإنسان على الريق فإنه يسهله وينظف بطنه هذا هو, وكان الناس يستعملونه كثيرا قبل أن تأتي هذه الأدوية, ... يسمى سنا مكة له أسماء مختلفة, نرجع إلى تعريف الوسيلة هي فعل ما يوصل إلى المقصود, والعلم بإيصاله إلى المقصود يأتي عن طريق الشرع وعن طريق الحس؛ الوسائل التوسل إلى الله تعالى بإجابة الدعاء, أن تفعل شيئا يوصل إلى الإجابة, ولا طريق لنا إلى العلم بإيصاله الإجابة إلا عن طريق الشرع.

إذن ننظر التوسل إلى الله تعالى بأسمائه هذا القسم الأول ودليله قوله تعالى: **((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها))** فتقول: اللهم يا غفور يا رحيم اغفر لي وارحمني, هذا توسل إلى الله بأسمائه.

الثاني التوسل إلى الله بصفاته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : **(اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني إذا علمت الحياة خيرا لي)** بماذا توسل ؟ بعلمك الغيب, العلم صفة وقدرتك على الخلق, القدرة صفة, فتقول: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي إلى آخره.

طيب القسم الثالث التوسل إلى الله بأفعاله ومن قوله تعالى عن موسى: **((رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للكافرين))** إن جعلنا قوله: **((فلن أكون))** من باب الدعاء, وإن جعلناها من باب الالتزام لم تكن من هذا الباب, ولكن من هذا الباب قوله عليه الصلاة

والسلام وهو يعلمنا كيف نصلي عليه: **(اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم))** فالكاف هنا ليست للتشبيه الكاف للتعليل, يعني صل على محمد وآل محمد لأنك صليت على إبراهيم فتوسل إلى الله بفعله, يعني كما مننت أولا على إبراهيم وآله فامنن ثانيا على محمد وآله, أسماء الله صفات الله أفعال الله.

القسم الرابع التوسل إلى الله تعالى بالإيمان بالله, وهذا من فعلك أنت, ومنه قوله تعالى : **((ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا))** هذه الوسيلة **((ربنا فاغفر لنا))** أي بسبب ذلك اغفر لنا **((ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار))** هذا توسل إلى الله بالإيمان به.

القسم الخامس التوسل إلى الله بالعمل الصالح, لأن العمل الصالح سبب للمثوبة, ومن المثوبة حصول ما دعوت به, ودليله قصة أصحاب الغار التي حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم, أصحاب الغار ثلاثة آواهم المبيت الليل, فلجئوا إلى غار فدخلوا به, فتدحرجت عليهم صخرة عظيمة من الجبل فسدت عليهم باب الغار, ولم يستطيعوا أن يزحزحوها ولا مغيث لهم إلا الله, ليس حولهم بشر, فماذا صنعوا ؟ توسلوا إلى الله تعالى بأعمالهم الصالحة, أحدهم توسل إلى الله ببر والديه, والثاني توسل إلى الله بالعفة التامة, والثالث توسل إلى الله بالأمانة التامة, طيب بر الوالدين عمل صالح, العفة عمل صالح, الأمانة وأداء الأمانة عمل صالح, فلما توسل الأول منهم انفرجت الصخرة لكن لا يستطيعون الخروج, توسل الثاني انفرجت الصخرة لكن لا يستطيعون الخروج, توسل الثالث انفرجت الصخرة مرة واحدة فخرجوا يمشون, هذا التوسل إلى الله بالعمل الصالح.

السادس التوسل إلى الله بحال الشخص, تتوسل إلى الله تعالى بذكر حالك أنك فقير محتاج إلى الله مريض وما أشبه ذلك, ومنه قول موسى عليه الصلاة والسلام دليله: **((رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير))** لما سقى للمرأتين تولى إلى الظل ليستظل به فقال: **((رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير))** هذا ما قال أعطني ولا شيء لكن توسل إلى الله بحاله, لأن قول القائل أنا فقير أنا محتاج أنا مسني الضر وما أشبه ذلك يعني فأعطني اشفني, وقد جمع أيوب عليه الصلاة والسلام بين ذكر الحال والتوسل بالأسماء فقال: **((رب إني مسني**

الضر وأنت أرحـم الراحميـن)) الأول: **((مسـني الضـر))** ذكـر الحال والثاني بالأسماء.
السابع من التوسل الجائز التوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته, ومنه توسل الصحابة رضي الله عنهـم إلـى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يدعوا الله لهم, مثل الاستسقاء والاستصحاء وغير ذلك كـثير, ومـن ذلـك توسل الناس عموما يوم القيامة بشفاعة النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى الله أن يقضي بينهم, هذه سبعة, وقولنا التوسل إلى الله بمن ترجى إجابته يستفاد منه أن التوسل إلى الله تعالى بمن لا ترجى إجابته لا يجوز لأن هذا استهزاء بالله, لو أنك أتيت بصاحب ربا يأكل الربـا ويأكـل المـال بالظلم والغش والكذب وقلت ادع الله لي فإن هذا لا يجوز, لأنك توسلت إلى الله بمن تبعد إجابته, فإن النبي صلى الله عليـه وسـلم ذكـر الرجـل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يـديه إلـى السـماء يـا رب يـا رب وملبسـه حرام ومطعمه حرام وغذي بالحرام قـال: **(فأنى يسـتجاب لـذلك)** وهو سخرية, لو أنك أتيت بشخص ولله المثل الأعلى ليتوجه لك إلى ملك كان الملـك يبغـض هـذا الشـخص ويبعـده, يكـون هـذا اسـتهزاء بالملـك واستهتارا به, كلنا يعرف هذا, فلا يجوز أن تتوسل إلى الله تعـالى بـدعاء من لا ترجى إجابته لأن هذا من باب السخرية بالله عز وجل, هـذه سـبعة أقسام من التوسل الجائز.
أما التوسل الممنوع كأن يتوسل إلى الله بما ليـس بوسـيلة مثـل توسـل المشركين بأصنامهم حيث يقولون: **((ما نعبدهم إلا ليقربونـا إلـى الله زلفى))** هذا لا ينفع, ومن ذلك التوسـل إلـى اللـه بجـاه الرسـول صلى الله عليه وسلم هذا لا يجـوز لأنـه توسـل بمـا ليـس بوسـيلة, مـاذا تستفيد من جاه الرسول عند الله ؟ لا شيء, لأن جاه الرسول عنـد اللـه إنما ينفع الرسـول فقـط لا علاقـة لـي بـه, فلـذلك يكـون التوسـل بجـاه الرسول صلى الله عليه وسلم ممنوعا محرما, أولا لأنه لم يـرد, والثـاني لأنه ليـس بوسـيلة, إذ أن الوسـيلة هـي فعـل مـا يوصـل المقصـود, وأي ارتباط بين جاه الرسول عند الله وبين مطلوبك, فصار التوسل الممنـوع شيئين: الأول التوسل الشركي توسل المشركين بـآلهتهم لتقربهـم إلـى الله فإن هذا لا شك أنه وسيلة غير صحيحة وأنها باطلة, على أن تسـميتنا إياها وسيلة إنما نريـد م ن لا يعبـد الأصـنام, أمـا مـن يعبـد الأصـنام فـإنه مشرك ولم يتوسل إلى اللـه تعـالى بشـيء, والثـاني التوسـل إلـى اللـه تعالى بجاه الرسول؛ فإن قـال قائـل أيجـوز أن أتوسـل بمحبـة الرسـول

فأقول اللهم بمحبتي لرسولك يجوز ؟ أي مصلحة لك بمحبتك الرسـول ؟ لأن محبة الرسول لا شك أنه عمل صالح, فإن من أفضل الأعمـال محبـة الرسول صلى الله عليه وسلم, بل لا يؤمن الإنسان حـتى يكـون رسـول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليـه مـن نفسـه وولـده ووالـده والنـاس أجمعين .

من فوائد الآية الكريمة:بيان الصيغة التي يقولها الملائكة في استغفارهم للمـؤمنين أنهـم يتوسـلون أولا ثـم يطلبـون ثانيـا **((ربنا وسعت كـل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: سعة رحمة الله لقوله: **((ربنا وسـعت كـل شيء رحمة))** فإن قال قائل: كيف يصح ذلك وأكثر بني آدم كفار فأين الرحمة ؟ قلنا هم مرحومون بالرحمة العامة, من يخرج لهم النبـات مـن ينزل لهم المطر من يجعلهم أصحاء من يمتعهم بالسـمع بالبصـر إلا اللـه وهذه رحمة, فرحمة الله وسعت كل شيء.

ومن فوائدها: سعة علم الله لقوله: **((وعلما))** ويـترتب علـى هـاتين الفائدتين أن الإنسان متى علم ذلك تعرض لرحمة اللـه لعلـه يكـون مـن الداخلين فيها, وإذا آمن بسعة علم الله استحيا من اللـه أن يفقـده حيـث أمره أو يجده حيث نهاه, طيب لو قـال لـك أبـوك: يـا بنـي لا تفعـل كـذا, فأنت إذا غاب ولك هوى فيه تفعله ؟ تفعله لا شـك, لأنـه لا يعلـم بـك, إذا كان يشاهدك لا تفعله, الله عز وجـل لا يغيـب عنـك, إذن لا تفعلـه لا فـي السر ولا في الجهر إذا كان مما نهى الله عنه, ولا تتركه إذا كان فيما أمـر به, ولهذا نقول: لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك.

من فوائد الآية الكريمـة: فضـيلة التوبـة حيـث علقـت الملائكـة بطلـب المغفرة بها فقالوا: **((للذين تابوا)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: أن من تحقيق التوبة إتباع سبيل الله لقوله: **((واتبعوا سبيلك))** ولهذا نجد أن الله تعالى يقرن دائما مـع التوبـة ذكـر العمل الصالح: **((إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا))** طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة الإسلام لإضافته إلى الله عز وجل .

ومن فوائدها: كمال الإسلام بإضافته إلـى اللـه, ففيـه الفضـيلة بإضـافته إلى الله باعتباره موصلا إليه, وفيـه الكمـال بإضـافته إلـى اللـه باعتبـاره واضعا له, أنه هو الـذي شـرعه وهـو كامـل والكامـل لا يشـرع إلا كـاملا, طيب.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الملائكة أكدوا المغفرة بحصول أثرها وهـي

قـولهم: **((وقهـم عـذاب الجحيـم))** وذلـك أن التوبـة لا تكـون إلا بالوقايـة مـن الجحيـم, ولكنهـم أكـدوا ذلـك لعظـم هـذا العـذاب عـذاب الجحيم, فنصوا عليه لهذا السبب, وإلا فإن التوبة في الحقيقة والمغفـرة توجب الوقاية من عذاب الجحيم, ولكن النص عليه يكون في ذلك زيـادة على ما يتضمنه المعنى العام.

هـل يمكـن أن يؤخـذ مـن هـذه الآيـة الـرد علـى الجبريـة ؟ مـن قـوله: **((واتبعوا سبيلك))** فأضاف الإتباع إليهم ولو كانوا مجبرين على ذلك لم يصح أن يضاف الفعل إليهـم, ولهـذا إذا أكـره الإنسـان علـى الكفـر لا يكفر لأن الفعل لا ينسب إليه حقيقة فهو مكره عليه, والله أعلم.

الطالب: شيخ بارك الله فيكم, ذكر بعض أهل العلم أنه من تمـام حسـن الأدب مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليـه وسـلم ومـع صـحابته ومع العلماء إذا ذكر الله تعالى قال عز وجل والنبي يصلي عليه والعلمـاء يترحم عليهم والصحابة يترضى عليهم, هل هذا على إطلاقـه ؟ وقـال أن من تركه فقد فاته خير عظيم.

الشيخ : أما من جهة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا شك أنه إذا ذكر فإن الإنسان مأمور بالصـلاة عليـه إمـا وجوبـا وإمـا اسـتحبابا, فمن العلماء من أوجب عليك إذا ذكر عندك اسم الرسول أن تصلي عليه لحديث: **(رغم أنف امرئ ذكرت عنـده فلـم يصـلي عليـك قـل آمين فقلت آمين)** وأما الله عز وجل فليس بشرط الثنـاء عليـه عنـد ذكره, ولهذا دائما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم قولا يسـنده إلـى الله ولا يذكر وصفا بـالعزة أو الجلال أو التعـالي أو التبـارك أحيانـا يقـول وأحيانا لا يقـول, فكونـك أحيانـا تقـول وأحيانـا لا تقـول أحسـن, وكـذلك بالنسبة للترضي عن الصحابة أو الترحم على من بعدهم كل هـذا لا يتخـذ سنة راتبة, ولكن إن ذكر أحيانا فهو حسـن, أمـا اتخـاذه سـنة راتبـة فهـو يحتاج إلى دليل.

الطالب : ما هو الضـابط فـي الفـرق بيـن الوسـيلة الشـركية والوسـيلة البدعية ؟

الشيخ : الوسيلة البدعية هي الـتي لـم تـرد عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم ولا عن أصحابه, والشركية هي مـا تتضـمن إشـراك غيـر اللـه مـع الله, مع أن البدعة تسمى شركا بالمعنى العام, لأن المبتدع شرع شـرعا لم يشرعه الله وقد سمى اللـه ذلـك شـركا فقـال : **(أم لهم شـركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)**) لكن مـا كـان مظهـره

مظهر الشرك غلب عليه اسم الشرك, وما كان مظهره سوى ذلك فيسمى بالاسم الذي يختص به, ولهذا قال بعض العلماء: إن جميع المعاصي شرك لأن الإنسان أشرك فيها مع الله هواه كما قال تعالى: **((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه))** .

الطالب : ...

الشيخ : الوسائل ليست هي الوسائط, الوسائل ليس فيها وسائط إلا السابعة وهي التوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته ... .

الطالب : بالنسبة إلى التوسل إلى الله بالعمل الصالح العلماء لماذا أخرجوه عن التوسل إلى الله بالإيمان ؟

الشيخ : نعم لأن الإيمان بالقلب والعمل الصالح بالجوارح **((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات))** فالإيمان بالقلب والعمل الصالح بالجوارح, ولكن العمل الصالح من الإيمان .

الطالب : التوسل إلى الله بمحبة الصالحين والعلماء ؟

الشيخ : هل يجوز التوسل إلى الله بمحبة الصالحين والعلماء ؟ هل محبة الصالحين والعلماء هي عبادة تقرب إلى الله أو لا ؟ نعم, إذن عمل صالح تدخل في التوسل إلى الله بالعمل الصالح.

الطالب : تخصيص العالم بعينه ؟

الشيخ : لا, الأحسن ألا تخصص لأن العالم بعينه ـ نسأل الله تعالى أن يحمينا وإياكم ويجعل ظواهرنا كبواطننا أو بواطننا خيرا منها ـ ما تدري حقيقة, قد تغتر بإنسان ولكن لا يكون على ما تظن, لكن عمم: اللهم بحبي لعلماء الشرع احشرني معهم, بحبي للصالحين اجعلني معهم وما أشبه ذلك .

القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ))**[غافر :8-10].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم))** هذا من جملة دعاء الذين يحملون العرش ومن حوله يقولون: **((ربنا وأدخلهم جنات عدن))** ربنا: أي يا ربنا, وكرروا النداء بالربوبية لأنه كانوا بالأول يسألون

الله المغفرة لهم ووقاية عذاب الجحيم وهذا من باب التخلية أي السلامة مما يضر, أما الثاني فهو من باب التحلية أي من بـاب حصـول المطلـوب **((ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم))** فترى الجملة الأولى من الدعاء فيها النجـاة مـن المرهـوب, والثانيـة فيهـا حصـول المطلـوب ولهـذا كـرروا قـولهم ربنـا **((ربنا وأدخلهـم))** وجعلـوا هـذه الجملـة معطوفـة علـى مـا سـبق لا مسـتأنفة أي لـم يقولـوا ربنـا أدخلهـم قـالوا وأدخلهم لتحقق مـا قبلهـا, لأن العطـف يقتضـي ثبـوت المعطـوف عليـه وكونه أصلا, فكأنهم قالوا ربنا واجمع لهم مع ما سـبق أن تـدخلهم جنـات عدن.

وقوله: **((جنات))** جمع جنة, والجنة تأتي في القرآن مجموعـة وتـأتي مفردة, فباعتبار الجنس هي جنة واحدة وباعتبار الأنواع هـي جنـان, ذكـر الله تعالى فيها أربعة أنواع في موضع واحد: **((ولمن خاف مقام ربه جنتان))** **((ومن دونهما جنتان))** فهي تجمع باعتبار الأنواع وتفـرد باعتبار الجنس, والجنة في الأصل البستان الكثير الأشجار, وسمي بذلك لأنه يجن من فيه أي يستره لكثرة أشجاره, والمراد بها شرعا دار النعيـم التي أعدها الله تعالى لأوليائه, فيهـا مـا لا عيـن رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر, وسقفها عرش الله عز وجـل, فهـم أقـرب النـاس إلى الله, وقوله: **((جنات عدن))** العدن بمعنـى الإقامـة, يقـال عـدن بمكان أي أقام, ومنه سـمي المعـدن لمعـادن الأرض لأن المعـدن مقيـم ثابت راسخ في الأرض, فجنات عدم أي جنات إقامة, ووصفت بـذلك لأن أهلها لا يبغـون عنهـا حـولا, ولأنهـا دائمـة أبـد الآبـدين, وقـوله: **((التي وعدتهم))** صفة لجنات, وإنما قالوا ذلك اعترافا بفضل الله تعـالى أولا وآخرا, وتوسلا إليه بتحقيق ما طلبوا لأن الله إذا وعـد شـيئا أتمـه فـإنه لا يخلـف الميعـاد, فصـار ذكـر قـول: **((التي وعدتهم))** لـه فائـدتان: الأولى الاعتراف بفضله سبحانه وتعالى حيث وعدهم هذه الجنات الثاني: التوسل إلى الله تعالى بإجابة الدعاء, كـأنهم يقولـون أدخلهـم هـذا لأنـك وعدتهم إياه, فيكون من باب التوسل بوعده إلى تحقق موعوده.

وقوله : **((ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم))** من صلح يقـول: **" عطف علـى (هـم) فـي أدخلهـم أو فـي وعـدتهم "** فالواو حرف عطف, ومن اسم موصول مبني السكون فـي محـل نصـب عطفا على أدخلهـم أو علـى وعـدتهم, والأحسـن أن يكـون عطفـا علـى أدخلهـم, فيكـون الـدعاء بالـدخول شـاملا لهـم ولمـن صـلح مـن آبـائهم

وأزواجهم وذرياتهم **((ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريـاتهم إنك أنت العزيز الحكيم))** وهـذا احـتراز جيـد حيـث قـالوا: **((ومن صلح))** ولم يقولـوا: وآبـائهم وأزواجهـم وذريـاتهم, قـالوا: ومـن صـلح, لأنهم لو دعوا بالعموم لكان فيه نوع من الاعتداء في الدعاء, لأن الاعتداء في الدعاء هو أن يدعوا الإنسان بما لا يمكن شرعا أو حسا, كل من دعـا الله تعالى بما لا يمكن شرعا أو حسا فإنه معتد في الدعاء, ولو زدنا أيضا أو حسا أو عادة فهو معتد, فلو سـأل اللـه تعـالى أن يخـرج لـه ولـدا مـن جدار بيته لكان هذا اعتداء في الدعاء, ولو سأل الله تعالى أن يجعله نبيـا لكان هذا اعتداء في الدعاء, لأن ذلك لا يمكن شرعا, ولـو سـأل اللـه أن يجعل السماوات والأرض بيده لكان هذا معتديا في الـدعاء لأنـه لا يمكـن عقلا, فما لا يمكن شرعا أو عقلا أو عادة أو حسا فإنه لا يدعا اللـه بـه لأن هذا اعتداء في الدعاء, فهنا يقول الله سبحانه وتعـالى : **((ومن صـلح من آبائهم))** لو قالوا: آبائهم لكان فيه نوع من الاعتـداء حيـث أن آبـاء هؤلاء قد يكونوا مشركين كفارا لا يستحقون أن يدخلوا الجنة, فيقول: **((ومن صلح مـن آبـائهم وأزواجهـم))** جمـع زوج **((وذريـاتهم))** جمع ذرية, فذكروا الأصول والفروع والمصاهرة, الأصـول والفـروع آبـاء وذريات, والمصاهرة أزواج **((إنك أنت العزيز الحكيم))** هـذه جملـة استئنافية يراد بها التوسل إلى الله تعالى بعزتـه وحكمتـه أن يحقـق هـذا الدعاء أو هذا المدعو به .

فـي الآيـة هـذه فوائـد: أولا إثبـات أن الملائكـة عبـاد مربوبـون لقـولهم: **((ربنا وأدخلهم))** إلى آخره.

ومن فوائدها: أن الشيء لا يتـم إلا بانتفـاء المـؤذي وحصـول المطلـوب, وجه ذلك أنهم لما انتهوا من دعاء الله تعـالى بانتفـاء المـؤذي سـأل اللـه تعالى حصول المطلوب وهو إدخال الجنات.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الجنات أنواع نستفيد هذا من الجمع.

ومن فوائدها أن الجنات دار إقامة لا يبغي سـاكنها تحـولا عنهـا ولا يلحقـه فناء لقوله: **((جنات عدن)).**

ومن فوائد هـذه الآيـة: التوسـل إلـى اللـه تعـالى بفعلـه أو قـوله لقـوله: ((التي وعدتهم)) فإن وعده قول, وهؤلاء الملائكة توسلوا إلى الله بهذا القول.

ومن فوائد الآية الكريمة: بيان فضل الله عـز وجـل عـل أهـل الجنـة أولا وآخرا, أولا حيث وعد الجنة.

بيان فضل الله عز وجل عـل أهـل الجنـة أولا وآخـرا, أولا حيـث وعـدهم الجنة لأن الوعد بالجنة يقتضي العمل لها, وثانيا بإدخالهم إياها.
ومن فوائد الآية الكريمة :أن من تمام النعيم أن يجمع الله بين الإنسـان وبين قرابته وزوجه لقوله: **((أدخلهم جنـات عـدن الـتي وعـدتهم ومن صلح من آبائهم))** إلى آخره.
فإن قال قائل: هل يلزم م ن ذلـك أن يكـون فـي درجـة واحـدة ؟ قلنـا لا يلزم, ولكن الأزواج لابد أن يكونوا في درجة أزواجهم, والذرية ذكـر اللـه سبحانه وتعالى في سورة الطـور أن ه فـي درجـة آبـائهم أيضـا قـال اللـه تعالى : **((والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهـم بإيمـان ألحقنـا بهـم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء))** وهـذا يـدل علـى أن الذرية الذين لم يبلغوا منازل آبائهم أنهم يرفعون حتى يكونوا في منـازل آبائهم, وأن ذلك لا يقتضي نقـص الآبـاء مـن المنـازل, يعنـي لا نقـول أن الحل وسط نرفـع هـؤلاء قليلا وننـزل هـؤلاء قليلا, ولـذلك قـال: ((**وما ألتناهم من عملهـم مـن شـيء**)) لئلا يظـن الظـان أنـه إذا رفعـت الذرية فإنها ترفع قليلا وينزل الآباء بمقدار ما رفع هؤلاء ليلتقوا في نقطة الوسط, وهـذا ليـس كـذلك, لأن ه ل و نـزل الآبـاء قليلا لـزم م ن ذلـك أن ينقصوا, ولكن اللـه يقـول: **((وما ألتنـاهم))** أي: مـا نقصـناهم, أي: الآباء **((من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)).**
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة الاحـتراز فـي الـدعاء عـن التعميـم لقـولهم : **((ومن صلح من آبائهم وأزواجهم))** ومن ذلك قول إبراهيم عليـه الصـلاة والسـلام: ((وارزق أهلـه)) أي أهـل المسـجد الحـرام **((من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر))** أهله ثـم أبـدل منهـا قوله: **((من آمن منهم بالله واليوم الآخر))** فاحتراز, ولكـن اللـه تعالى قال: **((ومن كفر))** يعني: أرزق من فـي هـذا البلـد ولـو كـانوا كفارا, لكن: **((ومن كفر فـأمتعه قليلا ثـم اضـطره إلـى عـذاب النار وبئس المصير))** المهم أنه ينبغي للإنسان في الدعاء أن يحـترز من التعميم الذي قد يتناول من لا يستحق الدعاء فيكون فـي دعـائه هـذا نوع من الاعتداء.
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات هذين الاسمين يعني العزيز والحكيم مـن أسـماء اللـه, وإثبـات م ا تض منه م ن الوصـف أو مـن الصـفة, فـالعزيز متضمن للعزة, والحكيم متضمن للحكمة والحكم.
ومن فوائد الآية: التوسل إلى الله تعالى في الدعاء بأسمائه.

فإن قال قائل: ذكرتم في عـدة مواضـع أن التوسـل بالأسـماء ينبغـي أن يكون مطابقـا للسـؤال أو للمسـئول, وهنـا مـا مناسـبة العـزة والحكمـة للدعاء بإدخال هؤلاء الجنة ؟ الظاهر والله أعلم أن المطابقة أنهـم دعـوا أن الله يدخل من صلح من آبائهم وأزواجهـم وذريـاتهم وهـذا أمـر يحتـاج إلى عزة وتمام سلطة وإلى حكم وحكمة, فلهذا ختموا هذا الدعاء بقـوله : **((إنـك أنـت العزيـز الحكيـم))** دون أن يقولـوا إنـك ذو الفضـل العظيم.

ومن فوائد هـذه الآيـة الـترتيب الوجـودي فـي الأشـياء, فـي أي شـيء ؟ آبائهم وأزواجهم وذرياتهم, فهذا هو الترتيب أب ثم تزوج ثـم ذريـة, فهـذا ترتيب وجودي, ولا شك أن هذا من حسنات اللفظ.

ثم قال الله تعالى : **((وقهم السيئات))** هذا معطوف على ما سـبق علـى قـوله: **((وأدخلهم))** أي وقهـم السـيئات, والجملـة فعـل أمـر وفاعـل ومفعـول بـه, بـل ومفعـولين, الجملـة تتضـمن فعلا وفـاعلا ومفعولين, الفعـل ق, والفاعـل مسـتتر وجوبـا, والمفعـول الأول الهـاء, والمفعول الثاني السيئات, وق هنا فعل أمر لكنه مكون من حـرف واحـد بعد أن حذف منه حرفان الأول والثالث, وهكذا كل مثـال نـاقص إذا كـان ثلاثيا فإن فعل الأمر منه على حرف واحد هذه القاعدة, كل مثـال نـاقص ففعل الأمر منه إذا كان ثلاثيا علـى حـرف واحـد, المثـال هـو الـذي أولـه حرف علة, والناقص الـذي آخـره حـرف علـة, طيـب إذن القاعـدة هـذه تشمل أمثلة كثيرة, وقد جمعهـا الخضـري فـي حاشـية ابـن عقيـل علـى ألفية ابن مالك جمعهـا فـي أبيـات نعـم, منهـا ق ف ع يعنـي عـدد, لكـن الضابط هو هذا كل ثلاثي كان مثالا ناقصا ففعـل الأمـر منـه علـى حـرف واحد, طيب.

((وقهم السيئات)) قال المفسـر: **" أي عذابها "** وهـذا إذا جعلنـا السـيئات بمعنـى الأعمـال السـيئات فـإنه يتعيـن أن نفسـر ذلـك بعـذاب السيئات, لماذا ؟ لأن عمل السيئات الآن قد انتهى وقته, وإنمـا الموجـود هو الجزاء, فيفسر حينئذ بالعذاب, وأمـا إذا فسـرنا السـيئات بمـا يسـوء دون العمل الذي يقع من العبد فـإنه لا حاجـة إلـى أن نقـول عـذابها, لأن العـذاب ممـا يسـوء فكـأنهم قـالوا: وقهـم مـا يسـوؤهم مـن العـذاب, والقاعدة في التفسير وفي شرح الأحاديث أنه إذا دار الأمر بيـن احتمـال التقدير وعدم التقدير فالأولى عدم التقدير, وعلى هـذا فنقـول السـيئات هنا لا يراد بها الأعمال السيئات التي هـي فعـل العبـد قطعـا لأن هـذا قـد

انتهى, وإنما يراد بالسيئات ما يسوء من أعمال ومن عقوبات ومن عادات ومن غير ذلك.
نعم " **((وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ)) يوم القيامة ((فقد رحمته))** " من شرطية, جملة فقد رحمته جواب الشرط, وإنما اقترن جواب الشرط بالفاء لأنه مبدوء بقد, وجواب الشرط إذا بدء بقد وجب اقترانه بالفاء, وله نظائر مما يجب اقترانه بالفاء ينشدنا البيت فيه؛ طيب المهم أنه يجب ارتباط جواب الشرط بالفاء إذا وقع واحدا من سبعة أمور, مجموعة في قول الناظم:
اسمية طلبية وبحامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس
التنفيس يشمل سوف والسين, هذه الآية من أي الأنواع السبعة ؟ قوله وبقد **((فقد رحمته))**.
((ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك)) المشار إليه وقاية السيئات والرحمة **((هو الفوز العظيم))** هو: يجوز أن تكون مبتدأ والفوز خبره, والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول, ويجوز أن تكون هو ضمير فصل لا محل لها من الإعراب, ويكون التقدير وذلك الفوز العظيم, ويؤيد هذا أنها تأتي بهذه الصيغة في بعض المواضع وذلك الفوز العظيم.
وضمير الفصل من حيث الإعراب لا محل له من الإعراب, من حيث المعنى له ثلاث فوائد: الفائدة الأولى الحصر, والفائدة الثانية: التوكيد, والفائدة الثالثة: التمييز بين الصفة والخبر, هذه ثلاث فوائد لضمير الفصل, ... التوكيد أو التأكيد ؟ التوكيد أفصح: **((ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها))** ولم يقل تأكيدها, لكنه يجوز الهمزة, ... التمييز بين الخبر والصفة, يظهر هذا في المثال إذا قلت: زيد الفاضل, وأنت تريد أن تكون الفاضل خبر المبتدأ, فإنه يحتمل أن تكون الفاضل صفة والخبر لم يأتي بعد, يحتمل أن يكون المراد زيد الفاضل فاهم, ويحتمل أن تكون الفاضل خبر المبتدأ, فإذا جاءت زيد هو الفاضل زال الإشكال وتعين أن تكون الفاضل خبر المبتدأ, أما التوكيد والحصر فظاهر, لأنك إذا قلت: زيد هو الفاضل, أكدت أنه فاضل وحصرت الفضل فيه.
طيب وقوله: **((الفوز العظيم))** الفوز: حصول المطلوب والنجاة من المرهوب, والدليل على ذلك قوله تعالى: **((فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز))** ما هو النجاة من المرهوب في الآية ؟ **((فمن زحزح عن النار))** حصول المطلوب ؟ **((وأدخل الجنة))**

ولا تفسير أبين وأوضح من تفسير الله عز وجل, فالفوز هو النجاة من المرهوب وحصول المطلوب والدليل ما سمعتم, وقوله: **((العظيم))** وصف له بالعظمة لأنه لا فوز أعظم من هذا, لا فوز أعظم من أن يمن الله عليك بسكنى هذه الدار ـ جعلني الله وإياكم من ساكنيها ـ التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر, كل الناس في الدنيا المؤمنون يسعون للوصول إلى هذه الدار, ولهذا لما قال الأعرابي للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله أنا لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ولكني أسأل الله الجنة وأستعيذ به من النار فقال : **(حولهما ندندن)** نحن لا نريد إلا هذا, وهذا الحديث وإن كان في صحته ما فيه لكن حقيقة هو هذا, كل المؤمنين يعملون للوصول إلى هذه الدار, وهو ـ أي العمل لها ـ يسير, لكن على من يسره الله عليه, ومتى ييسر الله عليك ذلك ؟ اسمع إلى قول الله تعالى : **((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى))** اعمل أنت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(اعملوا فكل ميسر لما خلق له)** طيب يقول ذلك الفوز العظيم.

من فوائد هذه الآية: أن الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله يسألون الله تعالى أن يقي الذين آمنوا أن يقيهم السيئات أي عذابها حتى يتم لهم المطلوب.

فإن قال قائل: أليس هذا حاصلا مما سبق **((وقهم عذاب الجحيم))** **((وأدخلهم جنات عدن))** قلنا بلى ولكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط لعدة أسباب, السبب الأول: أن الدعاء عبادة, فكلما بسطت فيه ازددت تعبدا لله, وازددت ثوابا وأجرا.

ثانيا: أن البسط فيه التفصيل, والتفصيل خير من الإجمال, لأن الإجمال قد ينسى الإنسان فيه أشياء مهمة ولا تطرأ على باله لكن إذا فصل تبين الأمر.

الثالث: أن التفصيل في الدعاء انبساط مع الله عز وجل لأن الداعية يناجي ربه, ومن المعلوم أن مناجاة المحبوب يستحب فيها التطويل, أو نقول بعبارة ثانية من المعلوم أن مناجاة المحبوب يحب الحبيب أن تطول المناجاة بينه وبين حبيبه, وهذا شيء مشاهد, إذا جلس إليك من تحب فإنك تود أن يطول الحديث ويطول الجلوس حتى أن الزمن ينفرط بسرعة, وإن جلس إليك الثقيل, قلت:

إذا حل الثقيل بدار قوم فما للساكنين سوى الرحيل

أحيانا يجلس إليك الثقيل يخاطبك ويكلمك, كلما خاطبك بكلمة ولو كانت ثناء عليك كأنما صفع وجهك, لأنك يكون عندك كأنه جالس على قلبك, لكن الحبيب إذا جلس إليك لا تود أن تفارقه ولا تمل حديثه, ولكن من خير الجلساء ؟

لنا جلساء لا نمل حديثهم ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

يعني بذلك الكتب

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

هؤلاء هم الجلساء الذين لا يملون والذين ينفعون ولا يضرون.

طيب على كل حال نقول إنه ينبغي البسط في الدعاء لثلاثة أسباب: السبب الأول لأنه عبادة فكلما بسطت فيه ازددت تعبدا وتقربا لله, الثاني: أنه تفصيل والتفصيل خير من الإجمال, لأنه قد يكون في التفصيل ما يغيب عنك عند الإجمال, والثالث: أنه انبساط مع الله الذي هو أحب شيء إليك, والحديث مع المحبوب لا شك أن كل أحد يحب أن يطول, انظر إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : **(اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله علانيته وسره وأوله وآخره اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت وما أنت أعلم به مني)** يكفي عن هذا كله أن يقول: اللهم اغفر لي ذنبي, لكن البسط له تأثير على القلب نعم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن من وقي السيئات يوم القيامة فقد دخل في رحمة الله لقوله : **((ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته))**.

ومن فوائد الآية: أن الرحمة كما تكون في جلب المحبوب تكون في دفع المكروه لقوله : **((ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته))**.

ومن فوائد الآية الكريمة أن هذا أعظم فوز لقوله تعالى : **((وذلك الفوز العظيم))** ووجهه أنه أشار إليه بإشارة البعيد للدلالة على علو هذا الفوز, ووصفه بالعظمة فيكون جامعا بين علو المرتبة وعلو الماهية أنه عظيم.

الطالب : ...

الشيخ : نجيب أي فائدة في أجسام لا حركة فيها ... لا ما يكفي, لأنه لو كفى ذلك ما احتجنا إلى الجنة أصلا, قلنا يكفيكم أنكم نجوتم من النار ولا حاجة للجنة.

الطالب : ...

الشيخ : لا غلط, أما سمعت: **((ومن تق السيئات يومئذ فقد**

رحمته)) وهذا زوال مكروه, وإذلال الشرك لا شك أنه نعمة ورحمة .
الطالب : ... النظر إلى الله عز وجل هل يدخل في الآية: **((وذلك الفوز العظيم))** ؟
الشيخ : أي نعم, لأن الجنة وما فيها فوز, وأعظم النعيم في الجنة هو النظر إلى وجه الله, ولهذا ذكرنا لكم يا إخوان أن قول الزمخشري: **" أي فوز أعظم من هذه "** قلنا هذه كلمة حقيقة, ولا يعترض عليها إلا لأننا نعلم أن الرجل لا يثبت النظر إلى وجه الله, وإلا لقلنا: متى دخلت الجنة فأنت دخلت الجنة بكل ما فيها من النعيم.
الطالب : ...
الشيخ : هل كرروا الدعاء أو كرروا المدعو له ؟ اللهم اغفر لنا ولآبائنا وذرياتنا وإخواننا وجداتنا وأجدادنا وخالتنا وأخوالنا وعماتنا وأعمامنا والأصول والفروع والحواشي, هذا ما هو تكرار للدعاء تكرار للمدعو لهم, وأنت ترى الملائكة الآن ما دعت إلا لثلاث أصناف فقط الأصول الفروع والأصهار الزوجات, لكن على كل حال ما نقول في هذا شيء, ما ننكر عليه, لكن كونه يطول على الناس بمثل هذه الأشياء قد يكون فيه مضرة على الناس تعب, نعم .
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم))** إن الذين كفروا ينادون: والنداء هو الكلام من بعيد, والمناجاة الكلام من قريب, ولم يبين الله تعالى من يناديهم لكن المفسر قال: **" من قبل الملائكة "** وذلك عند دخولهم النار, وهم يمقتون أنفسهم في ذلك الوقت أكبر مقت, والمقت: هو أشد البغض, فهم في ذلك الوقت عند دخولهم النار يبغضون أنفسهم بغضا شديدا حيث لم يتوصلوا إلى النجاة منها, فينادون فيقال لهم: **((لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم))** اللام هنا لام الابتداء وتدخل على المبتدأ توكيدا.
وقوله: " ((لمقت الله)) إياكم " هذا أحد الوجهين في الآية, وعلى هذا فيكون المقت مضافا إل فاعله لا إلى مفعوله, يعني لبغض الله إياكم أشد من بغضكم أنفسكم, وقيل إنه مضاف إلى مفعوله لا إلى فاعله, وعلى هذا يكون المعنى: لمقتكم الله حين تدعون إلى الإيمان أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم, أي: أنهم كرهوا ما دعوا إليه في الدنيا من محبة الله وأبدلوا ذلك بأشد البغض, وهذا المعنى أقرب مما مشى عليه المفسر رحمه الله تعالى, لمقت الله إياكم, وعلى ما رجحنا يكون

المعنى لمقتكم الله فهو مضاف إلى مفعوله, متى مقتوا الله ؟ **((إذ تدعون إلى الإيمان))** وعلى هذا فيكون قوله: **((إذ تدعون))** متعلقا بقوله: **((لمقت الله)),** أي: أنكم حينما دعوتم إلى الإيمان كرهتم ذلك ولم تقتنعوا به بل أبغضتموه أشد البغض, وقوله: **((أكبر من مقتكم أنفسكم))** متى مقتوا أنفسهم ؟ حين قيل لهم ادخلوا نار جهنم فأبغضوا أنفسهم, وقوله: **((من مقتكم أنفسكم))** مقت هنا مصدر مضاف إلى إيش ؟ **((من مقتكم أنفسكم))** مقت هنا مضاف إلى فاعله, يعني أنهم هم مقتوا أنفسهم, وأنفس مفعول مقت, وقوله: **((إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون))** تدعون في الدنيا إلى الإيمان, وأبهم الداعي لأن دعوتهم إلى الإيمان تكون من الرسل, وتكون من ورثة الرسل وهم العلماء, فالداعي لهم إلى الإيمان في الدنيا ليس واحدا بل هم الرسل يدعونهم وورثة الرسل وهم العلماء يدعونهم كذلك.

((إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون)), الإيمان بمن ؟ أي بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره, هذا هو الإيمان كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل قال: **(أخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله)** إلى آخره, **((إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون))** والمراد بالإيمان هنا كما ذكرت لكم هو الإيمان بالأركان الستة, وكذلك الانقياد اللازم من الإيمان بهذه الأركان الستة, ولهذا هم دعوا إلى الإيمان الذي في القلوب, ودعوا إلى الاستسلام أيضا وهو أعمال الجوارح, وكفروا بذلك كله, إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون.

من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن الكافرين يوبخون يوم القيامة توبيخا يزيدهم ألما إلى ألمهم لقوله: **((لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم)).**

ومن فوائد ذلك أنهم تبين لهم ما هم عليه من الضلال والكفر حين رأوا العقاب, وجهه أنهم مقتوا أنفسهم في ذلك الوقت حين رأوا العذاب, وهذا يدل على أنهم تبين لهم الضلال في ذلك اليوم.

ومن فوائد الآية الكريمة على ما مشى عليه المؤلف إثبات المقت لله أي أن الله يمقت أي يبغض, هذا على ما مشى عليه المؤلف من أن مقت مضافة إلى الفاعل, وإذا قلنا بالقول الراجح لم يكن في الآية دليل على أن الله يمقت, لكن الدلالة على أن الله يمقت وأن له مقتا من أدلة

أخرى مثل قـوله تعـالى : **((كبر مقتـا عنـد اللـه أن تقولـوا مـا لا تفعلون))** والمقت: أشد البغض, والبغض هو من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته وإرادته.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان قد يكره نفسه, ومتى يكون ذلك ؟ إذا رأى من تصرفه ما يسوءه, فإنه يكره نفسه ويقـول هـذا مـن النفـس الأمارة بالسوء.
ومـن فوائـد الآيـة الكريم ة أن الحجـة قـد قـامت علـى هـؤلاء المكـذبين المعـذبين لقـوله: **((إذ تـدعون إلـى الإيمـان فتكفـرون))** وهـل الدعوة دعوة بإفهام أو دعوة بمجـرد البلاغ ؟ الأول: دعـوة بإفهـام لقـول الله تعالى : **((وما أرسلنا مـن رسـول إلا بلسـان قـومه ليـبين لهم))** فلابد من فهم الحجة, ولكن إذا بلغت الإنسان فالواجب عليـه أن يبحث عن الفهم فإن لم يفعل كان مقصرا.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء كفروا عن عناد, من أين تؤخذ ؟ لأنهم دعوا فكفروا وهذا كفر عناد والعياذ بالله.
ثم قال الله عز وجل : **((قالوا ربنا أمتنا اثنـتين وأحييتنـا اثنـتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سـبيل))** قـالوا ربنـا أمتنـا اثنتين: الإماتة هنا ما كان قبل الحياة وبعد الحياة, ما كان قبـل الحيـاة أي وهم أجنة في بطون أمهاتهم, وما كان بعدها وهو الموت الذي يكون بعـد الوجود في الدنيا هاتان ميتتان **((وأحييتنا اثنتين))** الحياة وهم أجنـة في بطون أمهاتهم, والحياة بعد البعث يـوم القيامـة أو حيـن البعـث يـوم القيامة طيب.
وهذا كقوله تعالى : **((كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيـاكم ثم يميتكم ثم يحييكم))** هذه أربعة إماتتان وإحياءتان, فهـم يقولـون: **" ((ربنا أمتنا اثنتين)) إماتتين ((وأحييتنا اثنتين)) إحيائتين لأنهم نطف أموات فأحيوا ثـم أميتـوا ثـم أحيـوا للبعـث "** هـذا تفسير أمتنا اثنتين وأحينا اثنتين, والإماتة الأولى ليسـت إماتـة بعـد حيـاة ولكنها فقـد حيـاة, فصـح أن يطـق عليهـا اسـم المـوت, وقصـدهم بهـذا الإقرار بأن الأمر حق, فكما أننا ندرك أنه مرت بنا هـذه الأطـوار الأربعـة مـوت فحيـاة ثـم مـوت فحيـاة فإننـا نـتيقن أننـا أخطئنـا ولهـذا قـالوا: **((فاعترفنا بذنوبنا))** يعني فقد اعترفنا بذنوبنا.
والذنوب جمع ذنب وهو المعصية, والمراد بها هنا الكفر كما قال المؤلف رحمه الله تعالى: **" بكفرنا بالبعث (((فهل إلى خروج من سبيل**

)) من النار " وهل هنا للتمني, يعني أننا نتمنى الخروج من النار ولكنه لا يحصل لهم ذلك **" ((فهل إلى خروج)) من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ((من سبيل)) من طريق ؟ وجوابهم: لا "** وهذا من المؤلف بناء على أن الاستفهام على بابه, أنهم يسألون هل لنا من طريق فنخرج ؟ أما على ما قلنا أنه للتمني فلا يحتاج إلى جواب فهو كقوله : **((فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل))**.

هذه الآية فيها إثبات اعتراف هؤلاء المكذبين بأنهم كفروا بالله وأنهم مستحقون لهذا العقاب.

ومن فوائد الآية إقرار الكفار بما كانوا ينكرونه من قبل من البعث وهذا معنى قوله: **((فاعترفنا بذنوبنا)).**

ومن فوائدها أنهم في ذلك اليوم تبين لهم الحق وصحة القياس لأنهم قالوا: **((أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين))** فالميتة الأولى قبل أن تنفخ فيهم الروح قد أقروا بها, والحياة الدنيا قد أقروا بها, متى أقروا بها ؟ أقروا بها في الدنيا وهم أحياء, لكن أنكروا البعث بعد الموت, وأما الآن فقالوا: نعم البعث بعد الموت كنفخ الروح في الجنين, يعني أنا تيقنا الآن أن ما ذكره الله عز وجل من قياس الإعادة على الابتداء أمر حقيقي, وأننا أحيينا مرتين وأمتنا مرتين.

ومن فوائد الآية الكريمة: شدة حسرة هؤلاء على ما فعلوا وتمنيهم الخروج مما وقعوا فيه من العذاب لقولهم : **((فهل إلى خروج من سبيل))**.

وفي هذه الآية إعراب مشكل وهو أن قوله: **((فهل إلى خروج من سبيل))** جملة خلت من أحد الركنين فيها وهو المبتدأ, لأن الذي أمامنا الآن جار ومجرور في الخبر, وفيما هو محل للمبتدأ ... وهل يكون المبتدأ مجرورا ؟ إذن المبتدأ سبيل دخلت عليه حرف من الزائدة إعرابا, ولهذا نقول في إعرابها من حرف جر زائد, وسبيل مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

ثم قال الله تعالى : **((ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير))** **((ذلكم))** يقول المفسر: **" أي العذاب الذي أنتم فيه "** فالمشار إليه موجود, أي أن العذاب الذي أنتم فيه بسبب كذا وكذا, وهنا قال: **((ذلكم))** وتأتي أحيانا بذلك, وتأتي أحيانا بذلكن, وتأتي أحيانا بذلكما, فما هو السبب في

تغير الخطاب في هذه الإشارات ؟ فيقال: اسم الإشارة بحسب المشـار إليه, وكاف الخطاب الذي بعـدها بحسـب المخـاطب, فـإذا أشـرت إلـى واحد مخاطبا اثنيـن فقـل: ذلكمـا, كمـا قـال يوسـف لصـحابي السـجن: **((ذلكما مما علمني ربي)).**

وإذا أشرت إلى اثنين مخاطبا واحدا فمـاذا تقـول: ذانكـم ؟ أشـرت إلـى اثنين مخاطبا واحدا ؟ ذانك, كقوله تعالى: **(فذانك برهانان من ربك)**).

وإذا أشرت إلى واحدا مخاطبا جماعة ذكور ؟ ذلكم, ومنـه قـوله تعـالى : **((وذلكم ظنكم الذي ظننتم بركم)**) طيب.

وإذا أشرت إلى واحد مخاطبا جماعة إناث ؟ ذلكـن, قـالت: **((فـذلكن الذي لمتنني فيه))** طيب.

وإذا أشرت إلى اثنين مخاطبا اثنين ؟ ذانكما, طيب.

وإذا أشرت إلى اثنين مخاطبا جماعة ذكور ؟. ذانكم, صح.

وإذا أشرت إلى اثنين مخاطبا جماعة إناث ؟. ذانكن, طيب.

وإذا أشرت إلى جماعة مخاطبا جماعة ذكور ؟. أولئكم, صحيح.

وإذا أشرت إلى اثنين مخاطبا جماعة إناث ؟ ذانكن, طيب.
وإذا أشرت إلى جماعة مخاطبا جماعة ذكـور ؟ أولئكـم, صـحيح. هـذا إذا أشرنا إلى جماعة مخاطبا جماعة ذكور.
إلى جماعة مخاطبا جماعة إناث ؟ أولئكن, طيب.
إلى جماعة مخاطبا اثنين ؟ أولئكما, المهم على كل حـال اسـم الإشـارة بحسب المشار إليه, والكاف بحسب المخـاطب, إن كـان مفـردا مـذكرا فالكاف تكون مفردة مذكرة, وإن كان مفردا مؤنثا فكذلك, مثنـى جمعـا كذلك, هذا هو الأفصح, وربمـا تـأتي الكـاف مفتوحـة للمخـاطب المـذكر مطلقـا واحـدا كـان أو مثنـى أو جماعـة, ومكسـورة للمخـاطب المـؤنث مطلقا واحدة أو اثنتان أو جماعة, وربما تأتي الكاف مفتوحة مفردة لكـل مخاطب, فتقول ذلك تخاطب الرجل والمرأة والاثنين والجماعـة, فهـذه ثلاث لغات في كاف الخطاب المقترن باسم الإشارة, الأفصـح أن يكـون بحسب المخاطب, ثم مفتوحا فـي المـذكر ومكسـورا فـي المـؤنث, ثـم مفتوحا على كل حال مفردا مذكرا طيب.
هنا يقول عـز وجـل: **((ذلكم بأنه))** المشـار إليـه واحـد والمخـاطب جماعة ذكور, ذلكم فالمخاطبون جماعة ذكور **" أي العذاب الذي أنتم فيه ((بأنه)) أي بسبب أنه في الدنيا ((إذا دعـي اللـه وحـده كفرتم)) "** وأشركتم وقلتم: **((أجعل الآلهة إلهـا واحـدا إن هـذا لشيء عجاب)).**
" ((كفرتم)) بتوحيده ((وإن يشرك بـه)) يجعـل لـه شـريك ((تؤمنوا)) تصدقوا بالإشـراك " وهـذا هـو الواقـع, إذا ذكـر اللـه اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة, وإذا ذكر الذين من دونه إذا هـم يستبشرون, فهم يصدقون بقلوبهم ويستبشرون بألسنتهم, وهذا الإيمان في الواقع قد نقول إنه إيمان حقيقي, وقد نقول إنه إيمان دعـوي, يعنـي أنه دعوة وأنهم في قرارة أنفسهم يؤمنون بالله, وانظـر إلـى أكفـر أهـل الأرض فرعون كيف أنكر الخالق وادعـى الربوبيـة وقـال لقـومه: **((ما علمت لكم من إله غيري))** ومع ذلك كان مؤمنـا فـي قـرارة نفسـه قال له موسى وهو يحاوره: **((لقد علمـت مـا أنـزل هـؤلاء إلا رب السـماوات والأرض بصـائر))** هـذه الآيـة أقـول لـك تـدل علـى أن فرعون كان مؤمنا بربوبية الله, كيـف ذلـك ؟ لأنـه لمـا قـال لـه موسـى: **((لقد علمت ما أنزل هـؤلاء إلا رب السـماوات والأرض))** لـم يقل لم أعلم, وهو في مقام يرى نفسه أعلم من موسى, يعني يسـتطيع

أن ينكر دعوى موسى لو كان ينكر ذلك, لكنه يقر بأن اللـه أنـزل التـوراة على موسى ويدل لهـذا قـوله تعـالى : **((وجحدوا بهـا واسـتيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا))** ولهذا لا يمكن لأحد عاقل ـ وأريد بالعاقل مـا سوى المجنون ـ أن ينكر أن لهذا العالم خالقا أبدا, كـل إنسـان عاقـل إذا تدبر أدنى تدبر في هذا الكون علم أن له ربا مدبرا ولا يمكن أن ينكر.
فقوله هنا: **((إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشـرك بـه تؤمنـوا))** هل هو إيمان دعوى أو إيمان حقيقة ؟ الذي يظهر لنا أنه إيمان دعوى, يعني يقول نؤمن بأن هـذا شـريك مـع اللـه يقولـونه بألسـنتهم, أمـا فـي قرارة قلوبهم فلا نظن أن أحدا ينكر أن الله سبحانه وتعـالى واحـد, وقـد يقال: إن المراد بقوله : **((إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشـرك به تؤمنوا))** أن المراد توحيد الإلوهيـة يعنـي يكفـرون بتوحيـد الإلوهيـة ويؤمنون بالشرك في الإلوهية, لأنهم يؤمنون بأن هذه الآلهة تقربهم إلـى الله زلفى, فإذا هم يؤمنون بالله ربا ويؤمنون بالأصنام شفعاء.
" ((وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم)) في تعذيبكم ((لله العلي)) على خلقه ((الكبير)) العظيم " يعني فبناء على أنكم في هـذه الحال يكون حكمكم إلى الله, فالفـاء حينئـذ تكـون إمـا للاسـتئناف وإمـا للتفريع على ما سبق, يعني فبناء على ذلك يكون الحكم في أمركم إلـى الله, الحكم في تعذيبكم لله وحده, واللام تكون بمعنى الغاية أحيانـا كمـا تقول: **((ولله ترجع الأمور))** بمعنى إلى اللـه, وهنـا الحكـم للـه أي إلى الله, أي أن حكمكم ينتهي إلى الله, ويحتمل أن يكون المعنى الحكم لله أي مستحق لـه لا يشـاركه فيـه أحـد, ((العلـي)) يقـول المؤلـف: **" على خلقه "** علو ذات وعلو صـفة, فـالله سـبحانه وتعـالى عـال علـى خلقه في ذاته فوق كل شيء, وعال علـى خلقـه فـي صـفاته, قـال اللـه تعالى : **((وله المثل الأعلـى فـي السـماوات والأرض))** المثـل يعني الوصف الأعلى في السماوات والأرض.
وعلو الله سبحانه وتعالى علوا معنويا وهو علو الصفة أمر مجمع عليه لم يخالف فيه أحد من أهل الملة حتى المعطلون الذين ينكرون صفات اللـه عز وجـل إنمـا أنكروهـا بنـاء علـى تنزيههـم للـه عـز وجـل عـن مشـابهة المخلوقين وإن كانوا أخطئوا الطريق لكن هـم يقولـون نحـن نقـول هـذا تنزيها لله, ولهذا يسمون الذين يثبتـون يسـمونهم المشـبهة, ويسـمونهم المجسمة والحشوية وما أشبه ذلك, ويرون أنفسـهم هـم أهـل التوحيـد, فقصدي أقول علو الصفة لم ينكره أحد من أهل الملـة حـتى أهـل البـدع

يقـرون بـذلك, وأمـا علـو الـذات فهـو محـل الصـراع بيـن أهـل السـنة والجماعة وبين أهل التعطيل, فأهل السنة والجماعـة يؤمنـون بـأن اللـه تعالى عال على خلقه بنفسه, وأهل التعطيل ينكرون ذلك, ثـم انقسـموا إلى قسمين قسم قالوا : إنه في كل مكان, إن الله في كـل مكـان, فـي السماء وفـي الأرض فـي الأسـواق فـي المسـاجد فـي الـبيوت فـي كـل مكان.

وقسم آخر قالوا : لا يوصف أنه في مكان, فلا يقال فـوق العـالم ولا فـي العالم ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا متصل بالعالم ولا مماسا له, وهـذا هو التعطيل المحض لأننا لو أردنا أن نصف المعدوم لم نجد أبلغ مـن هـذا الوصف, إذن خالف في علو الذات طائفتان:

الطائفة الأولى: قالت: إن الله في كـل مكـان بنفسـه, وهـذا حـق يعنـي قول قيل, لا تظنوا أنـه تصـور, فيـه الآن مـن يعتقـدون أن اللـه فـي كـل مكان, إن جئت السوق وجدته في السوق, وإذا قالوا بـالجبر قـالوا: فـي السوق يبيع ويشتري, لأن فعل العبد منسـوب إلـى اللـه, فـإذا كـان فـي السوق هو في السوق وفعل العبد فعله صار يـبيع ويشـتري, نسـأل اللـه العافية, هذا من لازم قولهم, إذا جئت المسجد كان في المسجد, يصـلي أو يقعد لا ندري, إذا أتيت في أي مكان وجدته فيه, ونحن نفصل هذا عـن مسألة الجبر حتى لا نصل إلى نهاية سيئة جدا, نقول: هم يقولون أن الله في كل مكان, حتى قال لهم أهل السنة كيف يمكن أن تقولـوا: أنـه فـي أماكن القذر والأذى ؟ قالوا: نقول إذا دخلت المكان أنت صار الله معـك, أي مكان تدخله فالله معك.

القول الثاني عكس هؤلاء: قالوا: لا يصح أن يوصـف اللـه بـأي مكـان, لا فوق ولا تحت ولا عن يمين العالم ولا عن شمال العالم ولا اتصال بالعالم ولا انفصال من العالم, وقد قال محمود ابن سبكتكين لمحمد بـن فـورك وهو يناظره في هذه المسألة قال له: إذا قلت هـذا فـأثبت لنـا ربـك, إذا كان لا هو فـوق ولا تحـت ولا يميـن ولا شـمال ولا متصـل ولا منفصـل ولا مباين ولا محايز, أين يكون ؟ لا يكون, هذا العدم تماما.

فالحاصل أن العلو قول المؤلف رحمه الله: **" ((علي)) على خلقـه "** نقول العلو نوعان علو صفة وعلو ذات, أما علو الصـفة فهـذا لـم ينكـر أحد من أهل القبلة حتى المبتدعة أنه منفي عـن اللـه, كلهـم يثبتـون للـه علو الصفة, لكن أهل التعطيل يرون التعطيل من باب التنزيه ورفع اللـه عز وجل, وأهل التمثيل كذلك يرون هذا من بـاب تعظيـم اللـه عـز وجـل

وإثبات حقيقته, وأما علو الذات فهو الذي انقسم فيه الناس إلى هذه الأقسام الثلاثة التي سمعتموها.
((الكبير)) قال: " العظيم " وهذا تفسير تقريبي, ولو قال الكبير ذو الكبرياء لكان أقرب, فهو كبير عز وجل ذو كبرياء, وهو كبير أيضا, كبير باعتبار ذاته لا يحيط به شيء من مخلوقاته, والسماوات السبع والأراضين السبع في يده كخردلة في يد أحدنا .
الطالب: ... وإذا بلغت الإنسان فيجب أن يبحث, فهل يبلغ الناس أنه يجب عليهم أن يبحثوا, ثم كيف نقول لهم هذا وهم أصلا كسالى جهلة ؟
الشيخ : نحن لا نتكلم عن العرب, العرب يفهمون الدعوة بمجرد أن تبلغهم, نتكلم عن قوم لا يفهمون المعنى, يجب عليهم أن يبحثوا, أما عوام الناس الآن فقد بلغتهم وفهموها, ولهذا يعرفون معنى لا إله إلا الله ويعرفون معنى محمد رسول الله وما أشبهها .
الطالب : إن قال قائل: **((أمتنا اثنتين))** يقصد بها الموتة في الدنيا حين المنام ... ؟
الشيخ : لا يصح, لأن موتة الدنيا في المنام ما هي مرتين أو ثلاث ولا أربع ولا مائة, الإنسان في الشهر ينام كم مرة ؟ على الأقل ثلاثين مرة **((وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه))** فإذا بعثنا من موتة الليلة البارحة جاءت الليلة الثانية, متنا ثانية, والتي وراءها ؟ والذي ينام بعد صلاة الفجر, والذي ينام في القيلولة, والذي ينام بعد العصر, أربع ميتات في يوم واحد, نعم .
الطالب : ...
الشيخ : لا ليس بصحيح أنه ليس بيمين ولا بشمال, لكن وصف نفسه بما هو أحسن من هذا, لأنه لو قال: لا يمين ولا شمال صارت الصفة صفة سلبية, لكن إذا قال: **((وهو العلي))** انتفى اليمين والشمال بوصف ثبوتي لا بوصف سلبي, والوصف الثبوتي أكمل من الوصف السلبي, لأن دلالة الوصف السلبي على الإثبات دلالة التزام, قد ينكرها منكر ولا يلتزم بها, طيب .
الطالب : ...
الشيخ : تقول لأنك إذا أثبت أنه في جهة فقد جسمت جعلته جسما, إذا صار فوق معناه أنه جسم, يمين شمال كذلك, كل هذا فرارا من التجسيم, والسبب أن الشيطان تلاعب بهم في الواقع, وإلا نقول لهم ما هو التجسيم الذي تريدون أن تنفوه عن الله, تريدون أن الله ليس بشيء

فنحـن لا نـوافقكم, تريـدون أن اللـه تعـالى جسـم موصـوف بالصـفات الكاملة فهو كذلك هو موصـوف بالصـفات الكاملـة, لكـن لا نطلـق لفـظ جسم على الله أبدا, ورد في الحديث ما يدل على أنه يوصف بالشـخص, ومع ذلك لا نقول أنه شخص كأشخاص المخلوقين أبدا **((ليـس كمثلـه شيء))** نعم.

الطالب : ...

الشيخ : **((فثم وجه الله))** أي نعم, هل هذا ينافي العلـو حـتى يكـون دليلا على عدمه, ألا يمكن أن يكون الشيء فوقك وهـو أمامـك ؟ يمكـن, هذا في المخلوق كيف بالخالق المحيط بكـل شـيء, ثـم كيـف نـورد آيـة تحتمل علـى آيـات محكمـة لا تحتمـل وهـو العلـو, انتبهـوا لهـذا لأن أهـل الباطـل يـوردون المتشـابه علـى المحكـم, ولا يحملـون المتشـابه علـى المحكـم, يـوردون المتشـابه علـى المحكـم ليناقضـه, وليسـوا يحملـون المتشابه على المحكم ليكون محكما, وهذا هو البلاء قالت عائشة رضـي الله عنها: **(إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الـذين سمى الله فاحذروهم)** هكذا روته عن النبي صلى الله عليه وسلم.

انتبهـوا وهـذه مسـألة أحـب أن أنبهكـم عليهـا وهـو أنـه إذا وردت آيـات متعارضـة وأحـاديث متعارضـة فلا توردوهـا علـى أنفسـكم علـى أنهـا متعارضة أوردوها على أنفسكم على أنكم تطلبون الجمـع بينهـا لتوفقـوا للجمع, أما إذا أوردتم هذه على أنها متعارضة بقيـت محـل إشـكال, وأنـا دائما أنهاكم عن هذا, أقـول: لا تـوردوا الآيـات المتشـابهة الـتي ظاهرهـا التعـارض أو الأحـاديث كـذلك علـى أنهـا متعارضـة, أوردوهـا علـى أنكـم تريدون الجمع بينها لا أن بعضها معارض لبعض, حتى تهدوا إلى الصـراط المستقيم, لأن هناك فرق بين الإيـراد وبيـن الـرد, إيـراد المتشـابه علـى المحكم معناه أنه يطلب التعارض, لكـن رد المتشـابه إلـى المحكـم هـذا معناه أن حاول الجمع دون أن يتصور التعارض, وهذه المسألة كما تكون في الأمور العلمية تكون أيضا في الأمور العملية, أحيانـا تـرد عـن النـبي صفات في عبـادة واحـدة فيظـن الظـان أن هـذا تعـارض لكـن نقـول: لا تقرأها ولا توردها على نفسك علـى أنهـا متعارضـة, لا أوردهـا علـى أنـك تجمع بينها, فتحمل هذه على وجه وهذه على وجه, وأكثر ما يكون الشك للطالب أنه يورد الآيات المتعارضة الـتي ظاهرهـا التعـارض أو الأحـاديث التي ظاهرها التعارض على أنها متعارضة, لكن لو أوردهـا علـى أنـه يـرد بعضها إلى بعض ويضم بعضها إلى بعض لوجـد وجهـا ومخرجـا ممـا كـان

يظن, وهذا شيء جربه إن شاء الله ستنتفعون به.
فالذين قالوا : **((ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله))** يدل على عدم العدو فيعارض أدلة العلو! نقول: من قال هذا ؟ من قال أنه يدل على عدم العلو ؟ وإذا كان الشيء مقابلا لك هل يلزم أن يكون محاذيا لك ؟ أبدا, ما يلزم, قد تقول هذا عن يميني وهو أسفل شيء لكن مع الجهة اليمنى, وهذا عن يساري وهو أسفل شيء وهو عن الجهة اليسرى, كما جاء في حديث المعراج: **(أن على يمين آدم أسودة وعلى يساره أسودة, فإذا رأى إلى اليسار بكى)** اليسار هي نسم بنيه الكفرة في النار, وهذا في الأسفل, فلا يلزم من كون الشيء على يمينك أن يكون محاذيا لك, ولا يلزم من كون الشيء فوقك أن يكون محاذيا لك, ولا من كونه أسفل منك أن يكون محاذيا لك, هذا ليس بلازم, لكن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه لإيراد التشكيك, نعم .
القارئ : **((رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمر على من يشاء من عباد لينذر يوم التلاق يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))**[غافر :17].
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا))** هذه هو مبتدأ درس اليوم ليس رفيع الدرجات ... وقفنا من ذلكم إلى آخره.
((ذلكم بأنه ...)) إلخ, في هذه الآية فوائد أولا: إثبات الأسباب لقوله: **((ذلكم بأنه))** فالباء للسببية وقد مر علينا كثيرا أن أهل السنة والجماعة يثبتون الأسباب للمسببات, ولكن لا على أنها فاعلة بنفسها بل بما أودع الله فيها من القوى المؤثرة ... تؤخذ من قوله: **((ذلك بأنه))** لأن الباء للسببية.
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان ما عليه هؤلاء الكفار من كونهم إذا دعي الله وحده كفروا وإذا أشرك به أقروا هذا الشرك لقوله : **((بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا))**.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الحكم لله لقوله تعالى : **((فالحكم لله))** وليس لغيره.
وحكم الله تعالى ينقسم إلى قسمين: كوني وشرعي, فالكوني: ما

قضى به على عباده كونا وتقديرا والشرعي: ما قضى به على عباده شرعا وتنظيما, والحكمان موجودان في القرآن جميعا, فمن الحكم القدري قوله تبارك وتعالى : **((فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي))** ومن الحكم الشرعي قوله تعالى : **((ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم))** والفرق بينهما أن الحكم الشرعي يرضاه الله عز وجل, والحكم الكوني يتعلق فيما يرضاه وفيما لا يرضاه, والفرق الثاني أن الحكم الشرعي قد يقع من المحكوم عليه وقد لا يقع, وأما الحكم الكوني فإنه لابد أن يقع, فإذا حكم الله على شخص بموت أو مرض أو فقر أو عاهة أو غير ذلك وقع ولا بد, إذا حكم الله على شخص بأن يؤمن ويعمل صالحا فقد يقع وقد لا يقع.

وقوله: **((فالحكم))** هنا يشمل الأمرين جميعا, يستفاد من هذا أنه لا يجوز الحكم بالقوانين المخالفة للشريعة لقوله: **((فالحكم لله))** وهذه الجملة تفيد الحصر أي الحكم لله لا لغيره, والحكم للقوانين المخالفة للشريعة قد يكون كفرا وقد يكون ظلما وقد يكون فسقا, كما ذكره الله عز وجل على هذه الوجوه الثلاثة في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل, فإن وضع الحكم القانوني شرعا نافذا فهذا كفر لأنه يقتضي رفع الحكم الشرعي وإحلال حكم آخر محله, وهذا كفر بما أنزل الله محبط للعمل, لأنه لا يمكن أن يرفع الحكم الشرعي إلا بعد كراهته إياه, وقد قال الله تعالى : **((ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم))** وعلى هذا فالذين يحكمون أممهم بالقوانين المخالفة للشريعة يعتبرون كفارا يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله وأن يحكموا بشريعة الله وإلا ماتوا كفارا والعياذ بالله, ونحن لا نحكم بهذا الشيء لكل واحد بعينه, إذ قد يكون بعضهم ملبسا عليه أو مغررا به أو تكلم عنده من يثق به فأضله, قد يكون هذا الذي وضع القانون غره من يقول إن الحكم الشرعي إنما يكون في ما بين الإنسان وبين ربه في العبادات والأحوال الشخصية والمواريث وأما مسائل الدنيا فهي لأهل الدنيا, ويشبه بقوله صلى الله عليه وسلم : **(أنتم أعلم بأمور دنياكم)** فيأتي هذا الحاكم المسكين الذي لا يعرف عن الأمر شيئا والذي خدع بمظاهر الدنيا وزخارفها فيظن أن هذا هو الحق, فيضع القانون المخالف للشرع, فمثل هذا لا نحكم بكفره لأنه مغرر به مؤول, لكن إذا بين له ثم أصر حكم بكفره.

أما الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله الذي يكون ظلما فهو الحامل عليه

حب الاعتداء على الغير لا كراهة الشرع ولا الحكم بغير ما أنزل الله, لكن لكراهيته للغير حكم على الغير بغير ما أنزل الله ظلما وعدوانا, فهذا له حكم الظلمة وليس له حكم الكافرين, لأنه ما كفر, يقول أعرف ما جاء به الشرع هو الحق, لكن أريد أن أنتقم من هذا الرجل وأعتدي عليه فيكون هذا له حكم الظالم: **((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون))**.

أما القسم الثالث: فهو الذي حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه لا كراهة للحق ولا استبدالا له بغيره, لكن يريد شيئا في نفسه فحكم بغير ما أنزل الله, مثل أن يكون يهوى أن تكون له هذه الأرض أو هذه السيارة أو ما أشبه ذلك فيحكم بها لغرض, ليس قصده ظلم المحكوم عليه ولكن قصده إتباع الهوى, فيحكم فيكون بهذا من الفاسقين.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الحكم لله عز وجل في الدنيا والآخرة.

ولهذا قسم بعض العلماء الحكم إلى ثلاثة أقسام: كوني وشرعي وجزائي, الحكم الجزائي ما يكون في الآخرة ولكن الصحيح أن الحكم الجزائي لا يخرج عن كونه حكما كونيا لأنه فعل الله وحينئذ لا حاجة إلى كثرة التقاسيم, لأنه كلما أمكن اختصار التقسيم كان أولى, ولهذا والله أعلم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي أحيانا ويقول : **(ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليه يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)** مع أن هناك آخرين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم, لكن كون الشيء يجزئ وتقلل أقسامه يكون أقرب إلى الفهم, ولهذا يفرق بين أن تعطي الماء لشخص عطشان دفعة واحدة أو أن تعطيه إياه على دفعات, الثاني أهنأ وأبرئ وامرئ كما جاء في الحديث أنه ينبغي للإنسان في شرابه أن يتنفس ثلاث مرات, الكأس مثلا إذا كنت عطشان لا تشربه جميعا تنفس فيه ثلاث مرات, اشرب ثم أبن الكأس عن فمك ثم رده ثم أبنه ثم رده حتى يكون ذلك أهنأ وامرئ وأبرئ .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العلو لله عز وجل لقوله: **((العلي))** وهو علو بنفسه وعلو بصفته, فصفاته عليا وهو نفسه سبحانه وتعالى فوق كل شيء.

وأدلة علو الله سبحانه وتعالى الذاتي خمسة أنواع: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة, أما الكتاب فمملوء من ذلك, أي من دلالته على أن الله فوق كل شيء على وجه متنوعة, تارة يصرح بأنه في

السماء, وتارة يصرح بأنه استوى على العرش, وتارة يصرح بأن الأشـياء تنزل منه, وتارة يصرح بأن الأشياء ترفـع إليـه وتصـعد إليـه وتعـرج إليـه, وكل هذا يدل على علو الله تعالى بذاته.
والسنة كذلك جاءت بأوجهها الثلاثة: قول وفعل وإقرار, فالقول مـا كـان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: **(ربنا الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض)** ومـا كـان يقـول فـي سـجوده: **(سبحان ربي الأعلى)** والفعل إشارته صلى اللـه عليـه وسـلم إلـى السماء حين قـال: **(اللهم اشـهد)** والإقـرار إقـراره للجاريـة حينمـا قالت: إن الله في السماء لما قال لها: **(أين الله ؟)**
وأما الإجماع فقد أجمع السلف على أن الله تعالى عـال بـذاته فـوق كـل شيء, ودليل هذا الإجماع أنه لم يرد عنهم حرف واحد ينافي ما دل عليـه الكتاب والسنة من علو الله, وهذا يدل على أنهم كانوا يقولون بـه, وهـذا من الطرق التي ذكرناها لكم فيما سبق أنه لو قال قائل: ائتوا لنا بحـرف واحد من السلف يقول أن الله عال بـذاته, نقـول لا حاجـة أن نـأتي لكـم بذلك لأن ورود ذلك في الكتاب والسنة من غير أن يأتي عنهم ما يعارضه يدل على قولهم به, وهم مجمعـون علـى هـذا, وقـد ذكـر شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه كلامـا قـال فيـه: **" واللـه يعلـم أي بعـد البحـث التـام ومطالعتي ما أمكن من كلام السلف لم أجد أحـد منهـم صـرح بأن الله ليس في السماء وأن الأشياء لا تعرج إليه "** وذكـر نحـو هذا, وعلى هذا نقول إن علو الله بذاته قد أجمع عليه السـلف فمـن قـال بغير ذلك فقـد شـاق الرسـول واتبـع غيـر سـبيل المـؤمنين, ولكـن اللـه اشترط قال : **((من يشاقق الرسول من بعد ما تبين لـه الهـدى))**.
وأما العقل فدلالته على علو الله ظـاهرة لأننـا نسـأل أيهمـا أعلـى صـفة العالي أو السافل لقيل باتفاق العقلاء أن العالي أكمل, وإذا ثبت أن العلو كمال وجب أن يكون ثابتا لله عز وجل لأن الله تعـالى موصـوف بصـفات الكمال.
وأما الفطرة فاسأل عنها عجائز المسلمين, لا تسأل طلبـة العلـم اسـأل العجوز: أين الله ؟ فتقول لك: في السماء, اسأل كل داعي إذا دعـا أيـن يطير قلبه ؟ إلى السماء, وهذه الفطـرة هـي الـتي ألجمـت أبـا المعـالي الجويني حين قال له أبـو العلاء الهمـداني: **" يا شـيخ دعنـا مـن ذكـر العرش "** لما قال أبو المعالي: **" إن الله كـان ولا شـيء "** يعنـي لا

عرش ولا غير عـرش **" وهو الآن على مـا كـان عليـه "** يريـد نفـي الاستواء, إذا كان ولا عـرش وهـو الآن علـى مـا هـو عليـه لـزم ألا يكـون مستويا على العرش, فقال له: **" يا شيخ دعنا من ذكر العرش "** لأن دليله دليل استوائه على العرش دليل سمعي **" لكن أخبرنا عـن هـذه الفطرة التي نجدها في نفوسنا ما قال عارف قـد يـا اللـه إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو "** فلطم أبو المعالي على رأسـه وقال: **" حيرني الهمداني "** تحير لأن هذا أمر فطري لا يمكن إنكـاره أبدا, إن كان الإنسان ينكر أن يكون بشـرا أنكـر مـا دلـت عليـه الفطـرة, فالحاصل أن علو الله بذاته دل عليـه الكتـاب والسـنة والإجمـاع والعقـل والفطرة, وهو ولله الحمـد لا يحتـاج إلـى منازعـة, ولـولا أن أهـل البـدع والتعطيـل ألجئـوا أهـل السـنة إلـى الحـديث عنـه مـا احتـاج أن يتحـدث الإنسـان عنـه لأنـه أمـر فطـري لا يحتـاج إلـى كـبير عنـاء, لكـن هـؤلاء المتكلمـون المبتـدعون المعطلـون المحرفـون المنحرفـون هـم الـذين ألجئوا أهل السنة إلى أن يقولوا بمثل ذلك وأن يحاولوا إثبات هذه الأمـور بما يستطيعون من الأدلة .

ومن فوائد الآية: إثبات الكبرياء للـه والكـبر لقـوله: **((الكبير))** واللـه تعالى يجمع بين الكبرياء والكِبْر والكبَر في غير ما آية قال الله تعالى : **((الكبير المتعال))** وهنا يقول: **((العلي الكبير))** لأن بـذلك يحصـل الكمال المطلق العلو والكبرياء والكبر فيه كمال الكمال.

ثم قال الله تعالى وهو ابتداء درسنا اليوم: **((هو الـذي يريكـم آيـاته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب))** هـو الـذي يريكم أي يظهر لكم آياته حتى تروها, والضمير يعود إلى الله, فهو الــذي له الحكم وهو العلي الكبير, ومع ذلك لم يدع عباده هملا, بل أراهم آيــاته حتى يؤمنوا,

فقوله: **((هو الذي يريكم آياته))** أي يظهرها لكم حتى تروهـا عيانـا, والآيات هنا العلامات الدالة على معلومها, وهي أبلغ من المعجـزات ومـا أشبهها. وآيات الله سبحانه وتعالى نوعان: آيـات كونيـة وآيـات شـرعية, فالآيات الكونية: هي مخلوقات اللـه عـز وجـل, والآيـات الشـرعية: هـي الوحي الـذي جـاءت بـه الرسـل, كـل المخلوقـات آيـات مـن آيـات اللـه **((وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون))**, **((ومن آياته خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها))**, **((ومـن آيـاته خلـق السـماء والأرض ومـا بـث فيهـا مـن دابـة))**

والأمثلة على هذا كثيرة كلها تـدل علـى خالقهـا عـز وجـل وعلـى تفـرده بالخلق, وعلى حكمته وعلى رحمته, وعلى عزته إلى غير ذلك من معاني الربوبية التي تدل عليها هذه الآيات, وقد تكون آية واحدة تدل على عــدة آيات وعلى عدة أوصاف, هذه الآيات الكونية قلت لكم أنهـا شـاملة لكـل المخلوقات وفي هذا يقول القائل:

فوا عجبا كيف يعصى الإله أو كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

كل شيء تأمل فيه تجد الدلالة الكاملة علـى أن لـه خالقـا مـدبرا حكيمـا عليما إلى غير ذلك من معان الربوبية.

أما الآيات الشرعية فهي ما جاءت به الرسل وقد أرانـا اللـه تعـالى إياهـا وأعطى الرسل عليهم الصلاة والسلام مـن الآيـات مـا يـؤمن علـى مثلـه البشر, فالرسل لم يأتوا هكذا يقولون للناس: نحن رسل إليكم, بـل أتـوا بالآيات الدالة على ما أرسلوا به وعلى مرسلهم.

((هو الذي يريكـم آيـاته)) إذن الآيـات تشـمل الكونيـة والشـرعية البرق آية كونية: **((هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا))**.

الآيات تشمل الكونية والشرعية, البرق آية كونية: **((هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا))**.
((وينزل لكم من السماء رزقا)) التنزيل يكون من أعلى وهنا قال: **((من السماء))** وهو العلو, وليس المراد بالسماء هنا السماء المحفوظة السقف المرفوع, بل المراد به العلو لقوله تعالى: **((والسحاب المسخر بين السماء والأرض))** فالمطر ليس ينزل من السماء السقف المحفوظ, وإنما ينزل من العلو من السحاب المسخر بين السماء والأرض وهذا أمر مشاهد, وقوله: **((رزقا))** أي ماء يكون به الرزق, فالذي ينزل ماء يكون به الرزق, فهو نفسه رزق: **((أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون))** وبه يكون الرزق **((فأخرجنا به من كل الثمرات))** والثمرات أرزاق والماء رزق يشرب, فهو رزق بكل حال, وفي تقديم الآيات على إنزال الرزق من السماء دليل على أن النعمة الدينية أهم وأكبر من النعمة الدنيوية نعم **((وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب))**.
قال المفسر: **" ((هو الذي يريكم آياته)) دلائل توحيده "** يعني التي تدل على توحيده وغير ذلك مما تدل عليه من معاني الربوبية **" ((وينزل لكم من السماء رزقا)) بالمطر "** فالمؤلف رحمه الله يرى أن الرزق هو ما يخرج بالمطر يعني النبات وما أشبه ذلك, ولكن ما ذكرناه هو الأصوب, أن المطر نفسه رزق لأن الله قال: **((أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن))** وأحيانا يكون احتياج البدن إلى الماء أكثر من احتياجه إلى الأكل.
" ((وما يتذكر)) يتعظ ((إلا من ينيب)) يرجع عن الشرك " وقوله: **((إلا من ينيب))** قال: **" يرجع عن الشرك "** وهذا لا شك أنه صحيح لكنه قاصر, فالصواب: **((من ينيب))** من يرجع إلى الله عز وجل من الشرك وغيره من المعاصي والفسوق فهو أعم مما قاله المؤلف.
من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان قدرة الله عز وجل لأنه يرينا الآيات .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما يرينا الله تعالى من آياته حجة ملزمة لئلا يقول قائل: نحن لم يأتنا آيات حتى نتعظ بها .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن المخلوقات والمشروعات كلها تدل على

الخالق المشرع سبحانه وتعالى .
ومن فوائد الآية الكريمة: منة الله عز وجل بإنزال المطر من السماء وأنه رزق لنا .
ومن فوائدها الحكمة في أن المطر ينزل من السماء, والله عز وجل قادر على أن يجعل للأرض أنهارا تسير على سطح الأرض وتسقي ما شاء الله أن تسقيه, لكن المطر أنفع وأفضل, لأن المطر إذا نزل من أعلى شمل قمم الجبال فيشمل السهل والوعر والنازل والعالي, وهذه من الحكمة أن يكون المطر ينزل من فوق حتى يشمل الأرض كلها .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما تتغذى به الروح أهم مما يتغذى به البدن, لأنه قدم قراءة الآيات على الرزق الذي ينزل من السماء, وهذا يدل على أنه أهم وهو كذلك, هذا هو الواقع, وذلك لأن فقد الغذاء البدني لا يكون فيه إلا شيء لابد منه وهو الموت الذي لا بد منه, حتى لو كان الإنسان في أنعم ما يكون من نعيم البدن وأترف ما يكون فلابد أن يموت, لكن غذاء الروح هو الذي يحتاج إلى معاناة ومعالجة وبفقده يكون الهلاك في الدنيا والآخرة: **((قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة))** **((قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه))** **((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))** إذن خسارة البدن دون خسارة الروح بكثير, خسارة الدنيا دون خسارة الدين بكثير, ولهذا قدم الله نعمته بقراءة الآيات على نعمته بإنزال المطر.
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الآيات والرزق والعطاء لا ينتفع به إلا من أناب إلى الله, أما من لم ينب إلى الله فإن الله يقول: **((وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون))** .
ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما كان الإنسان أكثر إنابة إلى الله كان أقوى إيمانا بالآيات, لأن الحكم المعلق على وصف يقوى بقوته ويضعف بضعفه, فإذا كان التذكر لمن ينيب فكلما كان الإنسان أقوى إنابة كان أقوى تذكرا .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن من لم يكن عنده إنابة فإنه يحرم من الانتفاع بالآيات لأن الله قال: **((ما يتذكر إلا من ينيب)).**
ومن فوائدها أن الإنابة إلى الله سبب لكثرة الرزق ويدل لذلك قوله

تعالى : **((ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)** والله أعلم .
الطالب: ... **((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون))**. ؟
الشيخ : نعم نجيب بأنه غلط, كيف يراد به شيء واحد ويكرره الله بألفاظ متعددة, والأصل أن اختلاف اللفظ يدل على اختلاف المعنى, لكن بعض العلماء قال: إن وصف الحاكم بالكفر لا يمنع من وصفه بالفسق لأن الله تعالى وصف الكفار بالفسق فقال تعالى: **((وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها))** ووصف الكافرين بالظلم فقال: **((والكافرون هم الظالمون))** فجعل هذه الأوصاف الثلاثة جعلها لموصوف واحد, ولا مانع من أن يوصف الإنسان بعدة أوصاف, فالكافر لا شك أنه ظالم, ولا شك أنه فاسق خارج عن الطاعة, بل فسقه فسق مطلق, وفسق المؤمن العاصي فسق مقيد, ولكننا إذا جعلنا اختلاف هذه الألفاظ منزلا على أحوال كان أبلغ, لأننا نقول الكفر متضمن للظلم والفسق, فدلالته عليه بالالتزام فيكون مجرد وصفنا إياه بالكفر هو وصف له بالظلم والفسق, ثم نستفيد فائدة جديد بالحكم بغير ما أنزل الله حيث يكون ظلما محضا لا كفرا أو فسقا لا كفرا، ...
لا, أنا أقول إن كوننا نجعل الاختلاف في اللفظ اختلافا في المعنى أحسن لأن هذا هو الأصل, وقد قال العلماء في هذه المسألة: حمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التوكيد, نعم .
الطالب : ...
الشيخ : لا ما قلنا هكذا, يقول إننا قلنا: أن ما ينزل من السماء فهو أعيان وأوصاف؛ لا أبدا ما قلنا هذا, هل نحن قلنا: ما ينزل من السماء, أو ما يضاف إلى الله مما أنزل ؟ أي فرق بينه وهذا, فرق, لأنه على كلامك يقتضي أن الغنم تنزل من السماء, والبقر تنزل من السماء, قلنا: ما يضاف إلى الله إنزاله إما أن يكون أعيانا وإما أن يكون أوصافا, فإن كان أوصافا فهو وصف لله, وإن كان أعيانا فهو أعيان قائمة بنفسها؛ نعم، ...
ما هي أوصاف, الصحيح أن الروح جسم, لكنه جسم ليس كالأجسام المعروفة الكثيفة, نحن قلنا: أن ما أنزله الله تعالى ينقسم إلى قسمين, والله تعالى لم يذكر أنه أنزل الروح, نعم .
الطالب: قول بعض المفسرين في قوله تعالى: **((ذلكم بأنه إذا دعي**

الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا)) يقول: **" فيه متروك استغني عنه بدلالة الظاهر عليه ومجازه ألا سبيل إلى ذلك "** ؟
الشيخ : هذا قصده لما قالوا: **((فهل إلى خروج من سبيل))** كأنه قال: لا سبيل إلى الخروج لأنكم قدمتم لأنفسكم ما لا يمكن معه الخروج, وهو أنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا .
الطالب : هل قوله: **((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون))** إذا استحله, أما إذا لم يستحله فهذا غير كافر ؟
الشيخ : ... هو على كل حال الذي يضع القانون بدلا عن القانون السماوي هل استحله أو لا ؟ ...
بل رآه أفضل, فيكون كافرا, مع أن من استحل الحكم بغير ما أنزل الله وإن لم يحكم به فهو كافر, من قال: إنه يحل أن نحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر وإن لم يحكم.
وهذه مشكلة كثيرا ما يلجأ بعض الناس إلى الاستحلال أو إلى الجحود, مثلا يقول: من ترك الصلاة جاحدا فقد كفر, هذا تحريف للكلم عن مواضعه, وهذه مسألة أخبركم بأنه يلجأ إليها المتعصب لقوله, فيحاول أن يلوي أعناق النصوص إلى ما يقول, فمثلا: **(من ترك الصلاة فقد كفر)** الذين قالوا لا يكفر ماذا عملوا ؟ قالوا من تركها جاحدا لوجوبها فقد كفر, نحن نقول: سبحان الله أنتم إذا فعلتم ذلك جنيتم مرتين على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم, المرة الأولى حملكم الكلام على غير ظاهره, والمرة الثانية إثبات أمر لم يقله الرسول عليه الصلاة والسلام, الرسول قال: **(من تركها)** ولم يقل من جحدها هل في لسانه عي أن يقول من جحدها, ثم نقول لكم: الجحد كفر وإن صلى, والرسول يقول: **(من ترك الصلاة)** لو أن الإنسان قال: إن الصلاة ليست بواجبة, ولكنه أو من يواظب عليها وهو أول من يأتي للمسجد وآخر من يخرج يكفر, كيف تلغون وصف الترك وتأتون بوصف جديد تعلقون به الحكم, وهذه مشكلة.
ولما قيل للإمام أحمد في قوله تعالى: **((ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزائه جهنم خالدا فيه وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما))** قالوا له: إن فلانا يقول هذا فيمن استحل قتل المؤمن؛ ضحك الإمام أحمد قال: **" سبحان الله من استحل قتل المؤمن فهو كافر قتله أو لم يقتله "** وهذا تحريف لا شك أنه مضحك, كذلك

أيضا من استحل الحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر سواء حكم أم لم يحكم, والآية علقت الحكم بالحكم **((ومن لم يحكم بما أنزل الله))** أعرفت الآن, وهذه مسألة احذروها, احذورا تحريف الكلم عن مواضعه من أجل اعتقاد تعتقدونه, واجعلوا اعتقادكم وحكمكم على الشيء تابعا للنصوص لا تجعلوا النصوص تابعة, إذا جعلت النص تابعا لما تعتقد فإن هذا هو إتباع الهوى تماما, اجعل نفسك بين يدي النصوص كالميت بين يدي الغاسل, تقلبك النصوص ولا تقلبها, هذا هو المؤمن, لكن نعم قد يكون أحيانا النصوص بعضها يقيد بعضا أو يخصص بعضا, أو الفقه بالشريعة يقتضي تقييد المطلق أو تخصيص العام وما أشبه ذلك, وهذا لا يخرج بنا عن إتباع النصوص, نعم .

القارئ : **((رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))** [غافر :17].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون))** لما بين الله سبحانه وتعالى أنه أرانا آياته الكونية والشرعية أمرنا أن ندعوه وحده مخلصين له الدين؛ فقوله: **((فادعوا الله))** قال المفسر: **" اعبدوه "** وهذا أحد معنيين الدعاء, والمعنى الثاني دعاء المسألة, يعني اسألوه, والصواب أنه شامل للأمرين, أي دعاء المسألة ودعاء العبادة, فالعبادة تسمى دعاء كما في قوله تعالى: **((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))** [غافر :60] قال: **((ادعوني))** ثم قال: **((إن الذين يستكبرون عن عبادتي))**؛ وأما دعاء العبادة فإن كل إنسان يدعوا الله سبحانه وتعالى فإنه لا يدعوه إلا وهو يؤمن أنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير فلهذا دعاه, فصار بذلك عابدا له, قال: **((فادعوا الله مخلصين له الدين))** مخلصين حال من الواو في قوله: **((فادعوا الله))** والإخلاص التنقية, تنقية الشيء تسمى إخلاصا, والمعنى: نقوا دينكم من الشرك.

وقوله: **((له الدين))** المراد بالدين العمل سواء كان عبادة أم دعاء, والدين يطلق على العمل ويطلق على جزاء العمل, فقوله تعالى:

((لكم دينكم ولي دين)) هـذا مـن بـاب إطلاق الـدين علـى العمـل, وقوله تعالى : **((مالك يوم الدين))** هذا من بـاب إطلاق الـدين علـى الجزاء, ويقال: **" كما تدين تدان "** أي كما تعمـل تجـازى, فالـدين هنـا بمعنى العمل.

" ((مخلصين له الدين)) من الشرك " كمـا قـال المؤلـف رحمـه الله تعالى, أن ندعو الله تعالى مخلصين له الدعاء, وأن نعبـده مخلصـين له العبادة من الشرك, فلا نشرك به غيره لا في دعائنا ولا في عبادتنا.

" ((ولو كره الكافرون)) إخلاصكم " يعني: ادعـوا اللـه مخلصـين على كل حال سـواء رضـي الكـافرون أم سـخطوا, ومـن المعلـوم أنهـم سوف يسخطون, لكن لا يهم أن يسـخطوا علينـا إذا أخلصـنا الـدين للـه, وقول المؤلف: **" ولو كره الكـافرون إخلاصـكم "** ينبغـي أن يقـال: ولو كرهوا عملكم المخلص, لأن الإخلاص نية القلب, والكافر إنمـا يكـره ما يظهر من عمل الإنسان, فالمعنى: ولو كـره الكـافرون عملكـم الـذي تخلصون فيه لله على رغم أنوفهم.

ثم قال: **" ((رفيع الدرجات)) أي الله عظيم الصفات, أو رافع درجات المؤمنين في الجنة "** قوله: **((رفيع))** من الرفعـة وهـي العلو, فسرها المؤلـف رحمـه اللـه وعفـا عنـه بأحـد معنييـن, أن المـراد بالرفعة العظمة والمراد بالـدرجات الصـفات, أي أن اللـه تعـالى عظيـم الصفات, والمعنـى الثـاني رفيـع الـدرجات أي رافـع درجـات غيـره وهـم المؤمنون في الجنة, وكلا المعنيين تحريف للكلم عن مواضعه, لأن رفيـع اسم فاعل أو صفة مشبه فاعلها يعود على اللـه عـز وجـل المـذكور فـي قوله: **((فادعوا الله مخلصين له الدين))** وعلـى هـذا فلا يصـح أن تفسر بأن المراد رافع درجات المـؤمنين لأنـه علـى هـذا التفسـير تكـون الـدرجات درجـات غيـره, درجـات المـؤمنين, ولا يصـح أن تفسـر رفيـع الدرجات بعظيم الصفات لما بينهما من الفرق العظيم, لكن المؤلف عفا الله عنه فسرها بهذا التفسير فرارا من إثبات العلـو الـذاتي لأنـه ممـن لا يرون ذلك أنه عال بذاته, فلهذا حرف القـرآن إلـى أحـد هـذين المعنييـن وكلاهما باطل, والصـواب أنـه سـبحان هـو رفيـع الـدرجات, ويـدل لهـذا ويعينه قوله: **((ذو العرش))** أي صاحب العـرش والعـرش هـو أعلـى المخلوقات, فكأنه قال رفيع الدرجات فوق العرش, وهذا هو المتعين.

وقول المؤلف: **" خالقه "** فيـه أيضـا إشـارة إلـى إنكـار الاسـتواء, لأن معنى ذو العرش أي صاحبه المسـتوي عليـه, هـذا هـو المعنـى, ولهـذا لا

يقال: ذو الأرض ولا ذو السماء ولا ذو الجبال ولا ذو السحاب مع أنه خالقها, فتفسيره ذو العرش بخالقه لا شك أنه تحريف للكلم عن مواضعه فرارا من إثبات الاستواء على العرش, وتفسير الآية المتعين أن نقول: إنه رفيع الدرجات أي هو نفسه عز وجل مرتفع, بل رفيع الدرجات أتى بالصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام, والدرجات من الدرجات المعروفة أي ما كان بعضه فوق بعض حتى يصل إلى الغاية, وأما ذو العرش فمعناه صاحب العرش المختص بالاستواء عليه, هذا هو المتعين من الآية.

" ((يلقي الروح)) الوحي ((من أمره)) أي من قوله ((على من يشاء من عباده)) إلى آخره " **((يلقي الروح))** الروح الوحي لقوله تعالى: **((وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا))** وسمى الله تعالى الوحي روحا لأن به حياة القلوب, وقوله: **" ((من أمره)) أي قوله "** وهذا جيد, هذا التفسير, يعني أن الوحي من قول الله عز وجل يقول فيسمع جبريل ثم ينزل به إلى من شاء الله سبحانه وتعالى, وقوله: **((على من يشاء من عباده))** ولم يبين من هؤلاء, ولكننا نعلم أنهم الأنبياء لأنهم هم الذين يلقى إليهم الوحي سواء كانوا رسلا أم غير رسل, ثم إن قوله: **((على من يشاء))** إطلاق المشيئة في كل موضع جاءت في القرآن مقيد بالحكمة, كلما رأيت الله يقول يشاء فإنه مشيئة مقرونة بالحكمة لقوله تعالى : **((لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين))** ولقوله تعالى : **((وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما))** ومن هؤلاء الذين يشاء الله تعالى أن يلقي عليهم الروح ؟ بينهم الله في قوله : **((الله أعلم حيث يجعل رسالته))** وقوله: **((من عباده))** المراد بالعباد هنا العبودية الخاصة, وهم الذين آمنوا بالله عز وجل بل ما هو أخص وهم الرسل.

((لينذر يوم التلاق)) قال: " ((لينذر)) يخوف " واللام هنا للتعليل, والإنذار هو الإعلام المقرون بالتخويف ولهذا قال المؤلف: **" ليخوف "** تفسيرا بلازمه وإلا فإن الإنذار إعلام مقرون بتخويف, وقوله: **" الملقى عليه الناس "** أفادنا المفسر رحمه الله أن فاعل ينذر هو الملقى عليه وهو الرسول, ولا شك أنه هو المنذر مباشرة, ويحتمل أن الفاعل يعود على فاعل يلقي الروح وهو الله عز وجل, أي لينذر الله, والحكمة من عدم ذكر الفاعل والله أعلم ليصلح الفعل للأمرين, أي

ليكون صالحا لأن يعود الإنذار إلى الله وأن يعود إلى الرسـول, فـإن عـاد إلى الله فلأنه الأصل, وإن عاد إلى الرسول فلأنه المبلغ المباشر للإنذار.
وقوله: **" الناس "** هذا تقدير للمفعول الأول الذي هو مفعول ينـذر, لأن ينذر تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر, المفعـول الأول يكـون محذوفا أو المفعول الثاني يكون محذوفا قال الله تعالى : **((وأنـذرهم يوم الآزفة))** هذا موجود فيه المفعولين جميعا **((وأنذر الناس يوم يأتيهم))** كذلك المفعولان جميعا, وقد يحـذف أحـدهما إمـا الأول وإمـا الثاني لدلالة السياق عليه.
" ((لينـذر يـوم التلاق)) **بحـذف اليـاء وإثباتهـا "** أي أن فيهـا قراءتين التلاقي بالياء, والتلاق بحذف الياء, أما إثبات الياء فلأنـه الأصـل, وأما حذف الياء فللتخفيف, مثـل قـوله تعـالى: **((الكبير المتعـال))** أصلها المتعالي لكن حـذفت اليـاء للتخفيـف, فهنـا التلاق أصـلها التلاقـي وحذفت الياء للتخفيف, ويوم التلاق هو يوم القيامة وعلـل المفسـر ذلـك بقـوله: **" لتلاقـي أهـل السـماء والأرض, والعابـد والمعبـود, والظالم والمظلوم فيه "** أي في ذلك اليوم, ولو قلنـا بمعنـى أعـم: لتلاقي الخلائق في ذلك اليوم, لأن كل شيء يلاقيه الآخر حـتى الوحـوش **((وإذا الوحوش حشرت))** فسمي يوم التلاقي لتلاقـي الخلـق فيـه, يحشر الله عز وجل الخلائق كلها في ذلك اليوم فيتلاقون.
من فوائد هذه الآيات والتي قبلها: وجوب الإخلاص لله تعالى فـي الـدعاء لقوله: **((فادعوا الله مخلصين))** ودعاء غير الله فيما لا يقـدر عليـه المدعو يعتبر من الشرك, ثم قد يكون شركا أكبر وقد يكون شركا أصغر بحسب الحال, فمن دعا قبرا فهذا شرك أكـبر, ومـن دعـا غيـره ليحمـل معه متاعه وما أشبه ذلك والغير لا يستطيع أن يحمل فهـذا ليـس بشـرك أكبر, بل هو إما عبث وإما شرك أصغر, ومن دعا غائبا لينقـذه مـن شـدة فهذا شرك أكبر, لأن هذا يسمى شرك السـر, إذ أن الغـائب لا يمكـن أن يدعوه الإنسان إلا وهو يعتقد أن له تصرفا في الكون, يتصرف وهو بعيـد, بخلاف من دعا قريبا وقال: يا فلان احمل معي كذا أعني على كذا, فهـذا يدعوه ليقوم بشيء محسوس.
ومن فوائدها أيضا: وجوب إخلاص العبادة لله لأننا فسرنا الـدعاء بـدعاء المسألة ودعاء العبادة, وجوب إخلاص العبادة لله, فمـن تعبـد لغيـر اللـه استقلالا فقد صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فيكون بذلك مشـركا شركا أكبر, يعني من صلى لشخص فإنه يكون مشركا شركا أكبر, أو ذبح

لشخص تقربا إليه وتعظيما له فإنه يكون مشركا شركا أكبر مخرجا عن الملة, وأما إذا فعل العبادة لله لكن رائى فيها أو سمع فهذا لا يكون مشركا شركا أكبر ولكنه مشرك شركا أصغر, وعبادته مردودة عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك, من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**.

ثم اعلم أن الرياء إذا طرأ على القلب فإن كان قبل الدخول في العبادة أبطلها من أصلها, لأنه دخل فيها على شرك, وإن كان في أثناء العبادة فإن كان آخرها ينبني على أولها بطلت, وإن كان لا ينبني على أولها بحيث يصح أن نميز الأول عن الثاني فإنه لا يصح ما فيه الرياء ويصح ما سبق الرياء, مثال الأول: إذا دخله الرياء في أثناء الصلاة في الركعة الثانية, فإن الصلاة تبطل كلها, لأنه إذا بطلت الركعة الثانية لزم بطلان الركعة الأولى, لأن الصلاة لا تتبعض, ومثال الثاني: رجل أعد مائة صاع للصدقة بها فتصدق بخمسين صاعا صدقة خالصة ثم دخله الرياء في الأصواع الباقية, فهنا تبطل الأصواع الباقية أما الأولى فتصح, وذلك لأن هذه العبادة أعني الصدقة تتبعض ولا ينبني آخرها على أولها, حتى لو فرض أنها مما عينه الشرع كإطعام ستين مسكينا مثلا في الكفارة, فأطعم ثلاثين مسكينا بإخلاص ثم بعد ذلك دخله الرياء فإن ما سبق الثلاثين الأخيرة يكون مجزيا؛ هذا إذا استرسل مع الرياء وأما إذا طرأ عليه الرياء فدافع وما زال جاهدا في مدافعته فإنه لا يضره شيئا, لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)** وهذا لم يعمل ولم يتكلم, بل ربما أنه لم يحدث نفسه لكن هاجمه الرياء.

فصار الآن من فعل العبادة لغير الله يعني تعبد لغير الله فحكمه شرك أكبر, ومن فعل العبادة لله لكن دخلها الرياء: إن كان آخرها ينبني على أولها بمعنى أنها لا تتبعض ...,

طيب قيدنا هذا التفصيل إذا استرسل مع الرياء واستمر المرائي, طيب فإن دافعه فلا شيء عليه ولا يضره ذلك.

من فوائد هذه الآية الكريمة : مراغمة الكفار في الإخلاص لله وفي العمل لقوله: **((ولو كره الكافرون))** وينبني على ذلك أنه يجب على الإنسان أن يقوم بالواجب ولو كره ذلك غيره, ولا يحابي أحدا في هذا, فمثلا إذا كره أبو الشاب أن يصلي ابنه مع الجماعة ـ كما يوجد الآن

ـ فهل يداهن أباه في ذلك ؟ لا, يصلي مع الجماعة ولو رغم أنف أبيه, ولو كره ذلك؛
ولو وصل الشاب رحمه كعمه وخاله وما أشبه ذلك, وكان بينه وبين أبيه عداوة شخصية فكان يكره لابنه أن يصل أقاربه الذين يكرههم أبوه, فهل يواصلهم ولو كره أو لا ؟ نعم يواصلهم ولو كره, لكن في هذه الحال يداري أباه, بمعنى أنه يكتم عنه أنه وصلهم لتحصل المصلحة بدون مفسدة, وهناك فرق بين المداراة والمداهنة, المداراة أن يفعل الإنسان ما يلزمه مع التكتم عن الشخص الآخر الذي يكره, ولهذا سميت مداراة من الدرء وهو الدفع؛ وأما المداهنة فأن يوافقه في ترك ما يجب مداهنة له, مأخوذة من الدهن لأنه يلين, فعلى كل حال نقول يتفرع على هذه الفائدة أن الإنسان يفعل ما يلزمه ولو كره ذلك غيره ولو كان الكاره أقرب أهله إليه.
ثم قال: **((رفيع الدرجات))** إلى آخره من فوائد هذه الآية: إثبات علو الله عز وجل خلافا للمؤلف المفسر, لقوله: **((رفيع الدرجات))** ونقصد بالعلو علو الذات أما علو الصفة فقد أقر به المؤلف بقوله: **" أي عظيم الصفات "** ففي هذه الآية إثبات علو الذات ذات الله عز وجل لقوله: **((رفيع الدرجات)).**
وهذا مر علينا كثيرا وبينا أن الأدلة الخمسة كلها تدل على علو الله الكتاب والسنة والإجماع السلف والعقل والفطرة طيب.
ومن فوائد الآية الكريمة :فضل العرش لقوله: **((ذو العرش))** فإن اختصاص العرش بالله عز وجل لا شك أنه فضل عظيم .
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات العرش لقوله: **((ذو العرش)).**
ومن فوائدها : إثبات عظمة الله لأن العرش يختص بالملك والسلطان, فلا يقال للرجل الجالس على الكرسي أنه على عرش, لكن يقال للملك والسلطان الجالس على الكرسي الفخم العظيم يقال له صاحب عرش.
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات منة الله سبحانه وتعالى على من يشاء بالوحي لقوله : **((يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده))** .
ومن فوائدها: أن الوحي روح تحيا به القلوب لقوله: **((يلقي الروح من أمره)).**
ومن فوائدها: إثبات القول لقوله: **((من أمره))** والله سبحانه وتعالى يقول ويتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء, لا نحجر على ربنا سبحانه

وتعالى في الكلام لا وقتا ولا كيفية, بل له أن يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء.
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات المشيئة لقوله: **((على من يشاء))**.
ومن فوائدها :أن مرتبة النبوة لا تنال بالكسب والفتوة كما قال السفاريني في العقيدة, وإنما هي فضل من الله سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن العلماء لهم حظ ونصيب من الروح التي يلقيها لله تعالى على الرسل لأنهم ورثة الأنبياء, فلهم حظ ونصيب من هذه الروح التي يلقيها الله على من يشاء, لكن لهم حظ من هذه الهداية هداية الدلالة والبيان, ثم قد يكون لهم حظ من هداية التوفيق وقد لا يكون, لأن العالم قد يعمل بعلمه فيكون له حظ من الهدايتين هداية الإرشاد وهداية التوفيق, وقد لا يعمل بعلمه فيكون له حظ من هداية العلم والإرشاد لكنها صارت وبالا عليه حيث خالف مع العلم بالحق, وهذا أشد ممن خالف بدون علم بالحق.
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الوحي الذي ينزله الله عز وجل على من ينزله من عباده الحكمة منه إنذار الناس يوم القيامة **((لينذر يوم التلاق))**.
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات الحكمة لله وأن أفعاله مقرونة بالحكمة.

السائل: ...
الشيخ: **((وإن يوما عند ربك كـألف سـنة ممـا تعـدون)** وقـال : **((يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثـم يعـرج إليـه فـي يـوم كان مقداره ألف سنة))** لكن يـوم القيامـة لـم يـرد فيـه إلا خمسـين ألف سنة: **((في يوم كان مقـداره خمسـين ألـف سـنة))** وفـي الحديث الصحيح في قصة مانع الزكاة: **(في يوم مقـداره خمسـين ألف سنة)** وعلى هذا فاليوم الذي عند ربنا كألف سنة ما ندري مـا هـذا اليوم, هـو يـوم مجهـول لنـا, أمـا: **((يدبر الأمر مـن السـماء إلـى الأرض ثم يعرج إليه في يوم مقداره ألـف سـنة))** فهـذا لأن مـا بين السماء والأرض خمسمائة سنة, فإذا كان ما بينهمـا خمسـمائة سـنة فإن صعود الأمر إلى الله ثم رجوعه يكون ألـف سـنة, فالأيام ثلاثـة يـوم مقداره خمسون ألف سنة وهذا يوم القيامة, ويوم عند الله لا نعلم ما هو مقداره ألف سنة, ويوم مقداره ألف سنة فـي تـدبير الأمـر مـن السـماء إلى الأرض ثم عروجه إلى الله عز وجل .
الطالب : ... قلنـا الـوجه الثـاني فـي: **((ما للظـالمين مـن شـفيع يطاع))** أن يقام ثم يرد, ما حال الشفيع الذي يقام ثم يرد, هل هـو مـن تقبل شفاعته أو أنه هو مثله ؟
الشيخ : لا, تمثل لهـم أصـنامهم حـتى الـذي يعبـدون عيسـى يمثـل لهـم عيسى عليه الصلاة والسلام.
الطالب: ...
الشيخ : هو لا يعارضه لأن يوم القيامة كما تعرف خمسون ألف سنة, ... يفرغ منهم في نصف يوم, الساعة تطلق على الزمن القليـل والكـثير إلا إذا فصلت مثل من جاء في الساعة الأولى من يوم الجمعة من جـاء فـي الثانية من جاء في الثالثة.
الطالب : ما المراد بقول المفسر: **" عوملت بالجمع بالياء والنـون "** ؟
الشيخ : **((كاظمين))** ما قال: إذ القلوب لدى الحنـاجر كاظمـة, لأنـه لـو جـرى الوصـف للقلـوب لقـال: إذ القلـوب لـدى الحنـاجر كاظمـة **((قلوب يومئذ واجفة))** وأنا ذكرت لكـم أنـه لا يجمـع جمـع المـذكر السالم بالواو والنون إلا العاقل .
الطالب : **" كل آت قريب "** ... ؟
الشيخ : ما سمعنا بهذا إلا صـباح هـذا اليـوم, الـذي نسـمع والـذي يريـده

الناس إذا قال: **" كل آت قريب "** أن المستقبل قريب, ... حتى واحد يوعدك يقول: إن شاء الله أمر عليك بعد ستة أشهر قال: بعيد قال: كل آت قريب, هذا الذي يستعمله الناس .

القارئ : **((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ))**[غافر :22].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((وأنذرهم يوم الآزفة))** ما معنى أنذرهم ؟

الطالب: الإنذار هو التخويف,

الشيخ : نعم التخويف, وإن شئت فقل الإعلام بتخويف, أن تخبرهم إخبارا مقرونا بالتخويف طيب.

الشيخ : ما المراد بيوم الآزفة ؟

الطالب: يوم القيامة.

الشيخ : ما معنى الآزفة ؟

الطالب: الآتية.

الشيخ : لا, القريبة طيب.

الشيخ : قوله : **((إذ القلوب لدى الحناجر))** ما هي الحناجر ؟

الطالب: طرف في الحلق, ما بين الوجه والصدر.

الشيخ : الرقبة يعني ؟ لا.

الشيخ : ما بين الترقوتين هذه الحناجر طيب.

الشيخ : ما معنى قوله: **((لدى الحناجر))** كيف ذلك ؟ ترتفع القلوب إلى الحناجر من شدة الخوف.

الشيخ : تكلم المؤلف رحمه الله عن (كاظمين)؟

الطالب: أنها حال من صاحب القلوب.

الشيخ : حال من القلوب ؟ وين أصحاب القلوب ؟ حال من القلوب باعتبار أصحابها.

الشيخ : لماذا اضطر إلى القول باعتبار أصحابها ؟

الطالب: لأن جمع المذكر السالم لا يكون إلا للعاقل, والقلوب ليست

عاقلة فنقلت إلى أصحاب القلوب.
الشيخ : طيب صحيح, لا يقال القلوب كاظمين يقال الرجال كاظمين أو ما أشبه ذلك, لكن لما كان المراد بالقلوب أصحابها صح مجيء الحال منها, نعم ما معنى كاظمين ؟ ممتلئين غما طيب.
الشيخ : ما معنى قوله: **((ولا شفيع يطاع))** ؟ كلمة يطاع ؟ هل معناه أن هناك شفعاء لا يطاعون أو ما المعنى ؟
الطالب: فيها وجهان: إما أنها صفة كاشفة يعني ليس هناك شفعاء, أو أنهم تمثل لهم أصنامهم ولكن لا تشفع لهم, وكذلك عيسى ابن مريم.
الشيخ : يعني لا تطاع هذه الأصنام ولو شفعت طيب؛ وعلى هذا فتكون الصفة مقيدة **((ولا شفيع يطاع))** أي يشفع ولكن لا يطاع طيب.
الشيخ : لماذا لجئنا إلى هذا التأويل ؟
الطالب: لأنه وردت آيتان في إثبات الشفاعة وانتفاء الشفاعة.
الشيخ : ما هي الآية الثانية ؟
الطالب: قوله تعالى: **((فلما لنا من شافعين))**.
الشيخ : نعم **((فلما لنا من شافعين))** وقوله تعالى : **((ولا يشفعون إلا لمن ارتضى))** وهؤلاء لا يرتضيهم الله, طيب .
الشيخ : نرجع الآن إلى استنباط من الآية الفوائد قال الله تبارك وتعالى : **((وأنذرهم يوم الآزفة))** .
يستفاد من هذه الآية فوائد منها: وجوب الإنذار على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله: **((وأنذرهم))** والأصل في الأمر الوجوب لاسيما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكلف بذلك.
ومن فوائدها: أنه ينبغي للداعية أن يكون مخوف أحيانا ومبشرا أحيانا, أما البشارة أحيانا ففي آيات كثيرة: **((وبشر المؤمنين)) ((وبشر الذين آمنوا))** وما أشبه ذلك وأما الإنذار فكذلك في مثل هذه الآية, فالداعية ينبغي أن يكون منذرا مبشرا من أجل أن يحرك القلوب.
ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي في الإنذار أن يذكر الناس أحوال يوم القيامة وأهوالها لقوله : **((وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب))**.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الآية قريبة لقوله: **((يوم الآزفة))** والقرب هنا يعني أن الوقت يمضي بسرعة حتى لا يشعر الإنسان إلا وقد قامت القيامة, إما قيامته هو, وتسمى القيامة الصغرى أو القيامة العامة.
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان هذا التمثيل العظيم في حال الناس ذلك

اليوم **((إذ القلوب لدى الحناجر))**.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذه الحال عامة للمؤمنين وللكافرين دليل ذلك عموم قوله: **((إذ القلوب))** ثم قوله: **((ما للظالمين من حميم))** فدل ذلك على أن الآية عامة, ولكن هل يلحق المؤمنين شر من ذلك اليوم ؟ لا, لقول الله تعالى : **((فوقاهم الله شر ذلك اليوم))** ومجرد الهم والغم لا يلزم منه الشر والضرر .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن القلوب عند شدة الخوف ترتفع حتى تبلغ الحناجر, وهذا يشهد به الواقع قال الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب: **((وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر))** والإنسان في نفسه أيضا يحس أنه إذا خاف خوفا شديدا وكأن قلبه قد علق في حنجرته .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الناس في ذلك اليوم مع شدة الخوف يمتلئون غما لقوله: **((كاظمين))** والغم هو التحزن أو التهيؤ لما يستقبل, فالغم في المستقبل, والهم والحزن في الماضي.
ومن فوائد الآية الكريمة: تقطع الأسباب بالظالمين فلا يجدون حميما ولا شفيعا لقوله : **((ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع))** والمراد بالظالمين ما سبق وهم الكافرون.
فإن قال قائل: الظلم أعم من الكفر فكيف فسرتم الظلم هنا بالكفر ؟
قلنا: لأن الله تعالى قال: **((والكافرون هم الظالمون))** ولأن ما دون الكفر من المعاصي تمكن فيه الشفاعة, فإن الشفاعة ثابتة لأهل الكبائر من هذه الأمة.
ومن فوائد الآية الكريمة: تحذير هؤلاء الكفار من ذلك اليوم فإنهم في الدنيا يجدون من يناصرهم ويواليهم ويساعدهم ويعاونهم ولكن في الآخرة لا يجدون شيئا من ذلك.
ثم قال الله تبارك وتعالى : **((يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور))** يعلم: الفاعل هو الله عز وجل, خائنة الأعين: هذا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها أي الأعين الخائن, وخيانة العين مسارقتها النظر إلى الشيء المحرم, يعني أن الإنسان قد ينظر إلى شيء محرم وجليسه إلى جانبه لا يشعر بذلك لأنه يسارقه النظر, كأنما يتحين الفرص في غفلة صاحبه حتى ينظر إلى ما حرم الله عز وجل هذه واحدة.
ثانيا: قد ينظر الإنسان النظر بدون مسارقة بل بمجاهرة ولا يحس جليسه أنه ينظر نظرا محرما, لذلك حذر الله عز وجل من هذه الحال

فقال: **((يعلم خائنة الأعين)).** قال المفسر: **" بمسارقتها النظر إلى محرم ((وما تخفي الصدور)) القلوب "** فسر المؤلف الصدور بالقلوب لأنها في الصدور كما قال الله تعالى : **((فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور))** فبين الله عز وجل هنا دقة علمه ولطف علمه بأنه يعلم حتى هذه الحال التي لا يعلمها الناس الذين يشاهدون **((يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور))** نعم.

((والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير)) والله يقضي بالحق: الجملة معطوفة على قوله: **((يعلم))** ويقضي بالحق أي يحكم به شرعا وقدرا, لأن القضاء أعني قضاء الله عز وجل على قسمين:

قضاء كوني كقوله تعالى : **((وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا))** وقضاء شرعي كقوله تعالى : **((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه))** قضى يعني قضاء شرعي, ومعناها وصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه, فهنا يقول الله يقضي بالحق, هل المراد القضاء الكوني أو القضاء الشرعي ؟ المراد الأمران جميعا, أي أنه يقضي قضاء كونيا بالحق فليس في قضائه الكوني عبث ولا لعب **((وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق))** وكذلك يقضي قضاء شرعيا بالحق فقضائه سبحانه وتعالى الشرعي كله حق لأنه خير فيأمر به أو شر فينهى عنه, وهذا هو الحق, إذن الله يقضي بالحق بالنوعين القضاء الكوني والقضاء الشرعي, طيب **((والذين يدعون من دونه))** الواو هنا عاطفة ويجوز أن تكون استئنافية.

((والذين يدعون)) قال: **" يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء "** هنا تفسير لكلمة يدعون, وتفسير للضمير الواو, وقراءة, أما القراءة فقد ذكر المؤلف أن فيها قراءتين: القراءة الأولى يدعون بالياء, والقراءة الثانية تدعون بالتاء على سبيل المخاطبة, وكلاهما قراءتان سبعيتان.

وأما يدعون ففسرها بكلمة يعبدون, والصواب أن المراد بها يعبدون ويسألون لأنهم هم يعبدون الأصنام ويسألونها جلب المنافع ودفع المضار ويعبدونها أيضا بالركوع والسجود والنذور وغير ذلك.

وأما الواو ففسرها المؤلف بكفار مكة فجعل الضمير عائدا إلى كفار

مكة, وهنا نسأل هلا يوجد أحد يعبد الأصنام ويدعوا الأصنام إلا كفار مكة ؟ يوجد منهم ومن غيرهم, وإذا كان كذلك فإن تفسير العام بالخاص نقص في التفسير, فالتفسير المطابق للواو أن تكون عامة لكل من يدعوا من دون الله من كفار مكة أو كفار المدينة أو كفار الطائف أو كفار العراق أو كفار الشام أو كفار هذه الأمة أو كفار من قبلها, عامة كل من يدعوا من دون الله فإنه يدعوا من لا يقضي بشيء.

وقوله: **((من دونه))** أي من دون الله, والدون هنا بمعنى سوى أي: من سوى الله عز وجل وهم الأصنام, هنا قال المؤلف: **" وهم الأصنام "** وكان مقتضى اللغة العربية أن يقول وهي الأصنام لأن الجمع لغير ما يعقل لا يعود عليه ضمير ما يعقل, هم للعقلاء, طيب ولكن المؤلف عدل عن الأصل وهي الأصنام لمراعاة قوله: **((والذين يدعون))** كما تعرفون هذه للعاقل, وذلك أن الله تعالى جعل هذه المعبودات نزلها منزلة العقلاء, ومع كونها منزلة منزلة العقلاء لا تقضي بشيء.

((والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء)) ولم يقابل هذه الجملة بالجملة التي قبلها بل جعلها أعم, في الجملة الأولى قال: **((والله يقضي بالحق))** وهنا قال: **((لا يقضون بشيء))** ولم يقل: لا يقضون بالحق, إشارة إلى أنها لا تقضي لا بحق ولا بباطل فليست أهلا لأن تعبد من دون الله عز وجل طيب, **((لا يقضون بشيء))** أبدا لا شرع ولا قدر ولا حق ولا باطل, فكيف يكونون شركاء لله ؟ هذا محط النفي, يعني إذا كانت هذه الأصنام لا تقضي بشيء فكيف تجعل شريكة لله, وهذا يعني توبيخ هؤلاء الذين يعبدون هذه الأصنام من دون الله **((إن الله هو السميع العليم)) " ((السميع)) لأقوالهم ((البصير)) بأعمالهم "** وهو في قوله: **((هو السميع))** يجوز أن تكون ضمير فصل ويجوز أن تكون مبتدأ, والجمل خبر إن, لكن هي ضمير فصل أحسن منها مبتدأ.

يقول الله عز وجل : **((يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور))**

في هذه الآية فوائد منها: عموم علم الله عز وجل بكل شيء حتى في الأشياء الخفية يعلمها عز وجل.

ومن الفوائد: لطف علم الله ودقة علم الله وأنه يصل إلى أشياء لا تصل إليها علوم الآخرين وهي خيانة الأعين وما تخفيه الصدور, فإن هذا لا يعلمه إلا الله حتى الذي إلى جنبك لا يعلم.

ومنها التحذير من مخالفة أمر الله وجهه أنه يعلم, فإياك إياك أن تخالف الله عز وجل لا في سرك ولا في جهرك.
ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى أن القلوب في الصدور لقوله: **((وما تخفي الصدور))** والإخفاء والإسرار يكون بالقلب فلهذا قال: **((وما تخفي الصدور))**.
ثم قال: **((والله يقضي بالحق))** إلى آخرها.
من فوائدها إثبات أن قضاء الله تعالى كله حق لقوله: **((يقضي بالحق))** سواء كان القضاء كونيا أم شرعيا.
ومن فوائد الآية الكريمة: الثناء على الله عز وجل بهذه الصفات الكاملة وهي قضاء الحق وأنه لا يفعل شيئا سدى أو عبثا بل كل ما يقضيه فإنه حق.
ومن فوائد الآية الكريمة: التنديد بعباد الأصنام حيث عبدوا مع الله من ليس بشيء بالنسبة لله عز وجل لقوله: **((والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء)).**
ومن فوائد الآية الكريمة أن هذه الأصنام لا تنفع عابديها إطلاقا لقوله: **((لا يقضون بشيء))** وشيء نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء.
فإن قال قائل: إن من القوم الذين يدعون مع الله إلها آخر من إذا دعوا هذه الأصنام أجابتهم فإذا دعوها لكشف الضر انكشف الضر عنهم ومن الناس من إذا خالف هذه الأصنام أصيب ببلاء, فما هو الجواب ؟ الجواب أن يقال هذا الذي يحصل يحصل من الله عز وجل لا من هذه الأصنام ابتلاء وامتحانا, ويقال فيه إنه حصل عند ذلك لا به, يعني حصل هذا القضاء من الله عز وجل عند دعاء هذه الأصنام لا بدعاء هذه الأصنام.
فإن قال قائل: لماذا تعدلون عن السبب الظاهر إلى سبب آخر لا يعلم ؟ قلنا: عدلنا إلى ذلك لقول الله تبارك وتعالى: **((والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء))** وبقوله تعالى : **((إن تدعوهم لا يسمعون دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبك مثل خبير))** وبقوله تعالى: **((ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين))** وإلا فإن العامي قد يأتي إلى صاحب القبر ويقول: يا سيد يا ولي الله يا مولاي أنقذني من هذه البلية أنقذني من هذه الضائقة, فيذهب إلى بيته ويجد الأمر قد انفرج, هو على

كل حال سوف يضيف هذا الانفراج إلى السبب الظاهر الذي قام به وهو دعاء هذا القبر حتى انفرجت عنه الغمة, فنقول هذه فتنة ونعلم علم اليقين أنه أي صاحب القبر ليس هو الذي كشف الضر, وإنما الذي كشفه الله عز وجل لكن حصل الكشف عند دعاء صاحب القبر لا بدعائه.
انتبهوا لهذا لأنه دائما يوردون علينا أصحاب القبور هذه الشبهة, يقول: أنا دعوت السيد الفلاني فاستجاب لي وانكشفت الغمة, وواحد كنا قد أتينا من مكة إلى المدينة في زمان مضى طويل, فلنا أقبلنا على المدينة قاموا يدعون, يدعون الرسول, خافوا الله يا جماعة ـ وكان ذاك الوقت الإنسان صغيرا لم يترعرع بعد ــ: اتقوا الله ادعوا الله قالوا: لا هذا سيدنا, واحد من الناس انفتح بطنه وتدلت أقتابه وضاقت به الأرض ذرعا, فقالوا: اذهب إلى نبي الله, فذهب فلما أقبل على المدينة دعا الله فدخلت الأمعاء وانسدت البطن, لما أقبل على المدينة دعا النبي قال: يا رسول الله أنقذني البطن منفرج والأمعاء متدلية, فدخلت الأمعاء في البطن وانسد البطن, هذه أولا القصة من يقول إنها صدق, ثم على فرض على أنها صارت صدقا هل هذا حصل بدعاء الرسول ؟ أبدا ما حصل, الرسول لا يملك هذا أبدا, في حياته ربما يريهم الله آية من آيات الرسول فيحصل مثل هذا, كما حصل في عين أبي قتادة أصيبت فندرت حتى صارت على خده فأدخلها النبي صلى الله عليه وسلم في مكانها والتأمت في الحال, وهذه آية من آيات الله, ولكنها حدثت في حياته أما بعد موته فلا.
المهم أن الله تعالى قد يجعل الشفاء عقب دعاء صاحب القبر ابتلاء وامتحان, فيصدق الإنسان بالحس ويكذب الشرع, يصدق بالحس وهو بناء هذا الأمر على الشيء الظاهر ويكذب بالشرع, فإن قال قائل: هل لهذا نظائر قلنا نعم, قد يبتلي الله الإنسان بتيسير أسباب المعصية ابتلاء ليعلم الله من يخافه بالغيب, كما ابتلى بني إسرائيل بالحيتان, حرم الله عليهم صيد الحوت في يوم السبت وابتلاهم فكانت الحيتان يوم السبت تأتي شرعا على الماء بكثرة, وفي غير يوم السبت لا تأتي, فطال عليهم الأمد وقالوا: لابد أن نصطاد يوم السبت ولكن يوم السبت محرم علينا, واش العمل, قال: فيه حيلة ـ واليهود أصحاب حيل ـ ضعوا شبكة يوم الجمعة وتأتي الحيتان يوم السبت تدخل وخذوا الحيتان يوم الأحد, وقولوا لله: إننا لم نصطد يوم السبت, فماذا عوملوا به ؟ **((وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً**

خَاسِئِينَ)) [البقرة :65] قلبهم الله عز وجل إلى شيء يشبه الإنسان وليس بإنسان, كما صنعوا شيئا يشبه الحل وليس بحل جزاءا وفاقا, هذه الأمة حرم الله عليهم الصيد في حال الإحرام فابتلاهم الله بدأت الصيود تأتي بكثرة, الصيد الطائر يناله الرمح والصيد الزاحف تناله اليد: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ)**) [المائدة :94] فصارت الصيود الطائر يناله الإنسان برمحه مع أنه لا ينال الطائر إلا بالسهم, والزاحف باليد, فالصحابة رضي الله عنهم تجنبوا هذا, لا أمسكوا باليد ولا صادوا بالرمح, فأنت احذر أيها المسلم أن تنخدع إذا تيسرت لك أسباب المعصية, فإن الله تعالى قد يبتليك, ربما يبتلي الله الإنسان بوظيفة يستطيع أن يسرق فيها من بيت المال إما سرقة حقيقية يعني يأخذ دراهم, وإما سرقة غير مباشرة بأن يتأخر عن الدوام أن يتعجل في الخروج, لأن من فعل ذلك فهو سارق, إذا قدرنا أنه يتأخر عن الدوام بمقدار السدس أو يتعجل بمقدار السدس, كم سرق من راتبه ؟ سرق سدسا, لأنه إذا تأخر السدس لا يستحق من الراتب إلا خمسة أسداس فقط والباقي يأخذه بغير حق, هو مطمئن لأن ليس فوقه أحد, هو المدير مثلا أو مطمئن لأن مديره يتأخر ومعلوم أن المدير إذا كان يتأخر ويتأخر من تحته أنه لا يقول لهم شيئا لأنه لو قال لهم شيئا فضح نفسه, نعم. إذن احذر أن تغتر إذا يسر الله لك أسباب المعصية فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور, لا تغتر بهذا الشيء طيب.

من فوائد هذه الآية الكريمة: النداء الصارخ على سفاهة هؤلاء القوم الذين يعبدون من دون الله, يؤخذ من كونهم عدلوا عن عبادة من يقضي بالحق إلى عبادة من لا يقضي بشيء, وهذا في غاية السفه .

ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله هما السميع والبصير, وإثبات ما دلا عليه من صفة, وإثبات ما دلا عليه من أثر أو من حكم.

وذلك أن أسماء الله عز وجل لا يتم الإيمان بها إلا بالإيمان بأمور ثلاثة إذا كانت متعدية: الأول إثبات الاسم, والثاني إثبات ما دل عليه من الصفة, والثالث إثبات ما دل عليه من أثر أ و من حكم, هذا إذا كان متعديا, أما إذا كان لازما فلا يتم الإيمان به إلا بأمرين: إثبات الاسم وإثبات ما دل عليه من صفة.

السميع متعدي: **((قد سمع الله قول)) ((والله يسمع**

تحاوركما)) متعدي, إذن لا بد أن تؤمن بالسميع اسما من أسماء الله, وهل هناك أحد أنكر الأسماء ؟ نعم, فيه من المعطلة المنتسبين للملة الإسلامية من ينكر أسماء الله, وأن تؤمن بما دل عليه من صفة وهي السمع, فليس الله تعالى سميعا بلا سمع بل هو سميع بسمع.
وهل أحد أثبت الاسم دون الصفة ؟ نعم المعتزلة, قاعدتهم إثبات الأسماء وإنكار الصفات التي دلت عليها هذه الأسماء, فيقولون أن الله سميع بلا سمع, بصير بلا بصر؛ سبحان الله كيف بصير بلا بصر ؟ قال: نعم بصير بلا بصر لأنك إذا أثبت البصر فالبصر صفة زائدة على الذات, الصفة غير الموصوف, فإن قلت أنها قديمة أثبت تعدد القدماء وصرت أكفر من النصارى, النصارى أثبتوا ثلاثة آلهة أنت الآن ستثبت خمسين إله أو أكثر بقدر الأسماء التي يثبت لها الصفة, وهذا كفر, فإذا كفرنا النصراني بثلاثة وقلنا كافر, نقول أنت كافر ـ كافر ـ كافر اضرب ثلاثة في ... حتى تصل إلى الأسماء, أنت أكفر من النصارى إذا أثبت صفة قديمة, وإن أثبتها حادثة لزم من ذلك قيام الحوادث بالله والحوادث لا تقوم إلا بحادث فتكون أنت أثبت أن الله مخلوق, وأنه حادث, ما بالكم إذا صيغ هذا الكلام بكلام أفصح من كلامي وأبلغ, أفلا ينخدع به الجهال ؟ ينخدعون به لا شك, لكننا نقول: إن الله تعالى سميع بسمع, ولا يعقل أن يكون مشتق بدون ما اشتق منه, أبدا, إذ لا يصح أن تقول للأصم أنه سميع, ولا للأعمى أنه بصير, لا يمكن أن يوجد اسم مشتق في جميع لغات العالم إلا والأصل المشتق منه سابق عليه.
وأما قولكم أن الصفة غير الموصوف فإننا نقول أن الله تعالى لم يزل ولا يزال بصفاته, ولا يوجد ذات بلا صفة إطلاقا, من ادعى أنه يوجد ذات بلا صفة فقد ادعى المحال, ما من موجود إلا وله صفة, لو لم يكن من صفاته إلا صفة الوجود والقيام بالذات وما أشبه ذلك, فما من موصوف إلا وله صفة, لكن الموصوف بصفاته ليست شيئا بائنا منه, ولهذا لا نقول: إن صفات الله هي الله ولا نقول إنها غير الله, بل نقول: إن الله بصفاته؛ لأنك إذا قلت أن الصفات هي الله صار معناه أنه لا صفة له, وإذا قلت أنها غيره أبنت الصفة عن الموصوف, وهذا مستحيل.
إذن الإيمان بالاسم لابد أن تؤمن بما تضمنه من صفة, وتضمنه للصفة قد تكون تضمنا وقد تكون التزاما, فهل نؤمن بالصفة التي دل عليها تضمنا فقط أو تضمنا والتزاما ؟ تضمنا والتزاما, فمثلا الخالق اسم دل على صفة الخلق دلالته على صفة الخلق بطريق التضمن, ودلالته على

العلم التزام, لأنه لا خلق إلا بعلم, ودلالته على القدرة التزام أيضا, لأنه لا خلق إلا بقدرة؛ إذن تؤمن بما دل عليه الاسم من صفة سواء كانت تضمنا أو التزاما.
الأمر الثـالث إذا كـان الاسـم متعـديا: الأثـر أو الحكـم, فمثلا السـميع ذو السمع الذي يسمع, لابد أن تؤمن بسمع يتعدى للغير, فيسمع كـل قـول, البصير كذلك متعديا نـؤمن بالبصـير اسـما, وبالبصـر صـفة, وبـأنه يبصـر حكما أو أثرا.
أما إذا كان الاسم لازما فإنه يؤمن بأمرين: الأول الاسم, والثاني الصـفة, الحي ليس الله يحيي, ليست من الحي من المحيي, الحي وصف لازم أو الحياة وصـف لازم لا يتعـدى لغيـر اللـه, فـالحي إذن اسـم مـن الأسـماء اللازمة فتؤمن بالحي اسـما مـن أسـماء اللـه, وتـؤمن بالصـفة الـتي دل عليها الحي وهي الحياة, طيب إذن إذا آمنا بهذا خالفنا كل أهل التعطيل.

أيضا لأنه لا خلق إلا بقدرة, طيب إذن تؤمن بما دل عليه الاسم من صفة سواء كانت تضمنا أو التزاما.
الأمر الثالث إذا كان الاسم متعديا: الأثر أو الحكم, فمثلا السميع ذو السمع الذي يسمع لابد أن تؤمن بسمع يتعدى للغير, فيسمع كل قول, البصير كذلك متعديا نؤمن بالبصير اسما وبالبصر صفة وبأنه يبصر حكما أو أثرا.
أما إذا كان الاسم لازما فإنه يؤمن بأمرين: الأول الاسم, والثاني الصفة, الحي لازم أو متعدي ؟ يحيي ليست من الحي من المحيي, الحي وصف لازم أو الحياة وصف لازم لا يتعدى لغير الله, فالحي إذن اسم من الأسماء اللازمة فتؤمن بالحي اسما من أسماء الله وتؤمن بالصفة التي دل عليها الحي وهي الحياة.
طيب, إذن إذا آمنا بهذا خالفنا كل أهل التعطيل, خالفنا من لا يسم الله باسم ولا يصفه بصفة وهؤلاء غلاة الجهمية, وخالفنا من يؤمن بأن لله أسماء ولكن لا صفات له مثل المعتزلة, وخالفنا من يقول له أسماء وصفات لكن ليس لها حكم, ما يتعدى لأن لو تعدى إلى الغير لزم قيام الحوادث به, إذ أن المسموع حادث أو أ.لي ؟ حادث, فإذا تعلق السمع بحادث صار السمع حادثا حدوث المسموع, فلزم قيام الحوادث به, إذن قل هو سميع له سمع لكن لا يسمع به لئلا تقوم به الحوادث, فإذا أتينا على هذه الشروط الثلاثة: الإيمان بالاسم, اثنين بما تضمنه من صفة, ثلاثة بالأثر أو الحكم صح إيماننا بالأسماء.
أما السميع والبصير فقد سبق لنا معناهما, وذكرنا أن السميع يدل على السمع, وأن سمع الله تعالى نوعان: سمع بمعنى الإجابة مثل قوله تعالى : **((إن ربي لسميع الدعاء))** وهل السمع يأتي بمعنى الاستجابة في اللغة العربية ؟ الدليل ؟ ... **((ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون))** أي لا يستجيبون, ومنه قول المصلي وأنتم كل يوم تصلون على الأقل سبعة عشر ركعة وتقولون: سمع الله لمن حمده, معناها استجاب, ليس المعنى مجرد سماع لمن حمده, لأن هذا لا يفيد شيئا لكن معناه استجاب, هذا سمع بمعنى الاستجابة.
الثاني: سمع بمعنى إدراك المسموع وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول ما يراد به التهديد, والثاني ما يراد به التأييد, والثالث ما يراد به بيان شمول سمع الله, يعني سمع الإحاطة.
مثال الأول الذي يراد به التهديد: **((أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم**

ونجـواهم)) هـذا للتهديـد, ولهـذا قـال : **((بلـى ورسـلنا لـديهم يكتبون))** ومثـال سـمع التأييـد قـوله تعـالى لموسـى وهـارون: **((لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى)**) ومثال ما يـراد بـه سـمع الإحاطـة مثل قوله تعالى: **((قد سمع الله قول التي تجادلك فـي زوجهـا وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما)**) فقسم السمع أولا إلى قسمين: سمع إجابة وسمع إدراك, والإدراك ثلاثة أقسام وإن شئت فقل ثلاثة أنواع لئلا تتداخل الأقسـام: سـمع يقتضـي التهديـد, وسـمع يقتضـي التأييد, وسمع لبيان الإحاطة, وكل هذا ثابت لله عز وجل.
فإن قال قائل: ما الذي يعين أن هذا السمع للتهديد أو للتأييد أو للإحاطـة ؟ قلنا سياق الكلام وقرائن الأحوال, ولهذا يمكن أن يقال فـي قـول اللـه تعالى لموسـى وهـارون: **((لا تخافا إننـي معكمـا أسـمع وأرى))** يمكـن أن يقـال أن هـذا السـمع للتأييـد والتهديـد, تأييـد موسـى وتهديـد فرعون, لكن يمنع من القـول بـأنه لتهديـد فرعـون أن فرعـون لـم يكـن يسمع هذا الكلام من الله, فكيف يهدد من لا يسمع التهديد ؟ ولهـذا قـال العلماء أن السمع في هذه الآية للتأييـد ولـم أرهـم قـالوا أنـه للتهديـد ولا لتهديد فرعون, ووجه ذلك أن فرعون الآن ليس يسمع ما يقول اللـه عـز وجل, فكيف يهدد من لا يسمع التهديد ؟.
أما البصير فهو بمعنى ذو البصر الثاقب الذي لا يغيب عن نظره شيء عز وجل. أي حركة وأي فعل فإن الله تعالى يبصره؛ طيب إذا كان يبصر كـل شيء فكيف موقفنا في مثل قوله : **(ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم)** قال: **(ولا ينظر إليهم)** فنفى النظـر إليهـم ؟ نقـول: النظـر المثبـت غيـر النظـر المنفـي، المنفـي هـو نظـر الرحمـة, والمثبت نظر الإحاطة, فالله تعالى ينظـر كـل شـيء نظـر إحاطـة حـتى المغضوب عليهم منظورون أمام الله عز وجـل لكـن نظـر إحاطـة, وأمـا المنفي فهو نظر الرحمة **(لا ينظر إليهم)** وبهـذا تلـتئم الأدلـة ويتـبين أنه لا تعارض بينها, هناك بصير بمعنى العلم لكن المتبادر منه الرؤية كمـا سبق .
الطالب : ما يحصل لعباد القبور من الابتلاء والامتحان, لو قلنـا لهـم اللـه عز وجل يول كذا وكذا لا يقتنعون بالقرآن ؟
الشيخ : هو بارك الله فيك غالب أصحاب القبـور مسـلمين, يعنـي يـرون أنهم على إسلام ويؤمنون بالقرآن, ... ممكـن علـى سـبيل التحـدي بـأن يتحدى الإنسان هؤلاء بشيء يغضب آلهتهم يفعلـه ولا يـأت الشـيء, هـذا

يمكن يكون من باب التحدي.
الطالب : ...
الشيخ : السميع صفة ذات, لكن الذي يحدث المسموع أما السمع فلم يزل الله ولا يزال سميعا, لا يتعلق بمشيئته, وإذا أردت أن تعرف الفرق فإن كان يمكن أن يتخلى الله عن هذه الصفة فهي صفة فعل, وإذا كان لا يمكن فهي صفة ذات, ومعلوم أنه لا يمكن أن يتخلى الله عز وجل عن صفة السمع فيكون أصم, فإن الله منزه عن ذلك, لكن الذي يحدث هو المسموع.
الطالب : نظر الرحمة هل هو نفسه رحمة الله عز وجل, ما المقصود به ؟
الشيخ : المقصود أن الله ينظر إليه نظرا يرحمه به, ما هي نفس الرحمة, ولهذا تفرق الآن بين النظر إلى ولدك الذي أرضاك والنظر إلى ولدك الذي أغضبك, ولدك الذي أرضاك تنظر إليه نظرا باردا وهو يشعر بأن عينك قد قرت به, قرت من القر وليس من القرار من القر وهو البرودة, ولهذا أقر الله عينك يعني بردها, ما معنى قرها سكنها حتى لا تتحرك, طيب الولد الذي غضبت عليه إذا نظرت إليه كيف تكون عينك ؟ حارة حمراء يظهر منها الشرر يكاد يعمي الولد, طيب ...
لكن لا يصح هذا, العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب, هو له وجهة نظر, وأقوى من هذه الوجهة قوله: **((أو لم يسيروا في الأرض فينظروا))** بعد هذه الآية, لكن نحن نقول العبرة بعموم اللفظ, والسبب لا يخصص العام, وإذا ذكر حكم يتعلق ببعض أفراد العام لا يقتضي تخصيصه أيضا كما هي القاعدة.
الطالب : التعبير بقولنا: هذا العمل أقرب إلى نظر رحمة الله ؟
الشيخ : ما يصح إلى نظر رحمة الله, الرحمة لا تنظر, أقرب إلى رحمة الله.
الطالب : ...
الشيخ : ما تقولون في هذا السؤال ؟ نعم هو لا شك أن عبادة الأحبار والرهبان بالمعنى الذي فسره الرسول صلى الله عليه وسلم ليست كعبادة الأصنام, لأن عبادة الأصنام عبادة تقرب وخضوع, وعبادة الأحبار والرهبان عبادة إتباع, ولا شك أنها عبادة كما جاء في الحديث: **((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا))** فإذا كانت عبادة الأحبار

والرهبان كعبادة المسيح عيسى ابن مريم لزم من هذا أنهم يعبدونهم عبادة التقرب, لكن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لعدي بن حاتم: **(أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه) قال(نعم قال: (فتلك عبادتهم)** فهذه عبادة إتباع, وغالب عبادة المشركين عبادة تقرب وتعظيم.

الطالب : ...

الشيخ : هي السمع هنا سمع إحاطة, لكنه يراد به النصر والتأييد, لأن مجرد الإحاطة حتى فرعون يسمعه الله عز وجل.

الطالب : ما هي أهم الكتب في باب الأسماء والصفات ؟

الشيخ : والله الكتب متعددة ومختلفة في المنهج, فمثلا مجرد الإثبات إثبات العقيدة من أحسن ما يكون العقيدة الواسطية, لأن كلها مبنية على آيات وأحاديث, من جهة المناقشة والمحاجة من أحسن ما رأيت الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعطلة لابن القيم ومختصره هذا من أحسن ما يكون لطالب العلم في المناقشة, هذا مفيد لأنه يذكر رحمه الله أمهات المسائل التي فيها الخلاف ثم يناقش هؤلاء أو يجادل بالأصح, ما هي مناقشة يجادل هؤلاء حتى يتبين الحق ... اسمه الموصلي على كل حال المختصر معروف, مختصر الصواعق المرسلة بهذا الاسم.

الطالب : ...

الشيخ : هو شرك الإتباع وشرك الطاعة, لكن ذاك شرك عبادة, ولهذا من أحسن حدود الطاغوت ما قاله ابن القيم: **" ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع "** المعبود الأصنام, والمتبوع العلماء, والمطاع الأمراء, هذا أحسن ما يقال في حد الطاغوت, لكن باعتبار الطاغي, أما باعتبار المعبود أو المتبوع أو المطاع فهؤلاء ليسوا بطواغيت باعتبار ذواتهم, لأن العالم قد لا يرضى بهذا الشيء والأمير كذلك والمعبود كذلك, لكن باعتبار الفاعل هي طواغيت لأنه طغا فيها, هي محل طغيانه, وليست هي طاغية, فعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام معبود, هل نقول أنه طاغوت ؟ لا, لكنه محل طغيان الذين عبدوه, انتبهوا لهذه النقطة لأن بعض الناس استشكل كلام ابن القيم وقال كيف يقول هذا الكلام إذن عيسى طاغوت لأنه معبود, فيقال: مراده رحمه الله أن محل الطغيان يكون في المعبود والمتبوع والمطاع.

الطالب : ما الفرق بين الفعل المتعدي والفعل اللازم ؟

الشيخ : اللازم ما لا ينصب المفعول به, والمتعدي ما ينصب المفعول به, سمع تنصب المفعول به أو لا ؟ حي ؟ عظُم ؟ هل يمكن أن تتسلط عظُم على شيء ؟ عظُم هو بنفسه, أما عظَّم صحيح متعدية, لكن عظُم لازمة لا شك, جـل ؟ لازمـة, فـالعظيم مـن أسـماء اللـه اللازمـة, والعلـي مـن أسماء الله اللازمة, والأجل أو الجليل من أسماء الله اللازمة نعم.

الطالب : ...

الشيخ : ... أنت تحفـظ القـران ؟ طيـب: **((إِنَّكُمْ وَمَـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لو كان هـؤلاء آلهـة مـا وردوهـا وكـل فيهـا خالـدون لهـم فيهـا زفيـر وهـم فيهـا لا يسـمعون إن الـذين سـبقت لهـم منـا الحسـنى أولئـك عنهـا مبعدون))** [الأنبياء :] وعيسى ؟ ممن سبقت لـه الحسـنى, عرفـت ؟ ولهذا ضرب الكفار عيسـى مثلا وقـالوا لمـا نزلـت الآيـة: **((إنكم ومـا تعبدون من دون الله حصب جهنم))** قـالوا: إذن عيسـى فـي النـار جدلا فأنزل اللـه تعـالى : **((إن الذين سـبقت لهـم منـا الحسـنى أولئك عنها مبعدون))** مثل قوله: **((أألهتنـا خيـر أم هـو))** قـال الله تعالى **((ما ضـربوه لـك إلا جـدلا بـل هـم قـوم خصـمون))** وأبغض الرجال إلى الله الألد الخصم, نعم .

القارئ : أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم: **((أَوَ لَمْ يَسِـيرُوا فِـي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَـانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِـي الأَرْضِ فَأَخَـذَهُمُ اللَّـهُ بِـذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُـلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَـوِيٌّ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ وَلَقَـدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَـا وَسُـلْطَانٍ مُبِيـنٍ إِلَـى فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَـذَّابٌ فَلَمَّـا جَـاءَهُمْ بِـالْحَقِّ مِـنْ عِنْـدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْـدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ))** [غافر :25].

الشـيخ : أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم قـال اللـه تبـارك وتعـالى : **((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيـف كـان عاقبـة الـذين كانوا من قبلهم))**

قال الله تبارك وتعالى: **((أولم يسيروا في الأرض))** وهـذا النظـم موجود في القرآن كثيرا أن تأتي أداة الاستفهام وبعدها حرف العطف ثم الجملـة, وقـد اختلـف المعربـون فـي كيفيـة إعـراب هـذا النظـم وهـذا

التركيب, فقال بعضهم إن التقدير: وألم يسيروا في الأرض, فتكون الواو عاطفة على ما سبق, وتكون الهمزة داخلة على جملتها مصدرة الجملة بها, وهذا القول لا يحتاج إلى تقدير, لكنه يرد عليه أن الهمزة متقدمة على حرف العطف, فأجابوا عن ذلك بأن الهمزة مقدمة وقالوا إن تقديمها في مثل هذا سائغ.
والقول الثاني للمعربين: أن الهمزة داخلة على شيء مقدر وأن حرف العطف عاطف على ذلك المقدر, وحينئذ نحتاج إلى تعيين ذلك المقدر ولا يعينه إلا السياق, فيقدر ذلك المحذوف بحسب ما يقتضيه السياق, فمثلا فيقال: أولم يسيروا أفرطوا ولم يسيروا في الأرض, أو أغفلوا ولم يسيروا في الأرض, أو ما يؤدي إلى هذا المعنى.
وقوله: **((أو لم يسيروا في الأرض))** هل المراد سير القلوب بالنظر والتأمل والتفكر أو المراد سير الأقدام حتى يقف الإنسان على ما حصل للأمم السابقة بعيني رأسه ؟ كلاهما, فمن لم يتيسر له أن يسير بقدمه فليسر بقلبه, ولكن ما طريق سيره بقبله ؟ طريق سيره بقلبه أن يقرأ تاريخ الأمم السابقة, وحينئذ بأي شيء يثبت هذا التاريخ ؟ يثبت هذا التاريخ بطريقين فقط, الطريق الأول: القرآن, والطريق الثاني: السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله سبحانه وتعالى قال فيمن سبق: **((والذين من قبلهم لا يعلمهم إلا الله))** وإذا كان لا يعلمهم إلا الله فإن مصدر التلقي لأخبارهم من عند الله أو من رسوله صلى الله عليه وسلم.
أما ما حدثت به بنو إسرائيل عمن سبق فهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: ما شهد شرعنا به أو ما شهد القرآن والسنة به فهذا مقبول لا لأنه خبر بني إسرائيل ولكن لأن القرآن والسنة شهدت بصدقه.
الثاني: ما شهد القرآن والسنة بكذبه فهذا مرفوض ولا يجوز التحدث به إلا إذا أراد الإنسان بيان كذبه وبطلانه.
القسم الثالث: ما لم يشهد الوحي بصدقه ولا كذبه, أي ما ليس في القرآن ولا في السنة تصديقه ولا تكذيبه فهذا قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : **(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)** فيكون من الكلام الذي يباح نقله لكن لا فائدة منه فلا يشتغل به عن ما هو أهم منه, وبهذا نعرف كيف نسير بقلوبنا في أخبار من سبق, فصار مصدر التلقي في أخبار من سبق المصدر الأساسي الأكيد هو الكتاب والسنة, وأما ما وقع من أخبار بني إسرائيل فعرفتم أنه على ثلاثة أقسام.

وقوله: **((أو لم يسيروا في الأرض))** قال بعض المعربين: إن في هنا بمعنى على لأنه لا يمكن السير في جوف الأرض بناء على أن في للظرفية والظرف محيط بالمظروف, كما إذا قلت الماء في الإناء فإن الإناء محيط به والماء في جوفه, ولكن ربما يقول قائل أن هذا غير متعين لأن المراد في الأرض أي في مناكب الأرض, كما قال تعالى: **((هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها))** وتكون الظرفية هنا ظرفية الأجواء أي في أجواء الأرض, والأجواء ظرف لمن يسير فيها.

((فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم)) فينظروا: الفاء هنا قيل أنها عاطفة وعلى هذا فيكون السير منتفيا والنظر أيضا منتفي, والتقدير على هذا القول أو لم يسيروا في الأرض فألم ينظروا فيه كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلكم, وقيل أن الفاء للسببية, أي فبسبب سيرهم ينظروا كيف كان, والمعنيان متلازمان, لأنهم إذا لم يسيروا لم ينظروا وإن ساروا نظروا.

وقوله: **((فينظروا كيف كان))** هل النظر هنا نظر قلب وبصيرة أو نظر عين وبصر ؟ ينبني على ما سبق في السير إن كان سير قلب فالنظر نظر قلب وبصيرة, وإن كان سير قدم فالنظر نظر عين وبصر, وقد قلنا أن السير صالح لهذا وهذا فيكون النظر أيضا صالحا لهذا وهذا.

((كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم)) كيف: اسم استفهام وهو في محل نصب على أنه خبر كان مقدم, وعاقبة: اسمها **((كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم))** أي ماذا كان مآلهم ؟ سيأتي ذكر المآل لكن الله ذكر حالهم قبل أن يذكر مآلهم قال : **((كانوا هم أشد منهم قوة))** أشد من الشدة وهي الصلابة والعظم.

ومنهم يقول فيها قراءتان: **" وفي قراءة منكم "** فيكون في هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب, ومعلوم أن الخطاب أشد وقعا في النفس من الحديث بصيغة الغيبة, يعني إذا كنت تخاطب الشخص مخاطبة فهو أشد وقعا في نفسه مما إذا كنت تحدثت بصيغة الغيبة, ولهذا جاء قول الله تعالى: **((عبس وتولى))** بصيغة الغيبة, والعابس والمتولي الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقل: عبست وتوليت, لأن الخطاب أشد وقعا من الغيبة, وقوله: **" في قراءة منكم "** أعلم أن اصطلاح المؤلف رحمه الله أنه إذا قال: في قراءة, فهي سبعية, وإذا قال: وقرئ, فهي شاذة ليست سبعية.

" وفي قراءة منكم ((أشد قوة وآثارا في الأرض)) من مصانع وقصور " فهم أقوياء الأبدان, ولهم من الآثار في الأرض أكثر مما عند هؤلاء الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, والشاهد في هذا ظاهر في ديار ثمود, فإن كل من شاهدها تبين له كيف كانت قوة القوم, وكذلك آثار عاد في الأحقاف التي اطلع عليها وقال الله فيها : **((إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد))** قوة عظيمة حتى أن عادا قالوا من أشد منا قوة, فماذا كانت حالهم ؟ قال تعالى : **((فأخذهم الله)) أهلكهم ((بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق))** هؤلاء القوم الأشداء الذين لهم من الآثار ما يبهر العقول أخذهم الله بذنوبهم, أهلكهم بسبب ذنوبهم, وذنوبهم مكونة من شيئين: التكذيب والتولي, فهم مكذبون للخبر, متولون عن الأمر, فكذبوا الأخبار وخالفوا الأوامر, وقعوا فيما نهوا عنه, وتركوا ما أمروا به, وكذبوا ما يلزمهم تصديقه, **((فأخذهم الله بذنوبهم))** والباء هنا للسببية **((وما كان لهم من الله من واق))** ما: نافية, ومن متعلقة بواق, وواق اسم كان دخلت عليه من الزائدة للتوكيد, وأصل واق واقي فحذفت الياء للتخفيف, أي ما كان لهم من أحد يقيهم من عذاب الله, حتى أن ابن نوح عليه السلام لم يقه من عذاب الله قربه من نوح, ولا دخوله في العموم لأن الله سبحانه وتعالى ذكر أنه منجيه وأهله أعني نوحا, فلما أرسل الله عليهم الغرق دعاه ابنه أن يركب معه في السفينة ولكنه أبى وقال: **((سآوي إلى جبل يعصمني من الماء))** فغرق, وقال نوح: **((رب إن ابني من أهلي))** وقد وعده الله أن ينجيه وأهله, فقال الله تعالى : **((إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين))** فلم يقه هذا الابن قربه من أبيه, أحد أولي العزم من الرسل, ولكنه هلك فيمن هلك كما قال الله تعالى هنا: **((وما كان لهم من الله من واق))** .

طيب في هذه الآية فوائد كثيرة منها: الحث على السير في الأرض لقوله: **((أو لم يسيروا))** بناء على أن الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ.

ومن فوائدها: أن السير في الأرض في أرض المكذبين وبيان ما أحل الله بهم من النكال إذا كان على سبيل العبرة فلا بأس به, على سبيل العبرة بما جرى لهم من الهلاك لا العبرة بما كان لهم القوة, وبناء على ذلك نعرف أن الذين يذهبون الآن إلى ديار ثمود للاطلاع على قوتهم

والاعتبار بصنعتهم على خطأ عظيم لأنهم لـم يسـيروا فـي الأرض السـير الذي أمر الله به بل ساروا في الأرض السير الذي نهى عنـه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم بـاكون أن يصـيبكم مـا أصـابهم فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم)** فمـن الـذي يـذهب الآن إلى ديار ثمود يقف يشاهد آثارهم وهو يبكي ؟ لا أحد إلا من هداه الله عز وجل وتـبين لـه الحـق وإلا فـإنهم يـ ذهبون يتفرجـون. والعجـب أن بعـض الجهال منا يرون أن هذا من الآثار المحترمة فيقـال: سـبحان اللـه الآثـار المحترمة أيها الجهال هي الكتاب والسنة آثار الوحي, أما آثـار المكـذبين للرسل فليست محترمة, ثم هل هي آثـار آبـائكم وأجـدادكم ؟ آثـار قـوم فنوا وأعقبهم أنـاس ثـم أنـاس ثـم قـرون كـثيرة, لكـن هـذا مـن الجهـل والتقليد الأعمى الـذي يجعـل القـوم يتعلقـون بالآثـار الماديـة دون الآثـار المعنوية.

ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: أن عاقبة الذين كـانوا مـن قبلهـم عاقبـة سيئة لقوله: **((كيف كان عاقبة الذين كـانوا مـن قبلهـم))** إلـى قوله: **((فأخذهم الله)).**

ومن فوائدها أن هؤلاء الذين كانوا من قبلهم كـانوا أشـد منهـم قـوة فـي الأبدان وقوة في الصناعة وقوة في الآثار, ومـع هـذا لـم تمنعهـم قـوتهم هذه من أخذ الله لهم.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن قوة الله سبحانه وتعالى فوق كل قــوة فإنه قال: **((كانوا أشد منهم قوة))** ومع ذلك أخذهم الله عز وجـل, ذلك لأن الله تعالى إذا أراد شيئا قـال لـه كـن فيكـون, لا يحتـاج أن يـأتي بأحد يساعد, ولا يحتاج إلى صنع قنابل أو مدافع, لا, كن فيكـون, انظـروا إلى عاد افتخـروا بقـوتهم فـأهلكهم اللـه تعـالى بـألطف الأشـياء, سـخر عليهم الريح ولم يسخرها لهم بل سخرها عليهم, وهي الريح مـن ألطـف الأشياء فدمرتهم: **((تدمر كل شيء بأمر ربهـا فأصـبحوا لا يـرى إلا مساكنهم))** حتى كانوا كأعجاز نخل خاوية, يقولون أن الريح تحمل الواحد منهم حتى يكون في عنان السماء ثـم تـرده إلـى الأرض فينقلـب منحنيا كأنه عجـز نخـل خاويـة, وأعجـاز النخيـل إذا رأيتموهـا تجـدون أن النخلة قد تقوست, هؤلاء الذين كانوا أشداء أقوياء يقفون على أقــدامهم أصبحوا كأنهم أعجاز نخل خاوية, والآية الثانية كأنهم أعجاز نخل منقعر.

فرعون قال لقوله: **((يا قوم أليس لي ملك مصـر وهـذه الأنهـار**

تجري من تحتي أفلا تبصرون)) بماذا أهلكه ؟ أهلكه الله بأن أخرجه من مصر التي كان يفتخر بها باختياره, خرج مختارا, بل خرج وكأنه غانم, كأنه رابح في المعركة, ثم أهلكه الله بجنس ما يفتخر به بالماء, ليتبين أن القوة قوة الله سبحانه وتعالى, وأن الله أشد من هؤلاء قوة, نعم.

من فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى إذا أراد بقوم سوء فلا مرد له لقوله : **((وما كان لهم من الله من واق)**) وقد بين الله ذلك صريحا في قوله: **((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له)**) لا يقي دون ما أراد الله لا قصور ولا مدافع ولا طائرات ولا أي شيء **((وما كان لهم من الله من واق)).**

ومن فوائد الآية الكريمة وهي التي بعدها: إثبات الأسباب وأنه لا يجني جان إلى على نفسه, تؤخذ من قوله : **((ذلك بأنهم))** إلى آخره وقد تقدم لنا شرح هذه المسألة أعني مسألة الأسباب وتأثيرها واختلاف الناس فيها, وبينا أن أعدل الأقوال وأصح الأقوال أن الأسباب لها تأثير مباشر لكن ليس تأثيرا ذاتيا بنفسها ولكن بما أودع الله تعالى فيها من القوى المؤثرة.

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عدل الله عز وجل وأنه لا يؤاخذ أحدا بدون ذنب لقوله: **((ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ما من أمة خلت إلا وقد جاءتها رسله لقوله: **((كانت تأتيهم رسلهم بالبينات))** على كل حال هذه المسألة.

كل أمة جاءها نذير وجاءها رسول أنذرها وبين لها, وقد أقر هذه الأمم بذلك قال الله تبارك وتعالى في سورة الملك: **((كلما ألقي فيها))** أي في النار **((فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير)**) ثم قالوا : **((لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم)**) وقال تعالى: **((وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)**) وهذا من تمام رحمة الله عز وجل وحكمته أن أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ,ولأجل مصلحة الخلق, نحن لولا رسول الله عليه الصلاة والسلام أرسله الله إلينا هل نعرف كيف نتوضأ ؟ هل نعرف كيف نصلي ؟.

رسول الله عليه السلام والسلام أرسله الله إلينا هل نعرف كيف نتوضأ ؟ هل نعرف كيف نصلي ؟ لا نعرف, لكن من رحمة الله عز وجل أن أرسل إلينا رسولا علمنا كيف نتوضأ كيف نصلي, ثم يترتب على هذا الوضوء والصلاة ؟ مغفرة الذنوب, إذا توضأ الإنسان فإن خطاياه تخرج مع آخر قطرة من قطر الماء, وإذا صلى فالصلوات الخمس مكفرات لما بينهن, وإذا توضأ في بيته وأسبغ الوضوء وخرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطو خطوة واحدة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة, أحصي خطواتك من بيتك إلى المسجد في اليوم والليلة خمس مرات, كثير, كل هذا من فضل الله عز وجل, ولولا أن الله هدانا هداية إرشاد ـ ونسأل الله تعالى أن يتممها بهداية التوفيق ـ لولا ذلك لهلكنا ولم نعرف كيف نعبد الله, فهذا من رحمة الله عز وجل أنه أرسل الرسل إلى الأمم ليبينوا لهم, وإذا قلتم أننا لم نصل إلى هذه الآية فأنتم مصدقون ونجعلها غدا إن شاء الله.

الطالب : هل الإنسان مأجور على خطواته إذا جاء إلى المسجد وإذا عاد منه ؟

الشيخ : أي نعم, أما إذا جاء إلى المسجد فقد سمعت, وأما إذا رجع ففي قصة صاحب الحمار الذي كان بعيدا من المسجد فقيل له: ألا تشتري حمارا تركبه فقال: يا رسول الله إني أحتسب ممشاي إلى المسجد ورجوعي منه فقال : **(لك ما احتسبت)** فإذا احتسب الإنسان هذا فله ما احتسبه.

لكن يا إخواني أنا أقول لكم إنه يفوتنا كثيرا الاحتساب, نصلي نريد أن نؤدي الصلاة التي علينا فقط, لكن لا نشعر بأننا نحتسب أجرها وأننا سنجد أجر هذه الصلاة أو أجر هذا الوضوء أو أجر هذه الخطا, هذه تفوتنا كثيرا, والاحتساب له أثره لا من جهة الثواب, ولا من جهة أنه يحث المرء على العمل, لأن الإنسان إذا علم أنه إذا عمل جوزي يزداد عملا, لكن إذا عمل على أنه فرض عليه يؤديه فقط, صار كالذي يقضي الدين عن نفسه فيعطيه الدائن, ولذلك أنا أحث نفسي وإياكم على هذه المسألة مسألة الاحتساب, ومعنى الاحتساب أنه يريد بعمل الأجر والثواب قال الله تعالى : **((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا))** اسمع الاحتساب: **((يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)**) [الفتح :29] يحتسب الأجر من الله عز وجل, ونسأل الله أن يذكرنا ذلك ويعيننا عليه .

الطالب : العبرة بالقوم الذين أهلكوا هل كل قوم أهلكوا أم الكفار الذين لم يأتيهم عذاب ؟
الشيخ : لا, المراد الذين أهلكوا .
الطالب : الذي يذهب إلى مدائن صالح فهو على خطر عظيم, ولكن لو قال قائل: أنا لا أتأثر بالقرآن لكن أتأثر بمشاهدة هذه الأقوام السابقة لآخذ العبرة والعظة. ؟
الشيخ : صار ذهب ليأخذ العبرة, والإنسان الذي يذهب ليأخذ العبرة لا شك أنه سيتأثر, لكن كثير من الناس الآن يذهبون ليعتبروا بما عندهم من القوة لا بأخذ الله لهم.
الطالب : ...
الشيخ : ما فهمت أعطني القضية بدون مقدمات ونتائج. تقول هل يجوز أن أذهب إلى رجل عاصي ؟ ...
الشيخ : طيب اذهب, ما دمت تريد الذهاب للدعوة فاذهب إليه, إذا ضاق صدرك اصبر حتى الذي يدعوا الناس في السوق والمسجد يضيق صدره إذا رآهم على ما هم عليه, اصبر ما دمت تريد أن تدعوه, أما إن ذهبت تريد أن تكرمه فلا يجوز نعم .
الطالب : ...
الشيخ : صحيح هذه حجة, واحتج بها الصحابة على الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال : **(ما منكم من أحد إلا وكتب له مقعده من الجنة ومقعده من النار) قالوا: يا رسول الله ففيما العمل فقال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)** نقول أنت مكتوب أنك في الجنة أو في النار بسبب عملك, فاعمل بعمل أهل الجنة لتكون من أهلها .
الطالب : ...
الشيخ : العلماء يقولون لا فرق, كل شيء تذهب ليتبين لك آثارهم وقوتهم وتعجب بهذه القوة فهو لا يجوز, نعم حكاية : **((وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل))** هذه حكاية عن شيء واقع, كما قال الرسول: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم)** هل معنى ذلك أن الرسول يفسح لنا المجال ؟ هذا خبر عن أمر واقع أو سيقع, وكما أخبر أن المرأة تذهب من صنعاء إلى حضر موت لا تخشى إلا الله .
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)) [غافر :24] .

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات))** **(ذلك)** المشار إليه أخذ الله تعالى إياهم بذنوبهم, فهذه الذنوب أنه **((كانت تأتيهم رسلهم بالبينات))** قال المؤلف: **" بالمعجزات الظاهرات "** **(تأتيهم رسلهم)** جمع رسول, والرسول لكل أمة كما قال الله تعالى: **((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله))** والرسل جاءوهم بالبينات قال المؤلف: **" بالمعجزات "** والصواب أن يقال بالآيات لأن الله تعالى يعبر عنها هكذا **((آياتنا بينات))** والمراد بالآيات ما يؤمن على مثله البشر, وهي نوعان: حسية ومعنوية وخلقية وخلقية كلها آيات بينات ظاهرة واضحة, قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما بعث الله نبيا إلا آتاه من الآيات ما على مثله يؤمن البشر)** والحكمة من هذه الآيات هو أن البشر لا يمكن أن يقبلوا دعوة من شخص عاش بينهم يعرفونه فيأتي ويقول إنه نبي أو أنه رسول, طيب بأي دليل ؟ لابد من آيات تدل على صدقه.

وكما قلت لكم أن الآيات نوعان: آيات معنوية وهي ما يتضمنه الوحي الذي جاء به هؤلاء الرسل, وآيات حسية وهي ما يظهر من خوارق العادات, ولهذا قيل في تعريف الآية: **" إنها أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الرسول تأييدا له "** هذه هي الآية؛ فهذه الآيات قال العلماء إنها تكون ـ أعني الآيات الحسية ـ تكون مناسبة للوقت الذي بعث فيه الرسول, واستشهدوا لذلك بأن موسى عليه الصلاة والسلام أعطي آيات سحرية ـ أي تشبه السحر ـ لكنها أقوى منه تغلبه, فيضع العصا وهي من خشب على الأرض فتنقلب حية تسعى, ويدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء تلوح من غير عيب أي من غير برص, وهذا لأنه في وقته كان للسحر طور عال مرتفع, فجاء بآيات تغلب ذلك السحر, ويظهر هذا حينما اجتمع مع السحرة في اليوم الذي وعدهم فيه, فألقوا حبالهم وعصيهم حتى خيل إليه من سحرهم أنها تسعى, فأوجس في نفسه خيفة موسى, فقال الله تعالى: **((لا تخف))** وأمره أن يضع العصا فوضعه فإذا هي حية تلقف ما يؤفكون.

ثم عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعث في زمن ترقى فيه الطب ترقيا عظيما بالغا, فجاء بأمر يعجز عنه الأطباء, يبرئ الأكمه والأبرص

بإذن الله, ويحيي الموتى بإذن الله, بل يخرج الموتى من قبورهم بإذن الله, يقف على صاحب القبر فيخاطبه ويقول: اخرج فيخرج؛ وهذا أعظم من الطب الذي أتوا به.
أما محمد عليه الصلاة والسلام فقد بعث في وقت بلغت فيها البلاغة أوجها, وصار الناس يتفاخرون أيهم أبلغ, فيأتي الشعراء ويأتي الخطباء إلى أسواق الجاهلية عكاظ وغيره يتبارون في أشعارهم وخطبهم, فجاء هذا القرآن قاضيا عليها كلها وأعجزهم, وعجزوا عن أن يأتوا بآية منه مع أنهم هم أمراء البلاغة.
والمهم أنه لابد لكل نبي من آية يؤمن على مثلها البشر لأن الله سبحانه وتعالى حكيم ورحيم, حكيم لا يرسل شخص يقول للناس أنا رسول بدون بينة, ورحيم حيث أيد هؤلاء الرسل بالآيات من وجه, ورحم الخلق فجعل مع الرسل آيات من أجل أن تكون حجة الرسل مقبولة لديهم.
((تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا)) الفاء عاطفة, وتدل على مبادرة هؤلاء بالكفر وأنهم لم يتأملوا ولم ينظروا, وجه ذلك أن الفاء تدل على الترتيب والتعقيب, **((فكفروا))** أي بالرسل وبالبينات التي جاءوا بها **((فأخذهم الله))** أي أهلكهم **((إنه قوي شديد العقاب))** أهلكهم الله سبحانه وتعالى بعامة إلا من آمن, ثم بين أن هذا الأخذ شديد لقوله: **((إنه قوي شديد العقاب))** قوي أزلا وأبدا فلم يسبق قوته ضعف ولا يلحقها ضعف, أما البشر فإنهم ضعفاء أولا ونهاية, ومنتهى قوتهم أيضا ليس بشيء, حتى وإن بلغ الإنسان أشده وبلغ غاية قوته فإنه ليس بشيء, أما الرب عز وجل فإنه قوي أزلا وأبدا **((شديد العقاب))** هذا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها, المعنى: عقابه شديد, الشديد يعني الصلب القوي الذي تحصل آثاره على من عوقب .
في هذه الآية فوائد: منها بيان سبب إهلاك الأمم وأن ذلك بذنوبهم لقوله : **((ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات))**.
ومن فوائدها أنه من أمة إلا خلا فيها نذير وجاءها رسول .
ومن فوائدها أن الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثوا بالآيات البينة الظاهرة .
ومن فوائدها إقامة الحجة على الخلق بإرسال الرسل أولا ثم بتأييدهم بالآيات البينات التي لا تدع مجالا للشك أو للإنكار.
ومن فوائد هذه الآية أن هؤلاء الذين أرسل إليهم لم يشكروا النعمة بل بادروا بالكفر والتكذيب .

ومن فوائدها أنه لو تأمل العاقل ما جاءت به الرسل ما أدى ذلك إلى كفره, لكن غالب المكذبين للرسل يبادرون بالتكذيب قال الله تعالى : **((ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون))** .

ومن فوائد الآية الكريمة إثبات الأسباب, وأن الله تعالى ربط المسببات بأسبابها, وهذا يدل على تمام حكمة الله وأنه عز وجل لم يفعل شيئا عبثا ولا لمجرد المشيئة, خلافا لمن قال من الجبرية وغيرهم أن الله تعالى يفعل ما يشاء لمجرد المشيئة وليس لحكمة, وأنكروا حكمة الله وقالوا أن الحكمة تقتضي النقص, وهذا من غرائب الأفهام, الحكمة تقتضي النقص ؟ قالوا: نعم, لأن الحكمة غرض فإذا فعل لكذا فإنه محتاج لهذا الغرض؛ فيقال لهم تبا لكم ولأفهامكم, الحكمة هي غاية الحكم, أي أن الحكمة أكبر ما يدل على البعد عن السفه واللعب.

وأما قولكم أن الحكمة غرض فإذا قلتم أن الله فعل كذا لكذا لزم من ذلك أن يكون الله محتاج إليه فيقال: الحكمة التي يشرع الله الشرائع من أجلها لا تعود إلى نفسها إلا من حيث الكمال فقط, أما المصلحة فالذي ينتفع بها الخلق, أما الله عز وجل فإن حكمته لا تعود إليه بشيء سوى بيان كمال صفاته عز وجل.

ومن فوائد الآية الكريمة إثبات القوي اسما من أسماء الله, وهو من الأسماء اللازمة, قادر من الأفعال المعتدية, لكن القوي من اللازم, وعلى هذا فلابد من إثباته وإثبات ما دل عليه من الصفة وهي القوة.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى شديد العقاب, ولكن لم عصاه .

ومن فوائدها التحذير من مخالفة الله لأنه قوي وشديد العقاب, فيا ويح من خالف أمر ربه سيتعرض لشدة العقاب من ذي قوة لا يلحقها ضعف: **((إنه قوي شديد العقاب)).**

ثم قال تعالى : **((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون))** الجملة هذه مؤكدة بعدة مؤكدات ؟ بمؤكدة ثلاث, ... الصيغة تأتي كثيرا في القرآن **(لقد)** فيقال أن هذه جملة مؤكدة بثلاث مؤكدات: ... واللام وقعت في جوابه, وقد.

((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين)) موسى هو ابن عمران أفضل أنبياء بني إسرائيل وأعظمهم وأشدهم, وهو من أشد الأنبياء وأقواهم, ويدلك على ذلك ما فعله قبل النبوة وما فعله بعد النبوة, فقبل النبوة مر برجل من قومه يخاصم رجلا من عدوه فوكزه

موسى فقضى عليه, وهذا يدل على قوته وشدته, وبعد النبـوة لمـا رجـع ورأى أنهم أشركوا بالله غضب غضبا شديدا فألقى الألواح التي كتب اللـه فيها التوراة, ألقاها, قال بعضهم فتكسـرت, ألقـى الألـواح وأخـذ بـرأس أخيه هارون وهو نبي من الأنبياء مشارك له في النبـوة: **((أخذ بـرأس أخيه يجره إليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيـتي ولا برأسـي إنـي خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي))** **((ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح))** هـذا يـدل علـى قوته وشدته عليه الصلاة والسـلام, وهـذا مـن الحكمـة لأنـه أرسـل إلـى أعتى أهـل الأرض وهـو فرعـون, ولهـذا قـابله بـالقوة قـال لـه: **((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السـماوات والأرض بصـائر وإنـي لأظنك يا فرعون مثبورا))** وهذه قوة تدل علـى قـوته عليـه الصـلاة والسلام.

أرسله الله تعالى أيضا إلى قوم عتاة وهـم بنـو إسـرائيل, ولهـذا لا يوجـد شعب من الشـعوب فيمـا نعلـم مثـل بنـي إسـرائيل فـي العتـو والنفـور والاستكبار إلى حد أنه لما كتب عليهم القتال قـالوا لموسـى اذهـب أنـت وربك فقاتلا, وليتهم اقتصروا على ذلك, فقاتلا إنا ها هنا قاعدون, سنقعد على الفرش ولا نتحرك وأنت وربك اذهبا فقاتلا: **((اذهب أنـت وربـك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون))** فلهذا كـان مـن الحكمـة أن يكـون هـذه الرسول على هذا النحو من الشدة لمناسبة من أرسل إليهم من فرعون وبني إسرائيل.

وقوله: **((بآياتنا وسلطان مبين))** آياتنـا: جمـع تـدل علـى أن معـه آيات متعددة وهو كـذلك **((ولقد آتينـا موسـى تسـع آيـات بينـات فاسأل بنـي إسـرائيل إذ جـاءهم))** إلـى آخـره, فهـو أوتـي آيـات أعظمها وأشدها وأبينها حسـا آيـة العصـا, فإنهـا مـن آيـات اللـه الحسـية العجيبة الغريبة, عصا يهش بها على غنمه وله فيها مآرب أخـرى, ويتوكـأ عليها, إذا ألقاها صارت حية عظيمة تلقف كلما أمامها, وإذا حملها عادت عصا, وإذا ضرب بها الحجر تفجر ماء, هذه العصا آية مـن آيـات اللـه عـز وجـل, يعنـي تأمـل الآن فكـر مـدى كـثرة العصـي والحبـال الـتي ألقاهـا السحرة كثرتها وتنوعها ثم ألقى هذا العصا فصار يلقف كـل مـا يـأفكون, وأنا أتعجب أين البطن الذي يسع هذه الأشياء ؟ لكن آيات الله تعالى تبهر العقول, وإلا فتقول كيف حية بمقدار العصا تلقف كلما ألقوا مـن الحبـال والعصي, فأين تذهب ؟ نقول: لا تسأل أين تذهب, أنت صدق وآمن بهذا,

وكيف تذهب إلى الله عز وجل, ولا مانع أن تكون هذه الأشياء إذا مضغتها صارت الشيء الكبير شيئا صغيرا.
أرسل الله موسى بآياتنا وسلطان مبين, السلطان: كل ما يكون للإنسان به سلطة, أي حجة وقوة, ويختلف باختلاف السياق, فالسلطان بالنسبة للأب مع أولاده في التأديب سلطان ضرب, والسلطان فيمن دعوا إلى الله عز وجل سلطان بيان, والسلطان أيضا فيمن جودل سلطان حجة, وهو يختلف باختلاف المواضع, المهم أنه ما كان فيه سلطة على الغير فهو سلطان.
وقوله: **((مبين))** يحتمل أن تكون من اللازم ويحتمل أن تكون من المتعدي, وذلك أن أبان الرباعي يكون لازما ويكون متعديا, فتقول: أبنت له الحق, وتقول: أبان الصبح, أي بان وظهر, فهي رباعية صالحة للتعدي واللزوم, فإن قال قائل: كيف يكون فعلا واحدا صالحا للتعدي واللزوم ؟ قلنا: نعم يصلح, اللغة العربية واسعة, رجع فعل ماضي ثلاثي يكون لازما ويكون متعديا, **((يقولون لئن رجعنا إلى المدينة))** هذا لازم, **((فإن رجعك الله إلى طائفة منهم))** هذا متعدي, فلا مانع من أن يكون الفعل الواحد لازم في سياق متعديا في سياق آخر ومن ذلك أبان, فهل قوله سبحانه وتعالى: **((وسلطان مبين))** معناها بين أو مبين مظهر للحق ؟ ننظر أيهما أبلغ البين في نفسه أو المبين لغيره ؟ الثاني, لأن المبين لغيره لابد أن يكون بينا في نفسه, وعلى هذا فكلمة مبين من المتعدي تكون أشمل وأوسع معنى, وما كان أشمل وأوسع معنى فإنه يؤخذ به, ولا نقول يترك الثاني, لأن الثاني داخل في الأول, طيب .
في هذه الآية الكريمة فوائد منها ... رسالة موسى عليه الصلاة والسلام بالمؤكدات الثلاثة التي ذكرناها آنفا: **((ولقد أرسنا موسى بآياتنا)).**
ومن فوائد الآية أن الله سبحانه وتعالى يكرر ذكر قصة موسى ويبسطها تارة, ويختصرها تارة وينوعها, فهي جمعت بين الكثرة والتنويع من حيث الأسلوب, والتنويع من حيث البسط والاختصار, لأن النبي صلى الله عليه وسلم عاش في قوم مشركين أول الرسالة, وفي قوم يهود بعد الهجرة, ولهذا جاءت السور المكية يذكر فيها قصة موسى ببسط واختصار تارة, لأجل أن يتهيأ النبي صلى الله عليه وسلم لمجادلة اليهود الذين ستكون الهجرة إلى بلد هم ساكنون فيه, ولهذا لا تجد قصة نبي مثل قصة موسى

عليه الصلاة والسلام لا في تنوعها ولا في تكرارها ولا في أسلوبها .
من فوائد الآية الكريمة فضيلة موسى صلى الله عليه وسلم, وذلك بما أكرمه الله به من الرسالة .
ومن فوائد الآية الكريمة أن موسى عليه السلام أوتي آيات, وبين الله تعالى في آيات أخرى أنها تسع آيات.
ومن فوائدها أن موسى أوتي سلطانا أي سلطة وقوة في إقامة الحجة وفي غير ذلك لقوله: **((وسلطان مبين))**.
وإذا أردت أن تعرف شيئا من سلطانه الذي آتاه الله فانظر إلى محاورته في سورة الشعراء مع فرعون حيث ألجمه وألقمه حجرا, وفي النهاية توعده بالقوة يقول فرعون: **((لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين))** هذه كلمة إرهاب **((لأجعلنك من المسجونين))** أشد إرهابا مما لو قال: لأسجننك, لأنه كأنه يقول عندي أناس سجناء كثيرون وأنا قادر على سجنهم وسأجعلك من بينهم فيكون هذا أشد في الإرهاب مما لو قال: لأسجننك .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة ما أشرنا إليه في الآية التي قبلها أنه ما من رسول أرسل إلا وأوتي آيات بينات تدل على صدقه, وهذا من حكمة الله ومن رحمة الله .
الطالب : نبي الله هارون أرسل مع موسى أم نبي ؟
الشيخ : لا رسول, ألم يقولا لفرعون: **((إنا رسولا رب العالمين)).**
الطالب **:** (ما بعث الله نبيا إلا آتاه من الآيات ما على مثله يؤمن البشر) ؟
الشيخ : يعني مثل الآيات التي جاء بها ... عددا أو كيفية, **(ما على مثله يؤمن البشر)** بحسب الذين أرسل إليهم, يعني معناه إن الآيات التي يأتي بها الرسل يؤمن البشر على مثلها, يعني أنها آيات مقنعة نعم .
الطالب : قد يستخدم بعض علماء الجرح والتعديل إذا تكلموا في رجل يقولون هذا الرجل كعصا موسى تلقف ما يئفكون, فبعض الإخوان يمزح بها ... ؟
الشيخ : أنا أرى أن المحدثون الذين يقولون هذا ـ نسأل الله لهم العفو ـ لا ينبغي أن يقولوا هكذا لأنه يخشى أن تستعمل استهزاء, وإن كان المحدثون لا يريدون هذا إطلاقا, فالأولى أن يقال هذا الرجل مثل آية وهذا الرجل واسع الاطلاع, هذا الرجل واسع العلم وما أشبهه.
الطالب : كذلك يقولون: فلان يملك عصا موسى السحرية ؟

الشيخ : هذا أيضا لا يجوز, هـذا أشـد, لأن قـوله عصـا موسـى السـحرية يعني أن ما جاء به سحر, وهذا خطير.
الطالب : ما هو الدليل أن الله يحاسب الناس في نصف يوم ؟
الشيخ : أولا: أحاديث وردت في هذا, والثاني: قوله تعالى: **((أصـحاب الجنة يومئذ خير مسـتقرا وأحسـن مقيلا))** والمقيـل لا يكـون إلا في نصف النهار.
الطـالب : كيـف اسـتفدنا مـن الآيـة: **((ذلـك بـأنهم كـانت تـأتيهم رسلهم بالبينات))** إثبات الأسباب ؟
الشيخ : الباء للسببية .
الطالب : يا شيخ بارك الله فيكم, ما هو الفرق بين الأفعال اللازمة الـتي تتعدى بحرف الجر والتي لا تتعدى ؟
الشيخ : يقولون ما تعدى بنفسه فهو متعدي, وما لم يتعـدي إلـى بحـرف جر فهو لازم, يعني الذي ينصب المفعول به هو المتعدي, وبعضـهم أيضـا قال فيه علامة ثانية ـ هو له علامات منها هذه ـ ومنها أنه يصح منـه صـوغ اسـم المفعـول المتعـدي, وذاك لا يصـح منـه صـوغ اسـم المفعـول إلا بمتعلق.
الطالب : ما المقصود بالسلطان الذي أرسل به موسى. ؟
الشيخ : أما قلنا قوة الحجة, السلطان في كل موضع بحسبه.
الطالب : ... في قوله: **((تلقف ما صنعوا))** يمكن أن تكون تحللـت الأشياء
الشيخ : لا, لا.
الطالب : كما في قوله تعالى: ((**وإن يسلبهم الذباب شيئا**)) ... ؟
الشيخ : لا, هو على كل حال إذا دخل في فمهـا لابـد أن يتحلـل بسـرعة, لكن على مرأى الناس يرونها تلقف تأكل, ... نحن ذكرنا هـذا قلنـا يمكـن هذا.
الطالب : مثل قول القحطاني: اللـه صـيرني عصـا موسـى يتلقـف مثـل الثعبان ؟
الشيخ : هذا من باب المشابهة, من باب التشبيه, فرق بين هذه وبين مـا ذكـره الأخ, هـذا يقـول كـأنني عصـا موسـى يلقـف حججكـم الضـعيفة والباطلة.
الطالب : قول من يقول أن المعجزات السـابقة كـانت معجـزات حسـية خارقة للعادة ثم حين تطور العقل البشـري وبلـغ أوجـه فـي عهـد النـبي

صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن ؟
الشيخ : القرآن, نعم هذا ربما نقول هكذا صحيح, لكن الرسول صلى الله عليه وسلم محمد أتى بمعجزات حسية وأتى بمعجزات معنوية, له معجزات حسية عظيمة, انشقاق القمر معجزة, نبع الماء من بين أصابعه معجزة, فوران الماء من البئر التي نضب ماءها لما مج فيها شيء من فمه معجزات حسية, ما هو بعيد أن أكمل الناس عقولا هم من هذه الأمة كما أخبر الرسول أن الله أكمل به الأخلاق .
الطالب : ... قولهم: هو كعصا موسى يلقف ما يأفكون؛ معروف أن المحدثين أحيانا يطلقون عبارات ويريدون المعنى منها كأنهم يقولون يأخذ عن الكذابين والوضاعين؛ ما وجه قولكم أنه لا ينبغي ؟
الشيخ : أي نعم, لأنا نقول أن عصا موسى عليه السلام صار آية تلقف كل ما يؤفكون, وهذا الرجل مهما كان لا يمكن أن يستوعب.
الطالب : أخذنا أن فاء السببية تنصب وهنا لم تنصب: **((فينظرون))** **؟**
الشيخ : ما نصبت ! كيف ما نصبت ؟ بماذا تنصب الأفعال الخمسة ؟ حذف النون, وهذه (ينظروا).
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ))**.
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى: **((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين))** ما هي الآيات التي أرسل بها موسى ؟ كم آية ؟ تسع آيات.
الشيخ : الباء في قوله: **((بآياتنا))** ما معناها ؟ للمصحابة أو بيان لما أرسل به فتكون للتعدية.
الشيخ : ما هي الحكمة من الآيات التي يعطيها الله الرسل ؟
الطالب: لكي يبين صدق هؤلاء الرسل فيؤمن على مثلها البشر.
الشيخ: تأييدا للرسل ورحمة بالمرسل إليهم طيب.
الشيخ: قوله: **((وسلطان مبين))** ما معنى قوله: ((وسلطان مبين)) ؟ هل معناه أنه أرسله ليكون ملكا على فرعون أماذا ؟
الطالب: السلطان الحجة ومبين ظاهر أو مظهر .

الشيخ: أو كلاهما, وكل شيء للإنسان فيه سلطة يسمى سلطانا سواء كان حجة أو علم أو سلاح أو غير ذلك, طيب.
الشيخ: تسع الآيات التي أرسل بها موسى عدها علينا ؟
الطالب: بسم الله الرحمن الرحيم, أولا: العصا, ثانيا: اليد, ثالثا: الجراد ...
الشيخ: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم, كم هذه ؟
الطالب: هذه سبع, انفلاق البحر.
الشيخ: ثمان.
الطالب: نقص الثمرات.
الشيخ: السنين ونقص من الثمرات, طيب وبعضهم قال ضرب الحجر بالعصا فيتفجر, طيب, فيه احتمال في الواقع أما لبني إسرائيل فيدخل فلق البحر وكذلك انفجار الماء من الحجر, لكن هذه الثنتين ليس لآل فرعون, ولكن لهم السنين ونقص الثمار بالإضافة إلى السبع السابقة.
نبدأ من الآن قال: **((إلى فرعون))** متعلق بأرسلنا, وفرعون هو حاكم مصر الذي ملكها وسلط على بني إسرائيل, فكان يقتل أبناءهم ويستحيي نسائهم, قيل أنه كان يفعل ذلك من أجل أنه قال له بعض الكهنة إنه سيكون في بني إسرائيل رجل يكون زوال ملكك على يده هذا قول.
وقول آخر إنه فعل ذلك إذلالا لهم وإهانة, لأنه إذا قتل الرجال وبقي النساء هلكت الأمة, وهذا القول أقوى, وذلك لأن القول الأول معتمده النقل عن بني إسرائيل, ومعلوم أن النقل عن بني إسرائيل لا يصدق ولا يكذب, والمعنى المعقول لكونه يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم هو إذلال هذا الشعب, وهو قلة بالنسبة للأقباط.
((إلى فرعون وهامان)) هامان وزير فرعون, وقارون.

نبدأ من الآن قال: **((إلى فرعـون))** متعلـق بأرسـلنا, وفرعـون هـو حاكم مصر الذي ملكها وسلط على بني إسـرائيل, فكـان يقتـل أبنـاءهم ويستحيي نسائهم, قيل أنه كان يفعل ذلـك م ن أجـل أن ه قـال ل ه بعـض الكهنة إنه سيكون في بني إسرائيل رجل يكون زوال ملكك على يده هذا قول.
وقول آخر إنه فعل ذلـك إذلالا لهـم وإهانـة, لأنـه إذا قتـل الرجـال وبقـي النساء هلكت الأمة, وهذا القول أقوى, وذلـك لأن القـول الأول معتمـده النقل عن بني إسرائيل, ومعلوم أن النقل عن بني إسرائيل لا يصـدق ولا يكذب, والمعنى المعقول لكونه يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم هـو إذلال هذا الشعب, وهو قلة بالنسبة للأقباط.
((إلى فرعون وهامان)) هامـان وزيـر فرعـون, وقـارون تـاجر آل فرعـون, لأن قـارون كـان غنيـا غنـى عظيمـا, حـتى قـال اللـه تعـالى: **((وآتيناه من الكنوز))** أي من الذهب والفضـة **((مـا إن مفـاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة))** تنوء يعني تثقل بهم, أي تثقـل العصـبة أي الطائفـة مـن النـاس الأقويـاء, هـذه مفـاتيحه, إذن فـالخزائن كـثيرة وعظيمة.
((وقارون فقـالوا)) الضـمير يعـود علـى الثلاثـة فرعـون وهامـان وقارون **((فقالوا ساحر كذاب))** س احر خـبر مبتـدأ محـذوف قـدره المفسر بقوله: **" هو ساحر كذاب "** والساحر اسم فاعل مـن السـحر وهو الذي يسحر الناس فيريهم الحقائق على غير ما هي عليه, وليس هو الذي يغير الحقائق لأنه لا يغير الحقائق إلا الخـالق عـز وجـل, لكـن يـري الناس الحقائق على غير ما هي عليه, مثل مـا فعـل السـحرة سـحرة آل فرعون حين ألقوا الحبال والعصـي فرآهـا النـاس وكأنهـا حيـات تسـعى, ثعابين وهي ليست كذلك, هؤلاء قالوا أن موسى ساحر كيف يلقي العصا فتكون حية ؟ كيف يدخل يده فتخرج بيضاء من غير سـوء ؟ ليـس هـذا إلا سحر.
كذاب أي كاذب فيما ادعى من الرسالة, فهو في آياته ساحر وفي دعواه كاذب, ثم قال كذاب صيغة مبالغة أو نسبة, والفرق بيـن صـيغة المبالغـة والنسبة أن النسبة وصف ملازم, وصـيغة المبالغـة فعـل حـادث متكـرر, أعرفتم فكلمة النجار هذه نسبة وقد تكون صـيغة مبالغـة لكـثرة نج ارته, وأما إذا قيل فلان أكال للطعام فهذا قد لا يكون نسبة ولكـن لكـثرة أكلـه وصف بأنه أكال.

((فلما جاءهم بالحق)) أرسله الله بالآيات, وقالوا ساحر كذاب: " **((فلما جاءهم بالحق)) بالصدق ((من عندنا))** " من عند الله عز وجل وهو الوحي, حينما قال موسى عليه الصلاة والسلام لهم إن الله هو ربكم وأن الله واحد وما أشبه ذلك مما جرت فيه المحاورة بينه وبين فرعون وهذا مذكور في سورة الشعراء وفي سورة الإسراء وغيرها؛ لما جاءهم بالحق الذي عجزوا أن يقابلوه بالحجة الدامغة توعد فرعون موسى فقال : **((لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين))** وهذا وعيد, شيء آخر: **" ((قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا)) استبقوا ((نسائهم)) "** وعلى هذا فيكون القتل لأبناء بني إسرائيل واستحلال النساء يكون وقع مرتين, المرة الأولى قبل أن يبعث موسى, والمرة الثانية بعد أن بعث, قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم لئلا يبقى لهم شوكة, ولتزول هيبتهم, لأنه إذا لم يبقى إلا النساء فالنساء ضعيفات لا يدفعن عن أنفسهن, ولا يدافعن عن حقوقهن, فيبقى موسى وقومه على أسوأ حال **((اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نسائهم))** إلى آخره.

ونرجع للفوائد لئلا نبعد:

قال الله عز وجل : **((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين))** في هذه الآية الكريمة تأكيد رسالة موسى عليه السلام.

ويتفرع هذه الفائدة إقامة الحجة على بني إسرائيل الذين كفروا واعتدوا مع أن الله قد أرسل إليهم هذا الرسول الكريم.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى لا يرسل رسولا إلا بآية بينة تدل على صدقه, وقد أكد ذلك الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(أن الله ما بعث نبيا إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر).**

ومن فوائد الآية الكريمة أن الآيات سلطان وحجة على من أرسلوا إليهم أعني الرسل بدليل قوله: **((وسلطان مبين))** وعلى هذا فيكون عطف سلطان على آيات من باب عطف الشيء على نفسه لبيان فائدته وثمرته فالآيات هي السلطان .

ومن فوائد الآية الكريمة أن الآيات لابد أن تكون مبينة مظهرة للحق لقوله: **((وسلطان مبين)).**

ثم قال: **((إلى فرعون وهامان وقارون))** إلى آخره **.**

مـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة أن الزعمـاء يقومـون مقـام الأتبـاع لأن الرسالة ليست إلى هؤلاء الثلاثـة فقـط بـل إلـى آل فرعـون كلهـم لكـن الأسياد يقومون مقام الأتباع.

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة أن العتـاة المعانـدين للرسـل تتنـوع أسـباب عنادهم ومعارضتهم للرسل قد تكون السـلطة وقـد تكـون الـوزارة وقـد يكون المال وقد تكون القوة البدنية ففي هذه الآية ثلاثة أسـباب: الملـك والثاني الوزارة والثالث المال, وفـي عـاد القـوة البدنيـة قـالوا: **((من أشد منا قوة)).**

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة مكـابرة المكـذبين للرسـل حيـث قـالوا لهـذا الرسول الكريم أنه ساحر وأنه كذاب.

ومن فوائدها أن ما قالوه في رد الدعوة مجـرد دعـوى لأنـه لـم يقيمـوا على دعواهم أي دليل, مجرد قالوا ساحر كذاب وهذا يلجأ إليـه الضـعفاء العاجزون إذا عجزوا عن مدافعة الحجة بالحجة ذهبوا إلى السب والشتم وما أشبه ذلك.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الآيات التي تأـتي بها الأنبياء يعجز عن مثلها عامة الناس لقوله: **((ساحر))** والساحر مـن يـأتي بـأمور تعجـز الناس.

لكن الفرق بين الساحر وبين النبي أن النبي مؤيد من عند الله عـز وجـل لا بفعله هو بمعنى أن الساحر هو الذي يعالج الشيء حتى يأتي بالمعجزة أما النبي فإن الآيات تأتيه بدون أي عمل منه بـل بـإرادة اللـه عـز وجـل, فإذا قال إنسان إذن ما الفرق بين الكرامة وآية النبي ؟ قلنا الفرق بينهما أن الكرامة تأتي لمتبع النبي وأما الآية فتأتي للنبي نفسه, أي أن من آتـاه الله الكرامة من الأولياء ليس يقول أنـه رسـول ولا أنـه نـبي ولكـن اللـه يؤتيه الكرامة تأييدا له أو تأييدا للإسلام وفي ذلـك أيضـا آيـة للنـبي الـذي يتبعه.

ثم قال الله تعالى **: " ((وما كيد الكافرين إلا في ضـلال))** **هلاك** **"** ما نافية, وكيد مبتدأ أو نجعلها اسمها ؟ كيـد مبتـدأ, ولا يصـح أن يكـون اسمها لأن من شرط عمـل مـا عمـل ليـس ألا ينتقـض النفـي, قـال ابـن مالك:

مع بقا النفي وترتيب زكن

فإذا انتقض النفي فإنها لا تكون عاملة عمل ما, وفي القرآن الكريم كثير من هذا: **((ما هذا إلا بشر مثلكم))** ولم يقـل مـا هـذا إلا بشـرا لأنـه

انتقض النفي, إذا ما نافية, وكيد مبتدأ, كيد الكافرين ما هو الكيد ؟ الكيد والمكر والخداع وما أشبهها كلها كلمات متقاربة معناها التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر, يعني يتوصل إلى الإيقاع بخصمه بأسباب خفية لا يشعر بها الخصم لأن الكائد والماكر والخادع لا يأتي بالشيء علنا هكذا بل بأسباب خفية, فهي التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر أي بأسباب خفية, فالكفار لهم كيد عظيم يكيدون على الإسلام وليسوا يكيدون للإسلام, لأن هناك فرق بين الكيد على الشيء والكيد للشيء قال الله تعالى : **((كذلك كدنا ليوسف))** ولم يقل (على) لكن الكيد بالعدو هذا يسمى كيدا عليه, الكافرين لهم كيد على الرسل يكيدون كيدا عظيما, ويفعلون كل سبب يدحضون به حجة الرسل, ولكن مهما عملوا فالله عز وجل يقول: **((إلا في ضلال))** كيدهم في ضلال أي في هلاك وضياع كما أن الضال لا يهتدي السبيل كذلك كيد هؤلاء الكفار لا يوصلهم إلى المقصود.

من فوائد هذه الآية الكريمة أن موسى عليه الصلاة والسلام أتى بالحق إلى فرعون وهامان وقارون وهذا يدل على أنه صدع به أمامهم.

ومن فوائدها أن هؤلاء المكذبين عجزوا عن رد الحق الذي جاء به فلم يقابلوا الحجة بمثلها.

ومن فوائدها أن هؤلاء الثلاثة لجئوا إلى القتل والتهديد قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه.

ومن فوائدها أن الذي يحمي الديار ويدافع عنها هم الرجال, وأن المرأة ليست بذاك الذي يدافع عن البلد أو يدفع العدو دليل ذلك أن هؤلاء قالوا: **((اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه)).**

ومن فوائد هذه الآية التعصب التام للكافرين يعني أنهم متعصبون فهم يقولون: **((اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه))** يعني وغير المؤمنين من بني إسرائيل لا تقتلونهم اقتلوا أبناء الذين آمنوا.

ومن فوائدها أن الله تعالى قد يسلط أعدائه على المؤمنين امتحانا وابتلاء, والواقع كذلك, وقد يكون الإنسان كلما اشتد إيمانه اشتد إيذاء أعداء الله له.

ومن فوائد الآية الكريمة أن الكفار يكيدون للمؤمنين لقوله : **((وما كيد الكافرين إلا في ضلال))**.

ومن فوائد الآية الكريمة الحكم على هؤلاء الثلاثة بأنهم كفار, ولهذا لم يقل وما كيدهم بل أظهر في موضع الإضمار إشارة إلى أن هؤلاء كفار,

وقد سبق لنا أن الإظهار في مقام الإضمار يستفاد منه فائدتان:
الفائدة الأولى: الحكم على هؤلاء الذين حل الظاهر محل ضميرهم بهذا الوصف, والثاني: العموم والشمول, الثالث: التعليل **((وما كيد الكافرين إلا في ضلال))** .
من فوائد الآية الكريمة البشرى التامة للمؤمنين بأن الكفار مهما كادوا فإن كيدهم ضائع وهالك لن ينفعهم ولن يستفيدوا منه شيئا وإن استفادوا فإنما يستفيدون فائدة مؤقتة والعاقبة للمتقين.
ثم قال الله تعالى : **((وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه))** أعوذ بالله كانوا اقترحوا أن يقتلوا أبناء بني إسرائيل ويستحيوا نسائهم, لكن فرعون قال: **((ذروني أقتل موسى وليدع ربه))** اتركوني أقتل موسى, وإنما قال هذا لأن موسى هو زعيم بني إسرائيل, ومعلوم أن قتل الزعيم يوجب وهن الأتباع وضعفهم.
وفي قوله: **((وقال فرعون ذروني أقتل موسى))** اتركوني دليل على تمويه فرعون وأنه رجل مموه كائد خبيث, كأنه يقول إن الناس يمسكونني عن قتل موسى ولولا أن الناس يمسكوني لقتلته, فيقول اتركوني عليه اتركوني أقلته, مع أنه لا أحد يستطيع أن يرده عن مراده لأنه يقول لهم أنا ربكم الأعلى, لكن يموه ذروني أقتل موسى, وأقتل: مجزوم على أنه جواب الأمر **((ذروني أقتل موسى))** وجواب الأمر يكون مجزوما؛ وهل هو مجزوم به أو بشرط مقدر ؟ على قولين:
القول الأول: أنه مجزوم به والثاني: أنه مجزوم بشرط مقدر, التقدير: إن تذروني أقتل موسى, والقاعدة عندنا في التفسير وفي الحديث أنه إذا دار الكلام بين التقدير وعدمه فالأصل عدم التقدير, وعلى هذا فنقول أقتل فعل مضارع مجزوم على أنه جواب الأمر وعلام جزمه السكون.
((أقتل موسى)) قال: " لأنهم كانوا يكفونه عن قتله " بنى المؤلف رحمه الله قوله هذا على ظاهر اللفظ أنهم كانوا يكفونه ويقول ذروني أقتله, ولكن الذي نرى أنه كذاب لم يكفه أحد عن قتله, ولا يستطيع أحد أن يكفه عن قتله أبدا, لكن هو أراد أن يموه, لأنه لا يستطيع أن يقتل موسى, فتظاهر أنه يكف عن قتله ويقول: **((ذروني أقتل موسى)) قال: ((وليدع ربه))** تحدي والعياذ بالله, الواو حرف عطف, واللام لام الأمر, وليدع ربه: ويدعوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف الواو والضمة قبلها دليل عليها, وأصل يدع يدعوا, وقوله: أقتله وليدع هذا تحدي سافه لموسى ومن أرسله سبحانه

وتعالى, يعني إن كان صادقا فليدع هذا الرب الذي أرسله ليمنعه مني.
وقوله: **((وليدع ربه))** ذكرنا لكم أن اللام لام الأمر, وهل لام الأمر ساكنة أو مكسورة ؟ نقول هي ساكنة, لكنها بعد الواو والفاء وثم تكون ساكنة قال الله تعالى : **((فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع))** وقال تعالى : **((ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم))** وهنا قال: **((وليدع ربه)).**
وقوله: ربه ولم يقل ربنا لأنه لا يعترف ظاهرا بربوبية الله وإنما أضاف الربوبية إلى موسى من أجل التنكيت, يعني كأنه يقول هذا ربك الذي زعمت إن كنت صادقا فليمنعك مني.
((إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)) أنا عندي: **((وأن يظهر في الأرض الفساد))** انتظروا سيذكر المؤلف القراءات؛ **((إني أخاف أن يبدل دينكم))** هذا الخوف حقيقة أو لا ؟ نعم حقيقة هو يخاف أن موسى بما معه هؤلاء يبدل دين هؤلاء, لأن دينهم التعبد لفرعون. وموسى يقول اعبدوا الله. فإذا جاء بالآيات واتبعه الناس بدل الدين فصار الناس بدل أن يتجهوا إلى فرعون ويعبدون يتجهون إلى الله عز وجل. ولهذا قال: **" ((أن يبدل دينكم)) من عبادتكم إياي فتتبعونه "** إذن دينهم هو عبادتهم فرعون فإذا دعاهم موسى إلى عبادة الله انصرفوا إلى الله فتبدل الدين واتبعوا موسى.
((وأن يظهر في الأرض الفساد)) الفساد على زعمه هو صرف الناس عن عبادته إلى عبادة الله هذا وجه, ووجه آخر تفريق الناس, بدل أن كان متفقين عليه ما بين خائف وما بين راغب يختلفون, فيكون بعضهم تابع لموسى وبعضهم لفرعون, وتفرق الأمة لا شك أنه فساد, فصار إظهار الفساد الذي يدعيه من وجهين, الأول: تغيير الدين والثاني: تفريق الأمة.
" ((وأن يظهر في الأرض الفساد)) من قتل وغيره " القتل هذا غالبا من لازم الاختلاف بين الأمة أن يصل بينهم النزاع إلى المقاتلة, أو غيره ومنه تغير عبادة الناس من عبادة فرعون إلى عبادة الله.
قال: **" وفي قراءة أو "** إذا الشارح شرح على الواو, لأنه قال: وفي قراءة أو, طيب القراءة هذه سبعية بناء على الاصطلاح الذي ذكرنا لكم أنه إذا قال: وفي قراءة أو قال: بالضم والفتح مثلا فهي سبعية, وإذا قال: قرئ فهي شاذة؛

" وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال " وأن يظهر في الأرض الفساد ضم الدال على أن الفساد فاعل يظهر, طيب هذه القراءات هل تختلف معنى ؟ نعم تختلف معنى من حيث الظاهر, لكن مؤداها واحد, لأنه إذا أظهر موسى الفساد في الأرض ظهر الفساد, فيكون اختلاف القراءات فيه فائدة.

أولا: الفائدة من أو والواو, إذا كانت (أو) صار خاف أحد أمرين أن يبدل الدين أو أن يظهر الفساد, والواو **((أن يبدل دينكم وأن يظهر))** يكون خاف من اجتماع الأمرين: تبديل الدين وظهور الفساد, ولا بد من أحد الأمرين, إما أن يبدل الدين وإما أن يظهر الفساد, وإن لم يبدل الدين لكن يكون هناك قتل ونزاع, ولابد أيضا من طرف آخر أن يجمع بين الأمرين: تبديل الدين وظهور الفساد؛ بالنسبة ليظهر ويظهر نقول إذا قصد إظهار الفساد فقد يظهر وقد لا يظهر فإذا كان: **((وأن يظهر في الأرض الفساد))** صار حصول ما أراده من إظهار الفساد, طيب فالقراءات مؤداها واحد, **((وأن يظهر في الأرض الفساد وقال موسى))** إلى آخره.

نؤخذ الفوائد من فوائد هذه الآية الكريمة: **((وقال فرعون ذروني))** إلى آخره تمويه فرعون وأنه رجل ماكر مخادع يظهر خلاف الواقع لقوله : **((وقال فرعون ذروني أقتل موسى))**.

ومن فوائد الآية الكريمة: شدة حنق فرعون على موسى إلى حد أنه أراد قتله.

ومن فوائد الآية الكريمة: شدة تحدي فرعون حيث قال: **((دعوني أقتله وليدع ربه))** يعني يتحداه إذا دعا ربه هل يفيده أو لا .

ومن فوائد الآية الكريمة: خوف الكفار من سلاح المؤمنين بالدعاء لقوله: **((وليدع ربه))** وإن كان المقصود التحدي لكن لا شك أنه قد فهم أن الدعاء سلاح لموسى عليه السلام.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تعصب الكفار لدينهم لقوله : **((إني أخاف أن يبدل دينكم))** .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن قوم فرعون يدينون له بالعبادة, يعني يتخذون تذللهم له عبادة لقوله: **((إني أخاف أن يبدل دينكم)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكفار يرون أن الإيمان فساد في الأرض لقوله : **((أو أن يظهر في الأرض الفساد))** وإذا كانوا يرون ذلك فلابد أن يحولوا بين الناس وبينه حتى لا تفسد الأرض على زعمهم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكفار يدعون ما هو كذب لإبقائهم على ما هم عليه وهو دعواهم أن الناس إذا دانوا لله ظهر في الأرض الفساد من أجل أن يبقوا الناس على تدينهم لفرعون والله أعلم .

الطالب : ...

الشيخ : يقول أن بعض العلماء قال: إن ما أصاب الرسل من التكذيب والتعذيب أشد مما أصاب يوسف من اتهامه بما اتهم به ؟

فيقال: لكل شيء حكم, فيوسف عليه الصلاة والسلام اتهم بما اتهم به وعذاب عليه, وسجن مع براءته وظهور براءته في النهاية, وهؤلاء المكذبين فعل أكثر مما فعل بيوسف من التعذيب, بل بعضهم قتل, فلكل شيء وجه, ولا يمكن المقارنة بين هذا وهذا.

الطالب : هل هلك فرعون وهامان وقارون كلهم مرة واحدة ؟

الشيخ : أما قارون فالله عز وجل بين أنه خسف به وبداره الأرض فليس ممن هلك بالغرق, وأما هامان فالظاهر أنه هلك مع فرعون.

الطالب : هل صحيح أن قارون سبب هلاكه أنه أتى بامرأة وقالت أن موسى زنى بها ... ؟

الشيخ : أبدا, افتخاره بماله هو الذي خسف به الأرض.

الطالب : هل فرعون أصله عربي ؟

الشيخ : يقولون أن اسم فرعون مصعب بن الريان, ونقول من قال هذا ؟ فرعون قطبي خبيث وهو بريء من العرب, والعرب بريئون منه, ويمكن اليهود يمكن يقولون هذا, لأن اليهود من بني إسرائيل وفرعون عدوهم, والعرب الآن أعداؤهم, قالوا حطوا فرعون معهم ويمشي .

الطالب : قوله: **((إن قارون كان من قوم موسى))** قيل أنه عم موسى, فإذا هو من بني إسرائيل .؟

الشيخ : الله أعلم.

الطالب : لام الأمر في قوله: **((لتستووا على ظهوره))** لماذا هي مكسورة. ؟

الشيخ : أولا هي ليست لام الأمر, وهي مكسورة أيضا, حتى لو كانت لام الأمر صارت مكسورة, ولكن اللام في قوله: **((لتستووا))** ليست للأمر, بل معناها التعليل: **((جعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره))**.

الطالب : ما هو الضابط ؟

الشيخ : الضابط السياق **((لينفق ذو سعة من سعته))** هذه لام

أمـر **((إنـا أرسـلناك شـاهدا ومبشـرا ونـذيرا لتؤمنـوا بـالله ورسوله))** اللام هذه يحتمل أن تكون للتعليل ويحتمل أن تكون للأمـر, ولكنها للتعليل أظهر.

الطالب : اللام فـي قـوله تعـالى: **((وليرضوه وليقـترفوا مـا هـم مقترفون))** ؟

الشـيخ : لام الأمـر: **((ولتصـغى إليـه أفئـدة الـذين لا يؤمنـون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا))** ليست لام الأمـر لام التعليـل, ولهـذا لام التعليل لا تسكن ولو بعـد الحـروف الثلاثـة بـل هـي مكسـورة دائمـا: **((ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا))** ما تقول: ولْيتمتعوا نعم.

الطالب : ما صحة رواية قصة هلاك قارون ... ؟

الشيخ : أنا قلت لك أن قارون أهلكه اللـه عـز وجـل بمـا أهلكـه بـه لأنـه افتخر بماله: **((قال إنما أوتيته على علم عندي))** ومسألة المرأة التي قال أنه زنا بها موسى ما هي صحيحة .

القارئ: **((وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُـلِّ مُتَكَبِّـرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُـمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَـدْ جَـاءَكُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُـمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنصُـرُنَا مِـنْ بَـأْسِ اللَّـهِ إِنْ جَاءَنَـا قَـالَ فِرْعَـوْنُ مَـا أُرِيكُـمْ إِلَّا مَـا أَرَى وَمَـا أَهْـدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))**[غافر :29].

الشيخ : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قـال اللـه تبـارك وتعالى في قصة موسى مع فرعون, أنهم أي فرعون قـال ذرونـي أقتـل موسى, فهل هذا على ظاهره أو هو تمويه ؟

الطالب: تمويه.

الشيخ : تمويه, كيف ذلك ؟

الطالب: أنه قادر على ذلك.

الشيخ : يعني ومن يمنعه ؟ ولكن موه للناس أنه ممنوع مـن قتلـه, حـتى يقولوا لماذا لم يقتله ؟

الشيخ : طيب قوله: **((وليدع ربه))** ماذا تفيد هذه الجملة ؟ ماذا يفيد قول هذا من فرعون ؟

الطالب: يفيد التحدي.

الشيخ : يعني إن كان ربا يجيبك فادعه.
الشيخ : قوله: **((إني أخاف أن يبدل دينكم))** بماذا ؟
الطالب: أن يصرفهم من عبادة فرعون إلى عبادة الله.
الشيخ : طيب قوله: **((أو أن يظهر في الأرض الفساد))** فيها قراءة: **((وأن يظهر في الأرض الفساد))** يَظهر ويُظهر, طيب كيف تكون (الفساد) على القراءتين ؟ تكون مرفوعة وعلى يُظهر تكون بالفتح على أنها ... طيب (أو) فيها قراءتان ثانية ؟ بالواو **((وأن يظهر)) ((أو أن يظهر))**
الشيخ : طيب ما هو الفساد الذي قاله فرعون ؟ ... وهو يرى أن هذا فساد لقوله: **((أن يبدل دينكم))** والثاني ؟ ... ويؤدي ذلك إلى الفوضى والاقتتال.
الشيخ : طيب نبدأ الدرس الجديد قال الله تبارك وتعالى **:" ((وقال موسى لقومه)) وقد سمع ذلك ((إني عذت بربي وربكم)) إلى آخره "** قوله: **((وقال موسى لقومه إني عذت))** توجيه القول إلى قوم موسى ليس بصواب, بل قال موسى لفرعون: **((إني عذت بربي وربكم))** هذا إن كان فرعون قد قاله له مواجهة يعني قال ذروني أقتل موسى مواجهة, فإن موسى قال: إني عذت بربي وربكم منكم ولكن قال: من كل متكبر؛ أما إذا كان فرعون يتحدث مع قومه وسمع موسى ذلك فعلى ما قال المؤلف رحمه الله تعالى: أن موسى لما سمع هذا قال إني عذت بربي وربكم؛ ولكن الظاهر والله أعلم أن المعنى الأول أصح, أنه قاله لفرعون حين قال ذروني أقتل موسى.
قال: **((إني عذت بربي وربكم))** عذت: بمعنى اعتصمت بالله, لأن العياذ بالشيء الاعتصام به, قال العلماء: ويقال العياذ والليـاذ, قال العلماء: الفرق بين العياذ والليـاذ أن الليـاذ بما يرجى والعياذ بما تخشاه, وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره, لا يجبر
الناس عظم أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

إذن معنى عذت اعتصمت, بربي وربكم هذه الربوبية العام والخاصة, ربي هذه ربوبية خاصة, وربكم ربوبية الله لفرعون وقومه من الربوبية العامة.
((من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)) وهذا الوصف ينطبق

تماما على فرعون فهو متكبر طاغ عات عال, والمتكبر هو المترفع كبرياء عن الحق وعلى الخلق, لأن الكبر إما عن الحق وإما على الخلق لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(الكبر بطر الحق وغمط الناس)** بطر الحق: يعني احتقاره وازدرائه وهذا التكبر عن الحق, وغمط الناس: يعني احتقارهم وهذا التكبر على الخلق, وإذا اجتمع في قلب المرء تكبر على الخلق وتكبر عن الحق فهو الهالك والعياذ بالله.

وقوله: **((لا يؤمن بيوم الحساب))** يعني يوم القيامة, وعدل عن قوله يوم القيامة إلى يوم الحساب لأن الحساب أشد خوفا من يوم القيامة, إذا قيل لإنسان أنك سوف تحاسب على ما عملت من خير وشر فإنه سوف يخاف ويوجل ويستقيم, وإنما ذكر الحساب دون القيامة لأنه أشد تخويفا فإن الإنسان إذا علم أنه سيحاسب على عمله فسوف يرتدع عن المعاصي ويقوم بالأوامر.

((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا)) إلى آخره, لما سمع هذا الرجل المؤمن بتهديد فرعون لموسى بالقتل قال ذلك, وتأمل سياق الآية: **((وقال رجل مؤمن))** لم يعينه باسمه بل قال رجل مؤمن كتمانا له, لأنه ليس المقصود معرفة الاسم إنما المقصود معرفة القضية, أما تعيين الأسماء فهي من فضول العلم, بمعنى أنه إن حصل فهذا طيب, وإن لم يحصل فليس ذا أهمية, **((وقال رجل مؤمن من آل فرعون))** مؤمن بالله, وربما نقول مؤمن بموسى أيضا **((من آل فرعون))** يحتمل أن المراد من قرابته, لأن آل الإنسان قرابته, ويحتمل أن المراد من أتباعه, لأن الآل تطلق على الأتباع, وأيا كان فالرجل ليس من بني إسرائيل, بل هو من قوم فرعون, سواء كان من قرابته أو من قومه الذين ينتمون إليه.

وقول المؤلف: **" قيل هو ابن عمه "** هذا قول أشار المؤلف إلى ضعفه بكلمة قيل؛ **((يكتم إيمانه))** أي يخفيه ويسره خوفا على نفسه, وفي قوله: **((رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه))** هذه ثلاث صفات:

مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وقد قال علماء النحو: إن النكرة إذا وصفت أول مرة فإن ما بعدها يجوز أن يكون حالا ويجوز أن يكون صفة, وعلى هذا فيجوز أن يكون من آل فرعون حال, يكتم إيمانه حال, ويجوز أن يكون من آل فرعون صفة ثانية, ويكتم إيمانه حال, ويجوز أن تكون من آل فرعون صفة ثانية, ويكتم إيمانه صفة ثالثة, **((يكتم**

إيمانه)) أي يخفيه عن فرعون وقــومه **((أتقتلون رجلا أن يقــول ربي الله)).**

وعلى هذا فيجوز أن يكون من آل فرعون حال, يكتم إيمانه حال, ويجوز أن يكون من آل فرعون صفة ثانية, ويكتم إيمانه حال, ويجوز أن يكون من آل فرعون صفة ثانية, ويكتم إيمانه صفة ثالثة, **((يكتم إيمانه))** أي يخفيه عن فرعون وقومه **((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله))** الاستفهام هنا للإنكار, يعني كيف تقتلون رجلا لم يأت بشيء إلا أنه يقول ربي الله ؟ وهذا كقوله تعالى : **((وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد))**.

وقوله: **((أن يقول))** أن هذه مصدرية على تقدير اللام ولهذا قدرها المفسر بقوله: **" أي لأن ((يقول)) "** وعلى هذا تكون أن منزوعة اللام التي للتعليل, أي بقوله ربي الله, يعني ربي الله لا فرعون وهم يرون أن ربهم فرعون.

" ((وقد جاءكم بالبينات)) بالمعجزات الظاهرات ((من ربكم)) " قد جاءكم بالبيات: الباء للمصاحبة, والبينات: صفة لموصوف محذوف وتقديرها خلافا للمؤلف الآيات, أي جاءهم بالآيات البينات أي الظاهرات التي تدل دلالة قاطعة على أنه نبي, **((وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم))** هذا يسمى عند علماء المنطق الصبر والتقسيم, لأن موسى الآن إما أن يكون صادقا وإما أن يكون كاذبا, وليس هناك رتبة بين الصدق والكذب, لأنه هو يقول أنه رسول الله, فإما أن يكون صادقا في هذا وإما أن يكون كاذبا, وعلى كل فإنه لا يضركم أن تصدقوه ولهذا قال: **((فإن يك كاذبا فعليه كذبه))** يعني عليه ضرر كذبه, وسوف يوقع الله به الخزي والعار لو كذب على الله, قال الله تعالى: **((ومن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه))** والآيات في هذه المعنى كثيرة, وأن الله تعالى يهتك سره ويبين كذبه, فيكون كذبه عليه **((وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم))** إن يك صادقا في أنه رسول وكذبتموه أنتم أصابكم بعض الذي يعدكم من العذاب عاجلا, وكذلك يصبكم في الآخرة آجلا, فصار الآن الخطر عليه إن كان كاذبا وأنتم سوف تسلمون, والخطر عليكم إن كان صادقا وهو سوف ينجوا, وهذا لا شك أنه من تمام نصحه أن الرجل تنزل مع آل فرعون إلى هذا التنزل لم يقل أنه صادق مع أنه كان يؤمن به, لكن هذا من باب التنزل, وهنا قال: **((أتقتلون رجلا))** ولم يقل أتقتلون موسى إبعادا للتهمة عن نفسه لئلا يظن أحد أنه كان يعرف موسى وأنه يدافع عنه عن معرفة, ولكنه

أتى برجلا النكرة إبهاما للأمر وشدة في إخفائه نعم.
((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)) إن الله لا يهدي من هو مسرف: أي متجاوز للحد, كذاب: أي ذو كذب, وهل هذه الجملة التعليلية هل هي تعود على موسى أو تعود على فرعون ؟ نقول هي صالحة للأمرين, كل من كان مسرفا كذابا فإن الله لا يهديه, هذا الوصف ينطبق على فرعون فإنه مسرف متجاوز للحد كذاب مدع ما ليس له يقول: **((أنا ربكم الأعلى))** وكذب في ذلك, فهو مسرف كذاب, كذلك أيضا في مقام المجادلة والتنزل تنطبق على موسى لو كان كاذبا, فإنه يكون مسرفا متجاوز للحد وادعائه الرسالة وهو كاذب, وكذلك كذاب لأنه ادعى ما ليس صادقا فيه, وعلى كل حال فالجملة هنا صالحة لأن تكون منطبقة على فرعون, وهي منطبقة على الحقيقة أو على موسى من باب التنزل مع الخصم.
في هذه الآية والتي قبلها فوائد منها: قوة موسى عليه الصلاة والسلام وصراحته حيث أعلن أمام مهدديه بالقتل بأنه عاذ بالله ربه وربهم لقوله: **((إني عذت بربي وربكم)).**
ومنها قوة توكله عليه الصلاة والسلام حيث اعتمد على الله أمام هذا الطاغية الذي يسهل عليه أن ينفذ ما توعد به.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وصف فرعون بهذين الوصفين الذميمين التكبر وأنه لا يؤمن بيوم الحساب.
ومن فوائدها العدول إلى العموم دون الخصوص لأنه لم يقل إني عذت بربي وربكم من فرعون ولكن قال من كل متكبر ليعم فرعون وغير فرعون.
ومن فوائدها أيضا أنه إذا جاءت بصيغة العموم وبالوصف انطبقت على فرعون وبينت أنه متصف بالاستكبار, وكذلك الكفر بيوم الحساب .
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات يوم الحساب وهو يوم القيامة, والحساب ليس مناقشة الإنسان على عمله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(من نوقش الحساب عذب)** لأن الله لو ناقشك لكانت نعمة من نعمه تغطي جميع الحسنات التي قمت بها, بل إن حسناتك التي قمت بها نعمة من الله عز وجل تحتاج إلى شكر, ثم إذا وفقت إلى شكرها تحتاج إلى شكر آخر للتوفيق إلى الشكر ثم هلم جرا, ولهذا قال الشاعر:
إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر
وهذا صحيح, فالحساب هو أن اللـه تعـالى يخلـو بعبـده المـؤمن ويقـرره بذنوبه, فيقول: عملت كذا عملت كـذا فـإذا أقـر قـال: **(قد سـترتها عليك فـي الـدنيا وأنـا أغفرهـا لـك اليـوم)** أمـا الكفـار فـإنهم لا يحاسبون محاسبة من تـوزن حسـناته وسـيئاته لأن ليـس لهـم حسـنات, ولكن تحصى أعمالهم, ويوقفون عليهـا, ويخـزون بهـا, يعنـي يـذلون بهـا ويقـال: **((هؤلاء الـذين كـذبوا علـى ربهـم ألا لعنـة اللـه علـى الظالمين))** هذا هو حساب الكفار وذاك حساب المؤمنين.
ثم قال تعالى: **((وقال رجل مؤمن))** إلى آخره.
من فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي العناية بمضمون القصة دون عين من وقعت عليه لقوله: **((وقال رجـل مـؤمن))** وإلا فنحـن نعلـم أن الله يعلم من هذا الرجل, ويعلم اسمه ونسبه وكل شيء يتعلق بـه, لكـن الله تعالى ذكره إبهاما إشارة إلى أن المهـم مضـمون القصـة دون عيـن من وقعت عليه إلا إذا كان في تعيينه مصلحة فالمصلحة ذكره وتعيينه .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه قد يكون من صـلب المعـادين مـن هـو من الأولياء, لقوله هنا: **((من آل فرعون))** وسواء قلنا من قرابته أو من أتباعه على دينه فهو يدل على أن الله على كل شيء قدير, وأنـه قـد يقيض أو يهيأ الإيمان لمن كان بين قوم منغمسين في الكفر.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز إخفاء الإيمان إذا خاف الإنسان على نفسه لقوله: **((يكتم إيمانه))** ولكن إذا كـان الإنسـان لا يسـتطيع أن يعيش مؤمنا إلا بالكتمان فهل تجب عليه الهجرة ؟ الجواب نعم, في دين الإسلام أن من كان لا يستطيع أن يعيش إلى مخفيا دينه فإنه تجـب عليـه الهجرة, ولكن بشرط أن يكون قادرا عليها, فـإن كـان عـاجزا فـإن اللـه تعالى قال : **(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يسـتطيعون حيلـة ولا يهتـدون سـبيلا فأولئـك عسـى اللـه أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفورا))**.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: شدة إنكار هذا المؤمن على فرعون الذي هدد بالقتل لقوله: **((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)).**
ومـن فوائـدها الإنكـار علـى مـن عمـل عملا بـدون سـبب يقتضـيه مـن: **((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله))** وهذا ليس سببا للقتـل, بـل على الأقل يترك وشأنه أما أن يقتل لهذا السبب فإن هذا منكـر ولا يجـوز إقراره .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: العدول عن التعيين خوفا من التهمة أو إن شئت فقل استعمال المعاريض لقوله: **((أتقتلون رجلا))** ولم يقل أتقتلون موسى, لأنه لو عينه باسمه لاتهمه الناس بأن له صلة به, وفسد ما يريده, لكنه أبهمه وقال: **((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله))** إلى آخره.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن موسى عليه السلام أتى بالآيات البينة التي يؤمن على مثلها البشر لقوله: **((وقد جاءكم بالبينات من ربكم)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: قوة إيمان هذا الرجل حيث جابه هؤلاء بإنكار ربوبية فرعون ضمنا من قوله: **((من ربكم))** فجابههم بأن لهم ربا سوى فرعون, وهذا يدل على قوة هذا الرجل, أما قوله: **((أن يقول ربي الله))** فليس فيها دليل لأن ربوبية الله عز وجل لموسى ما فيها شيء من الإنكار لكن: **((من ربكم))** واضح بأنه يعرض بأن فرعون ليس برب, وأن الرب هو الله, وهذا يدل على كمال شجاعة هذا الرجل.

ومن فوائد الآية الكريمة: استعمال الصبر والتقصير يعني الترديد بين حالين أو أحوال لا يزيد الأمر عليهما أو عليهم لقوله: **((فإن يكن كاذبا ... وإن يكن صادقا)).**

ومن فوائد الآية مراعاة الخصم فيما يؤلفه ويقربه, لأنه بدأ بما كانوا يعتقدون وهو كذب موسى, فبدأ بالكذب قبل أن يبدأ بالصدق من أجل تأليفهم وبيان أن الرجل ليس عنده تعصب لموسى, ولهذا لم يبدأ بالصدق الذي هو أحد الاحتمالين.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز التورية لقوله: **((فإن يك كاذبا))** وقوله: **((وإن يك صادقا))** لأننا نعلم أن هذا الرجل يعلم أنه صادقا لكنه أتى بهذا الكلام تورية بأنه ليس بمؤمن به, وذلك من أجل قبول كلامه, لأنهم لو شعروا بأنه مؤمن بموسى وهو من آلهم لقتلوه, ولكنه أتى بالكلام الدال على التورية .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن شؤم الكذب يعود على الكاذب وهو كذلك لقوله: **(وإن يك كاذبا فعليه كذبه))** وقد فضح الله عز وجل الكاذبين المفترين عليه في الدنيا وسيفضحهم في الآخرة .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: قوة إيمان هذا الرجل بكونه يعتقد ويؤمن بأن بعض الذي وعدهم موسى عليه الصلاة والسلام سوف يصيبهم إذا كان صادقا وقد كذبوه لقوله: **((وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي**

يعدكم)).
ومن فوائد الآية الكريمة: أن المسرف الكذاب أي المتجاوز للحد بفعله وبقوله, بقوله لأنه كذاب, وبفعله لأنه مسرف, فإنه بعيد من الهداية لقوله : **((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)).**
وحينئذ نسأل هل المراد هادية التوفيق أو هداية البيان والإرشاد ؟ هداية التوفيق, لأن الله تعالى قد بين للمسرف الكذاب ولغيره, لكن وفق من شاء من عباده وخذل من شاء, والله أعلم.
الطالب : ...
الشيخ: نعم لأنه قال: **((بعض الذي يعدكم))** يعني في الدنيا, ولهذا قدرها المفسر يقوله:**" العذاب العاجل".**
الطالب : ...
الشيخ : لا من آل فرعون, صريح, لكن هل هو قريبه أو متبعه على دينه ؟ .
الطالب : المعاريض ... ؟
الشيخ : المعاريض معناها أن توري بشيء خلاف الواقع, يعني كأنه يقول متى تجوز المعاريض ؟
تجوز المعاريض إذا كان فيه مصلحة أو دفع مضرة, واستعمال المعاريض على ثلاثة أوجه:
الوجه الأول: الظلم, والثاني: دفع الظلم, والثالث: ما ليس فيه هذا ولا هذا؛ الظلم هو أن يستعمل الإنسان المعاريض لدفع حق عليه, ودفع الظلم أن يستعمل المعاريض لدفع ظلم عن نفسه, وما ليس كذلك ولا كذلك مثل أن يستعملها في الأمور المباحة.
مثال الأول: تخاصم زيد وعمرو عند القاضي وكان عند عمرو لزيد مائة درهم فقال القاضي للمدعي: ألك بينة, قال: لا, قال: لك اليمين على صاحبك, فقال المدعي عليه: والله ما عندي له شيء, ظاهر اللفظ النفي, لكن هو في قلبه نوى الإثبات, ونوى بما الذي, وتقدير الكلام على نيته: والله الذي له عندي شيء, وهذا صحيح له عنده شيء, لكن هو ورى بأن ما نافية وأنه ليس عنده شيء, القاضي سوف يحكم بأنها نافية حسب ظاهر الحال, هذه المعروضة نقول أنها حرام, لأنه توصل بها إلى إسقاط حق عليه, وكذلك أيضا في الدعوى لو حلف لو قال له خصمه: أنا أرضى منك أن تحلف أن لك عندي شيء, فحلف موريا فإنه حرام عليه.

أما دفع الظلم فمثل أن يحلف على دفع الظلم عن نفسه أو غيره, مثـال ذلك: دخل عليه لص أو جندي ظالم يريد أن يأخـذ مـاله فقـال: افتـح لـي هذا الصندوق, قال: والله ما في هذا الصندوق شيء, المخـاطب سـوف يظن أن الجملة نفي فينصرف, وهـو يريـد بهـا الإثبـات, فهـذه التوريـة لا شك في جوازها, بل إذا كان المال للغيـر مثـل أن يـأتي شـخص ويقـول: فلان عندك له كذا وكذا, فأقول: والله ما عندي له شيء, أعرف أنـي لـو أخبرت لأخذها.

الشيخ: يقول الدائرة لله ورسـوله, هـؤلاء القـوم ثلاثمائـة وبضـعة عشـر رجلا, وهم أهل بدر اطلع الله عليهم فكافأهم مكافأة لم تحصل لغيرهـم, اطلع عليهم فقـال : **(اعملوا مـا شـئتم فقـد غفـرت لكـم)** هـذه الحسنة العظيمة محـت جميـع م ا يعملـونه مـن السـيئات, ونفعـت هـذه الغزوة لمن غزا حتى حاطب رضي الله عنه الذي كتب بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش قبيل غزوة الفتح, لما عثر على ما صـنع قـال عمر رضي الله عنه للرسول صلى الله عليـه وسـلم: **" دعني أضـرب عنقه فقد نافق "** عمر رضي الله عنه ما فيه إلا السيف شـجاع قـال : **(أما علمت أن الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)** فوقعت هذه السـيئة العظيمـة مـن جملـة م ا يغفـر لأهل بدر, ولهذا كان أهل بدر أفضل من أهل بيعة الرضـوان, أفضـل لمـا حصل فيهم من النصرة العظيمـة للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم, ولهـذا يسمى يوم بدر يوم الفرقان طيب.

الطالب : ما المراد بقتال الملائكة مـع المـؤمنين يـوم بـدر وكـان يكفـي واحد منهم. ؟

الشيخ: ومن المعلوم أيضا أن الله لـو قـال لهـؤلاء الكفـار: كونـوا أمواتـا لماتوا, المسألة ليست من باب العجـز أو القـدرة, نـزول الملائكـة تثبيتـا لقلوب المـؤمنين, ومشـاركة لهـم فـي هـذا مـن بـاب التأييـد للمـؤمنين ونصرة الحفظ, ولهذا قال الله تعالى : **((ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض))** .

الطالب : ما هو الدليل على الشهادة لهم بالجنة ؟

الشيخ : الدليل إذا شهد له رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بالجنـة شهدنا له, نعم.

الطالب : ...

الشيخ : عموما إلا من شهد له الرسول مثل حاطب بـن أبـي بلتعـة فهـذا

نقول أنه مغفور له, ولكن لا شك أننا إذا كـان حـاطب مغفـورا لـه أن أبـا بكر وعمر وعثمان أولى من ذلك.

الطالب : ...

الشيخ : والله هذا رأي قوي لا شك, يعني ما ذهب إليه شيخ الإسلام مؤيد بالحديث: **(أنتم شهداء الله في الأرض)** وإذا كانت الأمـة أو غـالب الأمة أجمعوا على ذلك فهو كاف, لولا أنه يخشـى مـن مسـألة: وهـو أنـه يأتينا أهل الفرق الضالة ويقولون نحن مجمعون على الشهادة لفلان بكذا وكذا وهو رأس بدعة, وهم يدعون أنهم أهل الحق, لكن يمكـن الانفكـاك عن هذا الإيراد أن نقول: هؤلاء لا تقبل شهادتهم لأنهم على باطـل وعلـى ضلالة؛ والمراد شهادة أهل الحق .

الطالب : ...

الشيخ : نعم على سبيل العموم كلهم في الجنة قـال اللـه تعـالى : **((لا يستوي منكم من أنفق من قبـل الفتـح وقتـال أولئـك أعظـم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى))** ... لا التابعون ما نقول فيهم .

الطالب : ...

الشيخ : لا تقل: أحسبه شهيدا, قل: **(من قتل في سبيل الله فهـو شهيد)** كما قال عمر رضي الله عنه, عمر خطب الناس وقال: **" إنكم تقولون فلان شهد وفلان شهيد وربما يكـون فعـل كـذا وكـذا ولكن قولوا: من قتل أو مات في سبيل الله فهو شـهيد "،** ... ما فيه تعارض, يوافق حكم الله, لأنه يتكلم عن حكم الله عز وجل.

الطالب : ...

الشيخ : لا ما هي خاصة, إذا كانوا حربا لنا, لا في غير الحرب لا تخن مـن خانك, لكن إذا كانوا حربا جاز لنا أخذ مالهم .

القارئ : أعوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم: **((يَا قَـوْمِ لَكُـمُ الْمُلْـكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَـادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُـمْ مِثْـلَ يَـوْمِ الأَحْـزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّـذِينَ مِـنْ بَعْـدِهِمْ وَمَـا اللَّـهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ))**[غافر :31-29].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى في بقيـه كلام الرجل المؤمن الذي من آل فرعون والذي أدى النصيحة لقومه فـي

قوله : **((وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب))**.
الشيخ : وهنا نناقش ما سبق, قوله : **((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه))** كيف تعرب: **((يكتم إيمانه))** ؟ يجوز فيها وجهان: الأول ؟ صفة ثانية أو ثالثة ؟ ثالثة.
الشيخ : كيف جاز أن تكون حالا والموصوف بها نكرة ؟ والنكرة لا تأتي منها الحال ؟ بوصف.
لماذا كان يكتم إيمانه ؟ يعني يخفيه ؟
الطالب: خوفا من أن يقتلوه ...
الشيخ : خوفا من أن يقتلوه, لأنه ما دام هددوا موسى بالقتل فهو خاف على نفسه فأخفى إيمانه, طيب.
الشيخ : قوله تعالى: **((وقد جاءكم بالبينات من ربكم))** ما المراد بالبينات ؟ بالآيات البينات, طيب آيات على لماذا ؟ لماذا جاءت الآيات مع موسى ؟
الشيخ : لماذا قال: **((وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم))** ولم يقل كل ؟ المراد به عذاب الدنيا وليس كل العذاب طيب.
الشيخ : لماذا جاء هذا الترديد في قوله: إن يك و إن يك, مع أنه يؤمن بأنه صادق ؟
الطالب: أولا من باب التنزل.
الشيخ : إفحام الخصم, أن الحال لا تخلوا من أحد الأمرين نعم طيب.
الشيخ : قوله تعالى : **((إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب))** كيف نفى الهداية مع أنه قد يهدي مثل هؤلاء ؟
الطالب : الهداية المنفية هي هداية التوفيق, أما هدية الدلالة والإرشاد فهي لكل أحد.
الشيخ : طيب أليس من الناس من هو مسرف كذاب وهداه الله ؟
الطالب : ...
الشيخ : ما يخالف لكن الله يقول: **((إن الله لا يهدي))** مع أنه الله قد هدى قوما مسرفين كذابين ؟
الطالب : إن بقي على إسرافه وكذبه فإنه يحرم الهداية أما من تاب ورجع.
الشيخ : ما يخالف, لكن نحن نقول دعنا من هذه القضية, هذه القضية بقي فرعون على كفره حتى هلك, لكن غيره, قد يكون الإنسان مسرفا

كذابا ثم يهتدي.
يعني لا يهدي من هو مسرف كذاب ما دام على ذلك ؟ الأقرب أن المراد به فرعون, لأنا نحن قلنا المسألة فيما سبق أمس أن المسألة إما أن يكون هو مسرف كذاب فلا يمكن أن يهتدي, أو أنتم فلا يمكن أن تهتدوا, وجواب آخر أن يقال أن من قضى الله عليه في الأزل أنه مسرف كذاب فإنه لا يهتدي, هذه نقطة لم نتكلم عنها بالأمس, ولذلك فأنتم معذورون في هذه الأقوال الكثيرة التي سقتموها.
الشيخ : نقرأ الدرس الجديد: **((يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض))** تأمل حسن خطاب هذا الرجل, كان بالأول ينكر عليهم **((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله))** ولما أراد أن يتودد إليهم وأن يبين نعمة الله عليهم تلطف في الخطاب فقال: **((يا قوم))** وكأنه واحد منهم, وهذا ـ يعني اللطف في الخطاب في جانب الدعوة ـ من الأمور التي أمر الله بها شرعا, والتي يهدي بها الله من شاء من عباده قدرا, فقد قال الله لموسى وهارون: **((اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى))**.
ثم إن أيضا القدر يؤيد هذا فكم من إنسان لان بسبب القول الليـن, وكم من إنسان اعتدى بسبب العدوان في القول, ولهذا تجد هذا الرجل من حكمته أنهم لما هددوا موسى بالقتل أنكر عليهم علنا : **((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله))**, ولما أراد أن يبين لهم النعم ويدعوهم إلى الحق قال : **((يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض))** أي غالبين عالين على أهلها, وقوله: **((لكم الملك اليوم))** يعني أنتم اليوم مالكون, وتأمل أيضا حسن هذا الخطاب والتحرز **((لكم الملك اليوم))** يعني والمستقبل ؟ لا يعلم قد يزول ملككم, لكن اليوم أنتم في نعمة, غالبين في الأرض ظاهرين على أهلها, فيجب أن تشكروا هذه النعمة.
وقوله: **((في الأرض))** قال المفسر: **" أرض مصر "** وعلى هذا فـ (ال) في الأرض للعهد الذهني أي الأرض المعهودة أرضكم.
" ((فمن ينصرنا من بأس الله)) عذابه ((إن جاءنا)) " من ينصرنا: من هذه للاستفهام بمعنى النفي, أي لا أحد ينصرنا, والنصر هنا بمعنى المنع, أي فمن الذي يمنعنا من بأس الله, والبأس هو العذاب, وقوله: **((إن جاءنا))** يعني إن نزل بنا, فهل أحد ينصرنا ؟ حتى لو كنا اليوم ظاهرين في الأرض وكنا نحن ملوكا فإنه إذا نزل بنا بأس الله لا

أحد يمنعنا, وقـول المفسـر: **" إن قتلتم أوليـائه "** قـد يقـال إن هـذا الذي عينه المفسر يدل عليه السياق لأنه أنكر عليهـم أن يقتلـوا موسـى, وقد يقال أن المراد إن بقيتم على الكفـر والعـدوان ومنـه قتـل موسـى, وهذا أصح وأعم, يعني ما الـذي ينصـرنا مـن بـأس اللـه إن جاءنـا لكوننـا مستحقين لهذا العذاب بالكفر وقتل أوليائه.

قال فرعون مجيبا لهذا الرجل: **((ما أريكم إلا ما أرى ومـا أهـديكم إلا سبيل الرشاد))** أكذب قول في الأرض هو هـذا **((مـا أريكـم إلا ما أرى))** يعني ما أظهر لكم شيئا حتى تروه إلا ما أرى أنه الحق, وهذه دعوى كاذبة لأنه يعلم أن الحق في إتبـاع موسـى كمـا قـال لـه موسـى : **((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصـائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا))** وقـال تعـالى: **((وجحـدوا بهـا واستيقنتها أنفسهم))** لكن جحدوا **((ظلما وعلوا))** فهو يقـول: **((ما أريكم إلا مـا أرى))** أي مـا أرى أنـه صـواب وأنـه حـق, وهـذه الدعوى كاذبة, وإن كان أراد ما أريكم إلا ما أرى أنه مـن مصـلحتي فهـذا صادق لكنه غاش, وعلى كل حال فالجملة مؤاخـذ عليهـا لأنهـا إمـا كـذب وإما غش, إما كذب إن كـان يقـول: **((ما أريكـم إلا مـا أرى))** مـن الصواب, وإما غش إن كان يرى أن الحق خلاف ما أراهم لكنه لمصـلحته أراهم ما رأى.

قال معناه: **" ما أشير عليكم إلا ما أشـير بـه علـى نفسـي وهـو قتل موسى "** هذا أيضا تخصيص في غير محله, لأن فرعون لا يهمه أن يقولوا اقتل موسى أو لا تقتله لأنه مصمم على ما يريد, لكن أهـم شـيء ألا يكفروا به, ألا يبدل دينه, وعلى هذا فالمقصود بقـوله: **((إلا ما أرى))** في بقائكم على دينكم, هذا معنى الآية, لأن أصل الإنكار على موسى والتهديد بقتله أصله أنه خاف أن يبدل الدين.

قال : **((ما أريكم إلا ما أرى ومـا أهـديكم إلا سـبيل الرشـاد))** يعني ما أدلكم إلا على سبيل الرشاد, الرشاد ضد الغي, ولهذا يقال رشد وغـي: **((قد تـبين الرشـد مـن الغـي))** يعنـي الصـواب والسـداد, وسبيل بمعنى طريق, وهو أكذب الكـاذبين فـي هـذا, لأنـه ليـس يهـديهم سبيل الرشاد بل يهديهم سبيل الغي والعنـاد والاسـتكبار والكفـر, فصـار كاذبا في الجملتين: **((ما أريكم إلا ما أرى))** إذا قلنـا إن المعنـى مـا أرى أنه صواب **((وما أهديكم إلا سبيل الرشاد))** هـو أيضـا كـاذب لأنه بلا شك يهديهم سبيل الغي والفساد.

في هذه الآية: حسن خطاب هذا الرجل المؤمن حين تلطف في الـدعوة إلى الله عز وجل في قوله: **((يا قوم))**.
ومن فوائدها: أنه ينبغي للـداعي أن يـذكر المـدعوين بنعمـة اللـه عليهـم حـتى يخضـعوا ويشـكروا هـذه النعمـة لقـوله: **((لكم الملـك اليـوم ظاهرين في الأرض))**.
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة: حسـن احـتراز هـذا الرجـل المـؤمن لقـوله: **((لكم الملك اليوم))** يعني وأما فـي المسـتقبل فقـد يـزول ملككـم لكن اشكروا النعمة الحاضرة .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الاعتبار في الحال بمـا هـي عليـه الآن, أما المستقبل فقد تتغيـر الأحـوال, لكـن نحـن مخـاطبون ومـأمورون أن ننظر إلى الحال الحاضرة الآن.
يتفرع على هذه المسألة مسألة اجتماعية وهي أن بعض النـاس يخطـب ابنته رجل غير مستقيم يعني ليـس كـافرا لكنـه فاسـق بشـرب دخـان أو حلق لحية أو ربا أو مـا أشـبه ذلـك, فيأخـذه الطمـع ويقبـل الخطبـة, ثـم يقول: لعل الله يهديه, أو لعل هذه البنـت الملتزمـة تسـعى فـي هـدايته, فيقال: نحن لا ننظـر للمسـتقبل, المسـتقبل لـه اللـه, بـل ربمـا أن هـذا الرجل يغوي المرأة لأنه هو أقوى منهـا جانبـا, فـأنت الآن مـأمور بـالنظر إلى الحال الحاضرة, أما المستقبل فلست مأمور بالنظر إليـه, ولا يجـوز أن تنظر إليه لأنه مستقبل غيب, فأنت الآن اعرف الحال التي أنت عليهـا وتصـرف علـى مـا هـي عليـه الآن, هـذه نأخـذها مـن قـول هـذا الرجـل المؤمن: **(اليوم)**.
واعلموا أنني إذا قلت حسن خطابة هذا الرجل أو احـترازاته أو مـا أشـبه ذلك ليس معناه أني أخبركم عن قصة مضت وتاريـخ مضـى, لا, أريـد أن تأخذوا من ذلك عبرة تسيرون عليها, لأن ما دام نثنـي علـى هـذا الرجـل بخطابه ومعالجته للأمور فإنه يعني أننا نحث على إتباع طريقه طيب .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن آل فرعون قد غلبوا في مصر.

واعلموا أنني إذا قلت حسن خطابة هذا الرجل أو احترازاته أو ما أشبه ذلك ليس معناه أني أخبركم عن قصة مضت وتاريخ مضى, لا, أريد أن تأخذوا من ذلك عبرة تسيرون عليها, لأن ما دام نثني على هذا الرجل بخطابه ومعالجته للأمور فإنه يعني أننا نحث على إتباع طريقه طيب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن آل فرعون قد غلبوا في مصر وظهروا عليها ولم يكن لهم منازع لقوله: **((ظاهرين في الأرض))** ومن ثم تكبر فرعون ولم يخضع لموسى, لأن موسى من بني إسرائيل وهم قلة أذلة في مصر والغلبة للأقباط.

ومن فوائدها أن الظهور والغلبة قد يكون سببا للأشر والبطر إلا من وفقه الله, بعض الناس إذا أعطاه الله تعالى سبب رفعة لا يزيده ذلك إلا تواضعا للحق وللخلق, وبعض الناس إذا أعطاه الله تعالى رفعة صار هذا سببا في تعليه على الخلق واستكباره عن الحق, وهذه محنة يجب على المرء أن يعالج نفسه فيها, لا إذا أعطاه الله مالا يزم ويعلوا ويستكبر, فإن الذي أعطاه هذا المال قادر على أن يتلفه عليه, لا يقول إذا أعطاه الله علما: أنا عالم وأنا من أنا ثم يتعلى عن الحق وعلى الخلق, بل يجب على الإنسان كلما آتاه الله علما أن يزداد تواضعا. هذا ما أقوله وأرجوا أن أتصف به وإياكم, فعلى الإنسان أن يعرف هذه المسألة, وأن الله قد يبتلي الإنسان بالشيء الذي قد يكون داعيا لعلوه واستكباره عن الحق وعلى الخلق فليحذر هذا الأمر .

ومن فوائد الآية الكريمة: قوة إيمان هذا الرجل وأنه لا دافع ولا مانع لما أراد الله لقوله : **((من ينصرنا من بأس الله إن جاءنا))** وهذا يدل على كمال يقينه رحمه الله ورضي عنه حيث آمن بأنه إذا جاء بأس الله فإنه لا مرد له .

ومن فوائدها أيضا التلطف بالخطاب حتى يشعر الإنسان المخاطب وكأنه هو أول من يراد بهذا الأمر أو بهذا الخطاب لقوله : **((فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا))** ولم يقل: فمن ينصركم من بأس الله إن جاءكم, كل هذا من باب التنزل مع هؤلاء وإشعارهم بأنه واحد منهم, وقد يقال: إن في هذا إشارة إلى أن العذاب إذا نزل يعم الصالح والفاسد ويكون قوله: **((فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا))** يراد به حقيقته, أي أنه هو سيصيبه ما أصابهم, ويكون هذا شاهده قول الله تعالى: **((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة))** وهذا ليس ببعيد.

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه إذا نزل بأس الله فإنه لا مرد له, ويدل لهـذا قوله تعالى: **((فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا))**.
وهل يستثنى من هذا أحد؟ لا, كل من أتاهم بأس الله فإنهم لن ينجوا ولو آمنوا, فلا يستثنى من هذا أحد إلا قـوم يـونس: **((فلولا كـانت قريـة آمنت فنعفها إيمانها))** يعني إذا نزل بها العذاب **((إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي))** ولماذا خص قـوم يـونس ؟ لحكمة, لأن اللـه عـز وجـل لا يمكـن أن يخـص أحـدا بشـيء إلا لحكمـة, الناس عنده سواء **((إن أكرمكم عند الله أتقاكم))**.
الحكمة أن يونس عليه السلام خرج من قومه مغاضبا قبل أن يـؤذن لـه, وكأنه لم يستكمل الدعوة فلم تقـم عليهـم الحجـة الكاملـة, ولهـذا نجـوا حين آمنوا بعد رؤية العذاب, فصار إنجاؤهم له حكمة, وهـو خـروج نـبيهم مغاضبا قبل أن يؤذن له, فكأنه لم يستكمل إقامة الحجـة عليهـم, فصـار في هذا نوع عذر لهم فأنجاهم الله عز وجل.
طيب يشكل على هذا آية دائما إذا قرأتها أقول كيف يكون هذا ؟ قال نوح لقومه: **((يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسـمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر))** كيف قال أنهـم إذا آمنـوا يغفـر لهـم مـن ذنوبهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى ثم قال: **((إن أجل الله إذا جـاء لا يؤخر))** فكان بالأول يقول: **((يؤخركم إلى أجـل))** الثـاني يقـول: **((إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر))** ؟
يعني أحذركم من العذاب فإنه إذا جاء لا يؤخر, لكن إذا آمنتم أخركم إلى أجل مسمى, وعلى هذا فلا تناقض في الآية نعم.
قال الله تبارك وتعالى: **((قال فرعون ...))** إلخ.
في هذه الجملة والـتي بعـدها دليـل علـى تمـويه فرعـون وغشـه وكـذبه وضلاله لأنه خدع قومه بقوله : **((ما أريكم إلا ما أرى ومـا أهـديكم إلا سبيل الرشـاد))** وكـذب فـي قـوله: **((مـا أهـديكم إلا سـبيل الرشاد))** قطعا, وكذب في قوله: **((ما أريكم إلا مـا أرى))** علـى أحد الاحتمالين طيب .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن أهل الباطـل قـد يكـون لـديهم زخـرف مـن القول غرورا, لأن مثـل هـذا الزعيـم الـذي وصـلت بـه الزعامـة إلـى أن جعلوه ربا إذا قال: **((ما أريكم إلا ما أرى ومـا أهـديكم إلا سـبيل الرشاد))** سوف يخدع قومه بلا شك, وعلى هذا فيجب علينا الحذر من

خداع بعض الناس إذا قالوا نحن نريد كذا ونريد كذا من الإصلاح, فيجب أن ننظر لأفعالهم, هل تشهد أفعالهم لأقوالهم ؟ إن كان الأمر كذلك فهم صدقة بررة, وإن كانوا بالعكس فهم كذبة غششة, يخدعون بزخرف القول غرورا, ولهذا كان الإنسان الذي لديه فراسة لا يغتر بظاهر الأقوال, وإنما يقيس ما يقوله, أو يعتبر ما يقوله بما يفعله, فإذا رأى أن أفعاله تخالف أقواله علم أنه كاذب غشاش, وإذا رأى أن أفعاله تصدق أقواله صار صادقا, وصار مخلصا لموافقة باطنه لظاهره.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن كل أحد يعرف أن الرشد مطلوب وأن الغي مكروه, تؤخذ من الجملة الثانية, إذن هم يعرفون أن الرشاد أمر مطلوب, كل إنسان حتى الكافر يرى أن الرشد أمر مطلوب, فما هو الرشد الحقيقي هل هو إتباع الهوى أو إتباع الهدى ؟ الثاني, إتباع الهدى, لكن التمويه مشكل.
ثم **قال: ((وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم ...))** في الأول قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه, وهنا قال وقال الذي آمن, فنقول لماذا كرر هذا الوصف لهذا الرجل ؟ لطول الحديث والفصل قال: **((وقال الذي آمن))** أما اختلاف الجملتين فإن الثانية تؤكد الأولى بأن هذا الرجل قد اصطبغ في الإيمان وحقق الإيمان.
((وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)) يا قوم: يعني بذلك فرعون وقومه, وهذا من باب التلطف في المقال, **((إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب))** يعني الطوائف السابقة, وكأن هذا الرجل الملهم عنده علم بأحوال الأمم السابقين, وسيأتي إن شاء الله الكلام على فائدة هذه الجملة.
" ((مثل يوم الأحزاب)) أي يوم حزب بعد حزب ".
ثم أبدل منه قوله: **((مثل دأب قوم نوح))** دأب: بمعنى عادة, وذكر قوم نوح لأنه هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض **((وعاد وثمود))** وكل هؤلاء متقدمون, بعيدو العهد قبل موسى وقبل فرعون, فهم من أوائل الرسل **((قوم نوح وعاد))** عاد معطوفة على قوم, ولا يصح أن تكون معطوفة على نوح, لأنها لو كانت معطوفة على نوح لكان المعنى مثل قوم عاد, ولا يستقيم الكلام بل مثل عاد وهم قوم هود, وثمود قوم صالح, **((والذين من بعدهم))** من الأمم, وسيأتي أنه أشار إلى يوسف عليه الصلاة والسلام بن يعقوب بن إبراهيم.
يقول: **" مثل بدل من مثل قبله, أي مثل جزاء عادة من كفر**

قبلكم من تعذيبهم في الدنيا " إذا مثل دأب ما هو مثل عـادتهم, إلا إذا أريد إضافتها إلى المفعول به, أي مثل العادة الـتي أوقعهـا اللـه بهـم, لكن كأن المؤلف جعلها مضافة إلى الفاعل, وأنها على تقدير مثـل جـزاء عادتهم, لأن الجزاء من الله, والعـادة مـن هـؤلاء الأقـوام مـن الأحـزاب, العادة عادة الأحزاب, والعقوبة عقوبة الله, فإما أن نقول إن الكلام على تقدير مثل عقوبة عادة قوم نوح إلى آخره, أو نقول مثل دأب قـوم نـوح, أي مثل العادة التي فعلها اللـه بهـم, والمعنـى واحـد. المـراد أنـه يخـاف عليهم مثل هذه الأيام التي هي عقوبة لهؤلاء الذين كذبوا رسلهم.
((وما الله يريد ظلما للعباد)) مـا: نافيـة تعمـل عمـل ليـس لتمـام الشروط, ولفظ الجلالة اسمها, ويريد جملة هي خبرها, ولو كانت اسـما لكان التقدير: وما الله مريدا **((وما الله يريد ظلما للعباد))** الظلـم يتناول شيئين:
إما الزيادة في الآثام وإما النقص في الحسنات, وكله ممتنع بالنسبة للـه عز وجل, لا يمكن أن يقع منه ولا يمكن أن يريده, لماذا ؟ لكمال عدله.
في هذه الآية من الفوائد: شدة خوف هذا الرجل من عقـاب اللـه, وهـذا يدل على كمال إيمانه لأنه لا يخاف أحد من شيء إلا وهو مؤمن به .
ومن فوائدها أن عند هذا الرجل علما من نبأ الأولين لقوله: **((مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح))** إلى آخره .
ومـن فوائـدها أنـه ينبغـي للإنسـان أن يكـون عنـده علـم بـأحوال الأمـم السابقة من أجل أن يكون معتبرا بمن مضى فيمن بقي, وعلى هذا فعلم التاريخ علم مهم, ولكن يجب أن نعلم أن التاريخ أصابه شيء من الوضع, أي من التحريف والتغيير والكذب والزيـادة والنقـص, فعلـى الإنسـان أن يحتاط في ذلـك, عليـه أن يحتـاط فـي هـذا حـتى لا ينقـل أو لا يـروي إلا الصحيح .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن قوم نـوح وعـاد وثمـود كـانوا أول الأحـزاب لقوله: **((والذين من بعدهم)).**
ومن فوائد هذه الآيـة الكريمـة: إنتفـاء إرادة الظلـم عـن اللـه عـز وجـل لقوله: **((وما اللـه يريـد ظلمـا))** وإذا انتفـت الإرادة انتفـى الفعـل قطعا لأن الله تعالى يفعل ما يريد, فإذا لم يرد الظلم انتفى الظلم.
على أنه في آيات أخرى نفى الظلـم نفسـه فقـال: **((ولا يظلم ربـك أحدا))** وقـال: **((وما ربـك بظلام للعبيـد))** وقـال: **((مـا يبـدل القول لدي وما أنـا بظلام للعبيـد))** فيكـون اللـه تعـالى قـد نفـى

الظلم عن نفسه, ونفى إرادة الظلم, وذلك لكمال عدله.
وهذه الصفة من الصفات التي يسمونها الصفات السلبية أو الصفات المنفية, ولدينا قاعدة في باب الأسماء والصفات أن النفي المحض لا يوجد في صفات الله أبد كل نفي في صفات الله فإنه يتضمن شيئين:
أحدهما: نفي ما نفي عن الله, والثاني: إثبات كمال ضده, فيقال: لا يظلم لكمال عدله, وإن شئت فقل: لكمال عدله لا يظلم, لأن العدل إذا لم يكن عدله كاملا قد يظلم في بعض الأشياء, أما الرب عز وجل فإن عدله كامل لا يمكن أن يدخله ظلم بأي وجه من الوجوه طيب.
وهذا الظلم المنفي عن الله لكمال العدل, هل هو مستحيل لذاته أو جائز لكنه مستحيل على الله تعالى لكماله؟ الثاني, خلافا للجهمية الذين قالوا أن الظلم مستحيل على الله لذاته, لذات الظلم, لأنه إذا كان مستحيلا لذاته لم يكن مدحا, ما يمدح من استحال عليه على ذلك لأنه مستحيل, وهم يقولون أنه مستحيل لذاته لأن الخلق كلهم ملكه ويفعل في ملكه ما يشاء, ومن تصرف في ملكه فإنه لا يقال أنه ظالم, ولو قدم شيئا على شيء أو نقص شيئا عن حقه, ولكننا نقول أن الله تعالى صرح بأنه حرم الظلم على نفسه, وهذا يدل على أن الظلم في حقه ممكن عقلا, لكنه حرمه على نفسه لكمال عدله.
والخلاصة أن من قواعد الأسماء والصفات أنه لا يوجد النفي المحض في صفات الله بل لا يوجد نفي في صفات الله إلا لكمال ضده: **((ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب))** لماذا؟ لكمال قوته لا لأن اللغوب لا يلحقه, لكن لكمال قوته لا يلحقه الغوب, وليس المعنى أنه ليس مما يمكن أن يلحقه لغوب, لا, لكنه مستحيل لكمال قوته.
قال أهل العلم: وإنما قلنا بذلك لأن النفي المحض عدم محض, صحيح ؟ لو نفيت شيئا معناه غير موجود, والعدم المحض ليس بشيء فضلا عن أن يكون مدحا, لأنه عدم, والعدم لا يمدح عليه.
وإما أن يكون النفي متضمنا لإثبات, هذا الإثبات قد يكون عجزا, فمثلا إذا قلنا: فلان لا يظلم لأنه غير قادر على الظلم, فليس هذا يعني أننا مدحناه, بل هذا ذم له كقول الشاعر:
قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
أول ما تسمع هذا الكلام تقول: ما شاء الله هؤلاء أوفياء ذووا عدل, لكنه في الواقع ذم, يقول أن هؤلاء ما يقدر الواحد منهم أن يغدر, ولا يقدر أن

يظلم, والثاني يقول:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

يعني أنه إذا أساء إليهم الإنسان أحسنوا إليه, وإذا أساء إليهم غفروا له وتجاوزوا عنه, لكن لكمال إحسانهم وكمال عفوهم أو لعجزهم ؟ لعجزهم, ولهذا قال:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

ليت لي بهم: أي بدلهم, وهذا يدل على أنه ذمهم ذما عظيما.

وقد يكون النفي لعدم صلاحية هذا الوصف لما نفي عنهم, قد يكون نفي الشيء عن الشيء لأنه غير قابل وغير صالح لأن يوصف به, كما إذا قلت: الجدار لا يظلم, هل هذا مدح للجدار ؟ لا, لأنه غير قابل ولا صالح للظلم أو عدم الظلم, فتبين بذلك أن الله تعالى لا ينفي عن نفسه شيئا إلا لكمال ضد هذا المنفي, لا لأنه غير قابل له أو غير صالح في حقه أو ما أشبه ذلك من الناحية العقلية.

((وما الله يريد ظلما للعباد)) إذن نستفيد من هذا نفي إيراد الظلم عن الله لكمال عدله.

الطالب : الإغلاظ في الدعوة ... ؟

الشيخ : هو الإغلاظ في محله طيب, لأنه هو قال له كلمة أشد من هذه, قال: **((إني لأظنك يا موسى مسحورا))** فهل يغلظ له بالقول ويسكت, وموسى عليه الصلاة والسلام معروف بالقوة .

الطالب : من باب التلطف في الداعية يقول: وإني أكثركم تقصيرا, فيظن الجهال أنه كذلك فيقولون: نحن من باب أولى, ثم يصيبهم ما يصيبهم ؟

الشيخ : على كل حال هذه الكلمة ينبغي للإنسان أن ينظر في مصلحتها, وإلا فقد قالها عمر بن عبد العزيز رحمه الله في آخر خطبة خطبها قال: **" إني لأقول لكم هذا وما أعلم أحدا عنده من التقصير أو قال من الذنوب أكثر مما عندي "** هي في الحقيقة قد تكون مشجعة وقد تكون مخذلة, قد يقول قائل: إذا كان هذا الرجل الداعية العابد مقصرا كيف بنا نحن, إذن فلنشمر عن ساعد الجد, وقد تكون كما قلت, فيه سلاح ذو حدين, فلينظر الإنسان للمصلحة, والإنسان أحيانا يقول مثل هذا لأنه يخشى على نفسه من العجب.

الطالب : ... لو حصل العكس وأراد الرجل أن يتزوج بامرأة غير مستقيمة وقال: لعل الله أن يهديها بي ؟
الشيخ : نفس الشيء, قد يكون الإنسان عنده عزم في هذا أول الأمر, ولكن إذا تزوجها ورغب فيها عصفته, جذب النساء للرجال ما هو هين, كلمة الظن هذه غير واردة في الواقع, ولذلك أنت غير مكلف إلا بما بين يديك, حتى لو أخلفت الأمور فيما بعد فأنت مجتهد ولا لوم عليك ولا إثم عليك, لكن عليك إثم أنك تقدم على شيء تعرف أنه الآن غير صالح لكن رجاء أن يصلح, هذا خطأ.
والمرأة ربما تغلب الرجل, إذا أحبها حبا شديدا ربما لو تقول له: اسجد لي, يقول: أنت أكبر, ألم تعلم أنه ذكر أحد العلماء, قال أن مؤذنا دعت عليه أمه بدعوة, وكان رجلا صالحا, فلما صعد إلى المنارة يؤذن وإذا بامرأة نصرانية في سطح بيتها جميلة, فأخذت بلبه, فأرسل إليها يخطبها, فقالت: لا يمكن إلا إذا كنت نصرانيا, حاول, قالت: أبدا, فتنصر والعياذ بالله, صار نصرانيا, ارتد عن الإسلام الآن, فأعاد الخطبة قالت: الآن أنت لست مسلما ولا نصرانيا فلا أحل لك, يعني هذا الرجل نسأل الله العافية ارتد عن دينه من أجل هذه المرأة, وصارت هذه المرأة كيدها أعظم من كيده, قالت له: لست مسلما ولا نصرانيا, والنصرانية لا تحل إلا للمسلم أو النصراني ارجع وراءك؛ نسأل الله العافية.
الطالب : ...
الشيخ : الشيء الأول: نفي الصفة, والثاني: إثبات كمال ضدها.
الطالب : ...
الشيخ : ما هي المشكلة ... لا يقولون بأن لهم ربا, لكن ربهم فرعون، معلوم, موحدين بربوبية فرعون, عندهم توحيد ؟ ... ما عندهم توحيد, التوحيد هو توحيد رب العالمين, أما توحيد فرعون أو غيره فلا.
الطالب : ...
الشيخ : يعني باللفظ نفسه ؟ لا, ليست بلفظها, بالمعنى, ولهذا تجد العبارات مختلفة مما يدل على أن الله تعالى ينقلها بالمعنى, وإن أضافها إليهم قولا لكن بالمعنى, ثم هم أيضا لغتهم غير عربية .
الطالب : بعض الآيات التي يحكي فيها الله عز وجل عن إنسان مثل قوله تعالى : **((أنا أكثر منك مالا وولدا))** هل يقول الإنسان: قال الله تعالى حاكيا عن رجل, أو يقول: قال الله تعالى ؟
الشيخ : أحسن يقول حاكيا, لأن قد يوهم أن الضمير يعود على الله.

الطالب : إذا كان الزوج كافرا والزوجة مسلمة ... فرعون وزوجته ؟
الشيخ : لا يجوز, هذا الإشكال صحيح, يقول: هل يجوز للكافر أن يتزوج مؤمنة ؟
فنقول: لا, فأورد علينا إشكالا وهو أن امرأة فرعون كانت مؤمنة لا شك, وهو أكفر الكافرين.
الجواب: أن هذا شرع من قبلنا, أما شرعنا فلا, وتعرف القاعدة في الأصول: **" أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه** " هذا وجه, ومن وجه آخر قد يقال أن فرعون أكرهها على ذلك, وأنها لا تحب, ولهذا تقول : **((رب ابن لي عندك بيت في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين))** ولكن هو ظالم ولا يبالي.
الطالب : قلتم: لا يجوز للمسلم أن يتزوج امرأة غير ملتزمة ؟
الشيخ : أنا قلت هذا, أعوذ بالله, فرق لا يجوز ولا يستحب, أنتم طلبتي وتعرفون كلامي وتعرفون أسلوبي, إذا نقلتم عني أنه لا يجوز للفاسق أن يتزوج مسلمة هذه داهية, معناه أنه لا نزوج أحدا أبدا لأن أكثر الناس فساق. عدل العبارة.
الطالب : لا يستحب له أن يتزوج امرأة غير ملتزمة لأنها قد ترجعه إلى طريقتها ؟
الشيخ : هذا صحيح, ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(تنكح المرأة لأربعة)** ثم قال في النهاية: **(فاظفر بذات الدين تربت يداك).**
القارئ **: ((وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ))** [غافر :32-35].
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد))** وقبل البدء في التفسير نقدم مقدمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها.

فنقول: إن من نعمة الله سبحانه وتعالى على العبد أن يحبب إليه العلم, وذلك لأن العلم الشرعي مفتاح كل خير لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)**) وهذه بشرى لكل من فقهه الله في دينه وعلمه أن الله أراد به خيرا.
والفقه في الدين هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها, ثم تطبيق هذه الأحكام التي علمها, لأن من لم يطبق فليس بفقيه, بل هو قارئ, ولهذا حذر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أن يكثر القراء ويقل الفقهاء؛ فالفقيه في دين الله هو الذي يعلم شريعة الله ثم يطبقها على نفسه وعلى غيره بقدر استطاعته.
وطالب العلم عليه مسئولية كبيرة لأنه واسطة بين الخلق وبين الرسول صلى الله عليه وسلم, إذ أنه ينقل شرعية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته, ولهذا يجب أن يكون أسوة حسنة في عباداته وأخلاقه ومعاملاته, لأنه إذا كان أسوة حسنة في ذلك فقد أثمر العلم في حقه ثمراته الجليلة, ولأنه إذا كان أسوة للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أحبه الناس, وألفوه واقتدوا به, وصار إماما, وإن لم يكن إماما كبيرا ولكنه إمام بحسب حاله, وكلما ازداد الإنسان علما وتمسكا بما علم ازداد احترام الناس له واقتدائهم به, وجعلهم إياه أسوة.
ثم إن طالب العلم يجب عليه الإخلاص لله عز وجل في طلبه, لأن الإخلاص هو أهم شيء, وهو الذي يكون به تحقيق ما أراده العبد, والإخلاص لله في طلب العلم أشار الإمام أحمد رحمه الله إلى شيء منه فقال: **" العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته " قالوا: وبما تصحيح النية قال: " ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه وعن غيره "** وهذا لا شك أنه من تصحيح النية, لكنه ليس كله تصحيح النية, بل هناك أشياء تجب ملاحظتها أيضا, وذلك بأن ينوي بطلب العلم امتثال أمر الله سبحانه وتعالى, لأن الله أمر بالعلم ورغب فيه فقال تعالى : **((فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)**) وقال تعالى: **((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات))**
وهذا شيء مشاهد, بينوا لي تاجرا من أكبر التجار في عهد الأئمة الأربعة حصل له من رفع الذكر ما حصل لهؤلاء الأئمة الأربعة, لن تجدوا إلى ذلك سبيلا, فأهل العلم مرفوعون عند الله, ومرفوعون عند العباد, مرفوعون في حياتهم, مرفوعون بعد مماتهم, حتى وإن نال أحدا منه ما يناله من التعذيب أو المضايقة أو ما أشبه ذلك فإنه يزداد بذلك رفعة عند

الله ورفعة عند العباد.
فأنت إذا نويت بطلبك للعلم امتثال أمر الله صارت كل حركة تتحركها في هذا المجال عبادة, إن راجعت الدرس فعبادة, وإن حفظت فعبادة, وإن مشيت فعبادة, وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن **(من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)** وهذه مسألة تغيب عنا كثيرا، كثيرا ما نراجع الكتب لتحقيق مسألة ما, ولكن يغيب عنا أننا الآن في عبادة نرجو بها ثواب الله, لكن إذا استحضر طالب العلم أنه يمتثل أمر الله سبحانه وتعالى بطلبه العلم, صار طلبه للعلم عبادة.
الثاني: أن ينوي بطلب العلم حفظ الشريعة, لأن الشريعة تحفظ برجالها, ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال, ولكن يقبضه بموت العلماء حتى إذا لم يجد الناس علماء يستفتونهم استفتوا أناسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)** إذن حفظ الشريعة يكون بالعلماء, برجالها, فانو بطلبك العلم حفظ الشريعة, ونعم الرجل أنت إذا كنت خزانة لشريعة الله عز وجل.
الثالث: أن ينوي بطلبه العلم حماية الشريعة والذود عنها, لأن الشريعة لها أعداء معلنون بعداوتهم, وأعداء يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول, فلها أعداء, فأنت انو بطلبك العلم حماية الشريعة والدفاع عنها, وإذا كان هذا مقصود طالب العلم فإنه سوف يختار الجهة التي يكون غزو أعداء المسلمين من ناحيتها, وعلى هذا يجب أن يكون على علم بما يجري في الساحة.

وإذا كان هذا مقصود طالب العلم فإنه سوف يختار الجهة التي يكون غزو أعداء المسلمين من ناحيتها, وعلى هذا يجب أن يكون على علم بما يجري في الساحة من الأفكار الرديئة أو العقائد الفاسدة, ونضرب مثلا بوقت من الأوقات, مر على الناس وهم لا يعرفون مذاهب أهل التعطيل, ولا يعرفون الأفكار المنحرفة الهدامة لأنهم لم يخرجوا من بلادهم, ولم يفد عليهم أحد من غيرهم, فهم ملتفون على علمائهم ولا يعرفون إلا الحق, هؤلاء لا يهمهم أن يشتغلوا بأمور أخرى من وسائل العلم أو الدفاع عن الشريعة لأنهم آمنون, لكن إذا جاء العدو فلابد أن نستعد له, وأن يكون استعدادنا بسلاح مناسب لسلاحهم, فمن المعلوم مثلا أن من هاجمك بالمدافع والصواريخ لا يصح ولا يستقيم أن تدافعه بما يسمى بالسلاح الأبيض بالخناجر والسيوف وما أشبهها, لأن الواجب أن تستعد لكل عدو بما يناسب سلاحه.

فالآن صار في الساحة أفكار رديئة خبيثة إن لم تكن ملحدة فهي إلى الإلحاد أقرب من الاعتدال, ولا حاجة إلى التخصيص لأنه معلوم عند كثير منكم, نحتاج أن نعرف هذه الأفكار وكيف نبطلها, وإني أقول لكم إن جميع الأفكار المنحرفة إبطالها سهل جدا, حتى وإن هولوا الأمر وضخموه, فهم كالإسفنج أعصره بيدك يخرج كل ما فيه, ولا تتهيبوا لأنهم ليس عندهم علم مسموع, ولا عقل مصنوع, فلابد أن الإنسان إذا كان قد نوى بطلب العلم حماية الشريعة والذب عنها لابد أن يعرف ما يكون في الساحة, حتى يستطيع أن يدافع, ولكل مقام مقال, ولكل مكان ما يناسبه.

وإني أقول لكم إن حماية الشريعة والدفاع عنها لا يكون إلا برجالها, لو أنك كنت في مكتبة ومعك جماعة, ودخل رجل ملحد يقرر الإلحاد, وأنتم لا علم عندكم, لكن المكتبة مملوءة من الكتب التي ترد على الملحدين وتبين زيف ما هم عليه, هل يمكن أن يقفز كتاب منها من أجل أن يرد على هذا الملحد ؟ لا يمكن, فالكتب وإن كثرت لا تفيد, لابد من علماء, وإذا كان في هذا المكان الذي ذكرت, إذا كان فيه عالم فسوف يتكلم بما يرد قول هذا الملحد, حتى ينكص على عقبيه. هذه أمور ثلاثة كلها تترتب على إخلاص النية.

الأمر الرابع: ما أشار إليه الإمام أحمد رحمه الله تعالى: **" أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره "** ومتى كان ينوي ذلك فلا بد أن يجد في الطلب, لأن من أراد الغنى لابد أن يكتسب, ولابد أن يتجر, ولا

بد أن يخوض جميع ميادين التجارة, فإذا كان يريد رفع الجهل عـن نفسـه فليس من الممكن ولا من المعقول أن يجلس من غير تعلم, لابد أن يجد في الطلب, وإذا كان يريد رفع الجهل عـن غيـره فلا بـد أن يحـرص غايـة الحرص على نشر علمه بالوسـائل المناسـبة. الوسـائل القويـة فـي كـل مجال.

يمكن أن ينشر العلم عن طريق الحديث فـي المجـالس العاديـة, جلـس مجلسا في وليمة في أي مكان يمكن أن ينشر علمه, ولكن كيف ذلــك ؟ بالطريقة اللبقة المحببـة للنفـوس, والـتي لا تـوجب الملـل والاسـتثقال, يمكن أن يورد مسألة م ن المس ائل فـي هـذا الجمـع الـذي عنـده, يـورد مسألة يقول: ما تقولون في رجل فعـل كـذا وكـذا أو قـال كـذا وكـذا, أو يأتي بمسألة ألغاز حتى يفتح الأذهان, وحينئـذ يـدخل فـي تعليـم النـاس, لست أقول افرض نفسك في المجلس الذي أنـت فيـه, لأن هـذا صـعب على النفوس, لكن اجلبهم إلى العلـم بـالطرق المحببـة المناسـبة حـتى يشتغل المجلس بالعلم, مناقشة أو إلقاء أو ما أشبه ذلك.

كذلك أيضا ينشر علمه عن طريق الأشرطة, والأشرطة ولله الحمـد نفـع الله بها نفعا كبيرا, خصوصا وأن الناس كثيرا منهم وخاصـة مـن الشـباب يتلقون هذه الأشرطة بشغف ولهـف, لا تكـاد تخـرج إلا والنـاس يتلقونهـا وينتفعون بها, فهـذه الأشـرطة وللـه الحمـد فيهـا مصـلحة كـبيرة ونشـر للعلم, وليس في مكانك أو بلدك أو منطقتـك ب ل إنـه يتعـدى إلـى خـارج البلاد, كما سمعنا أن أشرطة الدعاة والعلماء تـذهب إلـى أمـاكن بعيـدة, هذه من وسائل نشر العلم.

ثالثا يمكن أن تنشر العلم عن طريق الكتابة, كتابة الرسائل, تأليف كتب, نشرة ورقية وما أشبه ذلـك بقـدر المسـتطاع حـتى تنشـر علمـك وتنفـع وتنتفع.

وهناك نشر للعلم بطريق خفي يخفى على طالب العلم أو على كثير من طلبة العلم ألا وهو نشر العلـم عـن طريـق العمـل بـه, كـثيرا مـا يرقـب الناس هذا العالم ويرون ماذا يصنع فيقتدون به, قال بعض الناس إنه كان يصلي فقال بعض الذين شاهدوه: إنك تفعل كذا وكذا في صلاتك, فانظر كيف كان الناس يراقبون أفعال طالب العلم من أجل أن يقتدوا به, وهذا من طريق نشر العلم, بل قد يكون هذا من أبلـغ الطـرق الـتي يتـأثر بهـا الناس, لأن تأثر الناس بالفعل قد يكون أشد وأقوى من تـأثرهم بـالقول, ولهذا نكرر ما أسلفناه مـن أن طـالب العلـم لا يكـون فقيهـا إلا إذا عمـل

بعلمه, وإلا فهو قارئ وليس بفقيه.
وبهذه المناسبة أود أن أحثكم على مكارم الأخلاق: من السماحة, وبذل السلام, وبذل المعروف, والتسامح فيما بينكم, وملاقاة الناس بالبشر وطلاقة الوجه, فقد كان من صفات النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان دائم البشر كثير التبسم صلوات الله وسلامه عليه, دائم البشر لا تجده منغلقا ولا مكفهرا, كثير التبسم في محله, فلنا فيه صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة قال الله تعالى فيه: **((وإنك لعلى خلق عظيم))**.
ومما ينبغي لطالب العلم: أن يحفظ وقته عن الضياع, وضياع الوقت يكون بأسباب أو يكون له وجوه:
الوجه الأول: أن يدع المذاكرة ومراجعة ما قرأ.
والوجه الثاني: أن يجلس إلى أصدقائه وأحبائه ويتحدث معهم بحديث لغو ليس فيه فائدة.
الوجه الثالث: وهو أضرها على طالب العلم, ألا يكون له هم إلا تتبع أقوال الناس وما قيل وما يقال, وما حصل وما يحصل, في أمر ليس معنيا به, وهذا لا شك أنه من ضعف الإسلام لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)** والاشتغال بهذا القيل والقال وكثرة السؤال مضيعة للوقت, وهو في الحقيقة مرض إذا دب في الإنسان نسأل الله العافية صار أكبر همه, وربما يعادي من لا يستحق العداء, أو يوالي من لا يستحق الولاء من أجل تشاغله في هذه الأمور التي تشغله عن طلب العلم, بحجة أنه يقول له فكره هذا من باب الانتصار لصاحب الحق, وليس كذلك بل هذا من إشغال النفس بما لا يعني الإنسان, أما إذا جاءك الخبر بدون أن تتلقفه وبدون أن تطلبه فكل إنسان يتقلى الأخبار, لكن لا ينشغل بها, لا تكن أكبر همه, لأن هذا يشغل طالب العلم ويفسد عليه أمره, ويفتح في الأمة باب الحزبية والولاء والبراء فتتفرق الأمة, فنسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح, وأن يجمع القلوب على طاعته, ويرزقنا علما نافعا وعملا صالحا وزقا طيبا واسعا يغنينا به عن خلقه.
الطالب: ...
الشيخ: حقيقة أن الناس في كل أمروهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط, طرف مفرط, وطرف مفرط, ووسط, من الناس من يشتغل بما يسمونه فقه الواقع ولا يكون له هم إلا تتبع الناس وقيل وقال وكثرة السؤال, وهذا لا شك أنه مضيعه, وتشاغل بالمهم إن كان مهما

عن الأهم, وهذا غلط, ومن الناس من يتشاغل بالفقه الشرعي ويحـرص عليه لكنه لا يلتفت إلى أحوال الناس إطلاقـا, بـل ربمـا ينكـر مـن الفقـه الشرعي ما يظن أن الدليل لا يدل عليه, وهـذا أيضـا طـرف خطـأ, ومـن الناس من يحاول الجمع بين هذا وهذا.
ونحن إذا سبرنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وجدنا أنه عليه الصـلاة والسلام يفهم الواقع ويفهم الناس, ويفهم الخير من الشرير, لكنه صـلى الله عليه وسلم يهتم بالأمر الثاني, الذي هو الفقه في الدين ولهذا قـال : **(من يرد الله به خيرا يفقه في الدين)** لم يقل يفقهه فـي الواقـع, فقه الواقع وسيلة للتطبيق فقط, فلابد لطالب العلم من هذا ومـن هـذا, لا تجنح إلى طـرف الفقـه فـي الواقـع, ولا تغلـوا فـي الفقـه فـي الـدين فتعرض عن كل شيء, فالإنسان يجب أن يكون وسطا.
الطالب : ... وسائل الإعلام, وأهل الحق يمنعوا من ذلـك, فكيـف تكـون حماية الشريعة ؟
الشيخ : هو بارك الله فيك, أنت انوي بذلك حمايـة الشـريعة, أمـا كونـك تطبق ذلك في المجتمع هذا ليس إليك, هذا إلى الله عز وجل: **((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)**) وتعلمون مـا جـرى للإمام أحمد وغيره من الأئمة من المحن في محاولة تطبيق الشريعة في الناس, ومع ذلك هـم صـبروا واحتسـبوا حـتى ظهـر الحـق ولله الحمـد, فتطبيق الشريعة ليس معناه أن طالب العلـم إذا نـوى تطـبيق الشـريعة وحمايتها أنه يستطيع ذلك, قد لا يسـتطيع, لكـن هـو ينـوي هـذا, ويجعـل طلبه للعلم مركزا على هذه النية, والله سبحانه وتعالى ييسـر لـه الأمـر, ثم إذا أوذي في الله فهو رفعة لدرجاته, ورفعة لذكره, لو تأملت من أكثر الناس إيذاء من العلماء لوجدت أنهم العلماء الكبـار, هـم الـذين يلحقهـم الأذى من حبس وضرب وإهانة, وربما قتل, فيكـون هـذا مـن رفعـة اللـه لهم.
الطالب : ...
الشيخ : والله نرى أن أهم المهمـات العلـم بهـذا الكتـاب العزيـز, كتـاب الله, قبل كل شيء, لأن الصحابة لا يجاوزون عشر آيـات حـتى يتعلموهـا وما فيها من العلم والعمل, ثم العناية بما صح من السنة, ثم العنايـة بمـا كتبـه أهـل العلـم وأخـذوه مـن هـذين المصـدرين الأساسـيين: الكتـاب والسنة, ولا يعني إذا قلنا احرص على معرفة كلام اللـه وكلام رسـوله أن تعرض عن كل شيء, لابد أن ننتفع بأفكار العلماء الذين كرسوا جهـودهم

لخدمة العلم, وإلا لضعنا, ولهـذا كتـب العلمـاء رحمهـم اللـه فـي أصـول الفقه وفي أصول الحديث وفي قواعد الفقه وفي قواعد التحـديث وغيـر ذلك من أجل الضبط, حتى ينضبط النـاس ويكـون ماشـين علـى قواعـد معلومة.

الطالب : حفظ المتون فيه صعوبة, بعض الناس يقول: أنا أكرر المسائل مرات فأفهمها وأكتفي بذلك عن حفظ المتـون, ففـي الفقـه مثلا يقـول: إنما هذه كلام أناس نحن نأتي بمثلها, فما رأيكم ؟

الشيخ : أنـا رأيـي أن حفـظ المتـون هـو الأسـاس, ومـا انتفعـت بشـيء انتفاعي بما حفظـت مـن الكتـب, لأن حفـظ المسـائل يطيـر إلا مسـائل تتكرر على الإنسان يوميا فهو لا ينساها من قبل العمـل, فحفـظ المتـون هو العلم في الواقع, وكونه صعبا على بعض النـاس هـذا صـحيح, فبعـض الناس يصعب عليه جدا أن يحفظ, تجده يكرر المتن تكـرارا كـثيرا ولكـن ما يحفظه, لكن احرص على هذا, وكلمـا تقـدمت السـن بالإنسـان قـوي فهمه وضعف حفظه, يعني فهمه يقوى, ويتفتح عليه مـن الفهـوم مـا لـم يكن يعرفه من قبل, لكن يقل حفظه, ولهذا ننصح الشـاب إلـى الحفـظ, وأول ما يجب أن يحفظ كتاب الله الذي هو أساس كل شيء.

الطالب : هل طالب العلم يتنقل بين العلوم, علم العقيدة وعلم الفقه ؟

الشيخ : تعرف أن العلوم ليست سواء بعضها أهم من بعض, فأنت كرس جهودك على الأهم, ولا تخلي نفسك من العلوم الأخرى المساندة للأهم, يعني مثلا رجـل قـال: أنـا أهـوى النحـو, أكـرس جهـودي علـى النحـو ولا أتعرض لغير هذا, نقول غلط, كرس جهـودك علـى مـا تهـواه نفسـك لئلا يضيع عليك الوقت, لأن الإنسـان إذا حـاول أن يرغـم نفسـه فـي دراسـة شيء لا يختاره سيضيع عليه الوقت, لكن لا تنسى العلوم الأخرى.

كذلك أيضا لا تكـثر علـى نفسـك مـن العلـوم, لأن كـثرة العلـوم تضـعف الإنسان في همته وفي فهمـه, والـذين درسـوا فـي المـدارس النظاميـة يعرفـوا هـذا, تجـد مثلا فـي المعاهـد أو الثناويـات تجـد فيهـا مثلا خمسـة عشرة مادة تضيع على الإنسان, لو أردت أن تبحث معه في شيء عميق من المواد التي درسها ما وجدت عنده شيئا.

فإذا ركز الإنسان على العلوم واختصرها بقدر ما يستطيع صار هذا أجــود له وأكثر استفادة, ويذكر أن بعض الناس يقول: إن مـن أتقـن علمـا مـن العلوم اتقانا جيدا استغنى به عن سائر العلوم؛ وهذا لا شك أنه غلط, لــو أنك أدركت النحو جيدا, هل يغنيك عن معرفة الفقه ؟

وما يذكر عن أبي يوسف والكسائي أنهما تناظرا في حضرة الرشيد, وقال الكسائي: إن الإنسان إذا أتقن العلم, أي علم أتقنه يستغني به عن غيره, وأن أبا يوسف أورد عليه الرجل يسهو في سجود السهو فقال الكسائي: ليس عليه سجود, قال: ومن أين يوجد هذا في علمك ؟ ـ لأن الكسائي إمام في النحو ـ قال: من قواعد علمي أن المصغر لا يصغر؛ هذا يصح دليلا في حكم شرعي ؟ أبدا, وأنا أظن أن هذه القصة مصنوعة, ما هي صحيحة.

لكن على كل حال الإنسان ينبغي له أن يركز, وأنا في نظري أن أهم ما أركز عليه هو القرآن الكريم, القرآن كنوز عظيمة كلما أخذت آية وصرت تتأملها انفتح لك من العلوم فيها ما لا يعلمه إلا الله, ثم القرآن سند, يعني ليس القرآن ككتاب أي عالم من العلماء, هو سند يحتج به الإنسان أمام الله عز وجل, لأنه كلام الله سبحانه وتعالى, فلهذا أنا أرى أن نركز على علم التفسير, ثم على معرفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأنتم تعرفون أن ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى جهد قبل أن يكون دليلا, الجهد هو أن نعرف صحته إلى الرسول, لأنه ما أكثر الأحاديث التي رواها ضعاف الناس رواية, إما لقلة أمانتهم أو لسوء حفظهم أو ما أشبه ذلك, بل ما أكثر الأحاديث الموضوعة المكذوبة على الرسول عليه الصلاة والسلام, لأن الأهواء كثرت فصار من لا يخاف الله يضع ما شاء من الأحاديث وينسبها للرسول صلى الله عليه وسلم, تحتاج السنة إلى عناية كبيرة في ثبوت صحتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أما القرآن فلا يحتاج إلى هذا لأنه ثابت بالنقل المتواتر الذي ينقله الأصاغر عن الأكابر, فالعناية بالكتاب والسنة هو أهل شيء, لكن لا يعني ذلك الإعراض عما كتبه العلماء, لابد من الاستعانة بآراء العلماء وكيفية استنباطهم للأحكام من القرآن والسنة, ونقتصر على هذا .

القارئ: **((مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)**) [غافر :33].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم, نبدأ هذا الصباح في درس التفسير وينبغي أن نلم بشيء من قواعد التفسير فنقول:

أولا: التفسير مأخوذ من الفسر, فسرت الثمرة عن قشرها أي اتضحت

وبانت, وهو عبارة عـن توضـيح كلام اللـه عـز وجـل, والتفسـير يـراد بـه التفسير اللفظي, يعني أن تفسر اللفظة بقطع النظر عن سياقها, ويـراد به التفسير المعنوي بأن تفسر اللفظة بحسب سياقها.
فمثلا قول الله تبارك وتعـالى : **((وأعدوا لهـم مـا اسـتطعتم مـن قوة))** إذا فسرنا القوة التفسير اللفظي صار معناها ضد الضعف, لكـن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : **(إن القوة الرمي)** وعلـى هـذا فنقول معنى القوة ضد الضعف هذا باعتبار اللفـظ, والمـراد بهـا الرمـي هذا باعتبار المعنى المراد.
ومثله أيضا **((للذين أحسـنوا الحسـنى وزيـادة))** الزيـادة معناهـا الفضل, زيادة الشيء على الشيء هـذا مـن حيـث اللفـظ, لكـن المـراد النظر إلى وجه الله عز وجل كما فسره النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم, إذن التفسير اللفظي غيـر المـراد، المـراد يعينـه السـياق أو يـبينه النـبي صلى الله عليه وسلم أو ما أشبه ذلك. وأما اللفـظ فـأنت تفسـر الكلمـة باعتبار معناها منفردة دون النظر إلـى سـياقها. والقـرآن الكريـم يفسـر بالمعنى الثاني, أي بما أراد الله به.
ثانيا: هـل المـراد يخـالف الظـاهر أو هـو الظـاهر إلا بـدليل ؟ المـراد هـو الظاهر, يعني أن الله يريد بكلامه ظاهره ولابد, ولا يمكـن أن نعـدل عـن الظاهر إلا بدليل, فمن عدل عن الظاهر إلى غيره بدون دليل كـان ممـن يحرفون الكلم عن مواضعه.
مثال هذه القاعدة قال اللـه تبـارك وتعـالى : **((إن ربكم اللـه الـذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش))** ظاهر قوله: **((ثم استوى على العرش))** أي علا عليه علوا يليـق بجلاله وعظمته, وهو علو خاص بالعرش وليس هو العلو العام على جميع المخلوقات, فإذا جاء إنسان وقال: استوى على العـرش يعنـي اسـتولى عليه, فإننا لا نقبل منه, لماذا ؟ لأن هذا خلاف الظاهر بلا دليل, فإذا كـان خلاف الظاهر بلا دليل فإنه مـن بـاب تحريـف الكلـم عـن مواضـعه, وإن تسمى أهله بأنهم مؤولة, فإنما يسمون أنفسـهم بـذلك مـن أجـل قبـول قولهم, وتسهيل خطئهم على الناس, لأنه فرق بين أن تق ول هـذا م ؤول أو هذا محرف, وإلا فالحقيقة أنهم محرفون, ولهذا تجدون شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه عـبر فـي العقيـدة الواسـطية بقـوله: **" من غيـر تحريف "** ولم يقـل مـن غيـر تأويـل, لأن التحريـف مـذموم بكـل حـال, والتأويل منه صحيح ومنه فاسد.

طيب فإن دل دليل على أن المراد خلاف الظاهر فسرناه بالمراد مثل قوله تعالى : ((**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله**)) معنى قرأت يعني: أردت أن تقرأ, وليس المعنى إذا فرغت, لو أننا فسرنا اللفظ بظاهره لقلنا: إذا قرأت يعني إذا انتهيت من القراءة فاستعذ بالله, ولكن هذا غير مراد, ما الذي يبين أن هذا غير مراد ؟ فعل النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يستعيذ قبل أن يبدأ القراءة, واضح, طيب هاتان قاعدتان.

القاعدة الثالثة: إلى من يرجع في تفسير القرآن ؟ هل يرجع إلى اللغة والحقيقة اللغوية أو يرجع إلى الحقيقة الشرعية أو ماذا ؟

نقول أولا: يرجع في التفسير إلى تفسير من تكلم به وهو الله عز وجل, فيرجع في التفسير أولا إلى كلام الله, فإذا كانت الكلمة مجملة في موضع من القرآن مفصلة في موضع, فإنه يرجع إلى ما فصل بالقرآن نفسه, إذا كانت مبهمة في موضع ـ معناه أنه لم يتبين مدلولها ـ لكنها مبينة في موضع آخر نرجع إلى الموضع الآخر, فيفسر القرآن أولا بالقرآن, لأن المتكلم به أعلم به من غيره, ففي قوله تعالى : ((**القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة**)) ما هي القارعة ؟ بينها الله بقوله: ((**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**)) وقال تعالى : ((**وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين**)) فسرها بقوله : ((**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا**)) وكذلك قوله تعالى : ((**لنسفعا بالناصية**)) أي ناصية هي ؟ كل ناصية يسفع الله بها ؟ لا, ((**ناصية كاذبة خاطئة**)) وعلى هذا فقس, فنرجع أولا إلى تفسير من تكلم به وهو الله, أي إلى تفسير القرآن بالقرآن.

ثم بعد هذا نرجع إلى تفسير القرآن بالسنة, لأن أعلم الناس بكلام الله رسول الله صلى الله عليه وسلم, فنرجع إلى تفسيره ولا نقبل تفسير غيره, مثال ذلك قوله تعالى : ((**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**)) فقد فسرها صلى الله عليه وسلم بأنها النظر إلى وجه الله, طيب لو جاءنا جاء وقال: وزيادة أي فزيادة في الحسن, قلنا له: لا نقبل قولك, وإن كانت الكلمة من حيث معناها اللفظي تحتمل ما قلت, لكن لا نقبل, لماذا ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بأنها النظر إلى وجه الله وهو أعلم الناس بمراد ربه, فلا نقبل قولك.

ثالثا: نرجع إلى تفسير الصحابة, يعني إذا لم نجد في القرآن ولا في السنة رجعنا إلى تفسير الصحابي, لأن الصحابة أعلم الناس بمراد الله

ورسوله, حيث إنهم في عصر التنزيل, وشاهدوا الأحوال والقرائن الدالة على المراد, ولا شك أن المشاهد للشيء ليس كالغائب عنه, الآن ربما أتكلم أنا بكلام منفعل فيه وأقول: أتفعلون كذا ولما كذا, تجدونني منفعلا, والذي يسمع كلامي وهو لم يشاهدني يظنه كلاما عاديا, ولا يعرف لأنه ما عنده قرينة, ولهذا نقول الصحابة أعلم الناس بتفسير كلام الله ورسوله لأنهم قد شاهدوا الأحوال وعرفوا القرائن فيرجع إلى تفسيرهم.

مثال ذلك قوله تعالى : **((وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس))** فهنا فسر أبو بكر الكلالة بأنه من ليس له ولد ولا والد, بأنه الميت يموت ليس له ولد ولا والد, يعني لا أصول ولا فروع, هنا نأخذ بتفسير أبي بكر, لماذا ؟ لأنه من الصحابة, والصحابة أعلم الناس بتفسير كلام الله عز وجل. ومعنى قولنا هذا أنه لو جاء أحد من المتأخرين وفسر القرآن بخلاف ما فسرت به الصحابة فإننا لا نرجع إلى قوله أبدا.

بعد ذلك الرابع: إذا لم نجد في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة نرجع إلى أقوال التابعين ولاسيما من عرف منهم بالتلقي عن الصحابة, مثل مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى, فإنه قال: **" عرضت المصحف على ابن عباس مرتين أو أكثر أقفه عند كل آية وأسأله عن معناها "** فمثل هذا يؤخذ بقوله لأنه أخذ عن الصحابة, وإن كان بعض التابعين قد لا ينال هذه المرتبة لعدم أخذه عن الصحابة, لكن على كل حال التابعون أقرب إلى المعنى الصحيح ممن بعدهم, إلا أنهم كما عرفتم يقلون مرتبة عن الصحابة.

الخامس: نرجع إلى المعنى الحقيقي للكلمة, وهو المعنى اللغوي, يعني نرجع إلى معنى الكلمة في اللغة العربية, ودليل ذلك قوله تعالى : **((إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))** يعني تفهمون المعنى, وهذا إحالة من الله عز وجل إلى اللغة العربية, وأن عقل القرآن يكون بمقتضى اللغة العربية, ولنا حجة, فإذا قال قائل: ما دليلك على أن معنى هذه الكلمة هو كذا ؟ قلنا: هذا معناه في اللغة, والقرآن نزل باللغة العربية, وقد أشار الله إلى ذلك في قوله : **((إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))** **((فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون))** إلى غير ذلك من الآيات الواضحة.

فإن اختلفت الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية ؟ رجعنا إلى الحقيقة

الشرعية, يعني الحقيقة اللغوية والشرعية لا شك أنها تتفق في أشياء كثيرة, فالسماء سماء لغة وشرعا, والأرض أرض لغة وشرعا, والإبل إبل لغة وشرعا, وما أشبه ذلك, فإن تعارضت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية نقدم الحقيقة الشرعية, لأن هناك كلمات نقلها الشرع من المعنى الأصلي اللغوي إلى المعنى الشرعي, مثال ذلك الإيمان, الإيمان في اللغة هو الإقرار والاعتراف أو التصديق على خلاف بين العلماء في التفسير, لكنه في الشرع غير ذلك, الإيمان في الشرع أوسع من هذا, يشمل المعنى اللغوي ويشمل ما سواه, مثل الأعمال الأقوال الأفعال التروك كل هذه من الإيمان شرعا, ومثل الصلاة وجدنا في القرآن: **((وأقيموا الصلاة))** على أي شيء نحمل الصلاة ؟ على المعنى اللغوي الذي هو الدعاء أو على المعنى الشرعي ؟ على المعنى الشرعي, لأن الشرع نقل بعض الألفاظ العربية إلى معنى جديد ليس مستعملا في اللغة العربية فنأخذ بما أقره الشرع.
أخذنا الآن خمسة: نرجع في التفسير إلى القرآن, السنة, الصحابة, التابعين, المعنى اللغوي, وإذا تعارض اللغة والشرع قدمنا المعنى الشرعي, وهذا هو المبحث أظن المبحث الثالث.
المبحث الرابع: هل يجوز لنا أن نفسر القرآن دون الرجوع إلى كلام العلماء المكتوب أو المسموع ؟
هذا ينظر, إذا كانت الكلمة لها معنى لغوي, ولم نعلم أن لها معنى شرعيا يعارض, فلنا أن نفسر القرآن بمقتضى اللغة, إذا لم نعلم أن لها معنى شرعيا نقلت إليه, لأن القرآن كما قلنا واستدللنا نزل باللغة العربية, فإذا فسرته بمقتضى اللغة العربية فلا بأس, ولكن بشرط أن يكون لي علم باللغة العربية, ما هو أي عامي يأتي يفسر القرآن.
أما إذا فسرت القرآن بما يوافق رأيي مع مخالفته للقواعد السابقة, فهذا جاءت الأحاديث بالوعيد فيه, وأن من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار, ولهذا أمثلة كثيرة عقدية وفقهية, كثير من العلماء فسروا القرآن بآرائهم, أي بما يناسب مذاهبهم.
وهذا في العقائد مشهور معروف, يفسر قول الله تعالى: **((وجاء ربك))** أي جاء أمر ربك.
يفسر قول الله تعالى: **((فأجره حتى يسمع كلام الله))** بأنه الكلام المخلوق.
يفسر قوله تعالى: **((ثم استوى على العرش))** يعني استولى

عليه.
يفسر قوله تعالى: **((لما خلقت بيدي))** أي بقدرتي وما أشبه ذلك, هذا قائل في القرآن برأيه لا شك, لأنه لا فسره بمقتضى اللغة, ولا بمقتضى الشرع, وإنما بمقتضى رأيه الذي يطابق ما هو عليه من المذهب أو من الطريقة.

كثير من العلماء فسروا القرآن بآرائهم, أي بما يناسب مذاهبهم. وهذا في العقائد مشهور معروف:
يفسر قول الله تعالى: **((وجاء ربك))** أي جاء أمر ربك.
يفسر قول الله تعالى: **((فأجره حتى يسمع كلام الله))** بأنه الكلام المخلوق.
يفسر قوله تعالى: **((ثم استوى على العرش))** يعني استولى عليه.
يفسر قوله تعالى**: ((لما خلقت بيدي))** أي بقدرتي وما أشبه ذلك, هذا قائل في القرآن برأيه لا شك, لأنه لا فسره بمقتضى اللغة, ولا بمقتضى الشرع, وإنما بمقتضى رأيه الذي يطابق ما هو عليه من المذهب أو من الطريقة.
طيب فالتفسير بالرأي إذن محرم ومن كبائر الذنوب, وهو داخل في قوله تعالى : **((ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا))** لأن هذا المفسر يقول: إن الله أراد بهذا هذا, فيكون صادقا أو كاذبا ؟ يكون كاذبا, فيكون ممن افترى على الله كذبا حيث قال: إن الله أراد كذا؛ ثم هو ممن اعتدى في حق الله حيث قال: لم يرد كذا؛ شف الخطر, إذا قال: **((وجاء ربك))** قال أراد الله: وجاء أمر ربك, فيكون كذب على الله, قال: ولم يرد أنه جاء بنفسه؛ يكون اعتدى على كلام الله وتجاوز حده, من قال لك إن الله لم يرد هذا وهذا ظاهر كلامه ؟ فيكون هذا معتديا محرفا والعياذ بالله.
وكذلك أيضا في المسائل الفقهية مثلا: **((وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم))** قال الرافضة: يعني أن الله أمرنا أن نمسح الأرجل بدل الغسل, فيقال: هؤلاء قالوا برأيهم, لأنهم أهملوا قراءة النصب **((وأرجلكم))** ولم يعملوا بها, ثم خالفوا المراد بقراءة الجر, وهي أنها تمسح الرجل على الوجه الذي بينته السنة, والذي بينته السنة أن الرجل تمسح إذا كان عليها خفان أو جوربان أو ما أشبه ذلك, فتبين الآن أن التفسير بالرأي من كبائر الذنوب لأنه يتضمن مفسدتين عظيمتين:
إحداهما: تحريف الكلم عن مواضعه, والثاني: الكذب على الله والتعدي في حقه, حيث قالوا أنه لم يرد كذا وأراد كذا.
المبحث الخامس: أهمية التفسير, التفسير من أجل العلوم وأعلاها قدرا, لأن الإنسان يحاول أن يفهم به معنى كلام الله عز وجل, والعلوم تشرف بحسب موضوعها, ولا أشرف من موضع تفسير كلام الله عز

وجـل, فيكـون التفسـير مـن أجـل العلـوم إن لـم نقـل هـو أجـل العلـوم وأعظمها قدرا, لأنه عناية بكلام الله عز وجل, ولأنه إتباع لطريق السلف الذين لا يجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها مـن العلـم والعمـل. ولأن الإنسان إذا فهم كلام الله ذاق له طعما, وصار يقرئه وهو يجد حلاوة معناه, والأنس به أكثر من إنسان أمي لا يعلم الكتاب إلا أماني.
ففي علم التفسير يطمئن القلب وفي علم التفسير يعرف الإنسـان قـدر هذا القرآن العظيم الذي وصـفه اللـه بعـدة أوصـاف عظيمـة: **((ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم))** وأكثرنا عفا الله عنـا لا يعتني بالتفسير, ولا يهتم به, ربما يستشرف كتـاب عـالم مـن العلمـاء يخطئ ويصيب, ويتأمـل هـذا الكتـاب منطوقـا ومفهومـا وإشـارة وإيمـاء وغير ذلك من أنواع الدلالة, لكن كلام الله لا يعتني به, ولولا أنه يتبرك بـه في أجره لما عرج عليه أصلا إلا أن يشاء الله, وهذا غلط.
حتى في طلبة العلم الآن من لا يهتم بالتفسير, تجده يهتـم بكتـب الفقـه, يهتم بكتب الحـديث, يهتـم بكتـب الرجـال, ويعـرض عـن هـذا الـذي هـو الأصل, أصل الأصول الذي يجب علينا أن نعرفه, والذي سنحاسب عليـه, **(القرآن حجة لك أو عليك)** استوقف شخصا من أكبر طلبـة العلـم, عندي آية من القرآن قل له ما معناها ؟ مـا يقـول ؟ إمـا أن يكـون جريئـا فيقول: أراد الله بهذا كذا وكذا, وهو لم يرده, أو أنه يكون ورعـا ويقـول: لا أردي, لكن لو أن طلبة العلم أخذوا القرآن من أوله يقرؤونه ويتدبرونه ويتأملونه لوجدوا خيرا كثيرا, وانفتح لهم من أبواب المعرفة مـا لا يخطـر على البال.
والله عز وجل فـي القـرآن الكريـم يقـول : **((ولقد يسـرنا القـرآن للذكر))** ما هو صعب, القرآن إذا أقبلت عليه حقيقة بقلب ونيـة جازمـة فهو سهل, أسهل من جميع الكتب لأنه يقول : **((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر))**.
هذه نبذ تكلمت بها أسأل الله تعالى أن ينفع بها في مقدمة التفسير, لأن بعض إخواننا قد لا يكونون حضروا مثل هذه القواعد التي سوف تفيـدهم إن شاء الله تعالى, أما الآن فإلى الدرس الذي نحن بصدده.
الطـالب : يقـول بعضـهم: إن هنـاك شـيئان ليـس لهمـا سـند التفسـير والتاريخ؛ ما صحة هذا القول ؟
الشيخ : نعم هذا يذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى, وقال هي ثلاثة: المغازي والسير والتفسير, ومراده بـذلك أنـه ليـس لهـا سـند أن النـاس

يتناقلونها بدون إسناد, فمثلا يقول: قال مجاهد كذا, قال ابن عباس كـذا, بدون إسناد هذا المعنى, كذلك التواريخ تجد مثلا يتكلمون الناس في هـذا في غزوة أحد, لكن لا تجد الرجل يقول حدثني فلان عـن فلان عـن فلان حتى يصل إلى الغزوة, وكذلك يقال في السير, هـذا مـراد الإمـام أحمـد رحمه الله تعالى, وقصده بذلك أنـك إذا سـمعت مثـل هـذا الـذي اشـتهر ونقل أن تتأكد منه.

الطالب : ... عرض على طلابه تفسير آية, هو عالم بها وقال: ما تقولون في هذه الآية؛ فهل يدخل هذا في التقول على الله بلا علم ؟

الشيخ : لا, هذا لا يدخل في ظني, لأن هذا الذي قال معنى الآيات كـذا لا يريد أن هذا المعنى مستقر, لكن يعرضـه علـى شـيخ أعلـم منـه, فكـأنه حينما يقول: أراد الله كذا, كأنه يقول بلسـان الحـال: هـل أراد اللـه بهـذا كذا؟ فهذا لا يعتبر تفسيرا للقرآن بالرأي ولا محرما.

الطالب : بعض الناس يـتركون التفسـير ويتبعـون السـنة وآثـار الرجـال, ويقولون: إن أهل البدع يستدلون بعمومـات القـرآن ونحـن نقـرأ السـنة لكي نبين هذه العمومات بالسنة, فما رأيكم ؟

الشيخ : رأيي أنه صحيح أننا لا نزهد في السنة, ولا فـي معرفـة الرجـال, ولا في معرفة المصطلح, لكننا نرى أن هنـاك أولويـات, وهنـاك أهميـات قبل المهمات, وأما ما ادعاه من أن القرآن لم يبين الرد على أهل البـدع والسنة بيت, فهذا غير صحيح, القرآن ليس فيه دليل واحد لأي بدعة مـن البدع أبدا, بل إن شيخ الإسلام رحمه الله قال في كتـابه **" درء تعارض العقل والنقل "** قال: **" أي دليل يستدل به شخص علـى بدعـة فأنا أجعل هذا الدليل دليلا عليه "** وصدق.

أضرب مثلا لكم: **((لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار))** استدل بهذه الآية من يرى أن الله لا يرى, والحقيقة أنها تدل على أن اللـه يـرى, استدل بها وهي دليل عليه, لأن نفي الأخـص يسـتلزم وجـود الأعـم **((لا تدركه))** إذن تراه, ولو كانت لا تراه لقال لا تراه الأبصـار, أمـا أن يعـبر بلا تدركه عن لا تراه فهذا لا شك أنه تعمية وإلغاز, ولا يمكن أن يكون هذا في كلام الله الذي جعله الله تبيانا لكل شيء.

استدلوا بقول موسى: **((رب أرني أنظر إليك قـال لـن ترانـي))** قالوا: هذا يدل على أن الله لا يرى؛ نقول هذا دليل عليكم, موسى سـأل الرؤيا في الآخرة أو في الدنيا ؟ في الدنيا, كيف تنقلونها أنتم إلى الآخرة, ولهذا قال: **((لن تراني))** يعني الآن ليس بك قـدرة علـى أن تتحمـل

رؤيتي, ورؤية الله تعالى مستحيلة في الدنيا لا لأمر يتعلق بالرؤيا لكن لأمر يتعلق بالرائي, الرائي لا يتحمل, ولهذا ضرب الله مثلا لموسى فقال: **((انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل))** جل وعلا, ماذا صار ؟ **((جعله دكا))** هذا الجبل العظيم الذي لا تدكه القنابل صار دكا بمجرد أن الله تجلى له, ولهذا خر موسى صعقا, عجز أن يتحمل الموقف فضلا عن رؤية ربه عز وجل, فالمهم أن الآية الآن فيها دليل عليهم, لأن موسى إنما سأل الرؤيا في الدنيا لا في الآخرة.

ثم إن موسى سأل الرؤيا وأنتم تقولون رؤية الله مستحيلة, إذن أنتم أعلم بالله من موسى, يعني إما أن تكونوا أعلم بالله من موسى لأن موسى ما سأل شيئا مستحيلا, يرى أن الله يرى, لكن البشر لا يتحملون ذلك, فإما أن يكون جاهلا بقدر الله وأنتم عالمون به, وإما أن يكون معتديا على الله حيث سأل ما لا يحل له سؤاله.

فأقول لكم يا إخوان من قال أن البدع لا تدفع إلا بالسنة أو لا يتم دفعها إلا بالسنة فقد أخطأ, وهذا يدل على قصور فهمه للقرآن أو على تقصيره في تفهم القرآن, وإلا فالقرآن نفسه لا يمكن أن يوجد بدعة إلى رد عليها, أبدا, ولو لم يكن من ذلك إلا قوله : **((شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله))** هذه الآية قاضية على كل بدعة, كل بدعة تبطل بهذه الآية سواء كانت عقدية أو قولية أو فعلية .

الطالب : قلتم أن تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة, ثم لو أراد الإنسان أن يتتبع كل آية ينظر في أقوال الصحابة والسنة لضاع عليه وقت, كتاب تفسير من كتب أهل العلم المعروفين حتى يحفظه ؟

الشيخ : هذا يكون تقليدا, يعني كوني أمسك تفسير ابن كثير أو غيره من العلماء هذا تقليد, لكن أنا أريد التفسير المجتهد, أما من لم يجد إلا ميتة فيأكل الميتة للضرورة, ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ينبغي أن نعلم أن التقليد بمنزلة أكل الميتة؛ إن اضطررت إليه فقلد وإلا فاجتهد, أدلي إلى البئر بمثل ما أدلى به الناس, أدلي بدلوك, والحقيقة أن التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة وعند العجز, وإلا من أمكنه أن يأخذ الأحكام أو العقائد من كتاب الله وسنة رسوله فليفعل, لأن الله سبحانه وتعالى يقول: **((ويوم نناديهم فيقولوا ماذا أجبتم المرسلين))** هذه تحتاج إلى جواب, ولولا قول الله تعالى: **((فاتقوا الله ما**

استطعتم)) لقلنا يجب على كل إنسان أن يجتهد, وأن يأخذ الحكم من القرآن والسنة, لكن الحمد لله وسع الله علينا **((لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)) ((فاتقوا الله ما استطعتم))** وإلا لقلنا يجب أن كل واحد يأخذ من الكتاب والسنة لأننا سنسأل عن القرآن والسنة.

الطالب : ما أفضل كتب التفسير التي تمشي على القواعد التي ذكرتم حتى يتبين للطالب ويتمرن عليها ؟

الشيخ : هو أحسن شيء فيما أرى من التفاسير التي تعتني بالأثر تفسير ابن كثير, تفسير ابن كثير من أحسن ما يكون من الكتب التي تعتمد على التفسير بالأثر, لكن تعلمون أن القرآن ـ سبحان الله ـ القرآن واسع, لو اجتمع الناس كلهم على أن يدركوا معناه ما استطاعوا, تجد مثلا هذا يبحث في القرآن من الناحية اللغوية, وهذا من الناحية العقدية, وهذا من الناحية الفقهية, وهذا من ناحية البلاغة, علوم شتى كثيرة في القرآن الكريم, ابن كثير مثلا في الأثر لا شك أنه جيد لكن في كثير من أمور اللغة يكون قاصرا, أيضا في استنباط الأحكام قليل جدا أن يتكلم عن الأحكام, نجد مثلا القرطبي يعتني بالأحكام ويفرع على الآية وما أشبه ذلك, المهم أن كل عالم له منهج في تفسير كلام الله عز وجل.

الطالب : ...

الشيخ : إذا وجدنا كلمة لم تفسر بالقرآن ولا بالسنة ولا بأقوال الصحابة, على كل حال نرجع للغة, لأن القرآن كما قال الله عز وجل: **((بلسان عربي مبين)) ((إنا جعلناه))** أي صيرناه **((قرآنا عربيا))** أي باللغة العربية **((لعلكم تعقلون))** شف الآية الثانية: **((ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين))** لماذا ؟ لأنهم لا يفهمون معناه.

الطالب : ... **(إذا اجتهد العلم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر)** ؟

الشيخ : إذا اجتهد, والذي يفسر القرآن برأيه ما اجتهد, وأنا ضربت لكم عدة أمثلة من التفسير بالرأي, ليس معنى التفسير بالرأي أن تفسر القرآن حسب ما تقتضيه اللغة العربية, التفسير بالرأي أن تحمل معنى القرآن على رأيك, وهذا إنما يكون في المتعصبين لمذاهبهم الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص إلى ما كانوا عليه.

الطالب : الفقهاء يقولون أن من تزوج امرأة في عدتها وبنى بها

تحرم عليه تحريما مؤبدا ؟
الشيخ : من الفقهاء ؟
الطالب : العلماء, في كتب الفقه.
الشيخ : كتب من ؟ هذه بارك الله فيك على مذهب الحنابلة لا تحرم, لكن قد روي عن عمر أثر بأنه حرمها على من تزوجها عقوبة له, عقوبة له ما هو تحريم نسب ولا مصاهرة لكن عقوبة له, ولعلها مرت عليك قاعدة ابن رجب: **" من تعجل شيئا قبل أوانه ـ على وجه محرم ـ عوقب بحرمانه "** هذه قاعدة مفيدة لطالب العلم. أي نعم طيب .
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **((وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ))**[غافر :34].
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب))** وقال الذي آمن أبهم الله سبحانه وتعالى الذي آمن, حيث إنه من أول القصة **((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه))** فما زال الحديث عنه بلفظ الإبهام, لأنه لا حاجة إلى تعيينه باسمه, فإن تعيين الاسم قد يكون فيه شيء من الضرر, والمقصود هو المعنى وما تتضمنه هذه القصة. **((وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب))** يا قوم: معروف أن يا النداء إذا دخلت على نكرة مقصودة فإنها تبنى على الضم كما إذا دخلت على معرفة, وهنا لم تكن مبنية على الضم بل آخرها الكسر, فيقال إن أصلها يا قومي ولكن حذفت الياء للتخفيف, وفي قوله: **((يا قوم))** تلطف بدعوتهم وإلا فهم معادون له لأنهم كفار وهو مؤمن, لكن من باب التلطف في الدعوة إلى الله عز وجل قال لهم يا قوم,
((إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)) أكد الجملة وإن كانت مستقرة في نفسه ولكن المخاطب بها فعله فعل المنكر لها.

" ((إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)) أي يـوم حـزب بعـد حزب " وإنما قال الشـارح: **" حزب بعـد حـزب "** لأن هـذه الأحـزاب ليست مجتمعة في آن واحد أو مكان واحد, بـل نجـد قصـة نـوح وحـدها, وهود وحدها, وصالح وحـدها وهكـذا, ولـذلك فسـر المؤلـف قـوله: يـوم الأحزاب, بقوله: يوم حزب بعد حزب.

((مثل دأب قوم نوح)) مثل هذه بدل من مثل التي قبلها, مثـل يـوم الأحزاب مثل دأب, والبدل أحد التوابـع الأربعـة المعروفـة, أو مـن قـول ابن مالك:

يتبع في الإعراب الأسماء الأول نعت وتوكيد وعطف وبدل

وعلامة البدل أنه يصح أن يحل محل المبدل منه, يعنـي يصـح أن يحـذف المبدل منه ويحل محله البدل.

فإن قال قائل: ما الفائدة من أن نأتي بالمبدل منه ثم بالبدل ؟ لمـاذا لـم نأتي بالبدل من أول الأمر ؟

نقول: لابد أن يكون هناك فائدة, إمـا تفصـيل بعـد إجمـال, أو تـبيين بعـد إبهام, أو ما أشبه ذلك, ولابد أن يكون للبدل فائدة.

((مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود)) إلى آخره, مثـل دأبهـم, هـو لا يريد مثـل دأبهـم يريـد مثـل جـزاء دأبهـم, لأن هنـاك دأب وهنـاك جـزاء, فالجزاء من الله, والدأب من الأمم أو مـن الأحـزاب, مثـل دأب أي مثـل جزاء دأبهم, فما دأبهـم ؟ بيـن اللـه تعـالى دأبهـم بقـوله : **((كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا))** هذا هو دأبهـم **((مثـل دأب قوم نوح وعاد وثمود))** هـؤلاء كلهـم دأبهـم التكـذيب بالرسـل والكفر بهم **((والذين مـن بعـدهم))** مـن بعـد قـوم نـوح وهـي أول الأمم, وعاد وثمود.

قال المفسر: **" مثل بدل من مثل قبله, أي مثل جزاء عـادة مـن كفر "** فأفادنـا المؤلـف رحمـه اللـه أن فـي الكلام تقـديرا, أي أن فـي الكلام شيئا محذوفا, هو جزاء, مثل جزاء دأبهم, لأن هذا هو الذي يخـاف منه, أن ينال هؤلاء القوم عقوبة كما نال هؤلاء, طيب.

فإذا قال قائل: كيف يطلق العمل على الجـزاء ؟ قلنـا لأنـه سـببه, وهـذا يوجد في القرآن كثيرا أن اللـه تعـالى يطلـق العمـل علـى الجـزاء مثـل: **((ذوقوا ما كنتم تعملون))** المعنى: ذوقوا جزاء, لكـن يعـبر بـه أي بالعمل عن الجزاء لأن الجزاء من جنس العمل, وحتى يحذر الإنسان من عمله كما يحذر من عقوبة عمله, طيب.

يقول: **" مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ".**

قال: **((وما الله يريد ظلما للعباد))** ما نافية وهي تميمية أو حجازية ؟ القرآن تميمي أو حجازي ؟ حجازية, لأن هذا القرآن باللغة الحجازية, انظر إلى قوله تعالى: **((ما هذا بشرا))** ولم يقل: ما هذا بشر, فنحمل كل ما كان على شاكلتها عليها, وإلا صحيح أن ما الله يريد ظلما للعباد ما تبين أنها حجازية أو تميمية لأن الخبر جملة ليس مفردا يظهر فيه النصب, لكن يحمل ما لا يظهر فيه الإعراب على ما ظهر فيه الإعراب, وهو قوله: **((ما هذا بشرا))** ثم اعلم أن القرآن إنما كتب بلغة قريش كما قال عثمان رضي الله عنه للذين كبتوا المصاحف قال: " إن اختلفتم في شيء فاجعلوه على حرف قريش " يعني على لغتهم.

في هذه الآية من الفوائد: بيان نصح هذا الرجل المؤمن حيث حذر قومه من عذاب الله.

وفيه دليل على التلطف في الدعوة إلى الله, وأن الإنسان لا يستعمل في الدعوة إلى الله عاطفته, لأنه إن استعمل عاطفته أخذته الغيرة ففعل ما لا يحمد عقباه, وإنما يحكم العقل وينظر إلى العواقب والنتائج, ولا ضير على الإنسان إذا أصابه ذل في أول الأمر إذا كانت النتيجة طيبة, ولا أظنه يخفى عليكم ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة الحديبية, من الشروط التي ظاهرها الإهانة ولكنها كانت نتيجتها طيبة حتى إن الله تعالى سماها فتحا **((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل))** فالحاصل أنه ينبغي للإنسان عند الدعوة إلى الله ألا يحكم العاطفة فتزل قدمه, ولكن يحكم العقل وينظر إلى العواقب والنتائج.

ومن فوائد هذه الآية: بيان أن ذكر الأمم السابقة ينتشر في الأمم اللاحقة, إما بواسطة الكتب المنزلة, وإما بواسطة التاريخ المنقول, ويدل لذلك قوله : **((إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب))** لأنه لا يمكن أن يخوفهم بأمر لا يعرفونه, ولو كان الأمر كذلك لقالوا: ما هذه الأيام أو ما هذا الجزاء.

ومن فوائد الآية الكريمة: تحذير اللاحق أن يصيبه ما أصاب السابق, لقوله: **((مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح))** ووجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى سنته في خلقه واحدة, هو لا يعذب هؤلاء لأنه يكرههم شخصيا, يعذب هؤلاء لأنه يكره عملهم فإذا وجد عملهم في

آخرين فالكراهة حاصلة, واذكر قول الله تعالى: **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا))** [محمد :10] وحذر شعيب قومه أن يصيبهم ما أصاب من قبله, فالحاصل أن الأمم لا بد أن يتعظ اللاحق بالسابق بناء على أن سنة الله واحدة.

ومن فوائد الآية الكريمة: انتفاء إرادة الله الظلم لعباده **((وما الله يريد ظلما للعباد))** ومعلوم أنها إذا انتفت الإرادة انتفى الفعل, فنفي إرادة الظلم نفي للظلم من باب أولى, كما أنه جاءت آيات صريحة في نفي الظلم عن الله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات اتصاف الله سبحانه وتعالى بالنفي, أي: أن الله يتصف بالصفات المنفية التي يعبر عنها بعض العلماء بالصفات السلبية لأن النفي سلب.

ولكن إذا قال قائل: هل في النفي ثناء ومدح ؟ مع أن الله عز وجل يقول: **((ولله المثل الأعلى))** فصفات الله تعالى كلها صفات كمال, والنفي عدم, فهل يكون مدحا وثناء ؟

الجواب نقول: أما بالنسبة لغير الله عز وجل فإنه لا يدل على الكمال ولا على المدح, أما بالنسبة لله فيتعين أن يكون دالا على الكمال لقوله تعالى: **((ولله المثل الأعلى))** فكل نفي نفاه الله عن نفسه فإنه متضمن للكمال, دليلنا هذه الآية: **((ولله المثل الأعلى)).**

وإلا فالنفي المجرد لا يدل على الكمال إطلاقا, بل أحيانا يدل على النقص, فقول الشاعر مثلا:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وصفهم بأنهم لا يغدرون بالعهد, وأنهم لا يظلمون, وهذا في ظاهره مدح, لكنه في الواقع ذم, يذمهم بأنهم ناس جبناء وضعفاء, لا يغدرون لأنهم لا يستطيعون لجبنهم, ولا يظلمون لا يستطيعون لضعفهم, وكذلك قول الشاعر الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يعني أنهم ليس لهم شر إطلاقا ولو هان.

يجزون بالظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

ثم قال:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

هنا يذمهم مع أنهم إذا ظلموا غفروا لمن ظلمهم, وإذا أسيء إليهم

أحسنوا لمن أساء إليهم, وهذه صفة قد تبدوا مطلوبة محمودة لكن إذا كان السبب في ذلك أنهم ضعفاء صارت مذمومة.
والخلاصة الآن أنه لا يمكن أن يوجد في صفات الله تعالى نفي محض أبدا, الدليل قوله تعالى: **((ولله المثل الأعلى))** والنفي المحض ليس من المثل الأعلى في شيء, ولكن إذا نفى الله شيئا عن نفسه فالمراد إثبات كمال ضده, يعني أنه لثبوت كمال ضده انتفى عنه هذا الشيء.
فضد الظلم العدل, إذن نثبت من نفي الظلم عن الله نثبت إثبات كمال عدله, وأنه جل وعلا لعدله لا يظلم, لا لعجزه, لأنه قادر على أن يظلم, لكنه لا يظلم لكمال عدله, ولهذا جاء في الحديث الصحيح القدسي: **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفس)** لم يقل: يا عبادي إني لا أستطيع أن أظلم, قال: **(إني حرمت الظلم على نفسي)** وهذا يدل على أنه قادر على أن يظلم لكنه لا يظلم لكمال عدله, ولو كان غير قادر على أن يظلم لم يكن انتفاء الظلم عنه مدحا لأنه عاجز, لكنه قادر ولكنه لا يظلم.
أقول هذا لأن الجهمية وغيرهم قالوا: إن الله لا يستطيع أن يظلم أبدا, وإلى هذا أشار ابن القيم في النونية حين قال: **" والظلم عندهم المحال لذاته ".**
يعني أنه مستحيل لذاته, لا لكمال الله لكن لذاته, لا يمكن أن يظلم.
قال: لأن الظلم أن يتصرف الإنسان في ملك غيره, والله عز وجل يتصرف في ملكه, فإذا ظلم لم يكن ظالما لأن هذا ملكه, فيقال: تبا لعقولكم الفاسدة؛ إذا وعد المؤمن بشيء على عمل معين, وعمل هذا العمل ولم يعطه إياه ماذا يكون ؟ يكون ظلما ولا شك في هذا, وأنتم تقولون: يجوز أن يثيب العاصي الذي يعصي الله كل عمره, ويعاقب المطيع الذي يعمل بطاعة الله كل عمره؛ وأن الأمرين على حد سواء, لأنه لا يظلم حيث إنه يتصرف في ملكه, فنقول: هذا لا شك أنه سفه في العقل وضلال في الدين, والله عز وجل وعد العامل عملا صالحا بالثواب, والمخالف بالعقاب؛ كيف يجوز أن يخلف الله وعده, المهم على كل حال هذا قول باطل ولا شك في بطلانه, ومجرد تصوره يعرف الإنسان أنه باطل.
فقوله تعالى: **((وما الله يريد ظلما للعباد))** نقول نفي إرادة الظلم يستلزم كمال عدله, وهو أيضا يستلزم نفي الظلم لأن من لا يريد

الظلم لا يمكن أن يفعل الظلم.
ثم قال الله تعالى : **((ويا قوم إنـي أخـاف عليكـم يـوم التنـاد))** رضي الله عـن هـذا الرجـل, خـوفهم أولا بالعقوبـة الدنيويـة حيـن قـال : **((إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب))** ثم خـوفهم مـن العقوبـة الأخروية فقال: **((ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد))**.
قال: " بحذف الياء وإثباتها " التنادي هذا إثباتها, التناد هـذا حـذفها, أما إثباتهـا فعلـى الأصـل, وأمـا حـذفها فللتخفيـف, واليـاء دائمـا تحـذف للتخفيف, قراءة أي نعم, والياء دائما تحذف دائمـا للتخفيـف, مثـل قـول الله تعالى: **((فلا تستعجلون))** أصـلها تسـتعجلوني, وليسـت النـون هنا نون الرفع لأنها مكسورة, فهي نون الوقاية وحذفت الياء تخفيفا.
طيب: **((يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد))** كلمة يوم هنـا هـل هي ظرف منصوبة على الظرفية, والتقـدير إنـي أخـاف عليكـم العـذاب يوم التناد, أو إن الفعل مسلط عليهـا فهـي مفعـول بـه ؟ الثـاني, لقـوله تعالى: **((يخافون يوما تتقلب فيه القلـوب والأبصـار))** فجعـل الخوف مسلطا على يوم, لأن يوم تصلح أن تكون مفعولا فيه, وأن تكون مفعولا به, وأن تكون مبتدأ, وأن تكون خبر مبتدأ تتصرف, طيب.
يقول: " ((يوم التناد)) بحذف الياء وإثباتها أي يـوم القيامـة " هذا هو المراد به, وأنا أشرت في كلامي على قواعـد فـي التفسـير أن هناك تفسيرا لفظيا, والثاني: معنوي, اللفظي يفسر اللفظي, والمعنوي يفسر المراد, فهنا يوم التناد تفسـيرها اللفظـي أي: يـوم يتنـادى النـاس بعضهم مع بعض, والمراد بها يوم القيامة, فـإذا قلنـا يـوم التنـاد أي يـوم القيامة فهذا ليس تفسيرا لفظيـا بـل هـو تفسـير معنـوي للمـراد بالآيـة, طيب.
يقول: **" ((يوم التناد)) أي يوم القيامة يكثر فيه نداء أصـحاب الجنـة أصـحاب النـار وبـالعكس والنـداء بالسـعادة لأهلهـا والشقاوة لأهلها وغير ذلك "** التناد يـوم القيامـة يكـثر, ينـادي اللـه الناس, والناس ينادي بعضهم بعضا, وأهل النار ينادون أهل الجنة, وأهـل الجنة ينادون أهل النـار, والتنـادي الحاصـل يـوم القيامـة ليـس كالتنـادي الحاصل في الـدنيا, لأنـه بأصـوات مزعجـة, وحزينـة إذا كـان أهـل النـار ينادون أهل الجنة وما أشبه ذلك, فهذا اليوم ذكر هـذا المـؤمن قـومه بـه ليحذروا من عذاب يوم القيامة.
ثـم بيـن ذلـك بقـوله**: " ((يـوم تولـون مـدبرين)) عـن موقـف**

الحساب إلى النار ((ما لكم من الله)) أي: من عـذابه ((مـن عاصم)) مانع ((ومن يضلل الله فما له من هاد)) " وصف هذا اليوم بأوصاف:
أولا: أنه يوم التناد, ينادي الناس بعضهم بعضا, والله تعالى يناديهم أيضـا, ويتنادون بنداءات قد يكون بعضها مجهولا لنا الآن.
الوصف الثاني: **((يوم تولون مدبرين))**, يوم هذه بدل من قوله: **((يوم التناد))** أو عطف بيـان, **((يـوم تولـون مـدبرين))** مـدبرين: هذه حـال, حـال مؤكـدة لعاملهـا أو لصـاحبها ؟ لعاملهـا, لأن التـولي هـو الإدبار, وعلى هذا فهي حال مؤكدة لعاملها, يعنـي: تولـون يـوم القيامـة حـال كـونكم مـدبرين؛ يولـون إلـى أي شـيء ؟ إلـى النـار والعيـاذ بـالله **((يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفـدا ونسـوق المجرميـن إلى جهنم وردا))** فهم والعياذ بالله يولون مدبرين.
قال: **((ما لكم من الله مـن عاصـم))** الجملـة هـذه جملـة خبريـة مبدوءة بـ ما النافية, والمبتدأ فيها قوله: ((**من عاصـم**)) لكـن دخلـت عليه من الزائدة.

قال: **((ما لكم من الله مـن عاصـم))** الجملـة هـذه جملـة خبريـة مبدوءة بـ ما النافية, والمبتدأ فيها قوله: ((**من عاصـم**)) لكـن دخلـت عليه من الزائدة للتوكيد, وتقدير الكلام لولا من: ما لكم من الله عاصـم, وهنا نسأل هل هي تميمية أو حجازية ؟ تتفق فيها اللغتـان, لأنهـا لا تكـون حجازية إلا بالترتيب كما قال ابن مالك:

مع بقا النفي وترتيب زكن.

وهنا لا ترتيب لأن الخبر مقدم, وعلـى هـذا فنقـول: مـا هنـا اتفقـت فيهـا اللغتان التميمية والحجازية.

((ما لكم من الله من عاصم)) أي من مانع **((ومن يضـلل اللـه فما له من هاد))** هذه الجملة قد تشكل كيف ختم بها الدعوة إلى الله عز وجل, لأن مقتضى الحال أن يقول: وأسأل الله لكم الهداية ؟

فيقال: هل قوله: **((ومن يضلل الله فما له من هاد))** هل هي من كلام الرجل أو من كلام الله ؟ لابد أن نبحث قبل كل شيء, هل هـي مـن كلام الله عز وجل ليبين أن هؤلاء القوم مع قوة الـدعوة لـم يسـتفيدوا أو هي من كلام المؤمن ؟ إن كانت من كلام الله فلا إشكال, إلا أنهـا حـالت بين الكلام أوله وآخره, وهذا لا يضر لأن الجملة الاعتراضـية تـأتي كـثيرا, وإن كان من كلام الرجل فهنا محل الإشكال، ونرجـئ القـول عنكـم إلـى غد إن شاء الله, يكون الجواب منكم غدا, والله أعلم. نعم غدا أو بعد غـد أو بعد غد .

الطالب : ... الإنسان في أول الدعوة يكون الضغط عليه, فكيـف يعـرف أن النتائج تكون طيبة ؟

الشيخ : هو لا شك أن الدعوة إلى الله برفق أقـرب إلـى النتائـج الطيبـة من العنف, لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن الله رفيـق يحـب الرفق في الأمر كله)** وكذلك قال: **(إن الله يعطي بـالرفق مـا لا يعطي على العنف)** هذا واضح, يعني لو لم يكن إلا قد استعملنا ما هو أولى وما يحبـه اللـه عـز وجـل لكفـى, ونحـن نشـاهد الآن أن النتائـج الطيبة في الدعوة برفق.

وهناك وقائع كثيرة, يقال أن أحد مشايخ الدعوة من آل الشـيخ جـاء إليـه رجال الحسـبة يشـكون عـاملا, ليـس عـاملا أجنبيـا, كـان بـالأول النـاس يسنون الإبل ويسنون على البقر ويسنون على الحميـر, ويسـمون الـذي يسوق السانية يسمونه عاملا, ويكون معه عادة عصا طويلة مـن عسـب النخل, جيدة, لأنه يريد أن يسوق إبلا أو بقـرا أو حمـرا؛ فجـاءه قـوم م ن

الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عند غروب الشمس وهـو يغنـي, عند غروب الشمس الناس يسبحون ويهللون وهـذا يغنـي بـأعلى صـوته, لأن هذا يوجب أن تهملج الدواب, تسرع, الدابة تطرب للغنـاء كمـا قـال الرسـول: **(رفقـا بـالقوارير)** فتكلمـوا عليـه, النـاس يسـبحون ويحمدون ويهللون في هذا الوقت وأنت رفعـت صـوت الشـيطان, فأخـذ بهم ضربا, قال: أنا أسوق إبلي لأروي زرعي وأنتم تقولون: ترفـع صـوت الشيطان, راحوا لأنه هو قوي وكبير الجسم ونشيط, تولـوا عنـه وجـاءوا للشيخ وقالوا يا شيخ الرجل الفلاني فعل كذا وكذا, قال: مـاذا قلتـم لـه, قال: نحن قلنا له الناس يسبحون ويهللون وأنت تغني, ثم قام علـى أحـد منا بالمسوقة, قال: طيـب الظـاهر أن الخطـأ منكـم أنتـم, لكـن أتركـوا الأمر لي, اليوم الثاني ذهب الشيخ العالم هذا عند غروب الشمس وجـاء وإذا الرجل على حاله يغني ويسوق الإبل, وضع مشلحه على العصا على نخلة هناك وتوضأ, وقد أذن بعد ما فرغ مـن الوضـوء, فجـاء إلـى الرجـل وهو يغني, الظاهر ما أدري أجاب المؤذن أو لم يجب, المهم قـال لـه: ألا أدلك على شيء أحسن من هذا, الآن أذن لو رحت وصليت وبعدين ترجع أنزل الله لك البركة, والصـلاة سـبب للـرزق **((وأمر أهلـك بالصـلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك))** المهم كلمه بهـدوء, قال: الله يعافيك الله يجزيك خيرا, جاءني أمس نـاس ثيـران, أنـا أفعـل كما أفعل اليوم, وقاموا يتكلمون علي وقالوا هذا صوت الشيطان, واللـه عجزن أن أملك نفسي وضربت واحد منهم, لكن الله يجزيك عني خيــرا, ذهب الشيخ يصلي, ويوم صلى وانتهى والرجل قد لحقه لكن فاتته ركعة, تركه ما قال شيء, في اليوم الثاني راح يتوضأ عند غروب الشمس ولـم يقل له شيئا أبدا, وجده في اليوم الثاني يصلي ولم يفته شـيء, سـبحان الله, المهم أن الرفق كله خير, وهذا شيء مجرب, لكـن أحيانـا الإنسـان للغيرة التي عنده يثور يعجز أن يملك نفسه, نقـول هـدأ لأنـك أنـت مثـل الطبيب الذي يريد أن يشق الجرح, فلابد أن تكـون بهـدوء وعلـى الـوجه الذي يحصل به المطلوب .

القارئ : أعوذ بالله من الشطان الرجيـم : **((وَيَا قَـوْمِ إِنِّـي أَخَـافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَـادِ يَـوْمَ تُوَلُّـونَ مُـدْبِرِينَ مَـا لَكُـمْ مِـنَ اللَّـهِ مِـنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِـهِ حَتَّـى إِذَا هَلَـكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَـذَلِكَ يُضِـلُّ اللَّـهُ مَـنْ هُـوَ**

مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ)) [غافر :34].
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((ومن يضلل الله فما له من هاد)**) وقبل أن ندخل في التفسير الجديد نسأل عما سبق.
قوله تبارك وتعالى عن مؤمن آل فرعون: **((مثل دأب نوح وعاد وثمود)**) ما معنى مثل دأب ؟ يعني مثل جزائهم, وليس مثل دأبهم؛ إذا هو من التعبير بالعمل عن الجزاء.
الشيخ : هل هذا كثير في القرآن أن يعبر عن الجزاء بالعمل ؟ ما الحكمة منه ؟ ليبين أن الجزاء من جنس العمل سواء في الخير أو في الشر طيب.
الشيخ : قوله تعالى : **((وما الله يريد ظلما للعباد)**) هل في الآية ما يدل على انتفاء الظلم عن الله ؟ وكيف ذلك والآية لم يقل: وما الله يظلم قال: **((وما الله يريد ظلما))** ؟ نريد من الآية نفسها ؟ لأن نفي الإرادة يستلزم نفي الوقوع من باب أولى طيب.
الشيخ : نفي إرادة الظلم نفي للظلم, ما الذي نستفيده من نفي الظلم وهي صفة سلبية والسلب عدم ؟ يعني لا يمكن السلب المحض.
الشيخ : إذا ما الذي يتضمنه النفي هنا ؟
الطالب: كمال العدل.
الشيخ : أحسنت بارك الله فيك, طيب قوله تعالى: ((يوم التناد)) ؟ المراد به يوم القيامة, وما معنى التناد ؟ يعني التنادي بين الناس, ومنه لأصحاب الجنة طيب.
الشيخ : ما الفرق بين التحذير الأول والثاني ؟ **((مثل يوم الأحزاب))** ثم قال: **((إني أخاف عليكم يوم التناد))** ؟ الأول عقوبة دنيوية, والثاني أخروية طيب.
أظن أخذنا الفوائد ؟ ما أخذنا شيئا أبدا ؟ نأخذ الفوائد إن شاء الله من قوله ؟ .
من فوائد الآية: **((ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد))**.
من فوائد الآية: أن هذا المحذر كان مؤمنا باليوم الآخر .
ومن فوائدها أن ما يحدث في اليوم الآخر كان معلوما للناس من قبل أن ينزل القرآن لقوله: **((يوم التناد))** وذلك لأن هذا أمر لابد منه, أي لابد أن يعلم العباد ما يحدث في اليوم الآخر ليكونوا على بصيرة من أمرهم .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن يوم القيامة له أحوال فقد قال الله تعالى في سورة طه: **((وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا))** وهنا يذكر أنه يوم تناد, والنداء هو الصوت الرفيع, وعلى هذا فيكون الجمع بين هذه الآية وبين قوله: **((وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا))** هو أن يوم القيامة له أحوال, لأن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة, فلابد أن تتغير أحوال الناس.

ومن فوائد الآية الكريمة: نصح هذا الرجل لقومه حيث يناديه بهذا النداء اللطيف يا قوم.

ثم قال الله تبارك وتعالى مكملا لما ذكره هذا المحذر: **((يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم))** هذه معروف إعرابها أنها بدل مما سبق, ففيها إثبات أن آل فرعون يولون مدبرين يوم القيامة إذا لم يؤمنوا, وقد بين الله في آية أخرى أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا, وأنهم يوم القيامة يقال لهم أدخلوا آل فرعون أشد العذاب, فهم والعياذ بالله سيولون مدبرين معذبين في نار جهنم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا أحد يعصم من عذاب الله لقوله: **((ما لكم من الله من عاصم))** وهذا كقول نوح لابنه لما: **((قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء))** قال : **((لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين))**.

ثم قال الله تعالى : **((ومن يضلل الله فما له من هاد))** من هذه شرطية, وفعل الشرط يضلل, وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين, وجواب الشرط جملة: **((فما له من هاد))** وقرن بالفاء لأنه لا يصلح أن يكون فعلا للشرط, وكل جواب لا يصلح أن يكون فعلا للشرط فإنه يجب أن يقترن بالفاء, كما قال ابن مالك:

واقرن بفا حتما جوابا لو جعل شرطا لإن أو غيرها لم ينجعل

وذكروا له ستة ضوابط مجموعة في قوله:

اسمية طلبية وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيس

فهذه الجمل الست إذا وقعت جوابا للشرط فإنه يجب أن يقترن بالفاء, وهنا الجملة ؟ مصدرة بما, وإن شئت فقل إنها جملة اسمية, ولا مانع أن يوجد سببان لحكم واحد.

وقوله: **((من هاد))** أصلها من هادي بالياء فحذفت الياء للتخفيف.

يقول الله عز وجل إن من يضلل الله أي من كتب الله إضلاله فإنه لا أحد يهديه, لأن الذي يهدي ويضل هو الله, بيده الأمر كله, ولكن ليعلم أنه لا

يهدي أحدا إلا لحكمة ولا يضل أحدا إلا لحكمة, فمن كان أهلا للهداية هداه, ومن كان أهلا للإضلال أضله والعياذ بالله, وإلا فإن الله سبحانه وتعالى لا يحرم فضله من أراده, إنما يحرم فضله من لم يرده, ودليل هذا قوله تعالى : **((فلما زاغوا أزغ الله قلوبهم))** فجعل إزاغة الله لقلوبهم مترتبا على زيغهم, أما من أراد الهدى بجد فإن الله سبحانه وتعالى ييسره له: **((فأما ن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى))** إذا قوله: **((ومن يضلل الله فما له من هاد))** مقيد بمن فعل ما يقتضي إضلاله, لأن الله لا يضل أحدا إلا لحكمة.

ومن فوائد هذه الآية: أنه يجب على الإنسان إذا أراد أن يسأل الهداية ألا يسألها إلا من الله الذي بيده الإضلال والهداية؛ فلا تسأل الهداية من غيره اسألها من الله عز وجل.

ويستفاد منها تفويض الأمر إلى الله تبارك وتعالى.

ثم قال تعالى : **((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به))** هذا من كلام من؟ من كلام الرجل المؤمن المحذر, قال: **((لقد جاءكم))** الجملة هنا مؤكدة بثلاثة مؤكدات:

باللام وقد والقسم وكلما جاءتك صيغة كهذه فإنها مؤكدة بثلاثة مؤكدات: اللام وقد والقسم, لأن تقدير الكلام: والله لقد جاءكم.

وقوله: **((يوسف))** المراد به يوسف بن يعقوب, فإن قال إنسان: كيف يخاطبهم فيقول: جاءكم, ويوسف بن يعقوب قبلهم بأزمان كثيرة ؟ فيقال: إن ما حصل للأسلاف فهو للأخلاف, يعني أن من جاء أسلافهم فهو كالذي جاءهم, ودليل ذلك أن الله يخاطب بني إسرائيل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما حصل لأسلافهم في عهد موسى, وبينهم قرون كثيرة: **((وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام))** معلوم أن هذا كله لم يحصل لليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكنه حصل لأسلافهم, فما كان من الأمة من أولها فإنه ثابت للأمة في آخرها. إذن لا إشكال في هذه الآية ما دمنا نقول أنه قد جاء أسلافهم, وأن م ا يحصل من أسلافهم فيما سبق يكون منسوبا إلى الجميع إذا لم يخرجوا عن هذا المنهاج.

" ((ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات)) أي من قبل موسى, وهو يوسف بن يعقوب " إلى آخره.
قوله: **((من قبل))** لماذا جرها بالضم والمعروف أن من حرف جر إذا دخلت على كلمة جرتها كسرتها, تقول: من زيد, فهنا قال: من قبل ؟ طيب أحيانا تبنى وأحيانا تعرب, متى تبنى ومتى تعرب ؟ إذا لم تضف بنيت, طيب وإذا أضيفت ؟ مطلقا.
حذف المضاف إليه ونوي معناه, لأنه إما أن يوجد المضاف أو يحذف وينوى معناه, أو يحذف وينوى لفظه, أو يحذف ولا ينوى لا لفظه ولا معناه, فالأقسام أربعة, تبنى في واحد منها والباقي معربة, تبنى إذا حذف المضاف إليه ونوي معناه.
فإن قال قائل: ما هو الدليل ؟ قلنا: الدليل أنها تكون مضمونة لأنها تبنى على الضم, فإذا كلمنا من هو عالم بالعربية وبناها على الضم عرفنا أنه حذف المضاف ونوى معناه.
يقول: **((من قبل))** أي من قبل مجيء موسى عليه الصلاة والسلام **" وهو يوسف بن يعقوب في قول عمِّر إلى زمن يوسف أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول "** يعني حكى المؤلف رحمه الله قولين في المراد بيوسف, فقيل أنه يوسف بن يعقوب وأنه عمر إلى زمن موسى, وهذا قول باطل لا إشكال فيه, ليس بصحيح بل هو باطل, لأنه لو كان الأمر كذلك لكان يأتي موسى ويتصل به لأنهم كلاهما رسول.
القول الثاني: أنه يوسف وجده يوسف بن يعقوب, يوسف بن إبراهيم بن يوسف وهذا أيضا لا دليل عليه, والصواب أن المراد به يوسف بن يعقوب وأنه لم يعمر إلى زمن موسى, وأنه مات في زمنه, لكنه جاء أسلافهم لأنه كما تعرفون يوسف عليه الصلاة والسلام هاجر من الشام إلى مصر, بل لم يهاجر أخذه المارة الذين مروا بالبئر الذي ألقي فيها وذهبوا به إلى مصر, والقصة معروفة في سورة كاملة.
وقوله: **((بالبينات))** البينات من بان يبين إذا ظهر, ومعلوم أنها وصف لموصوف محذوف, وذلك لأنه يجوز أن يحذف النعت وأن يحذف المنعوت إذا دل عليه دليل؛ فما هو الموصوف هنا المحذوف ؟ المحذوف تقديره الآيات, كما يعبر به في القرآن كثيرا, بآيات بينات وما أشبهها.
وأما قوله: **" بالمعجزات "** فإن هذا تعبير متأخر لم يعرف في عهد السلف, وهو تعبير ناقص, لأن كلمة معجزة تشمل ما يفعله السحرة

والمشعوذون من الأمور الخارقة للعادة, فإنها تعجز من ليس منهم, ولكنه إذا قيل آية بمعنى علامة صارت أبين وأوضح وأوفق لموافقتها للتعبير القرآني, على أنه لا يمكن أن تكون آية لرسول إلا والناس يعجزون عنها, لماذا ؟ لأنهم لو كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثلها لم تكن آية للنبي, إذ كل واحد يأتي بها, طيب إذن تقدير الكلام بالآيات البينات, ولكن حذف الموصوف لدلالة السياق عليه, ومنه قوله تعالى : **((أن اعمل سابغات وقدر في السرد))** يعني أن اعمل دروعا سابغات, طيب.

((بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به)) يعني من وقت يوسف إلى وقت موسى وآل فرعون, وإن شئت فعبر بالقبط, في شك مما جاء به يوسف, فلم يؤمنوا به الإيمان الواجب الخالي من الشك.

" ((حتى إذا هلك قلتم)) من غير برهان ((لن يبعث الله من بعده رسولا)) " يعني أنهم كانوا في شك مما جاء به يوسف ولم يصدقوه, ولما هلك قالت لهم نفوسهم: الآن استرحتم فلن يبعث الله من بعده رسولا, كفيتم, هلك من أرسل فكذبتموه فاطمئنوا لن يبعث الله من بعده رسولا, فكانوا قالوا ذلك بناء على أمنية كاذبة, لأنهم قالوا: هذا الرسول الذي جاءنا وتوعدنا إن خالفناه مات هلك, فلن يأتي من بعده رسول, وحينئذ نكون قد استرحنا من الرسل ومشاكلهم على زعمهم.

" ((قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا)) أي: فلن تزال كافرين بيوسف وغيره " لأنهم إذا قرروا في أنفسهم أن الله لن يبعث رسولا فسوف يكذبون كل من جاء من الرسل من بعد يوسف بناء على هذه العقيدة الفاسدة التي أصلوها.

قال الله تعالى: **" ((كذلك)) أي مثل إضلالكم ((يضل الله من هو مسرف)) مشرك ((مرتاب)) شاك فيما شهدت به البينات "** قال المفسر: **((كذلك))** **" أي مثل إضلالكم ((يضل الله)) "** وعلى هذا فتكون إعرابها, الكاف: اسم بمعنى مثل, وهي مفعول مطلق مضاف إلى اسم الإشارة, وعامله قوله: يضل, عامله متأخر عنه, وهذا التعبير القرآني يكثر في كلام الله عز وجل, وإعرابه كما سمعتم, أن تقول الكاف اسم بمعنى مثل منصوبة على المفعولية المطلقة, مضافة إلى اسم الإشارة.

فإن قيل وهل الكاف تأتي اسما ؟ قلنا: نعم, اللغة العربية واسعة, وإلا

فالأصل أن الكاف حرف, لكن تكون اسم, قال ابن مالك:
شبه بكاف وبها التعليل قد يعنى وزائدا لتوكيد ورد
واستعمل اسما وكذا عن وعلى ...
استعمل: يعني الكاف اسما أي في اللغة العربية.
((كذلك)) أي مثل ذلكم **((يضل الله من هو مسـرف مرتـاب))** لا يضل الله تعالى رجلا مؤمنا مقتصدا موقنا أبدا, يضل الله والعيـاذ بـالله من هو مسرف مرتاب.
يقول: **" ((مسرف)) مشرك "** ولا شـك أن الشـرك مـن الإسـراف, لأن الإسراف معناه تجاوز الحد, ومن جعل لله شريكا فقد تجاوز الحد بلا شك, لكن معنى الآية أعم من المشرك, فالمسرف من تجاوز حـده هـذا المسرف, بإفراط أو تفريط ,لكن الغالب يكون بـالإفراط, لأنـه مجـاوزة الحد زيادة, فالمشرك لا شك أنه مسرف, والمستكبر مسرف, والجاحـد مسرف, وهلم جرا, إذن من هو مسرف ينبغي أن يقـول فـي تفسـيرها, من هو متجاوز لحده كالمشرك.
وقوله: **" ((مرتاب)) أي شاك "** المرتـاب ـ والعيـاذ بـالله ـ الـذي يطمئن للارتياب لا يهتدي, يبقى على ضـلاله والعيـاذ بـالله, أمـا إذا أوقـع الشيطان في قلبك شكا ثم حاولت أن تنزعه من قلبـك فـإن اللـه يعينـك عليه ويهديك, لكن البلاء كل البلاء أن تركن إلـى هـذا الشـك وألا تنتشـل منه, والدليل على هذا ما شكاه الصحابة رضي الله عنم إلى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم مما يقع فـي نفوسـهم حـتى قـالوا: نـود أن يكـون الواحد منا حممة, أي:, فحما محترقا ولا نتكلم به, فأخبرهم النـبي صـلى الله عليه وسلم أن ذلك لا يضرهم, لماذا ؟ لأنهم لا يركنون إلـى مـا وقـع في قلوبهم, ولهذا يجب أن تكون شجاعا, إذا ألقى الشـيطان فـي قلبـك مثل هذه الأمور فكـن شـجاعا, لا تركـن لا تسترسـل معهـا, كـن شـجاعا استعمل معه السلاح الذي أعطاك إياه من هو عـالم بـه, ومـن هـو عـالم بإصابته بالعدو وهو الرسول صلى الله عليه وسلم, وذلك بأمرين فقط:
أن تستعيذ بالله من الشـيطان الرجيـم, وتنتهـي, تعـرض, وبـذلك يـزول عنك هذا البلاء, أما إن استرسلت معه فالأمر خطير جدا, لأنه يتفاعل في نفسك ويقوى حتى يصل إلى درجة الشك والارتيـاب, وحينئـذ تحـرم مـن الهداية, وهذا لا شك أنه من حكمة القرآن مثل هذا التعبير, لئلا يقـع فـي نفسك مثل ما ذكر الله عز وجل, فـدواؤه بهـذين الأمريـن, لـو أن أذكـى العالم حاول أن يجد دواء لهـذا البلاء مـا وجـده بهـذه العبـارة المختصـرة

السهلة, قال: **(فليستعذ بالله ثم لينته)** اعـرض عـن هـذا, اشـتغل بشئونك, وقـل أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم, فاشـتغالك بشـئونك وإعراضك عنه يوجب لك أن تنساه, وهذا شيء مشاهد ومجرب.
في الآية فوائد منها: تمام نصح هذا الرجل حينما ذكر قومه بما سلف.
ومنها أنه ينبغي للإنسان أن يكون لديه علم بما سـبق, فـإن التاريـخ عـبر سواء في هذه المسألة الكبيرة أو في المسـائل الصـغيرة, اقـرأ التاريـخ يتبين لك ما قدره الله على العبـاد, وأن سـنة اللـه سـبحانه وتعـالى فـي السابقين ستكون في اللاحقين.
فمن فوائد الآية: أنه ينبغي أن يكون عند الإنسان خبرة بما سبق .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن أعظم رسـول أرسـل إلـى آل فرعـون بعـد موسى هو يوسف, ولهذا طوي ذكر ما بعده, والظاهر والله أعلم أن الله تعالى لا يدع هذه الأمة يعني: أمة فرعـون لا يـدعهم بلا رسـول مـن بعـد موسى الذي له أزمان كثيرة, لكنهم ليسوا كيوسف فنوه بذكر يوسف.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الرسل يأتون بالبينات الدالة على صـدقهم ونبوتهم لأن هذا من حكمة الله, لو أرسل الله رسـولا للنـاس ليـس معـه آية وقال أنا رسول الله إليكم آمنوا بي وإلا فلكـم النـار, هـل يطيعـونه ؟ أبدا, يقولون هذا مجنون, لابد من آية تـدل علـى صـدقه, وقـد ثبـت عـن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(ما من رسـول بعثـه اللـه إلا آتاه من الآيات من يؤمن على مثله البشر)** لابد من ذلك.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الآيات التي جاءت بهـا الرسـل آيـات بينـة لا تخفى إلا على العميان, ودليل ذلك قوله: **((بالبينات))** وهنا ركز على الوصف دون الموصوف لأن الوصف أهم, وهو كـون هـذه الآيـات بينـة لا تخفى على أحد.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن آل فرعون ما زالوا في شك حتى مع وجود يوسف فهم في شـك لأن اللـه تعـالى لـم يقـدر هـدايتهم, فبقـوا حيـارى واستمروا على الكفر.
ومن فوائد الآيـة الكريمـة: بيـان كراهـة الشـعوب المكذبـة للرسـل لمـا جاءت به الرسل لأنهم كأنهم انتهزوا الفرصـة لمـا هلـك يوسـف فقـالوا: **((لن يبعث الله من بعده رسولا))** وهذا يدل على أنـم متضـايقون غاية التضايق بوجود يوسف عليه السلام.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإيمـان بوجـود اللـه لا يكفـي فـي التوحيـد والخلاص من عذاب الله, يؤخذ من قولهم: **((لن يبعث الله))** فهؤلاء

كانوا مقرين بالله ومع ذلك لم ينفعهم إقرارهم بالله.
وكذلك الذين بعث فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام مقرون بالله: **((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ))** [يونس :31] مؤمنين بالربوبية تماما, وبأن المدبر هو الله, ومع ذلك استباح النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم ونساءهم وذرياتهم وأرضهم, لأن مجرد الإيمان بالله ليس إيمانا أبدا, لابد من الإيمان بالله عز وجل بوجوهه الأربعة المعروفة وهي: الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته لابد من هذا, فمن لم يؤمن كذلك فليس بمؤمن بالله.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن إضلال الله عز وجل لا يكون إلا في محل من هو أهل للإضلال لقوله: **((كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)).**
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من لزم حده وأيقن بما يجب الإيقان به فإنه أبعد الناس عن الإضلال, يؤخذ هذا من المفهوم, إذا كان الله يضل من هو مسرف مرتاب فإنه يهدي من لزم حده وأيقن في أمره وآمن بذلك, **((كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب))** والله أعلم .
الطالب : شيخ طلبت منا حل إشكال وهو قوله: **((ومن يضلل الله فما له من هاد)).** لماذا لم يقل بعد هذا النصح: أسأل الله لكم الهداية. ؟ بحثت في هذا.
الشيخ : طيب اقرأ.
الطالب : بسم الله الرحمن الرحيم: جاء في تفسير التحرير والتنوير: " قوله : **((ومن يضلل الله فما له من هاد))** عطف على جملة: **((إني أخاف عليكم))** لتضمنها معنى: إني أرشدكم إلى الحذر من يوم التنادي وفي الكلام إيجاز يدل عليه الجملة المعطوفة, والتقدير: هذا إرشاد لكم فإن هداكم الله عملتم به, وإن أعرضتم عنه فذلك لأن الله أضلكم **((ومن يضلل الله فما له من هاد))؛** وفي الجملة معنى التهديد, ولم يقل لهم ومن يهد الله فما له من مضل, لأنه حس منهم الإعراض, ولم يتوسم فيهم ... للانتفاع بنصحه وموعظته, وقوله: **((ومن يضلل الله فما له من هاد))** يهديه إلى طريق النجاة أصلا, وكأن

الرجل يئس من عدم قبولهم النصح فقال ذلك ".
الشيخ : هذا هو الظاهر, أن الرجل آيس, وهذا كقول نوح عليه الصلاة والسلام: **((رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلى فاجرا كفارا))** .
الطالب : قلنا الإسراف في الآية ينقسم إلى قسمين ... ؟
الشيخ : غالب الأشياء تنقسم إلى قسمين أو أكثر, الإسراف أكبر وأصغر ومتوسط, فليس المسرف في الإشراك كالمسرف في خبزة يأكلها.
الشيخ : قوله: **((الذين يجادلون))** المجادلة هي المخاصمة والمناظرة من أجل إفحام الخصم, مأخوذة من جدل الحبل أي فتله, فإن الحبل إذا فتل احتكم وصار أقوى, فهذا المجادل تجده يحتكم ويتصلب من أجل أن يغلب مجادله.
وقوله: **((في آيات الله))** قال المؤلف المفسر: **" معجزاته "** والصواب أن يقال: آيات الله, يعني العلامات الدالة على ما يستحقه جل وعلا من الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات والأحكام وغير ذلك, هذا هو المراد, وقد مر علينا أنه لا ينبغي أن نسمي الآيات المعجزات, لأن ذلك نقص في التعبير, وليس محددا للمعنى, وربما يدخل عليه فعل المشعوذين والسحرة لأنه معجز.
وقوله: **((يجادلون في آيات الله))** هل هم يجادلون لإثبات الآيات أو لنفي الآيات ؟ الثاني لا شك, ولهذا قال: **((بغير سلطان))** لأنهم لو كانوا يجادلون لإثبات الآيات والإقرار بها لكانوا على سلطان.
وقوله: **((بغير سلطان أتاهم))** قال المؤلف : **" برهان "** أي بغير دليل, وذلك لأن السلطان كل ما يكون به السلطة, ويختلف بحسب السياق, فالإمام الأعظم يسمى السلطان لأنه ذو سلطة, والدليل يسمى سلطانا لأن الآخذ به ذو سلطة, وعلى هذا يكون معنى قوله: **((بغير سلطان))** أي: بغير دليل.

وقوله: **((بغير سلطان أتاهم))** قال المؤلف : **" برهـان "** أي بغير دليل, وذلك لأن السلطان كل ما يكـون بـه السـلطة, ويختلـف بحسب السياق, فالإمام الأعظم يسـمى السـلطان لأنـه ذو سـلطة, والدليل يسمى سلطانا لأن الآخذ به ذو سـلطة, وعلـى هـذا يكـون معنى قوله: **((بغير سلطان))** أي: بغير دليل.

وهذا النعت أو الحال يعني جملة: **((بغير سلطان))** حـال مـن فاعـل يجادلون, هذا الوصف وصف لبيان الواقع وليـس وصـفا مقيـدا, والفـرق أننا لو قلنا أنه وصف مقيد صار الذين يجادون بآيات اللـه لإبطالهـا أحيانـا يكون معهم سلطان وأحيانا لا يكون معهم سلطان, والواقع أنه ليس لهم سلطان, والقيد المبين للواقـع ليـس لـه مفهـوم, وهـذا آت فـي القـرآن كثيرا, وإنما المقصود به أي بالقيد المبين للواقع, المقصود به الاستدلال, يعني فكأنه تعليل للموصوف.

وانظر إلى قول الله تعالى: **((ومن يدع من الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه))** فقوله: **((لا برهان له بـه))** مـبين للواقع وليس قيدا, لأنه لا يمكن أن يدعو أحد مـع اللـه إلهـا آخـر لـه فيـه برهان؛ طيب.

وكذلك قوله تعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ))** [الأنفال :24] فإن هذا لا يعني أنه قد يدعونا لمـا لا يحيينـا, بـل هـو لا يـدعون إلا لمـا يحيينـا, فيكـون هـذا كالتعليـل لموصوفه الذي صار قيدا فيه, طيب.

إذن: ((بغير سلطان أتاهم)) هذا نقول أنه وصف لبيان الحـال والواقـع, وأنه لا سلطان لهم بذلك, وعلى هذا فيكون كالتعليل لموصـوف, وأعنـى بالوصف هنا ما يشمل الحال وغير الحال.

وقوله: **((أتاهم))** الجملة صفة لسلطان وقوله: **((كبر مقتا))** هذا الجملة خبر مبتدأ؛ وقوله: كبر أي عظم, وضمت الباء حتى صار من بـاب فعل لأنه أريد به التعجب, يعني ما أكبر مقتهم عند الله, قـال: مقتـا هـذه تمييز لكبر, لأن كبر المـراد بـه الجـدال, يعنـي كـبر جـدالهم مقتـا, فهـي مميزة للفاعل المستتر.

وقول المؤلف: **" ((كبر)) جدالهم ((مقتا)) "** الصواب أن يقـال: كبر مقتهم مقتا عنـد اللـه, لأن التمييـز مـبين للفاعـل المسـتتر, وقـوله: **((مقتا))** المقت هـو أشـد البغـض, وقـوله: **((عند اللـه))** متعلـق بكبر.

((كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا)) يعني وكـذلك المؤمنـون يكبر مقتهم لهؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان, الـذين يريـدون إدحاض الحق وإظهار الباطل, وقوله: **((عند الذين آمنوا))** إذا أطلق الإيمان فالمراد به ما يشمل الإسلام, وإذا أطلق الإسلام فـالمراد بـه مـا يشمل الإيمان, ولهذا لو سألت فقيل لك: هل الإسلام والإيمان مترادفان بمعنى واحد ؟
فقل: هما عند الإفراد مترادفان, وأما عند الاقـتران فـإنه يفسـر الإيمـان بأعمال القلوب, والإسلام بأعمال الجوارح, مثال ذلـك قـول اللـه تبـارك وتعـالى: **((قالت الأعـراب آمنـا قـل لـم تؤمنـوا ولكـن قولـوا أسلمنا ولما يدخل الإيمـان فـي قلـوبكم))** ففـرق بيـن الإيمـان والإسلام, وبين أن الإيمان لم يدخل في قلـوبهم ولكنـه قريـب الـدخول, لأن لما تفيد القرب, طيب.
إذن فـي حـديث جبريـل فـرق بيـن الإيمـان والإسـلام لمـاذا ؟ وهكـذا إذا اجتمعا.
ومنه قوله تعالى : **((فأخرجنا من كان فيها مـن المـؤمنين فمـا وجدنا فيها غيـر بيـت مـن المسـلمين))** ففـرق بيـن هـذا وهـذا, المخرجون مؤمنون والبيت مسـلم لأن فـي الـبيت امـرأة كـافرة, وهـي امرأة لوط, فهي في ظاهر الحال مسلمة مستسلمة لأنهـا لا تظهـر أنهـا كافرة كما قال تعالى: **((فخانتاهما))** ولكن حينما أراد الله عـز وجـل أن ينجي من ينجي من قـوم لـوط أنجـى المـؤمنين فقـط, وأمـا المـرأة فبقيت مع قومها وهلكت, طيب.
يقول: **((كذلك يطبع الله علـى كـل قلـب متكـبر جبـار))** نعـوذ بالله, كذلك: مرت علينا, وقلنا مثل هذا التركيب يكـون إعرابـه كالتـالي: الكاف اسم بمعنى مثل, وهي مفعول مطلق للفعل الذي بعدها, العامـل فيها الفعل الذي بعدها, ويطبع هو الفعل العامل, وعليه فنقول: مثل هذا الطبع يطبع الله.
وأما قول المؤلف رحمه الله تعالى: **" مثل إضلالهم "** ففيه نظر, وإن كان يلزم من الإضلال الطبع, لكن الأحسن أن يفسر بما يطابق العامـل, فيقال: مثل هذا الطبع يطبع الله.
قال: **" ((يطبع)) يختم "** نعم الطبع بمعنـى الختـم, كـأن اللـه جعـل على قلوبهم غلافا ثم ختم عليه كما يختم علـى الوثـائق, وقـد أشـار اللـه إلى ذلك في قوله: **((وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها))**.

" ((كذلك يطبع الله)) بالضلال ((على كل قلب متكبر جبار)) " قوله: يطبع اللـه بالضـلال, يقـال فيهـا كمـا قيـل فيمـا سـبق, بـأن المراد: يطبع الله بالطبع على القلوب على كل قلب متكبر.
وقوله: **" ((على كل قلب متكبر جبار)) بتنوين (قلب) ودونه** " على كل قلبٍ متكبر, وعلى كل قلبِ متكبر, والفـرق أنـه علـى قـراءة التنوين يكون التكبر وصفا للقلـب, وعلـى قـراءة الإضـافة يكـون الطبـع على قلب متكبر, وليس القلب هو المتكبر, والمعنى واحد, لأنـه إذا تكـبر القلب تكبرت النفس, لقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: **(ألا وإن في الجسد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسـد كلـه وإذا فسـدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)**.
قوله: على كل قلب متكبر, أو قلب متكبر, التكبر: معنـاه الـترفع, يعنـي أن الإنسان يترفع, وهو نوعان:
تكبر على الخلق, وتكبر عن الحق, وإلى هذا يشير قول النبي صلى اللـه عليه وسلم : **(الكبر بطر الحق وغمط الناس)** بطـر الحـق: يعنـي رده وعدم الإذعان له, وغمط الناس: يعنـي احتقـارهم فيـرى نفسـه أنـه فوق الناس؛ هذا هـو الكـبر والعيـاذ بـالله, ومعلـوم أن مـن غمـط الحـق وازدراه فإنه لا يأخذ به, إذ كيف يأخذ بشيء يرى أنه نقيصة, وكـذلك مـن غمط النـاس فـإنه لا يعـدل فيهـم, بـل يعـاملهم بالكبريـاء والعيـاذ بـالله, فيكون الطبع حقيقا بمثل هذا القلب, وقـد أخـبر النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثال حبة خردل من كبر.
في هذه الآية فوائد أولا: كراهة الله سبحانه وتعالى للـذين يجـادلون فـي آيات الله لأجل إبطالها لقوله : **((الذين يجادلون في آيات الله كبر مقتا عند الله))** .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا سلطان لكل إنسان جـادل لإدحـاض الحق وإظهار الباطل, يؤخذ من قوله: **((بغير سلطان)).**
ومن فوائدها تقوية قلـوب المجـادلين بـالحق لأنكـم تعلمـون أن الجـدال يكون من طرفين, فالمجادل في آيات الله لإبطالها هذا لا حجة له, يكون الخصم المقابل الآخر يكون له حجة, فـإذا إذا علـم المجـادل الـذي يريـد إثبات الحق وإبطال الباطل أنه لا سلطان لخصمه فإنه سوف يقوى قلبـه ويزداد ثباتا.
فيستفاد منه بطريق المفهوم أن المجادل في آيات الله لإثباتهـا سـيكون معه السلطان والقوة.

ولكن هل كل من معه حجة يستطيع أن يحتج بها ؟ لا, قد لا يستطيع, هو يعرف أنه على حق لكن لا يستطيع أن يجادل بها, ولهذا ينبغي للإنسان أن يعرف ما عند الأقوام من الباطل ليتمكن من ردهم, أما كونه لا يقرأ الباطل ويقول أنا كل ما ورد علي من باطل فعندي القدرة على دفاعه, فهذا قد يخذل الإنسان في مكان يحب أن ينتصر فيه, فلابد من أن يعرف الإنسان الباطل من أجل أن يرد عليه, ولهذا نرى العلماء المحققين يقرؤون كتب المناطقة والفلاسفة وغيرها ثم يردون عليها, وهذا إنما يكون في رجل رسخت قدمه في العلم, أما رجل ابتدأ طالبا فهذا لا نشير عليه أن يقرأ كتب أهل الضلال, وذلك لأنه ليس عنده منعة فيخشى أن يتأثر بهذه الكتب فيضل, لكن الراسخ في العلم نقول اقرأ حتى تعرف كيف ترد على هؤلاء .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن من جادل بحق فليس بمذموم لقوله: **((بغير سلطان))** إذ لو كان لهم سلطان لكانوا على حق لكن ليس لهم سلطان .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المقت لله عز وجل وأنه يتفاضل, فيكون مقته على شخص أو طائفة أكبر من مقته على شخص أو طائفة آخرين, يؤخذ من قوله: **((كبر مقتا عند الله)).**

وهل هذا المقت حقيقة أو يراد به لازمه وهو العقوبة ؟ الأول, هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يقولون كل ما وصف الله به نفسه فهو على حقيقته, لكنه يجب أن نعلم أنه لا يماثل صفات المخلوقين, لأن الله أثبت ونفى, قال: **((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))** وهذه خذها جادة عندك امشي عليها في كل ما وصف الله به نفسه, لا تقل: هذا لا يراد به ظاهره, كل ما وصف الله به نفسه فإنه يراد به ظاهره لكن ينزه عن مماثلة المخلوقين. إذن الله سبحانه وتعالى يمقت ويبغض ويكره ويحب حقا على حقيقته, ولكنه لا يماثل صفات المخلوقين.

وذهب أهل التعطيل الذين يحكمون على الله بعقولهم لا بكلامه وبكلام رسوله, ذهبوا إلى أن مثل هذه الأوصاف يجب وجوبا أن تأول إلى لوازمها, فيقولون مثلا: المقت المراد به الانتقام والعقوبة, وليس البغض أو الكراهة أو أشد من ذلك, فيقال لهم: إذا فسرتم ذلك بالعقوبة ارتكبتم محذورين:

المحذور الأول: إخراج كلام الله عن ظاهره.

والمحذور الثاني: إثبات معنى لا يراد به.

وهكذا كل محرف نقول أنه ارتكب محذورين:
الأول: إخراج الكلام عن ظاهره, وهذه جناية لا شك حيث سلب اللفظ معناه, والثاني: إثبات معنى لا يراد باللفظ, وهذا عدوان أيضا, فكل مؤول فإنه يرتكب هذين المحذورين.
والعجب أنهم يسمون أنفسهم أهل التأويل, والصواب أنهم أهل التحريف, لكن هم تسموا بهذا الاسم تلطيفا لما هم عليه من الباطل, لأن التأويل يراد به حق ويراد به باطل, إذا أولنا الكلام بما يريد به المتكلم فهذا حق, لكن بخلافه هذا باطل, وهذا هو الذي هم عليه, ولكن عدلوا عن اسم التحريف إلى اسم التأويل, وانظر إلى دقة عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية قال: **" من غير تحريف ولا تعطيل "** ولم يقل: من غير تأويل, مع أن أكثر الذين يتكلمون في العقائد أو يكتبون في العقائد يقولون: من غير تأويل, ولكن ما قاله هو الصحيح, لأن كل تأويل لا يدل عليه الدليل فهو تحريف طيب.
إذن نحن نثبت لله بأنه يمقت ويكره ويبغض حقا على حقيقته, وأما العقوبة فهي من لازم ذلك, ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله وغيره قال: أنتم إذا أثبتم أن الله يعاقب فقد أثبتم أن الله يكره بطريق اللزوم, إذ لا يعاقب إلا من يكرهه, لا يمكن أن يعاقب من يحب, فأنتم لما فررتم من إثبات الكراهة أو المقت وقعتم فيه من وجه آخر, نقول: إذا أثبتم العقوبة فلا عقوبة إلا بعد مقت وكراهة, هذا أمر ضروري, لأنه لا يمكن لأحد يحب شخصا أن يقوم ويضربه, طيب.
من فوائد الآية الكريمة: إثبات العندية لله: **((عند الله))**. ثم العندية نوعان:
عندية وصف, وعندية قرب, فقول الله تبارك وتعالى: **((إن الذين عند ربك لا يستكبرون عند عبادته))** هذه عندية قرب, وقوله هنا: **((كبر مقتا عند الله))** عندية وصف, لأن المقت ليس شيئا منفصلا بائنا عن الله حتى يكون عندية قرب, بل هذا عندية وصف, كما تقول للشخص: أنت عندي عزيز, تقوله وهو بعيد منك, وليس المعنى أنت عندي عزيز يعني قريب, هذه عندية وصف أي أن عزتك عندي قائمة بي.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما يكرهه الله فإن المؤمنين يكرهونه لقوله: **((وعند الذين آمنوا))** وهذه علامة الإيمان خذها قياسا وميزان عدل, متى رأيت من نفسك أنك تكره ما يكرهه الله وتحب ما يحبه الله فذلك الإيمان, دل عليه هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث,

ودل عليها العقل أيضا, لأن من كمال المحبة والإيمان أن تحب ما يحبه من تحب وتكره ما يكرهه .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة الإيمان حيث يكون المؤمن دائرا مع الله عز وجل في محبة ما يحب وكراهة ما يكره .
ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير من الكبر وأنه سبب للطبع على القلب والعياذ بالله لقوله : **((كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر))**.
ومن فوائد الآية الكريمة أيضا: التحذير من الجبروت وهو التعاظم على الغير والشدة عليه وما أشبه ذلك لقوله: **((كل متكبر جبار))** إذا في الآية التحذير من الكبر والجبروت.
ومن فوائد الآية: الرد على من قيل: " الكمال أن تتصف بصفات الكامل " يعنون الله, ولا أكمل من الله.
نقول: هذه قاعدة من أقبح القواعد, ولا يمكن للإنسان أن يجاري الله تعالى بأوصافه, فالتكبر والجبروت والتعالي والتعاظم بالنسبة لله ؟ كمال, وبالنسبة لنا ؟ نقص وعيب, وسبب للبلاء, وبهذا بطلت هذه القاعدة التي لا أساس لها من الصحة.
حتى إن بعضهم وضع حديثا قال: " تخلقوا بأخلاق الله " أعوذ بالله, هل نسمي أوصاف الله أخلاقا ؟ أبدا, لا نسميها, لأن كلمة أخلاق قد تدل على خلق كسبي, والأخلاق نوعان:
غريزي وكسبي, لا إشكال في هذا, ولهذا لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس قال : **(إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة) قال: يا رسول الله أخلقان تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما قال: (بل جبلك الله عليهما) قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب,** أو كلمة نحوها, فالأخلاق كسبي وغريزي, ولا يمكن أن نسمي أوصاف الله تعالى أخلاقا له, بل نقول أوصاف وصفات وما أشبه ذلك, على أن من العلماء من أنكر أن تقول لله صفة مثل ابن حزم رحمه الله تعالى, قال: إياك أن تقول لله صفة, الله ما له صفة, الأسماء لا بأس, صفة لا, لكنه محجوج بقول الرجل الذي كان يقرأ قل هو الله أحد قال: **(إنها صفة الرحمن وأحب أن أقرأها)**.
فعلى كل حال نحن نقول: إن هذه الآية تدل دلالة واضحة على كذب هذه القاعدة التي قعدها من قعدها من الناس, ونحن نقول لكل مؤمن تخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم لأن نبينا صلى الله عليه وسلم لنا

أسوة نعم.
ثم نرجع إلى كلام المفسر يقول **:" بتنوين (قلب) ودونه, ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس "**.
وقوله**: " وبالعكس "** فيه نظر, لأنه يقتضي أن يتكبر صاحب القلب قبل القلب, لأنك إذا عكست العبارة: متى تكبر القلب تكبر صاحبه, متى تكبر صاحب القلب تكبر القلب, هل هذا صحيح ؟ لا, لكن مراده رحمه الله أن تكبر القلب وتكبر النفس متلازمان, إن تكبر القلب تكبرت النفس, وإن تكبرت النفس كان ذلك دليلا على أن القلب متكبر.
" وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلوب لا لعموم القلب " الظاهر أن القلوب أصلح ...
طيب كلام المؤلف الآن يقول: إن الكلية هنا تعود على الفرد لا على الأفراد **((على كل قلب))** يعني على كل القلب لا على بعضه, وليست لعموم القلوب, يعني ليست لعموم كل قلب على حدة, ولكن ما ذهب إليه ليس بصواب, بل نقول على كل القلوب, والعموم مستفاد من كلمة يطبع على القلب لا على بعضه, فإذا قلنا إنها لعموم القلوب شملت عموم القلب ولا عكس, ثم إن ظاهر السياق **((على كل قلب متكبر))** إذا نظرنا إلى السياق ماذا نفهم ؟ هل نفهم أن جميع القلوب المتكبرة يطبع عليها أو نفهم أن القلب الواحد يطبع على جميعه لا على بعضه ؟ الأول لا شك, هذا ظاهر السياق, وهذا كما أنه ظاهر السياق فهو أشمل في المعنى, لأنه إذا قيل: كذلك يطبع الله على كل القلوب المتكبرة الجبارة, الطبع على القلب يشمل الطبع على جميعه, م ا لم يوجد دليل على أن المراد الطبع على بعضه, وحينئذ يكون الصواب عكس ما قال المؤلف.
الصواب أن هذا لعموم القلوب وليس لعموم القلب, لكن ليت شعري هل فهمتم الفرق, طيب. إذا قلنا إنها لعموم القلب صار معنى الآية: أن الله يطبع على القلب كله لا على جميع القلوب, فيخرج بذلك بعض القلب, ما يطبع على بعض, يطبع على القلب كله, لكنه مثلا على قلب فلان من الناس.
إما إذا قلنا أنها لعموم القلوب صارت معنى الآية أن الله يطبع على جميع القلوب المتكبرة, في أي واحد من الناس, فإذا قلنا لعموم القلوب صارت عامة لأفراد القلوب, إذا قلنا لعموم القلب صارت عامة للقلب الواحد, يعني والقلوب الأخرى مسكوت عنها, هذا وجه الفرق.

ولكن نقول الصواب أن معنى قوله: **((على كل قلب متكبر))** يعني من جميع الناس, وإذا قال: طبع على القلب, فالمعنى أنه على جميع القلب ما لم ينص على أن المراد بعض القلب ...
أي نعم, والطبع ما ينقسم, الطبع ختم على القلب ما فيه نافذة يخرج منها, ... القلوب باعتبار الأفراد تنقسم إلى ثلاثة أقسام, لكن القلب الواحد ما ينقسم, ... هذا هو يعني معناه لا على بعضه, ولذلك كلام المؤلف فيه نظر من عدة وجوه, كلما تأملت عرفت أنه خطأ, والمحشي (الجمل) يقول: **" فليتأمل "** تأملناه ووجدناه غير صحيح.
الطالب : ... بقاء زوجاتهم معهم وهم كافرات نوح عليه السلام ولوط هل هم لم يكونوا يعلمون ذلك ؟
الشيخ : ما دام الله يقول: **((فخانتاهما))** وقال له: **((فأسر بأهلك ... إلا امرأتك))** ما كانوا يعلمون, وهذه لأجل الاعتبار بالنسبة لزوجات الرسول عليه الصلاة والسلام, وأنت تعرف السورة هذه كلها نزلت شبه معاتبة لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم: **((إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير))**.
سمعت واحدا من المتثيقفين يقول: هذه الآية فيها دليل على عظم كيد المرأة, إن الله تحاشا هو وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة على امرأتين من زوجات الرسول؛ وهذا غلط عظيم, ليس المقصود بهذا بيان قوة المرأتين, المقصود بيان عناية الله عز وجل برسوله, وأنكما إن تظاهرتما عليه فله أولياء, فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير.
الطالب : يا شيخ بالنسبة لقول الشارح: " لعموم القلوب " ألا نقول أنه لعموم القلب والقلب هذا كل من وصف بالتحدي والجبروت داخل ... ؟
الشيخ : لا, ليس هذا مراده, مراده مثلا قلب زيد وعمرو وبكر وخالد هذه القلوب, لكن إذا قلنا لعموم القلب صار معناه قلب زيد فقط, الطبع عام له, ما نقول لعموم القلب, نقول لعموم القلوب, هذا عام في كل قلب متكبر, ففرق بين أن تقول الكلية هذه للأجزاء أو للأفراد, إن قلنا لعموم الأجزاء صار معناه لعموم القلب, وإن قلنا لعموم الأفراد صار جميع القلوب, كل قلب متصف لو يكون مئات الملايين متصف بهذا فهو مطبوع عليه, ولا شك أن كلام المؤلف رحمه الله م ا له وجه إطلاق, ولكن سبحان الله.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ))** [غافر :38]
.
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: قال الله تبارك وتعالى في قصة موسى مع فرعون: **((وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب))** فرعون هو ملك مصر, قيل إنه اسم شخص أو أنه علم شخص, وقيل أنه علم جنس, فإذا قلنا أنه علم شخص صار اسما لشخص معين, وإذا قلنا أنه علم جنس صار اسما لكل من ملك مصر كافرا, وهذا هو الذي عليه الأكثر, لكن فرعون موسى علم شخص وعلم جنس أيضا.
((وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا)) هامان وزيره وقوله: **((ابن لي صرحا))** يعني مر من يبني لي ذلك, لأن من المعلوم أن الوزير لن يباشر بناء الصرح **((صرحا))** قال المفسر: **" بناء عاليا "** يعني رفيعا.
((لعلي أبلغ الأسباب)) لعل هنا للتعليل, وهي تأتي للتعليل تارة, وللإشفاق تارة, وللترجي تارة.
فمن مجيئها للتعليل هذه الآية وقوله تعالى : **((إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))** هذه للتعليل, وكلما جاءت لعل في حق الله عز وجل فإنها للتعليل, لأن الرب عز وجل لا يترجى, إذ أن كل شيء عليه هين.
وتأتي للإشفاق مثل أن تقول: لعل الحبيب هالك, يعني أخشى أن يكون هالك.
وتأتي للترجي مثل: حضرت إلى الدرس فلعلي أفهم, لو قلت: لعلي أفهم, احتمل أن تكون للتعليل, فإذا قلت فعلي صارت للترجي.
وتكون أيضا للتوقع كما لو قلت لشخص تخاطبه: لعلك فاهم؛ وهذه المعاني التي تأتي للحروف بل وللأسماء أيضا وللأفعال إذا كانت متعددة فالذي يعينها السياق وقرائن الأحوال.
قال: ((لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات)) الأسباب جمع

سبب, وهو كل ما يوصل إلى المقصود, فالسبب وسيلة, والمسبب غاية, فما هي الأسباب هنا ؟ بينها بقوله: **((أسباب السماوات))** فأسباب السماوات محلها مما قبلها عطف بيان, تبين الإبهام الموجود في الأسباب.
فإن قال قائل: لماذا لم يقع الكلام مبينا من أول الخطاب فيقال: لعلي أبلغ أسباب السماوات ؟
قلنا: إن الإبهام أولا ثم التفصيل والبيان ثانيا أوقع في النفس, لأن الشيء إذا جاء مبهما ثم بين صار البيان وقع عند تشوف النفس لمعرفة هذا المبهم, يعني لو جاء الكلام مبين من أول الأمر لكان سهلا على النفوس, لكن إذا جاء أولا مبهما تشوفت النفس لمعرفة هذا المبهم, ثم جاء البيان والنفس مستعدة لقبوله متشوفة إلى الوصول إليه.
((**أسباب السماوات**)) قال المفسر: **" طرقها الموصلة إليها ((فأطلع)) بالرفع عطفا على أبلغ, وبالنصب جوابا لابن "** يعني أن فيها قراءتين سبعيتين: فأطلعُ فأطلعَ, أما على قراءة الرفع فإنها معطوفة على أبلغ, يعني: لعلي أبلغ السماوات فعلي أطلع, وأما على قراءة النصب فإنها وقعت جوابا لابن, ابن: فعل أمر, وفعل الأمر يقع جوابه إذا كان مقرونا بالفاء بالنصب ((فأطلعَ)) فتكون الفاء هنا للسببية.
واعلم أن القراءتين الواردتين في القرآن الكريم هما أحد الحروف السبعة التي نزل القرآن عليها, فإن القرآن أنزل على سبعة أحرف, ولما كان في زمن عثمان رضي الله عنه أمر أن يجعل القرآن على حرف واحد هو حرف قريش, يعني لغتها, فهذه القراءات الموجودة ليست هي الأحرف السبعة, بل هي على حرف واحد.
الثاني: اعلم أن القراءتين كلتاهما صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنها نقلت بالتواتر.
ثالثا: اعلم أنه لا ينبغي للإنسان أن يقرأ بين العامة بقراءة تخالف ما في أيديهم من المصاحف, لأن ذلك يوجب التشويش والارتباك واتهام القارئ, وربما تهبط عظمة القرآن في قلوبهم بسبب هذا الاختلاف, أما فيما بينك وبين نفسك فالأفضل أن تقرأ بهذا تارة وبهذا تارة بشرط أن تكون عالما غير متخبط, وإنا قلنا أن هذا هو الأفضل لأن كل من القراءتين قد قرأ به النبي صلى الله عليه وسلم, فيكون هذا مثل العبادات الواردة على وجوه متنوعة كالاستفتاحات والتشهد وما أشبه

ذلك, لكـن هـذا بيـن وبيـن نفسـك, أو فـي مقـام التعليـم إذا كنـت تعلـم الطلبة.
((لعلي أبلغ الأسباب فاطلع إلى إله موسى)) يعني أصـل إليـه وأنظر هل هذا حق أو غير حق, ثم استدرك خوفا من أن يقـول أحـد مـن جنوده إنه حق فقال: **" ((وإني لأظنـه)) أي موسـى ((كاذبـا)) في أن له إلها غيري "** قال هذا تمويها على أصـحابه, وخوفـا أن يقـع في نفوسهم شيء حين أمر وزيره أن يبنـي لـه صـرحا, قـال: **((وإني لأظنه كاذبا))** وفرعون في هذه المقالة كاذب, هو لا يظن أن موسـى كاذب.

فقال: **" ((وإني لأظنه)) أي موسى ((كاذبا)) في أن له إلها غيري "** قال هذا تمويها على أصحابه, وخوفا من أن يقع في نفوسهم شيء حين أمر وزيره أن يبني له صرحا, قال: **((وإني لأظنه كاذبا))** وفرعون في هذه المقالة كاذب, هو لا يظن أن موسى كاذب بل يعلم أنه صادق لقول الله تبارك وتعالى عن موسى أنه قال له أي لفرعون: **((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر))** قال هذا الكلام: **((لقد علمت))** قال هذا مؤكدا إياه بالقسم واللام وقد, ويخاطب هذا الرجل القادر على إنكار ما قاله موسى لو كان كذبا قال له: **((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا))** فرعون هل له مانع يمنعه أن يقول لم أعلم ؟ لا, هو قادر, لكنه يعلم أنه يعلم أنه ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر.

وقال الله تعالى : **((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما))** هذه مفعول من أجله لجحدوا ما هي لاستيقن, جحدوا بها ظلما, فالمهم أن قوله: **((وإني لأظنه كاذبا))** هذه الجملة كذب أو حق ؟ هو كاذب, يقول لأظنه كاذبا وهو كاذب, هو يعلم أنه صادق, لكنه قال ذلك تمويها لقومه وخوفا من أن يقع في قلوبهم شيء من الشك. قال الله تعالى عن فرعون: **((وإني لأظنه كاذبا))** يقول المفسر: **" قال فرعون ذلك تمويها ".**

((وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل)) نعم وكذلك: أي مثل هذا الفعل أو مثل هذا التزيين, أيهما الذي على القاعدة ؟ الثاني, لأننا قلنا أن كذلك تكون مفعولا مطلقا للفعل الذي بعدها, أي مثل هذا التزيين الذي زين لفرعون, وهذا التمويه والترويج لقومه زين لفرعون سوء عمله, والذي زينه الشيطان والنفس الأمارة بالسوء, وقد يقال والله عز وجل, لأن الله يضل من يشاء, كما قال تعالى: **((كذلك زينا لكل أمة عملهم))** فالله تعالى زينه قدرا بمعنى أنه حجب عنه الهدى, ثم زين له الشيطان والنفس الأمارة بالسوء أن يعمل هذا العمل. **((سوء عمله وصد عن السبيل))** والسبيل هنا فيها ال التي للعهد, أي العهود الثلاثة ؟ الذكري أو الحضوري أو الذهني ؟ الذهني, **((عن السبيل))** الذي هو سبيل الهدى ولهذا قال المؤلف: **" طريق الهدى وفيها قراءتان (صد) بفتح الصاد وضمها "** صُد هذه بضم الصاد على أنها مبنية لما لم يسم فاعله, صَد بفتح الصاد على أنها مبنية لما

سمي فاعله, ولكن هل هي متعدية أو لازمة ؟ هل معنى أنه صد بنفسه أو صد غيره ؟ تشمل المعنيين, لأنها لفظ مشترك صالح للمعنيين جميعا, والقاعدة في التفسير أن كل لفظ يصلح لمعنيين لا يتنافيان فإنه يحمل عليهما جميعا, إلا إذا كان في أحدهما ما يرجحه فيعمل بما يترجح.
((وصد عن السبيل)) قال الله تبارك وتعالى : **((وما كيد فرعون إلا في تباب))** الكيد والمكر والخداع وما أشبهها كلها كلمات متقاربة, ومعناها أن يتوصل الإنسان بالأسباب الخفية إلى مقصوده بخصمه, كل إنسان يقصد من خصمه أن يكون مغلوبا, فيتوصل إلى هذا بأسباب خفية لا يعلم بها الخصم إلى الوصول إلى هذا, طيب فرعون كاد كيدا في أن يقول لهامان: ابن لي صرحا, من أجل أن يرقى على هذا الصرح فإذا وصل غايته نظر أمام الناس ثم نزل وقال: لم أجد رب موسى, وهذا تمويه, لاسيما على العامة, لاسيما على عامة كآل فرعون الذين قد بهرهم هذا الظالم الطاغية, فكل شيء يكون عندهم حقيقة, لكن هل هذا الكيد ينفعه ؟ قال الله تعالى : **((وما كيد فرعون إلا في تباب)** أي إلا في خسارة.
ما هنا حجازية أو تميمية ؟ هي حجازية مهملة, يعني أنها لا تعمل, وأبطل عملها الإثبات, وابن مالك يقول: إعمال ليس أعملت ما دون إن مع بقا النفي
والنفي هنا لم يبقى, فعلى هذا نقول هي مهملة لبطلان النفي وانتفائه بإلا .
في هذه الآية فوائد: من فوائد هذه الآية استعلاء فرعون وترفعه, وذلك بتوجيه الأمر إلى وزيره أن يبني له صرحا, وتأمل قوله: **((ابن لي))** ولم يقل ابن, لأن هذا أعظم في الترفع والتعاظم, إذ لو قال: ابن, لكان لأي أحد يبني, فيه إبهام, لكن إذا قال: لي, دل هذا على أنه استخدم هذا الرجل الذي هو الوزير استخداما تاما.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن اتخاذ الوزراء كان عرفا قديما سواء كان وزيرا في الخير أو وزيرا في الشر, فمن وزراء الخير قول موسى عليه السلام: **((واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي))** وقول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم حين سأله زعماء الشيعة وهم الرافضة عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما, وقال في الثناء عليها: **" هما وزيرا جدي "** يعني النبي صلى الله عليه وسلم, فرفضوه لأنهم قد زين لهم سوء عملهم بأن كل من

أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليا, وعلى هذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم مبغضا لعلي, لأنه سئل أي الرجال أحب إليك قال: **(أبو بكر)** فعلى قاعدتهم يكون الرسول مبغض لعلي, فانظر كيف كانت عاقبة هذه القاعدة الفاسدة الباطلة نعم.

من فوائد هذه الآية الكريمة: جواز نسبة الشيء إلى الآمر به دون فاعله, تؤخذ من قوله: **((ابن لي صرحا))** وهو لا يريد أن هامان يتولى البناء بنفسه بل يأمر لأنه وزير .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات علو الله تعالى العلو الذاتي في الشرائع السابقة, تؤخذ من قوله: **((ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات))** فهذا يدل على أن موسى عليه السلام قد أبلغه بأن الله في السماء.

وهذا أعني علو الله الذاتي أمر لا ينكر لأنه دلت عليه جميع الدلائل: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة, كلها دلت على علو الله عز وجل العلو الذاتي, وأنه سبحانه وتعالى في السماء, وأنه لا يمكن أن يكون في الأرض, ونحن نركز على هذه النقطة لأهميتها لأنها تتعلق بالعقيدة.

أما القرآن فما أكثر الأدلة المتنوعة الدالة دلالة قاطعة على علو الله الذاتي.

وكذلك السنة دلت على ذلك قولا وفعلا وإقرارا, فالنبي عليه الصلاة والسلام أثبت علو الله الذاتي بقوله وبفعله وبإقراره, أما بقوله فإنه عليه الصلاة والسلام يقول في سجوده: **(سبحان ربي الأعلى)**.

وأما في فعله فأشار إلى علو الله تعالى في الوقوف بعرفة حين خطب الناس وقال: **(اللهم اشهد)**.

وأما إقراره فبإقراره الجارية التي قالت: في السماء لما سألها: **(أين الله ؟).**

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف على ذلك ما منهم أحد قال: إن الله ليس في السماء, وما منهم أحد قال: إن الله في الأرض, وما منهم أحد قال: إن الله لا يوصف بعلو ولا سفول ولا محايثة ولا مجانبة؛ يعني ما منهم أحد قال: إن الله ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا متصل بالخلق ولا منفصل كما قاله المعطلة؛

فإذا قال قائل: نسلم أنه لم يرد عنهم النفي, فما هو دليل الإثبات ؟ فنقول: دليل ذلك أن كل نص في القرآن والسنة لم يأتي عن الصحابة

خلافه فإننا نعلم علم اليقين أنهم يقولون به, لأن القرآن نزل بلغتهم ويعرفونه, فإذا خوطبوا بهذا ولم يرد عنهم خلافه دل ذلك على أنهم قائلون به, وهذه نقطة مهمة تنفعك عند المناظرة مع الخصوم, إذا قال لك: أين قال الصحابة أن الله في العلو مثلا ؟ تقول: قال الصحابة ذلك لأن كل نص جاء بإثبات العلو ولم يرد عن الصحابة خلافه فإنهم قائلون به قطعا, لأنه نزل بلغتهم وعرفوه وفهموه على ما أراد الله عز وجل.
وأما العقل: فلو سألت أي إنسان هل العلو صفة كمال أو النزول ؟ لقال لك: العلو, ولو قلت: العلو صفة أكمل أو المحاذاة ؟ لقال لك: العلو؛ إذن فالعلو دل العقل على ثبوته لله عز وجل.
وأما الفطرة: فلا تسأل, اسأل عجوزا من العجائز لم تقرأ في كلام المتكلمين المعطلين ماذا تقول لك ؟ لو سألتها: أين الله ؟ قالت: في السماء, ولا تعرف إلا ذلك, والعجب أن نفس القائلين بالنفي إذا دعوا الله عز وجل رفعوا أيديهم قهرا عليهم إلى السماء, وهذا شيء مسلم.
وادعاؤهم أنهم يقولون: إن السماء قبلة الداعي كما أن الكعبة قبلة المصلي, نقول إذن أنتم تدعون السماء, فوقعتم في الشرك من حيث لا تعلمون, وعلى كل حال الحمد لله أن علو الله عز وجل أمر فطري لا يحتاج إلى تعلل ولا تكلف, ومع ذلك جميع الأدلة دلت عليه.
ثم يأتي أقوام أعمى الله تعالى بصائرهم فيقولون: إن الله تعالى ليس في العلو, فماذا يقولون ؟ استمع:
منهم من يقول: إن الله في كل مكان, وهؤلاء حلولية الجهمية, أن الله في كل مكان في المساجد في الأسواق في البيوت في الجو في السماء والعياذ بالله في المراحيض في كل مكان, وهذا باطل كما تبطل الشمس ظلمة الليل, لأنه يلزم منه واحد من أمرين ولابد:
إما أن يكون الله متعددا, وإما أن يكون الله متجزئا بعضه هنا وبعضه هناك, أو متعددا واحد هنا وواحد هناك, هذا بقطع النظر عما يلزم عليه من اللوازم الفاسدة التي توجب أن يكون الله في أقذر الأمكنة وأنتن الأمكنة.
والقول الثاني: لمن ينكرون علو الله الذاتي يقولون: لا نقول إن الله فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه, وين يروح ؟ عدم, يعني قال بعض العلماء: لو قيل صفوا لنا العدم لم نجد وصفا أشمل من هذا؛ فحقيقة الأمر أنهم لا يعبدون الله, وأنه ليس لهم إله إطلاقا.

نعود إلى التفسير فنقول: في الآية دليل على علو الله الذاتي.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن من بلاغة المتكلم أن يسلك أقرب الطرق إلى جذب المخاطب.
ومنها الإبهام ثم البيان لقوله: **((لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات))** وهذا كثير في القرآن وفي كلام البشر.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن السماوات جمع وعدد لقوله: **((السماوات))** وهي كما هي معروف سبعة, قال الله تعالى : **((وبنينا فوقكم سبعا شدادا))** وقال تعالى: **((قل من رب السماوات السبع)** وهذا متفق عليه, وهل السماوات هذه متراصة أو بينها فجوات ؟ الجواب الثاني, ويدل على ذلك دلالة قاطعة حديث المعراج, فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرج من سماء إلى سماء .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن رؤساء الضلال وأئمة الضلال يدعون الناس إلى الضلال بكل ما يستطيعون, ويحاولون أن يحولوا بينهم وبين الحق, لقوله: **((وإني لأظنه كاذبا))** وقد بينا في التفسير لماذا قال هذه الكلمة, فلا تغتر برؤساء الضلال وأئمة الضلال وما يقولون من التمويه والدجل, وليس هذا مقصورا على أئمة السلطة الذين لهم السلطة, بل حتى على أئمة الدعوة الذين يدعون الناس إلى أفكارهم الهدامة وأخلاقهم السافلة, تجد عندهم من التمويه والتضليل ما يوجب أن يكون فخا يقع به من ليس له بصيرة .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله عز وجل يبتلي العبد فيزين له سوء عمله لقوله: **((وكذلك زين لفرعون سوء عمله))** ويدل لهذا قول الله تبارك وتعالى: **((كذلك زينا لكل أمة عملهم))** وقوله تعالى: **((أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات))** فاحرص على الانتباه لهذه المسألة, فإن الإنسان قد يزين له سوء العمل, والتزيين نوعان:
النوع الأول: أن يرى الإنسان هذه السيئة حسنة, وهذا أعظم النوعين.
النوع الثاني: ألا يراه سيئا فيميل إليه بهواه, ويقول: هذا سهل وليس فيه شيء, هذا من التزيين في الواقع, لأن من لا يرى السيئ سيئا فإنه سيقع فيه, إما رغبة فيه لأنه زين له, وإما لهوى في نفسه لأنه لا يراه سيئا.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن فرعون يصد الناس عن سبيل الله, فهو من

أئمة الصد عن سبيل الله تعالى, وقد قال الله تعالى في آية أخرى: **((وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون))** فاحذر هؤلاء الأئمة, لا يخدعونك فإنهم يكيدون كيدا, والله تعالى يكيد كيدا لعبده المؤمن .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن فرعون أمر ببناء هذا الصرح مكايدة لا حقيقة, وإلا فمن المعلوم أنه سوف يخسر نفقات كثيرة على هذا الصرح العالي, لكنه لغرضه وهواه لا يهتم بذلك.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن كيد المضلين والحمد لله في خسارة, كل مضل فكيده في خسارة, لأنه إذا كان كيد هذا الطاغية في خسارة فمن دونه من باب أولى ولا شك, ولهذا حصر كيده في الخسارة, ما هو إلا في خسارة, وقال الله تبارك وتعالى: **((إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا))** أي كيدا أعظم من كيدهم.

وقال تعالى: **((أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون))** وهذه من أعظم الآيات التي تفرح المؤمن أن كيد الكافر يجعله هو المكيد. وجاءت الآية بالجملة الاسمية **((فالذين كفروا هم المكيدون))** وبضمير الفصل إشارة إلى ثبوت ذلك عليهم وتأكده, إلى ثبوته بكونه جاء بالجملة الاسمية, لأن الجملة الاسمية كما يقول أهل العلم تفيد الثبوت والاستقرار, وجاء بالحصر عن طريق ضمير الفصل **((فالذين كفروا هم المكيدون)).**

وهذه الآيات والحمد لله تفرح المؤمن, لكن لاحظوا أن هذا وعد الله عز وجل وهو لا يخلف الميعاد, لكنه يحتاج إلى سبب, أن يكون من المؤمن عمل مضاد, وأن المؤمن إذا عمل العمل المضاد لكيد الكافرين يثق بوعد الله ويقول إن هذا الكيد سيكون عليهم وهم في خسارة منه, أما أن نقول: إن الله يكيد لهم وهم المكيدون, ولكننا ننام على فرشنا, وندع السباع تأكل الغنم فهذا غير صحيح, لابد من عمل: **((يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم))** وما كيد فرعون إلا في تباب.

الطالب : ...

الشيخ : هذا لا يظهر, لأن كونه يقول: **((ابن لي صرحا))** ولا يبني هذا بعيد, إذ أنه سيقول والناس يسمعون, إما أن يكونوا حاضرين أو يبلغهم الخبر, وسيبني الصرح, نعم.

الطالب : ...

الشيخ : نعم سواء كان بفطرته أو بدعوة موسى, لكنه إذا قلنا بدعوة

موسى ما بقي علينا شيء, أما بفطرته فقد تكون انحرفت كما جاء في الحديث: **(فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)** لكن الشيء المؤكد لدينا الآن هو قول موسى وتقريره بأن الله في السماء.

الطالب : بالنسبة لقراءة ابن مسعود هل هي ثابتة أم هو تفسير من الصحابي على أنه قرآن ... ؟

الشيخ : نعم, هات مثال.

الطالب : كقراءته في آيات الكفارة: ثلاثة أيام متتاليات, هل هي قراءة سبعية يقرأ بها, أو هي تفسير من الصحابي. ؟

الشيخ : هي ليست سبعية, لكن إذا صحت القراءة سندا فالصحيح جواز القراءة بها لا في الصلاة ولا في خارج الصلاة, وأما قول بعضهم: إنه لا يجوز القراءة إلا بالسبعيات وأنه لو قرأ بقراءة غير سبعية مما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فإن صلاته تبطل فهو ضعيف, ثم إن كلمة (متتابعة) ليست تفسيرا بل هي قيد, وابن مسعود رضي الله عنه لا يقرأ قراءة تكون قيدا في مطلق إلا وقد سمعها من الرسول صلى الله عليه وسلم، ... لا, ما هو لازم, لأن المهم النقل, إذا قال لك إنسان: فيها قراءة كذا, لابد أن تعرف أن الناقل ثقة, فإذا علمت أنه ثقة فلا حاجة أن تعرف من القارئ من القراء السبعة ما هو لازم.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ*تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ))**. .

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى: **((وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد))** في أول هذه الآيات يقول الله عز وجل: **((وقال رجل مؤمن من آل فرعون))** وهنا وما قبلها يقول: **((وقال الذي آمن))** تحقيقا لإيمانه وأنه مؤمن حقا.

((وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد)) يا

قوم: سبق الكلام على إعرابها, وبينا أنها منادى منصوبة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة, طيب.
وقوله: " **((يا قوم اتبعوني)) بإثبات الياء وحذفها ((أهدكم))** " يعني أنها قراءتان: اتبعوني واتبعون, أما على وجود الياء فالأمر ظاهر لأنها ياء المتكلم, وأما على حذفها فهي محذوفة للتخفيف.
وقوله: **((اتبعون))** فعل أمر, و **((أهدكم))** جواب فعل الأمر, ولهذا وقع مجذوما بحذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها, وأصل أهدكم أهديكم, لكن الفعل المضارع إذا وقع جوابا للأمر فإنه يكون مجزوما, قيل إنه مجذوم به وقيل أنه مجذوم بشرط مقدر, والتقدير إن تتبعوني أهدكم, وهكذا يقال في كل ما جاء على هذا التركيب.
((أهدكم سبيل الرشاد)) أي طريقه, والهداية هنا هداية الدلالة, لأنه لا يمكن أن يراد بها هداية التوفيق, إذ أن هداية التوفيق تكون بيد الله عز وجل, لقوله تبارك وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: **((إنك لا تهدي من أحببت))** أي لا تهدي هداية توفيق, فقوله: **((أهدكم سبيل الرشاد))** يعني أدلكم على سبيل الرشاد, سبيل الرشاد ضد سبيل الغي, والرشاد هو حسن التصرف, والغي هو ارتكاب الخطأ عن عمد.
((يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار)) لما رغبهم في إتباعه زهدهم في الدنيا, لأن أصل ضلال بني آدم هو الطمع في الدنيا, والتنافس إنما يكون عليها, ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(والله ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها ـ أي من قبلنا ـ فتهلككم ما أهلكتكم)** فهو لما طلب أن يتبعوه بين لهم حال الدنيا التي ينافسون فيها, والتي صدوا عن سبيل الله بها, فقال: **((يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع))** إنما: أداة حصر, وهذه الحياة الدنيا: مبتدأ, ومتاع: خبره, أي: ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به الإنسان قليلا ثم يزول, ولهذا يقول المؤلف في التفسير:
" **((متاع)) تمتع يزول** ".
((وإن الآخر هي دار القرار)) الآخرة: ما بعد الدنيا, هي: ضمير فصل, ودار القرار: خبر إن, واعلم أن ضمير الفصل ضمير لا محل له من الإعراب, لا يعرب مبتدأ ولا خبرا ولا أي شيء, لا محل له من

الإعراب.
واعلم أيضا أن له ثلاث فوائد:
الفائدة الأولى التوكيد, والفائـدة الثانيـة الحصـر, والفائـدة الثالثـة تمييـز الخبر من الصفة, ويظهر هذا في المثال فإذا قلت: زيد هو الفاضل, فهـو ضمير فصل استفدنا منه ثلاث فوائد:
أولا التوكيد: حيث أكـدنا أن زيـدا هـو الفاضـل, بـل حيـث أكـدنا أن زيـدا فاضل, ثم الحصـر لأنـك قلـت: زيـد هـو, أي لا غيـره, زيـد هـو الفاضـل, الفائدة الثالثة: التمييز بين الصفة والخبر, فإنك لـو قلـت: زيـد الفاضـل, لاحتمل أن يكون الفاضل صفة لزيد وأن الخبر لم يـأت بعـد, فـإذا قلـت: هو الفاضل, تعين أن تكـون الفاضـل خـبرا, فبـذلك يحصـل التمييـز بيـن الخبر وبين الصفة, طيب.
ذكرنا أنه لا محل له من الإعراب ودليل ذلك قوله تعالى : **((لعلنا نتبـع السحرة إن كانوا هم الغالبين))** فهنـا جـاءت الغـالبين خـبرا لكـان, ولو كان له محل من الإعراب لكانت: إن كانوا هم الغـالبون, لكنـه ليـس له محل من الإعراب, طيب.
إذن ما هي دار القـرار ؟ هـي الـدار الآخـرة, وأكـد ذلـك بالإتيـان بضـمير الفصل, طيب.
((وإن الآخرة هي دار القرار)) أي دار المستقر, **(ولهذا يــؤتى بالموت على صورة كبش فيوقف بين الجنة والنار, ويقال: يا أهل النار, فيشرئبون ويطلعون وكذلك يقال لأهل الجنـة: يـا أهل الجنة, فيشرئبون ويطلعون, فيقال لهـم: هـل تعرفـون هذا ؟ فيقولون: نعم هذا الموت, فيذبح أمـامهم, ويقـال: يـا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت)** إذن هذا القرار, ما دام ليس فيه انتقال عن هذه الدار فهي دار القـرار, طيـب إذا كانت هي دار القرار والدنيا متاع فما الأولى أن يعمل لـ ه ؟ الآخـرة, لأنهـا دار القرار, أما هذه فهي دار عبـور دار متـاع **(كن فـي الـدنيا كأنـك غريب أو عابر سبيل)** طيب.
ثم قال: **((من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمـل صـالح من ذكر أو أنثى وهو مـؤمن فأولئـك يـدخلون الجنـة يرزقـون فيها بغير حساب))** هذا كالبيـان لحـال الآخـرة وكيـف يجـازى النـاس فيها, فقال: **((من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها))** من: شرطية, وعمل: فعل الشرط, وجملة فلا يجزى إلى مثلها: هـذه جـواب الشـرط,

وقــوله: **((فلا يجــزى إلا مثلهــا))** مثــل مفعــول يجــزى الثــاني, والمفعول الأول هو نائب الفاعل المستتر, يقول: **((من عمــل ســيئة))** السيئة هي ما يسوء حالا أو مآلا, فما أصاب الإنسان من مرض أو فقر أو عاهة أو ما أشبه ذلك هذا سوء لكنه فـي الحـال, ومـا أصـاب الإنسـان من عقوبة على أعماله فهذا سوء ولكنه في المآل, وقد يكون في الحـال قد يعاجل الإنسان بالعقوبة, فالسيئة كل ما يسوء حالا أو مآلا, طيب.

((فلا يجزى إلا مثلها)) السيئة بواحـدة مهمـا كـانت حـتى وإن كـان الإنسان في مكة أو في المدينة أو في المسجد أو في أي مكـان, أو فـي أي زمان أيضا, حتى ولو كان في الأشهر الحرم التي نص الله تعالى عــن النهي عن الظلم فيها فقال : **((منها أربعة حرم ذلك الدين القيــم فلا تظلموا فيهم أنفسكم))** فإن السيئة لا تزاد, ولكن اعلمـوا أنهـا قد تكون أشد من حيث الكيفية لا مـن حيـث الكميـة, يعنـي أننـا نـرى أن ضربة واحدة قد تكـون أشـد علـى الإنسـان مـن عشـر ضـربات لشـدتها وشدة وقعها, ولهذا قال الله تعالى في الحرم المكي: **((ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم))**.

وبهذا التقرير الذي دل عليه الكتـاب والسـنة تـبين أن مـا يـذكر عـن ابـن عباس رضي الله عنهما أنه خرج من مكة وقال: لا أبقى فـي بلـد سـيئاته وحسناته سواء؛ فإن هذا لا يصح عن ابـن عبـاس رضـي اللـه عنـه, وابـن عباس أفقه وأعلم من أن يلتبس عليه هـذا الأمـر, مـع أن اللـه قـال فـي سورة الأنعام وهي مكية: **((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَـنَةِ فَلَـهُ عَشْـرُ أَمْثَالِهَـا وَمَـنْ جَـاءَ بِالسَّـيِّئَةِ فَلا يُجْـزَى إِلَّا مِثْلَهَـا وَهُـمْ لا يُظْلَمُـونَ))** [الأنعام :160]

قال: **((ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى))** مـن: هـذه شـرطية, وصالحا: يجوز أن نعربها صفة لموصوف محذوف, والتقدير: عمل صالح, ويجوز أن نجعلها مفعولا مطلقا, لأن وصف المصـدر المحـذوف يصـح أن يقع الإعراب عليه على أنه مفعول مطلـق أو علـى أنـه صـفة لموصـوف محذوف, والتقدير عملا صالحا.

فما هو العمل الصالح ؟ العمل الصالح ما تـوافرت فيـه شـروط القبـول, وذلك بأن يكون خالصا لله على شريعة الله, يعني يجمع بين أمرين:

الإخلاص لله والمتابعة لرسله عليهم الصلاة والسلام هذا العمل الصــالح, إذا هو ما توافرت فيه شروط القبول وهما الإخلاص لله عز وجل, والثاني المتابعة لرسل الله سواء محمد أو غيره, لكن من المعلوم أنه بعـد بعثـة

محمد صلى الله عليه وسلم لا يصلح إتباع غيره طيب.
إذا فقد الإخلاص فليس العمل صالحا بل هو مـردود علـى صـاحبه لقـوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**.
وإذا فقد في المتابعة لم يكن العمـل صـالحا وكـان مـردودا لقـول النـبي صلى الله عليه وسلم: **(من عمل عملا ليس عليـه أمرنـا فهـو رد))**.
وقوله: **((من ذكر أو أنثى))** بيان لـ من, فمن هنا بيانية, كيف نقــول بيـان لمـن ؟ لأن (مـن) اسـم موصـول, واسـم الموصـول الأصـل فيـه الإبهام, فإذا وجد بعده بيان فإنه يكون مبينا لإبهامه.
((من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)) هذا الشرط لابد أن يكـون مؤمنـا, فـإن لم يكن مؤمنا فـإن عملـه الصـالح لا ينفعـه, حـتى وإن كـان العمـل ممـا يتعدى نفعه فـإنه لا ينفعـه, لقـوله تعـالى : **((وما منعهـم أن تقبـل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله))** فغير المــؤمن لا ينفعه عمله, لو أن رجلا كافرا أصلح الطـرق, ومـد أنـابيب المـاء يسـقي الناس, وبنى المساجد, وطبـع الكتـب, وكسـا العريـان, وأطعـم الجـائع, فهل هذا ينفعه ؟ لا, ولهذا لا ينفع المنافقين عملهم لأنهم ليسوا مـؤمنين, وبه نعرف أن الإيمان هو الأصل, آمن ثم اعمل.

فإن لم يكن مؤمنا فإن عمله الصالح لا ينفعه, حتى وإن كان العمل مما يتعدى نفعه فإنه لا ينفعه, لقوله تعالى : **((وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله))** فغير المؤمن لا ينفعه عمله, لو أن رجلا كافرا أصلح الطرق, ومد أنابيب الماء يسقي الناس, وبنى المساجد, وطبع الكتب, وكسا العريان, وأطعم الجائع, فهل هذا ينفعه ؟ لا, ولهذا لا ينفع المنافقين عملهم لأنهم ليسوا مؤمنين, وبه نعرف أن الإيمان هو الأصل, آمن ثم اعمل, أما العمل بدون إيمان ـ نسأل الله ألا يخلع عنا وعنكم الإيمان ـ العمل بدون إيمان هباء: **((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا))** لابد من الإيمان أولا, ثم إذا آمن اعمل, وإذا عملت فأخلص واتبع, **((فأولئك يدخلون الجنة))** جملة فأولئك جواب الشرط, أي شرط هو ؟ **((ومن عمل صالحا))**.

((فأولئك يدخلون الجنة)) وهنا قال: أولئك باسم الإشارة الموضوع للبعيد إشارة إلى علو مرتبتهم, كأنك تشير إليهم وهم فوق.

((فأولئك يدخلون الجنة)) قال: " بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس " ما هو العكس ؟ يدخُلون, فيجوز يدخَلون أي يدخلهم الله, ويجوز يدخُلون أي هم بأنفسهم لكن بإذن الله, ومن المعلوم أن أهل الجنة لا يدخلون الجنة إلا بعد الشفاعة, بعد شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم في فتح الجنة, لأنهم يصلون إليها وبابها مغلق, فيطلبون من يشفع لهم إلى الله عز وجل أن يفتح لهم الباب, فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم وحده في أن يفتح لهم الباب فيفتح.

((يرزقون فيها بغير حساب)) يرزقون: الرزق بمعنى العطاء, ومنه قوله تعالى : **((وإذا حضر القسمة أولي القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه))** أي أعطوهم, فمعنى يرزقون إذا يعطون.

وقوله : " ((بغير حساب)) أي بغير تبعة " يعني لا يحاسبون عليه ولا ينقدون له ثمنا, في الدنيا لا تملك رزقا إلا بثمن, لكن في الآخرة تعطى الرزق بغير ثمن, وبغير تبعة لا تحاسب عليه, لأن الثمن كان مقدما, سلما, نقد الثمن وتأخير المثمن, فهنا الثمن مقدم, الثمن كان في الدنيا حين عملوا بطاعة الله فكان هذا هو العوض, فالقوم قد أسلموا في هذا المبيع وقدموا ثمنه, ولهذا قال: **((يرزقون فيها بغير حساب)).**

في هذه الآيات الثلاث فوائد:
أولا: تلطف هذا الداعي هذا الرجل المؤمن الذي يدعوا إلى اللـه لقـوله: **((يا قوم))** فإن هذا لا شك من أساليب التلطف .
ومن فوائد هذه الآية وهي الآية الأولى: قوة جأش هذا المؤمن حيث كـان رجلا واحدا يقول لهؤلاء الجماعة اتبعـوني, وهـذا كمـا قلنـا فـي التفسـير فعل أمر.
ومن فوائد هذه الآية أنه ينبغـي للداعيـة إذا دعـا إلـى شـيء أن يـبين مـا يكون به ترغيب المدعو حتى ينشط ويفعـل لقـوله: **((أهـدكم سـبيل الرشاد)).**
ومن فوائد هـذه الآيـة الكريمـة: الإشـارة إلـى كـذب فرعـون حيـن قـال لقومه: **((ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سـبيل الرشـاد))** ففرق بين قول فرعـون وبيـن قـول هـذا المـؤمن, قـول فرعـون كـذب, وقول هذا الرجل حق لا شك.
ومن فوئد هذه الآية الكريمة: أن السبل تختلف, سبل ضلال وسـبل غـي سـبل رشـاد, فالسـبيل الموصـل إلـى اللـه هـذا سـبيل رشـاد, والسـبل المتفرقة هـذا سـبل ضـلال قـال اللـه تعـالى : **((وَأَنَّ هَذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ ذَلِكُمْ))** [الأنعام :153].
ومن فوائد هـذه الآيـة الكريمـة: بيـان حـال الـدنيا وأنهـا متـاع يتمتـع بهـا الإنسان ثم تزول, إما بزوال هذا التمتع, وإما بزوال المتمتع, ولهذا انظـر مصارع الدنيا هل فيها أحد خلد ؟ وهل فيها أحد خلد له ما بين يديه ؟ كـل ذلك لم يكن, فالـدنيا إمـا زائلـة وإمـا أن يـزال عنهـا, قـال اللـه تعـالى : **((وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون))**.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: انحصار الدنيا في هذه الكلمة القليلة وهي متاع, كل الدنيا متاع لا تتحمل أكثر من ذلك.
ومن فوائد هذه الآيـة الكريمـة: الاسـتعداد والرغبـة فـي الآخـرة لقـوله : **((وإن الآخرة هي دار القرار))** فإذا اجتمع هذا إلـى مـا قبلـه صـار متضمنا لفائدتين وهما: الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.
ثم قال: **((من عمل سيئة ...))** إلى آخره فيها من الفوائد:
أن عمل السيئة لا يزداد إثما على قدر السيئة لقوله هنـا: **((مـن عمـل سيئة فلا يجزى إلا مثلها)).**
ومن فوائد الآية أنه في مقام التهديد ينبغي أن يبدئ بما يدل على التهديد

قبل أن يبدئ بما يدل على الترغيب, لأنه هنا بدأ بالسيئة ثم أعقب بالصالح, وانظر إلى قول الله تبارك وتعالى في مقام ذكر الأحكام الشرعية قال : **((اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله هو الغفور الرحيم))** ولما أراد جل وعلا أن يتحدث عن نفسه ويبين كمال صفاته قال: **((نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم))** فلكل مقام مقال, فالإنسان ينبغي له أن يرتب المعاني حسب ما تقتضيه الحال, لا يلقي الحديث على عواهنه, وفضل الله يؤتيه من يشاء, قد يريد الإنسان هذا الشيء ويريد أن يرتب كلامه, وأن يبنيه على ما تقتضيه الحال, ولكن يخونه التعبير, إلا أن الإنسان إذا استعان بالله سبحانه وتعالى واعتمد عليه يسر الله له الأمر.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا يقبل العمل إلا إذا كان صالحا ولا ينفع صاحبه إلا إذا كان صالحا.

طيب وذكرنا أن الصالح ما اجتمع فيه شروط القبول وهما: الإخلاص والمتابعة, بفقد الإخلاص يكون الإنسان مشركا, وبفقد المتابعة يكون الإنسان مبتدعا, ولهذا لا يقبل العمل إلا الخالص الموافق للشرع.

ففي فقد الإخلاص يقع الإنسان في الشرك, وبفقد المتابعة يقع الإنسان في البدعة؛ أيهما أشد ؟ الأول, وقد يكون الثاني حسب المخالفة, لكن الشرك من حيث هو أعظم من البدعة, وقيل إن البدعة أشد وأعظم لأن الله قال : **((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ))** [الأعراف :33] والآية بالتدريج من الأدنى إلى الأعلى, وصاحب البدعة يضر نفسه ويضر غيره لأنه يكون إماما يدعوا إلى مخالفة الرسل, والذي يظهر أن الشرك من حيث هو شرك أعظم, لكن قد يكون المترتب على البدعة أشد من المترتب على الشرك.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الذكور والإناث مشتركون في الثواب والعقاب, بمعنى أن الله لا يعاقب الأنثى أكثر من عقوبة الرجل, ولا الرجل أكثر من عقوبة الأنثى, وكذلك لا يجزي الرجل أكثر مما يجزي الأنثى, ولا الأنثى أكثر مما يجزي الرجل, لقوله في هذه الآية : **((من ذكر أو أنثى))**.

ونظيرها قوله تعالى : **((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى))** [آل عمران :195] نعم .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن العمل الصالح لا ينفع إلا مبنيا على الإيمان لقوله: **((وهو مؤمن))** والجملة كما تعرفونها في موضع نصب على الحال, يعني والحال أنه مؤمن.
وبناء على هذا نسأل هل عمل المنافق ينفعه ؟ لا, لفقد الإيمان, هو غير مؤمن.
طيب وهل الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره أو هو إيمان وراء ذلك كله ؟ الجواب الثاني, من جملة الإيمان الذي يجب أن تكون الأعمال الصالحة مبنية عليه أن تؤمن بالثواب على العمل, ولهذا إذا عمل الإنسان العمل الصالح وهو يرجوا هذا الثواب لا شك أنه سيزداد رغبة في العمل وسيزداد إحسانا للعمل, لأنه يعرف أن السلعة على قدر الثمن, فإذا كنت تعمل وأنت تشعر بأنك ستجازى على هذا العمل مجازاة تامة, فسوف تحسن العمل لأجل أن يحسن لك الثواب والجزاء, وهذه مسألة مهمة يغفل عنها الإنسان كثيرا عن كونه ينوي بذلك الثواب الذي أعده الله لعامل هذا العمل.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن رزق الجنة ليس فيه حساب, يعني أنه لا يطلب من الإنسان عوض, ولا يلحقه تبعة لقوله: **((يرزقون فيها بغير حساب)).**
ثم قال هذا الرجل الذي آمن: **((ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار))** هذا استفهام تعجب وإنكار, كأنه يقول: عجبا لكم أدعوكم إلى الجنة وتدعونني إلى النار, وهذا والله محل عجب, أن تدعوا رجلا إلى الجنة وهو يدعوك إلى النار, فتأتي إلى رجل تقول: يا فلان اترك شرب الخمر شرب الخمر حرام ولا يجوز من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة, هو أم الخبائث, مفتاح كل شر, فيقول لك: لذة وطرب وأنس وسرور اشرب حتى ترى إذا شربت كأنك ملك الملوك, ثم يرغبه ويمنيه يقول: اشرب وإذا شربت وحصلت لك اللذة والطرب فاستغفر الله, الباب مفتوح؛ أيهم الأحق بالإجابة الأول أو الثاني ؟ طبعا الأول, هذا يقول: **((ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار))** وهذا استفهام تعجب وإنكار, وهو محل للتعجب ومحل للإنكار أيضا.
الطالب : ... هل الإرادة بالمعصية يأثم بها الإنسان ؟
الشيخ : الإرادة نوعان: إرادة يلحقها هم, وإرادة مجرد خاطر, فهذه الثانية لا يأثم بها الإنسان لا في مكة ولا في غيرها, وإرادة يلحقها هم

هذه يأثم بها الإنسان.
الطالب : في الآية: **((ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عـذاب أليم)) ؟**
الشيخ : نعم عذاب أليم, لأن الحرم ليس كغيره, فإذا كان الهـم بالإلحـاد المقرون بالظلم يذقه الله من عذاب أليم فما بالك بالفعل, يكون أشد.
الطالب : قول الله تعالى في سورة إبراهيـم: ((**إلى صـراط العزيـز الحميد اللهِ**)) سبب الجر ؟
الشيخ : ((**إلى صراط العزيز الحميد الله**)) هذه علـى أنهـا عطـف بيان, من هو العزيز الحميد ؟ الله, فبين, قوله الله بالكسـر بيـان للعزيـز الحميد.
الطالب : ينبني عليها شيء لو قلنا صفة
الشيخ : هو العادة أن لفظ الجلالة هي التي توصف, لأنهـا العلـم المعيـن لمسماه تعيينا لا اشتباه فيه, ولهذا قـل النحويـون أنـه أعـرف المعـارف, وأنه أعرف حتى من الضمير, وإذا كان أعرف فإنه لا يكون صفة, بـدل أو عطف بيان, وعطف البيان يقول ابن مالك:
وصالحا لبدلية يرى في غير نحو: يا غلام يعمرا
ونحو بشر تابع البكري وليس أن يبدل بالمرضي
كل عطف بيان فهو صالح أن يكون بدلا إلا في هذين المسألتين.
الطالب : ...
الشيخ : ما هو على كل حال, لأنه قد يراد بالإلحاد هنا إلحاد بظلم إن نوى الكبيرة.
الطالب : ...
الشيخ : لا هو ضمير الفصل, أما الضمائر المنفصـلة الأخـرى فالأصـل أن لها محلا من الإعراب.
الطالب : ...
الشيخ : لا هذا بعد أن يستقر أهل الجنة فـي الجنـة, بعـد أن يخلـص كـل شيء, يعني أهل الجنة ما يخرجون منهـا وأهـل النـار مـا يخرجـون منهـا, يعني بعد أن يستقر كل شيء.
القارئ : **((وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَـاةِ وَتَـدْعُونَنِي إِلَـى النَّارِ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْـسَ لَـهُ دَعْـوَةٌ فِـي الـدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَـى اللَّـهِ وَأَنَّ الْمُسْـرِفِينَ هُـمْ أَصْـحَابُ النَّارِ))**[غافر :43].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار))** سبق الكلام على هذه الجملة, وبينا أن الاستفهام فيها للتعجب والإنكار.

((ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار)) جملة وتدعونني إلى النار: معطوفة على الجملة التي قبلها, وليست استئنافية ولا حالية كما قيل فيها به, بل هي معطوفة على ما سبق, لأن التعجب إنما يكون من اجتماع الأمرين: أنه يدعوهم إلى النجاة ويدعونه إلى النار.

وقوله: **((إلى النجاة))** يعني النجاة من النار ولم يقل إلى الجنة مع أنه قال: **((وإن الدار الآخرة هي دار القرار))** لأنهم هم يدعونه إلى الهلاك يدعونه إلى النار فقابل دعوته بدعوتهم فكأنه يقول: أنا أدعوكم إلى النجاة من النار وأنتم تدعونني إلى النار, والدعوة إلى النار ليس أن يقول القائل: هلموا إلى النار أيها الناس, لكنها الدعوة إلى عمل أهل النار, وليعلم أن النار حفت بالشهوات, وأن الجنة حفت بالمكاره, وعمل أهل النار مبني على الشهوات أو على الشبهات, يعني إما جهالات وضلالات كعمل النصارى, وإما شهوات كعمل اليهود, وعلى هذين يدور عمل أهل النار الشبهات والشهوات, والشبهات دواؤها العلم والشهوات دواؤها الحزم والإرادة التامة لما يحبه الله ويرضاه **((ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار)).**

ثم بين بعد أن أجمل في قوله: **((وتدعونني إلى النار))** بين الأعمال التي يدعونه إليها فقال : **((تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أ دعوكم إلى العزيز الغفار))** تدعونني لأكفر: اللام هنا لبيان المدعى إليه أو المدعو إليه, يعني تدعونني لهذا, وعلى هذا فأكفر منصوبة بأن مضمرة بعد اللام على مذهب البصريين, أو باللام على مذهب الكوفيين.

((لأكفر بالله)) أي أجحده وأنكره والمراد إنكار وحدانيته بدليل قوله: **((وأشرك به))** وقد يقال أن المراد إنكار وجوده بالكلية أو الإشراك به مع الإقرار به, فيكون يدعونه إلى شيئين: إما إنكار الخالق عز وجل, وهذا يستفاد من قوله: **((لأكفر به))** أي أجحده, أو إثباته مع وجود شريك له, وهذا مستفاد من قوله: **((وأشرك به))**.

وقوله: **((ما ليس لي به علم))** هذا قيد مبين للواقع, وأن كل من أشرك بالله فإنه مشرك بلا علم, بل بما يعلم بالفطرة خلافه, ولكن من

المعلوم أن الشيء إذا كان بلا علم فإنه لا ثبوت له ولا أصل لـه, فالصـفة بل فالصلة في قوله: **((ما ليس لي به علم))** لبيان الواقع, وقد بينـا أن كل قيد لبيان الواقع أو الغالب أو المبالغة فإنه لا مفهوم له.
((وأشرك به ما ليس لـي بـه علـم وأنـا أدعـوكم إلـى العزيـز الغفار)) بدأ هنا باسم العزيز لأن المقام يقتضيه إذ أن هؤلاء أقباط من آل فرعون يظنون أن العزة له فقال: أدعوكم إلى العزيز, ولم يقـل إلـى الغفور الرحيم, بل قال: إلى العزيز الغفار, يعني العزيز الغالب فيهلككم إذا أنتم كفرتم به أو أشركتم به, الغفار يغفر لكم ما سبق إن أنتـم آمنتـم به, وهذا من تمام فقه هذا الرجل المؤمن.
فإنه قد يقول قائل: إن المقام يقتضي أن يقول: وأنا أدعوكم إلى الغفور الرحيم, لكن الأمر بالعكس, المقام يقتضي ذكر اسمه العزيز لأن هــؤلاء يدعون أنهم فوق الناس, وأن ربهم فرعون, وأنه لا غالب له.
وقوله العزيز اسم من أسماء الله, والغفار اسم من أسماء الله, والغفور اسم من أسماء الله, وليعلم أن أسماء الله سبحانه وتعـالى تنقسـم إلـى قسمين:
الأول ما كان مشتقا من وصف متعدي, فهذا لا يتـم الإيمـان بـه إلا بـأمور ثلاثة:
الأول: إثباته اسما لله, والثاني: إثبات الصـفة الـتي دل عليهـا, والثـالث: إثبات الحكم يعني الأثر المترتب على هذه الصفة.
والقسم الثاني: لازم غير متعدي ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات اثنين: إثباته اسما من أسماء الله, والثاني: إثبات الصفة التي دل عليها هذا الاسم.
لأن كل اسم من أسماء الله يدل على صفة, ليس لله اسم يكون جامـدا, خلافا لمن قال أن كلمة الله اسم جامد غير مشتق, وهذا ليـس بصـحيح, ما من اسم من أسـماء اللـه إلا ومشـتق, لأن اللـه وصـف أسـمائه بأنهـا حسنى, وما لا يتضمن صفة ليس بحسـن فضـلا علـى أن يكـون أحسـن, نضرب أمثلة لهذا:
الحي من اللازم, تؤمن به اسما من أسماء الله, وبالحياة الـتي دل عليهـا الاسم, السميع متعدي, تؤمن بالسميع اسما لله, وبالسمع صفة لله, وبأنه يسمع إثباتا للحكم وهو الأثر المترتب على هذه الصفة.
ثم اعلم أن الاسم يتضمن أحيانا صفة وأحيانا صفتين وأحيانا أكـثر, لأن أنواع الدلالة ثلاثة:
مطابقـة, وتضـمن, والـتزام, فمثلا مـن أسـماء اللـه تعـالى الخلاق:

((إن ربك هو الخلاق)) تؤمن بالخلاق اسما من أسماء الله, تؤمن بصفة الخلق التي تضمنها اسم الخلاق, وإيمانك بالاسم والصفة هذا إيمان بدلالة المطابقة, وإيمانا بالاسم وحده أو بالصفة وحدها إيمان بدلالة التضمن, ثم إيمانك بأنه عليم قدير إيمان بدلالة الالتزام, لأنه ما من خلاق إلا وهو عليم, وما من خلاق إلا وهو قادر, لأنه إن كان جاهلا فكيف يخلق, وإن كان عاجزا فكيف يخلق, فدلالة الخلاق على العلم والقدرة دلالة التزام.
وهذه الدلالة دلالة الالتزام يتفاوت فيها الناس تفاوتا كثيرا, فمن الناس من يعطيه الله تعالى فهما يدرك به اللوازم التي تلزم على هذا الاسم, ومن الناس من هو دون ذلك, فتجد بعض الناس يستنبط فوائد عدة بدلالة اللزوم, وآخر لا يقدر, وفضل الله يؤتيه من يشاء, طيب.
إذن **((العزيز))** لا يتم الإيمان به إلا ؟ العزيز معناه أولا ذو العزة **((سبحان ربك رب العزة))** والعزة قالوا أنها ثلاثة أنواع:
عزة القدر, وعزة القهر, وعزة الامتناع, عزة القدر بمعنى أنه سبحانه وتعالى عزيز قدرا, بحيث لا يكون مماثل له, عزة الامتناع يعني أنه عز وجل عزيز أي يمتنع أن يناله السوء, والعزيز يأتي بمعنى الامتناع كقوله تعالى: **((وما ذلك على الله بعزيز))** أي بممتنع.
والثالث عزة القهر: بمعنى أنه الغالب ومنه قوله تعالى: **((ويقولن لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل))** فقال الله تعالى: **((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين))** العزة يعني الغلبة, إذا كان العزيز بمعنى الغالب فهو من الأسماء المتعدية, عز أي غلب, فهو غالب ومقابله مغلوب, وإذا كانت عز بمعنى امتنع أو بمعنى كان ذا قدر عظيم فهو لازم, طيب.
إذن نقول العزيز من جهة تكون من الأسماء المتعدية إذا كانت بمعنى الغالب, ومن جهة أخرى تكون غير متعدية إذا كانت بمعنى الامتناع أو بمعنى القدر طيب.
جملة معترضة قال الله تعالى : **((يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ))**

[المنافقون :8] هل الجواب مطابق لقولهم أو غير مطابق ؟ المطابقة أن يقول: والله أعز والمؤمنون, لكن لم يذكر هذا بل قال: **((ولله العزة))** إشارة إلى أن المنافقين لا عزة لهم أصلا, لأنه لو قال: الله أعز, لأثبت للمنافقين عزة, ولكنه ليس لهم عزة حصر العزة في الله ورسوله والمؤمنين؛ وهذه من بلاغات القرآن, وإذا تأملت القرآن تبين لك أمور تبهرك في دلالته وإشاراته وإيماءاته, فسبحان الذي أنزله عز وجل طيب.

الغفار اسم من أسماء الله, وهو من الأسماء المتعدية, لأن الله قال: **((يغفر لم يشاء ويعذب من يشاء))** إذن لا بد أن نثبت الغفار اسما من أسماء الله, ولابد أن نثبت الصفة وهي المغفرة ((وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم)) طيب ونثبت أنه يغفر, يوصل المغفرة من شاء, طيب قال: **((وأن الله هو العزيز الغفار)).**

((**لا جرم أن ما تدعونني إليه**)) وهو الكفر بالله والإشراك به ((**ليس له دعوة**)) أي ليس له استجابة دعوة ((**في الدنيا ولا في الآخرة**)) ولا جرم أيضا ((**أن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار**)).

قال المفسر: **" ((لا جرم)) حقا "** يعني أن معنى لا جرم حق, وعلى هذا فتكون لا زائدة, وجرم بمعنى حقا, وهذا ما ذهب إليه المؤلف, والمعربون اختلفوا فيها, والصواب في إعرابها أن لا نافية للجنس, وجرم اسمها, ومعنى جرم أي لا شك أو لابد, هذا هو الصواب, والتركيب واضح, ولا يحتاج أن يقدر أن لا زائدة, وجرم بمعنى قطع, وأن مصير الجملة إلى أن تكون مصدرا لعامل محذوف يعني: أحق حقا أن ما تدعون إليه, لا حاجة لهذا, إذا قلنا: لا شك أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة, زال الإشكال.

وعلى هذا فتكون جرم اسم لا, **((وأن ما))** وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر لا وانتهى الموضوع, والمعنى يقول: لا شك ولا ارتياب أن الذي تدعونني إليه ليس له دعوة.

وقوله: **((أنما تدعونني إليه))** مكتوبة عندي مربوطة أي ما مربوطة بـ أن وحسب القواعد المعروفة أن تكون مفصولة, لأن المعنى لا جرم أن الذي تدعونني إليه, وإذا كانت ما موصولة فإنها تفصل عن أن كتابة, لكن رسم المصحف تمشى فيه العلماء على الرسم العثماني, احتراما للقرآن أن يغير. ولهذا تجدون الصلاة في المصحف مكتوبة

بالواو, والزكاة بالواو, والربا بالواو, **((وإن رحمت اللـه قريـب مـن المحسنين))** بالتاء المفتوحة, كل هذا إتباعا للرسم العثماني, احتراما لكتاب الله أن يدخله التغيير.
وقد اختلف العلماء هـل يكتـب القـرآن حسـب القواعـد وفـي كـل وقـت بحسبه, أو على الرسم العثماني ؟
فقيـل أنـه يجـوز أن يكتـب علـى القواعـد فـي كـل وقـت بحسـبه, لأن المقصود أن يتلى كتاب الله على حسب ما نزل لا على حسب مـا كتـب, والقرآن نزل مقروء, إذا الكتابة مـا هـي إلا اصـطلاحات تخضـع لأعـراف الناس.
والقول الثاني أنه لا يجوز أن يغير أبدا, سدا للباب, ومنعا للتغيير, حتى لا يجزئ أحد أن يغير في كتاب الله عز وجل, وهذا لا شـك أنـه يرمـي إلـى قوة احترامنا للقرآن الكريم, والأول يرمي إلى قوة إيصـال القـرآن إلـى الناس على وجه لا إشكال فيه.
والقـول الثـالث: أنـك إن كتبتـه للدارسـين المبتـدئين فلا بـأس أن تكتبـه حسب القواعد المعروفة, لأن الدارسين المبتـدأين لا يعرفـونه, وأمـا إذا كنـت تريـد أن تكتبـه ليقـرأ فهـذا يكتـب علـى حسـب الرسـم العثمـاني.
والظاهر أن هذا القول المفصل أرجح الأقوال الثلاثة.
((لا جرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة)) أن: حـرف توكيـد ينصب المبتدأ ويرفع الخبر, وما: اسمها, وليس له دعوة: خبرها الجملة.
يقـول: **" ((أنما تـدعونني إليـه)) لأعبـده "** ولكـن هـذا التفسـير قاصر, الذي دعوه إليه أن يكفر بالله ويشرك به, هم دعـوه إلـى أمريـن, والمؤلف قصره على أمر واحد وهو عبادة غير الله, وهذا إشراك.
" ((ليس له دعوة)) أي ليس له استجابة دعوة " والصـواب أنـه ليس له دعوة يدعى بها ولا دعوة يجيبها, فمعنى: **((ليس له دعـوة))** يعني لا يستحق أن يدعى, وهو أيضا لا يستجيب إذا دعي, كمـا قـال اللـه تعالى: **((والذين تدعون من دونه مـا يملكـون مـن قطميـر إن تـدعوهم لا يسـمعوا دعـاءكم ولـو سـمعوا))** فرضـا **((مـا استجابوا لكم))** زد على ذلك أنكـم تريـدون أن ينفعـوكم فـي الآخـرة والأمر ليس كذلك **((ويوم القيامة يكفـرون بشـرككم ولا ينبئـك مثل خبير))** وهذه الآية كقوله تعالى : **((ومن أضـل ممـن يـدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يـوم القيامـة))** هـذا الـذي تدعوه لا يمكن أن يستجيب لك إلى يوم القيامة أبدا.

((وهم عن دعائهم غافلون)) هم: يجوز أن يكون المدعوون ويجوز أن يكون الداعون, والهاء في دعاءهم يجوز عودها لهذا وهذا حسب الضمير السابق **((وإذا حشر الناس))** وهو الوقت الذي يريد هؤلاء الداعون أن ينتفعوا بالمدعوين **((وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين))** لأن الله يقول : **((إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب))** أي المودة والمحبة التي كانوا يضمرونها لهم في الدنيا **((وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرئوا منا))** طيب.

على كل حال **((ليس له دعوة))** المؤلف يقول**: " ليس له دعوة مستجابة "** يعني لا يستجيب الدعوة, والصواب أن لها معنيين: لا يستجيب ولا يستحق؛ فهو لا يستحق أن يدعى ولو دعي لم يستجب.

((ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة)) نعم لا يستطيع هذا في الدنيا ولا في الآخرة, فالأصنام لا تنفع عابديها لا في الدنيا ولا في الآخرة قال: **((وأن مردنا إلى الله))** ذكرهم بالحساب رحمه الله وجزاه خيرا.

" ((وأن مردنا)) أي مرجعنا ((إلى الله)) " عز وجل في الدنيا والآخرة, **((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول))** فالمرد هو الله في الدنيا وفي الآخرة **((وأن المسرفين هم أصحاب النار))** يعني: ولا جرم أيضا أن المسرفين هم أصحاب النار, فهذه ثلاثة أشياء كلها جزم بها جزما:

أولا: أن ما تدعونه إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة, والثاني: أن مردنا إلى الله, والثالث: أن المسرفين هم أصحاب النار.

المسرف اسم فاعل من الإسراف وهو تجاوز الحد, ويكون كفرا ويكون دون الكفر, فالإنسان الذي يملأ بطنه من الطعام والشراب مسرف لكنه ليس بكافر, لأن الله قال: **((كلوا واشربوا ولا تسرفوا))** وكذلك الإسراف اللباس وغيره لا يؤدي إلى الكفر, لكن الإسراف في عبادة الله بأن تتجاوز عبادة الله إلى عبادة غيره هذا هو الكفر, وهذا هو مراد هذا الرجل المؤمن.

((وأن المسرفين هم أصحاب النار)) هم: ضمير فصل, وقد سبق لنا أن ضمير الفصل من حيث الإعراب لا محل له من الإعراب, فلا يؤثر فيما قبله, ولا يؤثر فيه ما قبله, وسبق لنا أن لضمير الفصل فوائد:

التوكيد والحصر وتمييز الخبر عن الصفة, وضربنا لذلك مثلا.

وقد سبق لنا أن ضمير الفصل من حيث الإعراب لا محل له من الإعراب, فلا يؤثر فيما قبله, ولا يؤثر فيه ما قبله, وسبق لنا أن لضمير الفصل فوائد:
التوكيد والحصر وتمييز الخبر عن الصفة, وضربنا لذلك مثلا لا حاجة للإعادة.
من فوائد هذه الآيات إنكار هذا الرجل المؤمن على قومه بما يشهد العقل بصحته حيث قال : **((ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار))** وإذا كان العقل يدل على صحته فهو محل عجب, كل إنسان عاقل يعجب أن يكون هذا الشيء, رجل يدعوا قومه إلى النجاة ورجل يدعوهم إلى النار.
ومن فوائد الآية الكريمة: مراعاة الحال في الخطاب, وجهه أنه قال: **((إلى النجاة))** مع أنه يدعوهم إلى الجنة, لكن لما كانت دعوتهم إياه إلى الهلاك آثر أن يقول إلى النجاة طيب.
سؤال: هل يلزم من النجاة من النار دخول الجنة ؟ يلزم, كيف اللزوم ؟
... الدليل أنه ليس في الآخرة إلا داران, إما هذا أو هذا نعم, ولذلك كان أصحاب الأعراف الذين يبقون بين الجنة والنار مآلهم إلى الجنة طيب.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن كل من أشرك بالله أو أنكره كفر به فليس له علم في ذلك مهما كان, تؤخذ من: **((وأشرك به ما ليس لي به علم)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإشراك بالله كجحود الله, ويدل لذلك أيضا قول الله تعالى في الحديث القدسي : **(أنا أغني الأغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)** .
ومن فوائد الآية الكريمة: تذكير هذا الرجل المؤمن هؤلاء بعزة الله ومغفرته ترغيبا وترهيبا لقوله : **((وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار))** في أي الكلمتين يكون الترهيب ؟ في قوله: العزيز, والترغيب في قوله: الغفار, والله أعلم.
الطالب : ما يذكر في القرآن من كلام أشخاص معينين كملكة سبأ ومؤمن آل فرعون هل يؤخذ بالمعنى أو باللفظ ؟
الشيخ : هذا سؤال مهم, يقول: ما ينقله الله عز وجل عن الأمم السابقة هل هو بالمعنى أو باللفظ ؟
الجواب: بالمعنى لا شك, أولا: لأن لغة هؤلاء ليست لغة عربية, وثانيا: لو كان باللفظ لكان كلام البشر معجزا, لأن الإعجاز يحصل بالآية والآيتين

والثلاثة وهذا الرجل المؤمن كم تكلم من آية ؟ ... لأن الله هو الذي صاغه بنفسه, فنقله بالمعنى طيب.
الشيخ : هذا يوصلنا إلى شيء, الحديث القدسي هل هو كلام الله بلفظه أو معناه ؟
هذا فيه خلاف: منهم من يقول تكلم الله به لفظا, ومنهم من يقول تكلم به معنى والصياغة من الرسول عليه الصلاة والسلام, ومنهم من يقول قل قال الله ولا تقل لفظا ولا معنى, ما دمت في عافية فاسلك طريق العافية, لكن أحيانا يحرج الإنسان يقول أعطني الفرق بين الحديث القدسي والقرآن, وأما إذا أمكن الإنسان السلامة فالسلامة خير, لكن يأتيك بعض الناس ويقول لك أخبرني عن الفرق بين الحديث القدسي والقرآن, فالفرق هو هذا أن الحديث القدسي ليس لفظ الله عز وجل, لأنه لو كان لفظ الله لكان معجزا ولثبت له أحكام القرآن, بحيث لا يقرأه جنب, ولا يمس إلا بطهارة, ولا أحد يقدر على تحريفه, وما أشبه ذلك, وهذا كله منتهي.
فإذا قال قائل: أليس الرسول يقول قال الله ؟ قلنا بلى, أليس الله يقول قال فرعون قال موسى وما أشبه ذلك وهو بغير لغتهم, هذا لا يمنع.
ثم لو قلنا أنه كلام الله باللفظ أشكل علينا إشكال عظيم, فإما أن يكون بواسطة جبريل أو بغير واسطة, فإن كان بغير واسطة كان أعلى سندا من القرآن, لأن القرآن بواسطة جبريل, وإن كان بغير واسطة, فأي إنسان يقول بغير واسطة فإنه ربما نخنقه أو نعطيه كفا على الرأس.
إذا جعله بواسطة والرسول حذف الواسطة صار عندنا إشكال وهو التدليس, والرسول صلى الله عليه وسلم منزه عن هذا, فعلى كل حال المسألة كما قلت لكم أحد يقول أنه كلام الله لفظا ومعنى, والثاني يقول كلام الله معنى لا لفظا, والثالث يسكت يقول: نقول قال الله ونسكت, وهذا إذا حصل للإنسان السلامة فهو أسلم, لكن كما قلت لكم أحيانا يقول لك: لازم أعطني الفرق بين القرآن والحديث القدسي, نقول هذا الفرق, القرآن كلام الله لفظا ومعنى, والحديث القدسي كلام الله لفظا لا معنى طيب.
فإن قال قائل: وحينئذ نطالبكم بالفرق بين الحديث النبوي والقدسي, لأن الحديث النبوي كلام الرسول, نقول: هذا سهل, الفرق بينهما أن الحديث النبوي لا يضيفه الرسول إلى الله والحديث القدسي يضيفه إلى

الله, انتهى الإشكال في هذه المسألة, ثم اعلم أن هذه المقامات إذا حصلت السلامة فهي أسلم ولكن إذا ابتلي الإنسان فلا بد أن يفصل.
ومن ذلك وأنا أحب أن أستطرد لأن معنا إخوانا لم يدركوا ما نقوله في بعض المجالس, من ذلك مثلا لفظ الجسم, الجسم تعلمون أن جميع المعطلة بنوا تعطيلهم على مسألة الجسم, حيث ادعوا أنهم إذا أثبتوا الوجه أو اليد أو ما أشبه ذلك فإنه يقتضي أن يكون الله جسما, حتى الاستواء يقول إذا أثبتنا أن الله استوى فهو جسم, ونحن نقول لهم ما هذا الجسم الذي جعلتموه دبوسا معلقا تخرقون به كل سياج لإثبات الصفات ؟
إن أردتم أنه جسم مكون مخلوق يمكن انفصال بعضه عن بعض, وبانفصال بعضه ينقص وربما يهلك, فالله منزه عن هذا ولا شك, ومن اعتقد هذا في ربه فهو كافر.
وإن أردتم بالجسم أنه ذو ذات يفعل ما يشاء, ويتكلم, ويجيء, وينزل, ويستوي, ويتصف بالصفات اللائقة به فهذا حق, لكن من جهة إثبات لفظ الجسم أو نفيه فهذا ممنوع, لا تقل إثباتا إن الله جسم ولا نفيا أن الله ليس بجسم, لأنه لم يرد إثباته ولا نفيه.
فهذه مسائل ينبغي لطالب العلم أن يفهمها, فمثلا إذا جادلنا إنسان ويقول ما تقول في الجسم ؟ أقول: أما باعتبار لفظه فالواجب الكف عنه إثباتا أو نفيا؛ أما من جهة معناه فنحن نستفصل.
القارئ : **((فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ))** [غافر :46].
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بقي فوائد فيما سبق وقفنا فيها على قوله : **((من عمل سيئة))** بعدها **((لا جرم أنا تدعونني))** إلى آخره.
من فوائد هذه الآية الكريمة: أن كل ما يدعى من دون الله فليس له دعوة اسحقاقا ولا استجابة لقوله تعالى : **((لا جرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة))**.
ومن فوائدها أن هذه الأصنام لا تنفع عابديها سواء دعوها دعوة مسألة أو دعوة عبادة.
والفرق بين دعوة المسألة أن المسألة يطلب فيها الإنسان حاجة ما,

ودعاء العبادة يتعبد لله, وإنما كانت العبادة دعاء لأن العابد يدعوا بلسان حاله أن يثاب على هذه العبادة ويدل على ذلك قوله تعالى: **((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي))** [غافر :60] فقال: **((ادعوني))** ثم قال: **((إن الذين يستكبرون عن عبادتي))** فدل هذا على أن الدعاء عبادة طيب .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الرجوع إلى الله عز وجل وأن مرد الأمور إليه في قوله: **((وأن مردنا إلى الله))** وهذه الآية لها نظائر منها قوله تعالى: **((وإلى الله ترجع الأمور))** ومنها: **((إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم))** ومنها: **((يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك قدحا فملاقيه))** ومنها قوله تعالى: **((وأن إلى ربك المنتهى))** والآيات في هذا المعنى كثيرة أن مرجع الخلائق إلى ربها عز وجل .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم الإسراف وجه الدلالة من الآية: **((وأن المسرفين هم أصحاب النار))**.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإسراف قد يصل إلى حد الكفر من الآية قوله: **((هم أصحاب النار))** ومتى وجدت أصحاب النار فهم الذين هم أهلها والذين هم مخلدون فيها.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: قوة إيمان هذا الرجل فقال: **((وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار))** طيب .

ومن فوائدها استعمال التعريض, ... لأنه لا شك أنه أول ما يدخل في هذه الجملة هؤلاء, لكنه لم يشأ أن يتكلم بذلك صريحا طيب.

هل يمكن أن نقول في هذه الآية إظهار في موضع الإضمار ؟ ممكن أن نقول, وممكن أن نقول هذا تورية, وعلى كل حال فالإظهار في موضع الإضمار من أساليب اللغة العربية, وهو كثير في القرآن. وله فوائد منها: إرادة العموم: يعني ليعم الحكم, من استعمل في حقه ومن لم يستعمل.

ومنها بيان العلة: التعليل لأنه إذا جاء الوصف معلقا عليه حكم من الأحكام دل ذلك على علية هذا الوصف.

ومنها التسجيل على هؤلاء الذين كان مقتضى السياق أن يذكروا بالضمير بما يقتضيه هذا الوصف.

فهذه ثلاث فوائد: إرادة التعميم, بيان العلة, الحكم على هؤلاء بأنهم مستحقون لهذا الوصف طيب.

ثـم قـال اللـه تبـارك وتعـالى فـي بقيـة كلام هـذا الرجـل المـؤمن: ((**فستذكرون مـا أقـول لكـم**)) السـين وسـوف كلاهمـا يختصـان بالفعل المضارع ومن علاماته, وإذا رأيت كلمة تقبل السين وسوف فهي فعل مضارع, لكنهما يفترقان, السين تـدل علـى القـرب, وسـوف تـدل على المهلة, فقوله: **((فستذكرون))** أي عن قريب, وهي مع إفادتها القرب تفيد التحقق يعني أن هذا أمر لابد أن يحصـل **((ستذكرون مـا أقول لكم))** متى ؟ إذا عاينتم العذاب, وهـذا ليـس ببعيـد لأن غايـة مـا بينهم وبينه أن تنتهي آجالهم وكل آت قريب **((فستذكرون ما أقــول لكم))** وحينئذ لا ينفعهم ذلك, كما لو نصحك ناصح عن فعل شيء ثم لم تقبل نصيحته, وبعد ذلك رأيت عاقبته وخيمة فإنك ستذكر قـول الناصـح, تذكره ندما وحزنا.

قال: **((وأفوض أمري إلى الله))** الواو هنـا للاسـتئناف ولا يصـح أن تكون عاطفة لأنها لو كانت عاطفة لكـان المعنـى وسـأفوض أمـري إلـى الله, ولكن هذا ليس هذا المعنى, بل المعنى: وأنا أفوض أمري إلى الله, فالواو هنا للاستئناف, أفوضه إلى الله أي أكله إلى الله عز وجل, وقوله: **((أمري))** هذا مفرد مضاف يعم والمـراد بـه الشـأن, أي الشـأن كلـه **((إلى الله))** وهذا غاية ما يكون من التوكل وسيأتي إن شاء الله فــي الفوائد.

((إن الله بصير بالعباد)) هذه الجملة تعليليـة للحكـم السـابق وهـو قوله: أفوض أمري إلى الله, كأن قائلا يقول: لماذا فوض أمره إلـى اللـه ؟ فأجاب بأن الله تعالى بصير بالعباد؛ **((بصير بالعباد))** أي بأحوالهم, وحاضرهم ومستقبلهم وجميع شؤونهم, فهو جل وعلا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم, يعلم كل أحوالهم.

" قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينه " يعني كأنهم توعدوه فقــال: أفوض أمري إلى الله, ولكن التوعد ليس في الآية دليل عليـه, والظـاهر والله أعلم أنه لم يقل ذلك حين توعدوه ولكنه قال ذلـك حيـن أيـس مـن أن يمتثلوا لنصيحته, فقـال كـالمودع لهـم: **((فستذكرون مـا أقـول لكم))** وأما أنا فأفوض أمري إلى الله لأني قمت بما يلزمني من نصيحة وهذا أكثر ما يجب علي.

قال الله تعالى : **((فوقاه الله سيئات ما مكـروا))** هـذا أيضـا يـرد على كلام المؤلف لأنهم لو توعدوه بالقتل لم يكن هذا مكرا, إذ أن المكر هو الإيقاع بالغير من حيث لا يشعر, أما لو توعـدوه بالقتـل لـم يكـن هـذا

مكرا, بل كان هذا صريحا واضحا؛ **((فوقاه الله سيئات ما مكروا))** أي: نجاه من مكرهم السيئ, فسيئات هنا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها أي المكر السيء, وقد قال الله تعالى: **((ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله))** وقوله: **((ما مكروا))** المكر والخداع والغدر والمحال وما أشبه ذلك كلها ألفاظ متقاربة تدور حول شيء واحد وهو أن توقع بغيرك من حيث لا يشعر.

قال: " ((ما مكروا)) به من القتل " بين في هذا أن العائد على الصلة في قوله ما محذوف والتقدير: ما مكروا به.

قال: " ((وحاق)) نزل ((بآل فرعون)) قومه معه ((سوء العذاب)) الغرق " حاق: بمعنى نزل, لكن تشعر بأنها ليست بمعنى نزل من كل وجه, وأن تفسيرها بالنزول تفسير تقريبي, حاق: القاف قريبة من الطاء فكأن المعنى: حاط بهم, وهذا أشد من نزل, فالظاهر أن حاق بمعنى نزل محيطا بهم, وليست بمعنى نزل على وجه مجرد بدون إضافة معنى.

وقوله: **((بآل فرعون))** قال المؤلف: **" قومه "** وقال غيره: أتباعه, والظاهر أن المعنى متقارب لأن الذين اتبعوه إنما هم قومه, وأما بني إسرائيل فإنهم لم يتبعوه بل كان يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم؛ **((بآل فرعون)) وقوله: " معه "** ذكرها لئلا يظن الظان أن العذاب نزل بآل فرعون دونه, ولكن هذا لا يمكن أبدا, إذا كان آل فرعون إنما نزل بهم العذاب لأنهم كفروا بالله ففرعون أكفر بالله من هؤلاء, ثم إن الظاهر أن الإنسان إذا قال: أكرم آل فلان, فإن فلان هو مقدمهم ولا بد أن يدخل فيهم لغة.

وقوله: **((سوء العذاب))** هذا أيضا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها أي المعنى: العذاب السيئ, وفسره المؤلف بأنه الغرق, وهذا لا شك أنه من سواء العذاب, لكن هناك عذابات أخرى أصيب بها آل فرعون: **((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون))** وقال تعالى: **((فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم))** كل هذا من سوء العذاب؛ الطوفان ليغرق ما بذر من نباتهم, والقمل لأجل أن يفسد ما ظهر, والضفادع لتفسد الماء, لأنهم صاروا كلما أخذوا إناء يشربونه وجدوا هذه الضفادع قد ملأته, والدم هو نزيف الدم إما من الأنف أو من غيره, فعوقبوا من كل وجه, بالزروع غرق, ما ادخروه قمل, الماء ضفادع, بعد

أن يصل إلى الجسم ويتغذى به الجسم يخرج ينزف دما فهلكوا.
وهذا فيه الترتيب ودرجات: الطوفان غرق الزروع, يغرق ما بذر, الجـراد أكل ما ظهر, تأكل الزرع, والقمل يفسد ما ادخر, والضفادع تفسد الماء, والدم وهو النزيف تذهب ما حصل مـن الغـذاء بالطعـام الـذي يقـدر أنـه سلم من هذه الآفات, فهذا من سوء العذاب, والنهاية هو الغرق, أن للــه أغرق آل فرعون بالبحر.
قـال: ((**النـار يعرضـون عليهـا غـدوا وعشـيا**)) هـذه الجملـة مستأنفة, فالنار مبتدأ, ويعرضون الجملة خبرها.
((يعرضون عليها غدوا وعشيا)) ليـس معناهـا أنـه تحرقهـم, لأن الله لو أراد ذلك لقال: النار يصلونها غدوا وعشيا, لكنهم يعرضـون عليهـا فيأتيهم من سمومها وعذابها ما لا يطيقون والعياذ بالله, يعرضـون عليهـا غـدوا فـي الصـباح, وعشـيا فـي المسـاء, والظـاهر أن المـراد الـدوام, ويحتمل أن المراد هذان الوقتان فقط:
فأما الأول: فقد يستدل له بقول الله تبارك وتعالى: **((ولهـم رزقهـم فيها بكرة وعشيا))** يعني في كل الزمن.
وأما الثـاني: فيمكـن أن يقـال أن هـذا ظـاهر اللفـظ أي فـي أول النهـار وآخره, وأنهم يعرضون على النار أول النهار ثم إذا صرفوا عنها أملوا أنها لا تعود إليهم فتعـود إليهـم, فيكـون هـذا أشـد مـن الاسـتمرار, لأن كـون الإنسان يأمل اندفاع العذاب عنه ثم يعود أشـد مـن كـونه مسـتمرا آيسـا من زواله, ولهـذا قـال اللـه تعـالى لأصـحاب النـار: **((كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها))**.
" ((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقـوم السـاعة)) يقال ((أدخلوا)) يا ((آل فرعون أشد العذاب)) " هـذه قـراءة ادخلوا أمر والمقصود به الإهانة والإذلال, بخلاف قوله تعالى لأهل الجنة: **((ادخلوها بسلام آمين))** هـذه للإكـرام أمـا هـذه: **((ادخلـوا آل فرعون))** هذه للإهانة والعياذ بالله,
وقوله: **((آل))** فسـرها المؤلـف بقـوله: **" يا آل "** إشـارة إلـى أنهـا منصوبة بيـاء النـداء المحذوفـة, ادخلـوا يـا آل فرعـون **" وفي قراءة بفتـح الهمـزة وكسـر الخـاء أمـر للملائكـة "** طيـب: أدخلـوا آل فرعون, يعني: ويوم القيامة يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون **" ((أشـد العذاب)) عذاب جهنم "** نسأل الله العافية.
في هذه الآيات من الفوائد:

أولا: أن الله سبحانه وتعالى حسب مـن توكـل عليـه لقـوله: **((فوقاه الله سيئات ما مكروا)).**
طيب: ((**فستذكرون ما أقول لكم وأفـوض أمـري إلـى اللـه**))
في هذه الآيات من الفوائد:
أولا: بيان تحذير هؤلاء الذين ينصحهم المؤمن بأنهم سوف يذكرون كلامه ويعرفون أنه حق في حال لا تنفعهم هذه الذكرى.
ومـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة: قـوة توكـل المـؤمن حيـث قـال: **((وأفوض أمري إلى الله))** وهكذا يجب على كل مؤمن إذا أراد أن تقضى أمـوره وتسـهل فليفـوض أمـره إلـى اللـه, لأن اللـه تعـالى قـال: **((ومن يتوكل على الله فهو حسبه))** وقال لنبيه صلى اللـه عليـه وسلم: **((يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المـؤمنين))** ومن كان الله حسبه فهو رابح وناجح .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات علم الله سبحانه وتعالى بكل عبـاده لقوله: **((إن الله بصير بالعباد))** وهذا يشمل الأحوال والأعيان.
ومن فوائد الآية التي بعـدها: أن اللـه سـبحانه وتعـالى يكفـي مـن توكـل عليه, فيحميه من عدوه لقول الله تعالى: **((فوقاه الله سـيئات مـن مكروا)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: التحـذير مـن أعـداء المسـلمين لقـوله: **((ما مكـروا))** وأن أعـداء المسـلمين قـد لا يواجهـونهم بالعـداوة ولكنهـم يمكرون بهم, فليحذر المؤمن مكر أعداء اللـه, وهـذا فـي القـرآن كـثير, قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليـه وسـلم: **((وإذ يمكـر بـك الـذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـوك ويمكـرون ويمكـر اللـه والله خير الماكرين))** وقال تعالى: **((إنهم يكيدون كيـدا وأكيـد كيدا فهمل الكافرين أمهلهم رويدا))**.
ومن مكر أعداء الله أنهم لا يجابهون المسلمين بالعداوة لكنهم يغزونهـم من حيث لا يشعرون بالأفكار المنحرفة والأخلاق السيئة, كمـا تشـاهدون الآن وتسـمعون مـا يفعـل أعـداء المسـلمين بالمسـلمين يجـرون إليهـا الأخلاق السـافلة مـن وسـائل الإعلام المرئيـة والمقـروءة والمسـموعة, يوفدون إليهم كل ما يخالف دين الإسـلام فـي الملابـس وغيـر الملابـس, يغرونهـم بـالأموال الطائلـة لإذهـاب أوقـاتهم سـدى بلا فائـدة كمسـألة الرياضة وما أشبهها. فـالمهم أن أعـداء المسـلمين يمكـرون بهـم مكـرا عظيما, والمسلمون إما أنهم لا يهتمون بهـذا المكـر أو أنهـم لا يعرفـونه,

ولكن على كل حال الواجب علينا أن نحذر.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى يجازي المحسن بإحسانه ويجازي المسيء بإساءته, وتكون إجازة المسيء بإساءته تكون في الحقيقة مجازاة للمحسن, لأن أخذ أعدائك بالعذاب هو في الحقيقة انتصار لك وأنت تفرح بذلك, تؤخذ من قوله: **((فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب))** فبين الله تعالى جزاء هذا وجزاء هؤلاء .
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عذاب القبر لقوله : **((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا))**.
وعذاب القبر ثابت بالقرآن والسنة والإجماع:
أما القرآن: ففي مثل هذه الآية: **((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)) ثم قال: ((ويوم تقوم الساعة ادخلوا))** لأن قوله: يوم, ظرف زمان متعلق بما بعده, المتعلق بالفعل ادخلوا أو أدخلوا, وهذا لا يكون إلا بعد يوم القيامة, وعرضهم على النار غدوا وعشيا يكون قبل يوم القيامة ففيه إثبات عذاب القبر, قلت لكم أنه ثابت بالقرآن والسنة والإجماع, أما القرآن ففي مثل هذا.
ومن أدلة القرآن قول الله تبارك وتعالى: **((وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ))** [الأنعام :93] اليوم متى ؟ اليوم هنا ال للعهد الحضوري, يعني هذا اليوم الذي هو يوم موتكم, فدل ذلك على ثبوت عذاب القبر طيب.
أما السنة فهي متواترة في ذلك كثيرة على وجوه متنوعة عامة وخاصة:
من الخاصة: قوله صلى الله عليه وسلم حين مر بقبرين يعذبان: **(إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير)**.
وأما الإجماع: فكل المسلمين يقولون في صلواتهم: أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر؛ وهذا أمر لا إشكال فيه وهو من عقيدتنا.
فإن قال قائل: هل العذاب يكون على البدن أو على الروح أو عليهما جميعا ؟
نقول: ظاهر السنة أن العذاب يكون على البدن حين مسائلة الملكين, **فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن المنافق والمرتاب يقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان**

الإنس والجن فإنهم لا يسمعونه, وكل شيء يسمعه. والمراد بذلك من قرب منها بحيث يسمع, أما من كان في أقطار الدنيا البعيدة فلا, وهذا يدل على أن الذي يعذب حين المسائلة البدن لقوله: **(فيضرب)**.

أما بعد ذلك فالأصل أن العذاب على الروح وقد تتصل بالبدن كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله, وإن شئنا قلنا: هذا بحث لا طائل تحته, ولم يسأل عنه الصحابة, فنثبت عذاب القبر على حسب ما جاء في الكتاب والسنة لا نزيد ولا ننقص .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجود النار لقوله: **((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا))** ووجودها ثابت في القرآن والسنة وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم النار حين عرضت عليه وهو يصلي بالناس صلاة الكسوف, ورأى فيها من يعذب, فالنار موجودة الآن .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات قيام الساعة لقوله تعالى: **((ويوم تقوم الساعة))**.

ونحن نؤمن بالساعة وأنها ستقوم, وسيبعث الناس, وبهذا نعرف أن ما يذكره بعض الناس اليوم حين يموت الرجل فيدفن يقولون مثلا: إنهم ذهبوا به إلى مثواه الأخير, هذه الكلمة كلمة كفر, إذا قلت: إلى مثواه الأخير, فهذا يعني أنه لا بعث بعد ذلك, وأن هذا آخر مرحلة للإنسان, وليس الأمر هكذا, ولهذا نقول إن من قال هذه الكلمة وهو يعرف معناها ويريده فإنه كافر لأنه منكر للبعث, أما من قالها وقال: إلى مثواه الأخير باعتبار الدنيا المشاهدة فهذا صحيح, لكن ظاهر العبارة الكفر, ولهذا يجب التحرز منها, ويقال مثلا: ذهبوا به إلى قبره, ذهبوا به إلى محل زيارته.

الواقع أن القبر زيارة قال الله تعالى : **((ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)**) ولما سمع أعرابي رجلا يقرأها قال: والله إن الزائر ليس بمستقر, يعني أن هناك شيئا وراء هذا القبر وصدق, الزائر ما هو مستقر, يزور ويمشي طيب.

ومن فوائد الآية الكريمة: إهانة الكفار إهانة بدنية وإهانة قلبية, تؤخذ من توبيخهم وإهانتهم: ((أدخلوا آل فرعون)) ولا شك أن قلوبهم تأثر بهذا وستجد الحسرة والندامة والعياذ بالله.

ومن فوائد الآية الكريمة: التنكيت على آل فرعون كأنه قال: ادخلوا آل فرعون وانظروا هل ينفعكم أن تكونوا من آله أو لا, ففيها نوع تبكيت

لهؤلاء.
ومن فوائد الآية الكريمة أن النار أشد العـذاب, وأن كـل مـا قبلهـا أهـون منها لقوله: **((أشد العذاب))** ولا شك أنها أشد العذاب, كـذلك نقـول بالنسبة للنعيم, ما يجـده المـؤمن مـن النعيـم فـي القـبر فليـس بشـيء بالنسبة لما يجده يوم القيامة, فأكمل النعيم يكون بدخول الجنة وما قبله فهو كالتقدمة بين يديه نعم.
الطالب: ...
الشيخ: لا ما يستدل, لكن يستدل به على دفع دعوى أهـل الإلحـاد حيـث قالوا: إنكم تقولون إن الميت يقعد في قبره ويعذب, ونحـن نحفـر القـبر ونجد أن الميت باق على ما هو عليه؛ فنرد عليهم بأن هذا النائم يـرى أنـه معذب وأنه منعم وأنه ذهب وأنه جاء وهو علـى فراشـه لـم يتغيـر, حـتى اللحاف ما سقط عن ظهره, فنقول قس الغـائب بالحاضـر, ثـم إن كـان عـذاب القـبر يـدرك بـالاطلاع عليـه لـم يكـن إيمانـا بـالغيب لكـان إيمانـا بالشهادة, والإيمان بالشهادة لا ينفع, يعني الإنسان إذا عاين الشيء فـإن إيمانه به لا ينفع, ترى الكافرين عند حضور الأجل تراهم يؤمنون, ولكن لا ينفعهم ذلك, فرعون لما أدركه الغرق: **((قال آمنت أنه إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)).**

الطالب: ...
الشيخ: لا ما يستدل, لكن يستدل به على دفع دعوى أهـل الإلحـاد حيـث قالوا: إنكم تقولون إن الميت يقعد في قبره ويعذب, ونحـن نحفـر القـبر ونجد أن الميت باق على ما هو عليه؛ فنرد عليهم بأن هذا النائم يـرى أنـه معذب وأنه منعم وأنه ذهب وأنه جاء وهو علـى فراشـه لـم يتغيـر, حـتى اللحاف ما سقط عن ظهره, فنقول قس الغـائب بالحاضـر, ثـم إن كـان عـذاب القـبر يـدرك بـالاطلاع عليـه لـم يكـن إيمانـا بـالغيب لكـان إيمانـا بالشهادة, والإيمان بالشهادة لا ينفع, يعني الإنسان إذا عاين الشيء فـإن إيمانه به لا ينفع, ترى الكافرين عند حضور الأجل تراهم يؤمنون, ولكن لا ينفعهم ذلك, فرعون لما أدركه الغرق: **((قال آمنت أنه إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين))**. شف إلى هـذا الحـد, يعني اعترف لله تعالى بالتوحيد, ثم اعترف أنه تابع لبني إسرائيل لقوله: **((آمنت به بنو إسرائيل))** ولم يقل: أنه لا إلـه إلا اللـه, إشـارة إلـى أنه ذل حتى صار تابعا لبني إسرائيل بعد أن كان متجبرا عليهم.
الطالب : ...
الشيخ : يعني بعض المسلمين يعزونه ؟ العلماء يقولون لا بـأس, لا بـأس أن يعزي الكافر, وبعضهم يقول: لا يجوز, وبعضهم فصل قـال: إن فعلنـا بنـا ذا فعلنـا, اعتمـادا علـى قـول اللـه تعـالى : **((وإذا حييتم بتحيـة فحيوا بأحسن منها أو ردوها))** وهذا أقرب, أنهم إن كـانوا يفعلـون بنا ذلك فعلناه.
ولكن هل نقول: عظم الله أجرك وأحسن عزائـك وغفـر لميتـك ؟ لا, مـا نقولها هكذا, نقول: هداك الله للإسلام وجبرك مصيبتك وبـس, الميـت لا نقول غفر الله له أو هو من أهل النار.
الطالب : ...
الشيخ : قولنا: هذه أكذب من الكذب, ما أكثر المنتشر وهو كـذب, عمـر بن الخطاب قتل شهيدا, والشهادة تكفر كل شيء, كل شـيء تكفـره إلا الدين ولم نعلم أنه كان مدينا.
الطالب : في بعض البلاد العربية وهم النصارى الذين مـن العـرب يقـول يضعون جهاز التسجيل داخل القبر ويقولـون: نحـن نريـد أن نصـدق هـل كلامكم صحيح أيها المسلمون مـن أن عـذاب القـبر ونعيـم القـبر ثـابت, يريدون أن يصدقوا بعقولهم هل هذا صحيح. ؟
الشيخ : من أجل سماع صياح الميت ؟ نقـول: لـو أراد اللـه أن تسـمعوه

بالمسجل لأسمعه إياكم بآذانكم, لماذا المسجل ما له حاجة، ... نقول: ما أنتم بمصدقين, لو أراد الله أن نسمعه لسمعناه بدون مسجل, نعم.

الطالب : هل يمكن أن نعتبر قوله تعالى: ((**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**)) تفسيرا لقوله تعالى: ((**سوء العذاب**)) ؟

الشيخ : يمكن هذا, ويمكن أن نقول أن سوء العذاب ما ذكرناه في التفسير, وأما هذه النار فهي جملة استئنافية ذكرت وحدها, طيب.

القارئ : ((**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**)) [غافر : 51].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : ((**وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا ...**)) إذ يتحاجون يعني: اذكر إذ يتحاجون في النار, أي: يدلي كل واحد منهم بحجته, وإذ: ظرف عامله محذوف قدره المؤلف بقوله: " **اذكر ((إذ يتحاجون))** ".

والمحاجة هي المخاصمة, وإدلاء كل بحجته على الآخر, وقوله: ((**في النار**)) تفيد أن هؤلاء المتخاصمين هم أهل النار, وهي متعلقة بـ يتحاجون, ثم بين هذه المحاجة فقال: ((**فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا الضعفاء**)) الضعفاء إما في المال, وإما في الشرف والسيادة, وإما في غير ذلك مما يعد ضعفا, والغالب أن الضعيف يتبع القوي.

وقوله: ((**الذين استكبروا**)) أي تكبروا من الكبرياء والعظمة, والسين والتاء فيها للمبالغة ((**إنا كنا**)) يعني في الدنيا ((**لكم تبعا**)) جمع تابع أي متبعين ((**فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار**)) يعني: هل تجازوننا على متابعتنا إياكم بأن تتحملوا عنا شيئا من النار.

وقوله: ((**فهل أنتم مغنون**)) قال المفسر: " **دافعون ((عنا نصيبا)) جزء ((من النار))** " انظر كيف يتوسل هؤلاء الضعفاء إلى

الذين استكبروا, كيف يتوسلون إليهم بما قدموا مـن متـابعتهم ليتحملـوا عنهم نصيبا من النار, فكان جواب الذين استكبروا.
((**قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العبـاد**)) وإذا كنا كلا فيها فكيف نغنيكم, كيـف نغنيكـم نصـيبا مـن النـار, وهـذه حجة لبيان الواقع؛ وقوله: **((إن الله قد حكـم بيـن العبـاد))** حكـم بينهم بحكمه الجزائي, لأن أحكام الله عز وجل ثلاثة:
قدري, وشرعي, وجزائي, والجزائي من القدري في الواقع, لكـن بعـض العلماء يجعله منفصلا لأهميتـه, لأنـه هـو الغايـة, وقـوله: **((حكم بيـن العباد))** يعني بين الناس عموما بين أهل النار وأهـل الجنـة, فالعبوديـة هنا بمعنى العبودية العامة الشاملة, لأن العبودية عامة وخاصة.
ففي هذه الآية فوائد منها: تعـادي الكفـار بعضـهم مـع بعـض وأن القـوي منهم لا يرحم الضعيف لقوله: **((وإذ يتحاجون في النار)).**
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء الكفار أدلوا بمعروف للمتبـوعين وهم أنهم كانوا لهم تبعا ليتوسلوا به إلى أن يأخذوا عنهم نصيبا من النـار, ففيه دليل على توسل الإنسان بجميل عطائه على الغير, ولكن هـل يعـد هذا من المنة ؟
الواقع أن الذي يبين أنه توسل أو منة هو القرائن, قد يكون هذا منة وقـد يكون هذا توسلا, يقول: مثل ما رحمتك وأعطيتك وأحسنت إليك فأحسن إلي, فيكون هذا من باب التوسل .
ومـن فوائـد الآيـة أن الضـعفاء دائمـا يكونـون أتباعـا للأقويـاء لقـوله: **((فيقول الضـعفاء للـذين اسـتكبروا))** ولهـذا يتـبين لنـا الآن أن تقليد المسلمين للكفار يعني ضعفهم أمـامهم, لأن الضـعيف دائمـا يقلـد القوي لضعف شخصيته أمامه, وأنه يجب على المسلمين أن يكـون لهـم ميزة خاصة, وأن يكون لهم قوة ذاتية لأن القوة معهـم, هـم أهـل الـدين هم أهل الحق هم الذين عرفوا الحياة وهم أهل الحياة في الواقع .
ومـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة: أن هـؤلاء الأتبـاع يتمنـون أن يأخـذ المتبوعون نصيبا ولو قليلا من عذاب النار عنهـم, والـدليل أنهـم يريـدون ولو قليلا قولهم: **((نصيبا)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: أن المستكبرين يعتذرون بأنه لا طاقة لهم فـي ذلك لأن الجميع في نار جهنم, فكيف يأخذون نصيبا عنهم, نعـم لـو كـانوا ليسوا في نار جهنم ثم يسقطون في النار من أجـل أن يغنـوا عـن هـؤلاء نصيبا لأمكن, لكن ما دام الجميع في النار فإن طلب تحقيـق ذلـك طلـب

شيء مستحيل.
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان خنوع هؤلاء المستكبرين يوم القيامة لقولهم: **((إنا كل فيها))** يعني الآن ليس لنا فضل عليكم, وليس لكم فضل علينا كل في نار جهنم.
ومن فوائد الآية الكريمة: إقرار هؤلاء المعذبين في النار بأن الله سبحانه وتعالى قد حكم بين العباد حكما عدلا لقولهم: **((إن الله قد حكم بين العباد)).**
ومن فوائدها أنه إذا نفذ حكم الله فإنه لا يمكن رفعه ولا دفعه لقولهم: **((إن الله قد حكم))** وفي هذا يقول الله عز وجل في سورة ق: **((لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد))** إذا انتهى حكم الله فلا معقب لحكمه .
ومن فوائد الآية الكريمة: إقرار هؤلاء المعذبين في نار جهنم أنهم من عباد الله, لكن المراد العبادة العامة, وهي العبادة الكونية, لأن العبادة نوعان:
عامة: وهي العبودية الكونية, وخاصة: وهي العبودية الشرعية, فمن خضع لله شرعا فهو عابد شرعا, وكذلك الكوني, ومن تكبر عن عبادة الله شرعا فهو عابد كونا وليس عابدا شرعا طيب.
قال المفسر: **" فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار "** المعنى أعم مما قاله رحمه الله, حكم بين العباد بين أهل الجنة والنار, وبين أهل النار بعضهم من بعض, وحكم حكما عاما.
ثم قال تعالى: **" ((وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما)) أي قدر يوم ((من العذاب))** " استمع لهذا النداء الدال على البؤس واليأس, قال الذين في النار لخزنة جهنم, خزنة: جمع خازن وهم الذين قاموا على خزانتها وحمايتها وحفظها, لأن النار لها خزنة, وكذلك الجنة لها خزنة, وكل أمر محكم, ويؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام, كل زمام يقوده سبعون ألف ملك, وما أدراك ما الملائكة وما قوتهم, فهذه النار محكمة لها خزنة ولها قواد يقودونها يوم القيامة.
((وقال الذين في النار لخزنة جهنم)) وجهنم: اسم من أسماء النار, قيل إنها عربية, وقيل أنها عجمية, فعلى القول أنها عربية تكون مأخوذة من الجهمة وهي الظلمة, لأن النار سوداء مظلمة, أعاذنا الله وإياكم منها؛ وعلى القول بأنها أعجمية يقال أن أصلها كهنام, ولكنها

عربت حتى صارت جهنم, وهي من أسماء النار.
يقول: **((ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب))** ويقولون هـذا والله أعلم حين يقولون لربهم عز وجـل: **((ربنا أخرجنـا منهـا فـإن عـدنا فإنـا ظـالمون قـال اخسـئوا فيهـا ولا تكلمـون))** حينئـذ يتوسلون بغيرهم أن يكلمـوا اللـه, يقولـون: ادعـوا ربكـم, ولـم يقولـوا: ادعوا ربنا, لأنهم قد كسروا من جهة ربهـم, قـال لهـم: اخسـئوا فيهـا ولا تكلمون, لكن توسلوا بعد ذلك بطلـب مـن الملائكـة أن يـدعوا اللـه لهـم **((ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب))** يخفف بالجزم جوابا للأمر وهو قوله**: ((ادعوا))** وأقول للأمر باعتبار صيغته, وإلا فهـو فـي الحقيقة دعاء وسؤال.
((ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب)) الذي طلبوه تخفيفـا لا رفعا, وطلبوا يوما لا دواما لأنهم آيسون, لكن قال لعـل المسـألة تنفـع ولو بتخفيف يوما من العذاب, نسأل الله العافية, ومقتضى هذا أنهم فـي أشد ما يكون من العذاب, وأنهم طلبوا أن يستريحوا ولو يوما.
((يخفف عنا يوما)) قال المؤلف: " أي قدر يوم " وإنمـا قـال: قدر يوم, لأنه في يوم القيامة ليس هناك يوم ولا ليلة, الشـمس والقمـر مكوران في نار جهنم, وكل شيء من أمور الدنيا منتهي, مـا فيـه إلا أمـر الآخرة, سبحان الله, فيقول المؤلف: قدر يوم من العذاب.
قال لهم الخزنة: **" ((قالوا)) أي الخزنة تهكما "** هكذا قال المؤلف تهكما, ويحتمل أنهم قالوا ذلك تقريعا وتوبيخـا وتنـديما ليـس تهكمـا, لأن الأمر واقع, فهم يقررونهم بشيء حاصل تنديما لهم ليزدادوا حزنا.
" ((أو لـم تـك تـأتيكم رسـلكم بالبينـات)) بـالمعجزات الظاهرات " ليته قال: بالآيات الظاهرات, لأن الرسل جاءوا بالآيـات لا بالمعجزات, لكن الآيات أمر خـارق للعـادة فهـي معجـزة, وقـد بينـا فـي كرامة الأولياء في التوحيد أن الأولى أن يسمى ما جاءت به الرسـل مـن الدلالة على رسالتهم آيات.
" ((بالبينات قالوا بلى)) أي فكفروا بهم ((قالوا فـادعوا)) " قوله: **((أو تك تأتيكم رسلكم بالبينات))** مثـل هـذا التعـبير يقـع كثيرا في القرآن, أي أن الهمزة تأتي ثم يأتي بعدها حـرف عطـف, مثـل **((أو لم يسيروا)) ((أفلم يسيروا)) ((أثم إذا ما وقع آمنتم به))** وما أشـبه هـذا, فكيـف نقـول فـي إعرابهـا ؟ نقـول: فـي إعرابهـا وجهان للنحويين:

الوجه الأول: أن الجملة معطوفة على ما سبق, وأن الـواو مقدمـة علـى محلها, وأن التقدير في أو لم تك: وألم تكـن, وهـذا الـوجه ليـس فيـه إلا دعوى التقديم والتأخير لكنه سهل, يعني يسهل أن تقول: هـذا معطـوف على ما سبق.
وقال بعضهم: إن الهمزة داخلة على جملة محذوفة, فالجملـة مسـتأنفة, هذه الجملة يكون تقديرها بحسب السياق, ففـي قـوله تعـالى: ((أو لـم يسيروا)) التقدير: أغفلوا ولم يسـيروا, وهـذا مـن حيـث القواعـد أقعـد, لكنه تواجهك أحيانا آيات لا تستطيع أن تعرف ما هو المقـدر, فصـار هـذا أقعد وذاك أسهل؛ الوجهان ؟ ...
ما الذي قلنا في مثـل هـذه الـتركيب: **((أو لم يسـيروا)) ((أفلـم يسيروا))** ؟
الوجه الأول: أن تكون الجملة معطوفة على ما سبق, وليس في هــذا إلا أن نقول: الواو مؤخر عن مكانه.
الوجه الثاني: أن تكون الهمزة داخلة على جملة محذوفة مقدرة, وتقــدر حسب السياق, وهذه أقعد ولكن فيها صعوبة في التقدير, لأنـك أحيانـا لا تكاد تعرف ما الذي يناسب المقام وتلـك أسـهل؛ هـذا الإعـراب فـي كـل تقدير يجيئك على هذا الوجه طيب.
وقوله: **((أو لم تك تأتيكم))** الاستفهام هنا للتقرير, ويقال كلما دخل الاستفهام على نفي فهـو للتقريـر, كقـوله تعـالى: **((ألم نشـرح لـك صدرك))** **((ألم يك نطفة من مني))** **((أليس اللـه بعزيـز ذي انتقام))** وما أشبه ذلك, يقولون: كلما دخل الاستفهام على النفي فهو للتقرير, طيب إذن نحن نقول للتقرير, لكن هل يخرج عن معنى التقريــر أو يضم إلى معنى التقرير معنى آخر بحسب السياق ؟
الجواب: نعم ففي قـوله: **((ألم نشـرح لـك صـدرك))** هـو للتقريـر إظهارا لمنة الله عليه **((أو لم تك تأتيكم رسلكم))** للتقريــر توبيخـا وتنديما طيب.
قـالوا: **((بلـى))** جـواب الاسـتفهام المقـرون بـالنفي الإثبـات ببلـى, وجواب الاستفهام غير المقرون بالنفي الإثبات بنعم, وجـواب الاسـتفهام المقـرون بـالنفي فـي حـال النفـي نعـم, وجـواب الاسـتفهام المقـرون بالإثبات في حال النفي لا, اعرفوا الفرق.
يقال أن ابن عباس رضي الله عنه وعن أبيه قال في قوله تبارك وتعالى: **((ألست بربكم قالوا بلـى))** قـال: **" لـو قـالوا نعـم لكفـروا "**

وقال الفقهاء لو قيل للرجل ألست طلقت امرأتك فقال: نعم, لم تطلق. وإن قال: بلى, طلقت.
طيب قال ابن عباس: لو قالوا نعم لكفروا, وهذا مسلم فيما إذا كان الإنسان يعرف اللغة العربية جيدا, وأما العامي فعنده نعم وبلى سواء, ولهذا لو قيل للعامي: ألست طلقت امرأت, قال: نعم, على القول الصحيح تطلق, العبرة بالمعاني, على أنه جاء في اللغة العربية جواب هذا بنعم, ومنه قول العاشق:
أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك لنا تداني
أم عمرو معشوقته.
نعم وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علاني
فقال: نعم, لكن الرجل هذا قنوع اكتفى أن يجمعه الليل مع معشوقته ولو كان في المشرق وهو بالمغرب وكذلك النهار, وترى الهلال كما يراه, هي في المشرق ترى الهلال وهو في المغرب يرى الهلال يكفي, نعم اقتران. على كل حال الآن فهمنا جواب الاستفهام المقرون بالنفي إثباتا بلى, ونفيا نعم, والاستفهام المقرون بالإثبات إثباتا ونفيا لا.
قالوا: **((بلى))** يعني قد أتتنا, ولكنهم والعياذ بالله كفروا **((قالوا فادعوا))** هذا الأمر للتهكم لأن الملائكة تعلم أنهم لن يقبل منهم فقوله: **((ادعوا))** تهكم بهم, والتهكم هو الذي يسمى عندنا في اللغة العربية الهك, هككت عليه يعني لعبت بعقله, فهنا قالوا: **((فادعوا))** تهكما بهم لأن الملائكة تعلم أنهم لن يجابوا.
" ((قالوا فادعوا)) أنتم فإنا لا نشفع للكافرين " لأن الشفاعة للكافرين مضيعة وقت, إذ أن الكافر لا تنفع فيه الشفاعة إلا كافرا واحد نفعت فيه الشفاعة بالتخفيف عنه, أبو طالب نفعت شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام فيه فقط, لو جاء أبو بكر أو عمر يشفع في أبي طالب رد, لكن النبي صلى الله عليه وسلم قبلت شفاعته في عمه أبي طالب فخفف عنه العذاب, لأن أبا طالب حصل منه خير كثير للرسول صلى الله عليه وسلم, وحصل منه ما يسمى بالدعاية العظيمة له حتى قال:
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
هذا قاله في الدين وقال في الرسول:
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
ودافع عنه, وحوصر معه في الشعب, فلذلك قبل الله سبحانه وتعالى

شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أن يخفف عنه, أما شفاعة الرسول في أمه فمنعه الله, في أمه وهي أقرب من عمه, لما استأذن الله أن يستغفر لها قال: لا, ولما استأذنه أن يزور قبرها قال: نعم, أذن له, فزار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه, وقف عليه وجعل يبكي لكن لا يدعوا لها, وأبكى من معه. فالكفار لا تنفع فيهم الشفاعة لأن الشفاعة مضيعة بلا فائدة, ثم هي لن يؤذن فيها من قبل الله, ولا يمكن أبدا شفاعة بدون إذن الله.

قال تعالى: **((وما دعاء الكافرين إلا في ضلال))** وما دعاء الكافرين: ما نافية حجازية, ودعاء اسمها, في ضلال جار ومجرور, وما هل هي حجازية ؟ ... لأنه انتقض النفي, وابن مالك يقول:

إعمال ليس أعملت ما دون إن مع بقا النفي وترتيب زكن

النفي الآن ما بقي, قال: **((وما دعاء الكافرين إلا في ضلال))** صار إثباتا, إذن ما هنا ليست حجازية لاتفاق اللغتين لغة التميميين الحجازيين فيها, وأنها لا تعمل في هذه الحال, **((وما دعاء الكافرين))** أي : ما طلبهم **((إلا في ضلال))** أي في ضياع؛ وقول المؤلف: **" انعدام "** فيه نظر, الضلال الضياع وعدم الاهتداء, فما دعاء الكافرين إلا في ضلال, لا تقبل دعوة الكافر أبدا إلا في حالين:

الحال الأولى: إذا كان مضطرا لقوله تعالى : **((أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء))** ولقوله تعالى: **((وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر))** وإنما أجيبت دعوة المضطر لصدق لجوئه إلى الله, لأن المضطر صادق اللجوء إلى الله.

الحال الثانية: إذا كان مظلوما فإنها تقبل دعوته على ظالمه, لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)** وهذا وإن كان يخاطبه في قوم أسلموا لكنها عامة, وإنما أجيبت دعوة الكافر إذا كان مظلوما إقامة للعدل, لأن الله لم يجب الكافر محبة له ولكن إقامة للعدل, لأنه الآن هناك خصمان مظلوم وظالم, فلإقامة العدل يستجيب الله تعالى دعوة الكافر.

الطالب : في البيت الذي ذكرتم عن أم عمرو قال الجواب: نعم, ولم يقل: بلى. ؟

الشيخ : قلنا هذا شاهد على أنها تجاب بنعم بمعنى بلى, وقلنا لكم إننا إذا قلنا للعامي الذي قيل له ألست طلقت امرأت قال: نعم, قلنا أنها

تطلق, لأن هذه اللغة العامية, وأيضا لها أصل فـي اللغـة العربيـة, وجئنـا بالبيتين هذين.
الطالب : شيخ فيه حديث يدل على ما جاء به هذا البيت من الشاهد على أن الجواب بنعم بدل بلى ؟
الشيخ : هل يطلب الحديث دليلا على إثبات مسألة لغوية ؟
الطالب : نعم, خير من نطق بالفصحى النبي صلى الله عليه وسلم .
الشيخ : لكن إذا جاء عـن العـرب, مـا يحتـاج دليـل لأن قـول العـرب هـو الدليل, ألم تعلم أن بعـض النحـويين يقـول: لا نسـتدل بالحـديث النبـوي على اللغة العربية؛ لماذا ؟ لأن الرواة يجـوزون روايـة الحـديث بـالمعنى, ومن المعلوم أن من بين الرواة من تغيرت لغته, الإمام أحمد قديم ومـن أئمة الحديث, وسمعتموه ـ مر علينا في قواعد اللغة العربية ـ ماذا يقـول في أي شيء ؟ يقول: إيش, وهكذا الرواة ربما نقلوا بالمعنى على لغتهم التي يتكلمون بها, فحصل الخطأ, أما القرآن فنعم لأنه منقول بـالمتواتر, لكن كثيرا من علماء النحو يقولون أنه يحتج بالأحاديث النبوية على اللغـة العربية لأن الأصل عدم التغيير نعم.
الطالب : ... هل يستدل بالآية: ((**قالوا أو لـم تـك تـأتيكم رسـلكم بالبينات**)) على العذر بالجهل ... ؟
الشيخ : نعم لا شك أنها تدل على أنهم لو لم تأتهم لعذروا, لكن قد يقـال أن قصدهم بذلك إقامة الحجة عليهم لأنها قد قـامت, أمـا العـذر بالجهـل فلا شك أن العذر بالجهل ثابت وما عندنا في هذا إشـكال, لا فـي مسـألة الكفر ولا فيما دونها متى كان الإنسان يقول إنه مسلم، ... صـحيح, لكـن إذا قال الرسول لنا إن الله أبى أن يسـتغفر لـه نعـترض علـى اللـه ؟ مـا ندري, قد يكون قامت عليه الحجة لأن فيه بقايا من ديـن إسـماعيل فـي العرب, وفيه ورقة ابن نوفل تنصر.
الطالب : ...
الشيخ : الأصل عدم مخالفة الترتيب, حذف المعلوم كثير, وأنت سـمعته الآن في قوله تعـالى: **((وإذ يتحاجون))** وأن التقـدير: ... حـذف مـا يعلم كثير في القرآن وفي اللغـة العربيـة, لكـن الـترتيب والزحلقـة هـذا قليل, إلا أني قلت لكم أن الإخلال بالترتيب هنا أيسر للإنسان لأنه أحيانـا ترد عليك آيـات مـا تـدري أيـش تقـدر, إلا أن تقـول: إن عرفـت التقـدير فاسلك الأقعد, وإن لم تعرف فاسلك الأسهل, لتكون متتبعا للرخص, ... يعني رخص النحويين ما فيه مانع, نحن قلنا لكم قاعدة مفيـدة جـدا فيمـا

إذا اختلف النحويون في شيء فالصواب الأسهل.
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ))** [غافر :53].
الشيخ : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((وقال الذين في النار لخزنة جهنم ...))** إلى آخر الآية.
من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان شدة حسرة أهل النار لقوله: **((يخفف عنا يوما من العذاب)).**
ومن فوائدها أن أهل النار يتحاجون ويحاجون أيضا, يتحاجون كما سبق فيما بينهم, وكذلك يحاجون غيرهم أو يسألون غيرهم لقوله: **((وقال الذين في النار)).**
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان إحكام الله عز وجل لمخلوقاته كما أحكم مشروعاته حيث جعل للنار خزنة يحفظونها ويقومون عليها.
ومن فوائد هذه الآية شدة خجل أهل النار من مخاطبة الله عز وجل, أنهم توسلوا بقول الخزنة أن يدعوا ربهم ولم يقولوا ادعوا ربنا, هذا يدل على أن هذا بعد أن قال الله لهم: **((اخسؤوا فيها ولا تكلمون)).**
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل النار في أشد ما يكون من العذاب, تؤخذ من: **((يخفف عنا يوم من العذاب))** يدل على أن عليهم شدة. وأنهم يتمنون يوما واحدا فقط.
ثم قال تعالى: ((**قالوا أو لم تك تأتيكم** ...)) إلى آخره.
من فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل النار يعذبون عذابا بدنيا وعذابا قلبيا, التقريع والتوبيخ لهم: **((أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات))** فهذا يكون أشد عليهم من عذاب البدن, ولهذا يقولون كما في سورة تبارك: **((لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)) قال تعالى: ((فاعترفوا بذنوبهم))**.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن لكل أمة من أهل النار رسولا.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن لكل أمة من أهل النار رسولا: **((تأتيكم رسلكم))** كل أمة لها رسول.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى لم يرسل رسولا إلا بآيات تدل على أنه رسول الله حقا, لقوله: **((بالبينات))** طيب.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الاهتمام بالوصف أشد من الاهتمام بالأصل, لأن الوصف هو الذي يبين الأشياء من قوله: **((بالبينات))** ولم يقل: بالآيات البينات, حيث أتى بالوصف وطوى ذكر الموصوف لأن المهم هو الوصف طيب.
ومن فوائد الآية الكريمة: تهكم الرسل بهؤلاء أي بأهل النار: **((قالوا فادعوا))** هذا من باب التهكم بهم, لأن الملائكة يعرفون أنهم لن يجابوا طيب.
ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا قبول لدعاء الكافرين: **((وما دعاء الكافرين إلا في ضلال))** طيب.
هل يشمل هذا دعاء المسألة ودعاء العبادة, أو دعاء المسألة فقط, أو دعاء العبادة فقط ؟
يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة طيب. ما الذي يستثنى من دعاء المسألة في إجابة الكافر ؟
المضطر والمظلوم, ما هو الدليل على استثناء المضطر أنه يجاب ولو كان كافرا ؟
الطالب: **((أمن يجيب المضطر إذا دعاه)).**
الشيخ: طيب قد يقول لك قائل هذه في المسلم, نعم إذا ادعى أنه يخرج منها الكافر قلنا أين الدليل ؟ طيب هذا صحيح, لكن نريد نصا واضحا في إجابة الكافر في حال الضرورة ؟
قوله تعالى: **((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ))** [العنكبوت :65] طيب صحيح.
ما الحكمة من إجابة الكافر في حال الضرورة ؟ لأنه في هذه الحال يكون مخلصا لله في الدعاء, مظهرا للافتقار إليه, فيجيبه الله.
المظلوم ؟ الدليل على أنه يجيب دعوة الكافر المظلوم ؟
الطالب: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن في آخر الحديث قال له: **(واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).**

الشيخ: لو قال لك قائل أن المظلوم من المؤمنين ؟
الطالب: لم يخصص في هذا الحديث.
الشيخ: ما الحكمة من إجابة دعوة المظلوم الكافر ؟
الطالب: لإقامة العدل .
الشيخ: أحسنت بارك الله فيك, طيب إذن: ((وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)) يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة, طيب الدليل على أن العبادة لا تقبل من الكافر ؟
الطالب: **((وما منعهم أن تقبل منهم صدقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله)).**
الشيخ: ثم قال الله تبارك وتعالى: ((**إنا لننصر رسلنا** ...)) إلى آخره, الجملة هذه مؤكدة بمؤكدين:
أحدهما: إن والثاني: اللام, وقوله: **((إنا لننصر))** أتى بصيغة التعظيم لأن المقام يقتضيه, إذ أن النصر لابد أن يكون من قوي, ولم يقل الله جل وعلا: أنا أنصر, قال: **((إنا لننصر))** لأن المقام يقتضي العظمة والقدرة والقوة.
((إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا)) رسلنا: جمع رسول, وهم كل الرسل, لأن رسل جمع مضاف, والجمع المضاف يكون للعموم, وقوله: ((والذين آمنوا)) معطوفة على رسلنا أي: وننصر الذين آمنوا, آمنوا بما يجب الإيمان به؛ والإيمان هو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان, فمن أنكر فليس بمؤمن, ومن أقر ولم يقبل فليس بمؤمن, ومن أقر ولم يذعن فليس بمؤمن, فأبو طالب مثلا مقر برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام لكنه لم يقبل ولم يذعن, فلا يكون مؤمنا, فالذين آمنوا هم الذين أقروا بقلوبهم, وأذعنوا واستسلموا بجوارحهم, وقبلوا ما أخبرت به الرسل, هؤلاء هم المؤمنون, وقوله: **((في الحياة الدنيا))** متعلق بننصر, أي: ننصرهم في الحياة الدنيا؛ **((يوم يقوم الأشهاد))** ويوم هذه معطوفة أيضا على ما سبق, وهي متعلقة بننصر, أي: وننصرهم يوم يقوم الأشهاد وذلك يوم القيامة.
و((**الأشهاد**)) جمع شاهد, يقول المؤلف: **" وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب"** هكذا قال المؤلف رحمه الله, خصها بالملائكة, والصحيح أنها أعم من الملائكة, فالملائكة يشهدون, وهذه الأمة تشهد على من سبق كما قال تعالى : **((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس))**

والجلود تشهد, والجوارح تشهد, فكل ما ثبتت شهادته فإنه داخل في قوله: **((ويوم يقوم الأشهاد))** وذلك يوم القيامة, طيب
في هذه الآية الكريمة: تأكيد نصر الله سبحانه وتعالى للرسل والذين آمنوا لقوله: ((**إنا لننصر رسلنا**)).
وفي هذه الآية شبهة استدل بها النصراني يقول: إن الله ثالث ثلاثة ولي عليكم دليل وهو قوله: إنا وقوله: نحن, ونريهم, وما أشبهها مما يدل على الجمع, فإذا أنا أقول ـ يقوله النصراني ـ : إن الله ثالث ثلاثة ولي حجة, فبماذا نجيبه ؟
نجيبه بقولنا: إنك ممن زاغ قلبه, لأنك اتبعت المتشابه, والله عز وجل يقول : **((فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه))** وتركت المحكم المؤكد بأن الله واحد لا شريك له مثل قوله تعالى: **((وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم))** ومثل قوله في تكذيب هؤلاء النصارى: **((لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم))** فهذا النصراني اتبع المتشابه.
وكذلك كل مبطل يحتج بآية فإنه يكون ممن اتبع المتشابه, والله عز وجل حكيم جعل في آياته الشرعية وفي آياته الكونية أيضا ما يكون متشابها ابتلاء وامتحانا للذين آمنوا والذي في قلوبهم زيغ؛ الآن انظر إلى القرآن وانظر إلى السنة تجد في بعض الأحاديث أو في بعض الآيات ما ظاهره التعارض, أو في بعض الأحاديث أو الآيات ما ظاهره باطل, مثلا هذا إن سلمنا وإلا ليس في القرآن ولا السنة الصحيح ما ظاهره باطل إطلاقا, لكن هذا من باب التنزل مع الخصم, ونقول هذا من باب الابتلاء والامتحان.
كذلك في الآيات الكونية نجد أن الله تعالى يصيب الناس بكوارث عظمية تموت بها الأنفس, وتدمر بها البلاد, يفسد بها الحرث والنسل, حتى يبلوا العباد: **((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين))** وانتبه لهذه النقطة وهي امتحان الله تعالى للعباد بما يأتي من الآيات الشرعية والآيات الكونية طيب.
إذن رددنا على النصارى الذي ادعى تعدد الآلهة محتجا بمثل قوله تعالى**:** **((إنا لننصر رسلنا))** إلى آخره.
وفي الآية إشكال وهو أن الله تعالى ذكر أن من الناس من يقتلون

الأنبياء بغير حق, يقتلون الأنبياء, فأين النصر في الحياة الدنيا لمن قتل ؟
والجواب من أحد وجهين: إما أن يكون المراد بالنصر نصر ما جاؤوا به من الشرع وبيان أنه حق, وهذا ثابت لكل رسول, وهل تأييد ما جاء به الرسول نصر له أو لا ؟ نصر له, لا شك أنه نصر, وحينئذ لا يستثنى من الرسل أحدا إذا قلنا أن المراد بالنصر نصر ما جاؤوا به من الحق طيب.
وإما أن يراد برسلنا الذين أمروا بالجهاد, لأن النصر يقتضي أن يكون هناك جهاد ينتصر فيه أحد الطرفين على الآخر, فيكون المراد بالرسل هنا ليس جميع الرسل بل من أمروا بالجهاد, وحينئذ يزول الإشكال, هذا باعتبار النصر في الحياة الدنيا أما باعتبار النصر يوم يقوم الأشهاد فلا يستثنى أحد ولا إشكال فيه.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن نصر الله العبد في الدنيا نعمة, يعني له أن يفرح بها, للإنسان أن يفرح بما أعطاه الله تعالى من النصر سواء نصرا فعليا أو قوليا, المهم أن الإنسان إذا نصره الله عز وجل على من ناوأه يعتبر هذا نعمة ومنة من الله عز وجل, فليفرح به الإنسان لقوله تعالى : **((قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا))**.
من فوائد الآية الكريمة: إثبات الأشهاد يوم القيامة لقوله: **((ويوم يقوم الأشهاد))** طيب.
من فوائد الآية الكريمة: التحذير من مخالفة الرسل من ذلك اليوم الذي يقوم فيه الأشهاد, لأنه في ذلك اليوم لا يستطيع أحد أن يكذب, يعني لو أن الإنسان أنكر وكذب تشهد عليه جوارحه.
قال الله تعالى : **((ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين))** يقولون هذا لأنهم يشاهدون المخلصين ينصرون يوم القيامة, فيقولوا: **((والله ربنا ما كنا مشركين))** رجاء أن ينصروا معهم فيقول الله عز وجل: **((انظر كيف كذبوا على أنفسهم))** هم كذبوا على أنفسهم لأنهم يقولوا: والله ربنا ما كنا مشركين وهم مشركون, بل قال الله تعالى : **((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون))**.
الآن استدركنا على المفسر رحمه الله قصره الأشهاد على الملائكة, وقلنا إنها أعم.
ثم قال الله تعالى: **" ((يوم لا ينفع)) بالياء والتاء "** بالياء ينفع, بالتاء تنفع, إذن هما قراءتان سبعيتان, لأن المؤلف إذا أتى بصيغة القراءة على هذا الوجه فمعناه أنهما قراءتان سبعيتان, أما إذا قال:

وقرئ فهو للقراءة الشاذة طيب, بالتاء واضح, بالتـاء واضـح لأن معـذرة مؤنث فالفعل يكون معها مؤنثا؛ لكن بالياء, نقول:
أولا: أنه فصل بين الفعل والفاعل.
وثانيا: أن التأنيث هنا ليس حقيقيا, وابن مالك يقول:
وإنما تلزم فعل مضمر متصل أو مفهم ذات حر
((يـوم لا ينفـع الظـالمين معـذرتهم)) المـراد بالظـالمين هنـا الكـافرون, قـال اللـه تعـالى: **((والكـافرون هـم الظـالمون))** **((معذرتهم))** عندي بالشرح قال: " **عذرهم أو اعتذارهم** " يعنـي عذرهم فيما سبق, أو اعتذارهم فيما لحق في ذلك اليـوم, هـم يعتـذرون لكن لا يقبل ((لا يؤذن لهم فيعتذرون)).
" ((ولهم اللعنة)) أي البعد من الرحمة ((ولهم سوء الدار)) " لهم اللعنة: كيف قال: لهم اللعنة, هل اللعنة مطلوبة حتى تـأتي بـاللام ؟ قيل إن اللام هنا بمعنى على, كقوله تعالى: **((أولئـك عليهـم لعنـة الله))** عليهم, فاللام هنا بمعنـى علـى, والصـواب أن اللام علـى بابهـا, وأنها ليست بمعنى على بل, هي بمعنى الاستحقاق, يعني: أنهـم يلعنـون لعنا يستحقونه, فهي أبلغ من قولك: عليهم, من وجه, وتلك أبلغ من وجه آخر؛ المهم أن اللام هنا على معناها الأصلي: الاستحقاق.
وهنا نقول لكم: إذا ورد تفسيران في كتـاب اللـه العزيـز أحـدهما يؤيـده اللفظ والثاني لا يؤيده اللفظ, نؤخذ بالأول, وإن كـان كـل مـن المعنيين محتملا, لكن ما يوافق ظاهر اللفظ هو الأولى.
((ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)) اللعنـة هـي البعـد عـن الرحمـة, وقـوله اللعنـة لـم يـبين ممـن فتعـم **((أولئـك عليهـم لعنـة اللـه والملائكـة والنـاس أجمعيـن))** وفـي آيـة أخـرى **((ويلعنهـم اللاعنون))** فكل شيء يلعنهم, نسأل الله العافية.
" ((ولهم سوء الدار)) الآخرة أي شدة عذابها " لهم سوء الدار: يحتمل أن تكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أي: الدار السـوء, ويحتمل أن يكون على بابها والمعنى: لهم سـوء الـدار, أي: السـيئ فـي الدار؛ وعلى كل حال ما المـراد بسـوء الـدار ؟ يقـول المؤلـف: " **شدة عذابها** " ولكن لو قيل إن سوء الدار: ما يسوء من العذاب الشديد وغير الشديد, لكان أعم.
((يـوم لا ينفـع الظـالمين ...)) إلـى آخـره, موضـع يـوم لا ينفـع الظـالمين ممـا قبـل, نقـول: هـي بيـان, يعنـي عطـف بيـان مـن قـوله:

((ويوم يقوم الأشهاد)).
فيستفاد من ذلك فوائد:
أولا: أن الظالمين لا ينفعهم العذر ولا الاعتذار يوم يقوم الأشهاد لقوله: **((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم)).**
من فوائدها أيضا أن الكافرين ظلمة وهو كذلك, والشرك بالله أظلم الظلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سؤل أي الذنب أعظم قال : **(أن تجعل لله ندا وهو خلقك)** وهذا حق, الذي خلقك وأعدك وأمدك ثم تشرك به ! هذا أظلم الظلم, إن الإنسان لو أهدى إليه شخص عشرة ريالات لاستحيى أن يناله بسوء, فكيف بمن أهدى إليك حياتك كلها, كيف تكفر به وتشرك به, إذا الشرك أظلم الظلم .
من فوائد الآية الكريمة: أن الكافرين يوم القيامة يتعذرون ولكن لا يقبل لقوله: **((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم))**.
فإن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: **((هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون)**)؟
الجواب بصفة عامة: أن ما ورد عليك مما يكون يوم القيامة أو من أوصاف يوم القيامة مما ظاهره التعارض فاعلم أنه لا تعارض فيه, سواء كان ذلك في وصف اليوم أو في وصف المحشورين أو في وصف العذاب فإنه لا يمكن أن يكون فيه التعارض أبدا؛ لأن اليوم طويل, مقدار اليوم خمسون ألف سنة, فيمكن أن تتغير فيه الأحوال, يكون أوله للناس حال وآخره للناس حال وما أشبه ذلك.
فمثلا قوله تعالى : **((هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون)**) هذا يدل على أنهم في ذلك اليوم هم سكوت لا يؤذن لهم بأي كلام فينتهزوا الفرصة بالاعتذار, لكن في موقف آخر يعتذرون, ولكن لا ينفعهم الاعتذار, وهذا أولى من قول بعض العلماء: **" ((يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم)) لو اعتذروا "** لأنه على هذا التقدير يكون الكلام كلاما فرضيا لا واقعيا, لا ينفعهم لو اعتذروا, فأيهما أولى أن نحمل الكلام على أنه واقع أو على أنه مفروض ؟ الأول, على أنه واقع, نحن نقول: يعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت آخر.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكافرين مستحقون للعنة الله.
فهل يعني ذلك أنه يجوز أن نعلن الكافرين ؟
الجواب: أما على سبيل العموم فنعم, لنا أن نقول لعنة الله على كل الكافر, وكان من قنوت أبي هريرة رضي الله عنه أنه يعلن الكفرة في

قنوت الوتر: **" اللهم العن الكفرة الذين كذبوك وكذبوا رسـولك "** هذا لا بأس به طيب.
وهل نلعن نوعا معينا من الكفرة كاليهود والنصارى ؟ نقول: اللهـم العـن اليهود اللهم العن النصارى, الدليل ؟ الطالب: ...
الشيخ: لكن هم معينون, هذا خبر لكن هل يجوز أن ألعنهم ؟ طيـب لكـن قال بعض الناس إمـا اجتهـادا وإمـا محابـاة لليهـود والنصـارى, قـال: إن الرسول دعا عليهم باللعنة فـي حـال معينـة حيـن اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد, لعنهـم كـأنه يقـول: لأنهـم اتخـذوا, فيقـال التعليـل لا يقتضـى تخصيص المعلول, العلة لا تقتضي التخصـيص, هـم لعنـوا مـن أجـل هـذا ومن أجل غيره أيضا.
فالصحيح أنـه يجـوز أن نعلـن اليهـود والنصـارى علـى سـبيل التخصـيص فنقول: لعنـة اللـه علـى اليهـود والنصـارى, سـواء قرنـا بـذلك فعلا مـن أفعالهم يقتضي اللعن أو لا. طيـب إذن لنـا أن نعلـن الكفـار علـى سـبيل العموم وهل نلعنهم على سبيل التعيين ؟
أما إن كان حيا فلا يجوز, لا يجوز أن ألعن شخصا معينا ولو كان من أكفـر الكفار ما دام حيا, الدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صار يقـول: اللهم العن فلانا وفلانا ممن عينهم من أئمة الكفر قال الله تبارك وتعـالى : **((ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فـإنهم ظالمون))** فنهاه وقال: ليس لك من الأمر شيء؛ وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فما بالك بمن دونه طيب.
وأما التعليل فإننا نقول: لا تلعنه, ادع الله له بالهداية, لأنك لا تـدري ربمـا يكون هذا العدو للإسلام اليوم هو ولي الإسـلام فـي يـوم آخـر, ألـم يكـن عمر من أعدى أعداء الإسلام ؟ بلى, ألم يكن خالـدا بـن الوليـد وعكرمـة بن أبي جهل ممن اقتحموا الجبل فـي أحـد ليقتلـوا الرسـول وأصـحابه ؟ بلى, وماذا كانوا ؟ من قواد المسلمين, وكـان عمـر الخليفـة الثـاني فـي هذه الأمة, إذن يا أخي لا تدع على شخص معين من الكفار باللعنة, لكـن هل يجوز أن أدع الله له بالهداية ؟ ... طيب رئيس دولة ؟ أحسـن, طيـب إذا الهداية لا بأس منها أما اللعن فلا .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن الظالمين وهـم الكـافرون لهـم سـوء الـدار يوم القيامة, وهي جهنم والعياذ بالله لقوله تعالى: **((ولهم سوء الدار)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذا العذاب أي هذا اللعن وهذا السـوء كـان

هؤلاء مستحقين له لقوله: **((لهم اللعنة ولهم سوء الـدار))** واللـه أعلم.

الطالب: ...

الشيخ: كيف يكون النصر تأييـدا ؟ أي نعـم, كـون اللـه عـز وجـل يقـول: **((واذكر في الكتاب إدريس))** واذكر في الكتـاب فلان, أليـس هـذا نصرا ؟ نصر, إن الله يرفع لهم ذكرهم ويبين أنهم على حق نعم.

الطالب: ...

الشيخ: يقولون إنا للجمع أو للواحد ؟ للجمع, هذا الأصل إنا ونحن ونفعـل ونأمر وما أشبه ذلك للجماعة, نحـن نقـول: هـذا مـن المتشـابه, واللغـة العربية جاءت بإسناد مثـل هـذا إلـى الواحـد مـن بـاب التعظيـم, ولـذلك يقولون نحن للواحد المعظم نفسه أو للجماعة, هو ضمير جمع, كـل آيـة فيها ضمير جمع.

الطالب : ما الفرق بين التوبيخ والتقريع ... ؟

الشيخ : ما أعرف بينهما فرقا, اللهم إلا يكون فرقا قليلا يمكـن أو يقـال: التوبيخ على أمر مضى, والتقريع والتنديم على أمر حاضر .

الطالب : ... ؟

الشيخ : نحن يا إخوان ذكرنا: إجابة دعـوة الكـافر إذا دعـا لنفسـه, أصـل الكلام: هل ينتفع الكافر بـدعائه أو لا؟ ومعلـوم أنـه إذا دعـا علـى نفسـه وأجيب فهذا ضررا عليه .

الطالب : ... ؟

الشيخ : إذا كان ميتـا فـإنه ينظـر هـل فـي ذلـك مصـلحة ؟ إن كـان فيـه مصلحة فلا بأس, يعني إذا كان فيه مصلحة وأنك ستغيظ أتباعه فلا بأس, وإلا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا).**

الطالب : ... ؟

الشيخ : بالهلاك ؟ طيب عنـدنا الآن دعـاء بـالهلاك ودعـاء باللعنـة ودعـاء بالهداية, الأحسن الهداية, بدل ما تقول: اللهـم أهلكـه؛ ... يعنـي أن اللـه يقدر أن يهلكه ولا يقدر أن يهديه ؟ ... ما يمكـن إنسـان أن يقـول: اللهـم أهلكه بدل: اللهم أهلكه إلا من شدة الغيرة أو الغضب عليه, نحـن نقـول هدئ, ... مـا يخـالف, لكـن إذا هـداه اللـه جعـل بـدل هـذه الأذيـة منحـة وعطية, نعم إن أردت أن تقول: اللهم أهلكه مادام مضادا للمسلمين وما أشبه ذلك, فتقيد نعم.

القارئ : أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم: **((وَلَقَدْ آتَيْنَـا مُوسَـى الْهُـدَى وَأَوْرَثْنَـا بَنِـي إِسْـرَائِيلَ الْكِتَـابَ هُـدًى وَذِكْـرَى لِأُولِـي الْأَلْبَابِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِـذَنْبِكَ وَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِـي آيَـاتِ اللَّـهِ بِغَيْـرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْـتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))** [غافر :55]

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى : **((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُـدَى وَأَوْرَثْنَـا بَنِـي إِسْ رَائِيلَ الْكِتَـابَ))** هـذه الجملـة: **((ولقد آتينا))** مؤكدة بثلاثة مؤكدات:

الأول: القسم الذي دلت عليه اللام, والثاني: اللام, والثالث: قـد, وهـذه الصيغة تأتي في القرآن كثيرا.

وقوله: **((آتينا))** بمعنى أعطينا, يقال: أتينا, ويقال: آتينا, أتينا بمعنـى: جئنا, وآتينا بمعنى: أعطينا, وهي تنصب المفعولين ليس أصـلهما المبتـدأ والخبر, المفعول الأول هنا: موسـى, والثـاني: الهـدى. موسـى هـو ابـن عمران أحد أولي العزم الخمسة, وهم: محمـد وإبراهيـم وموسـى ونـوح وعيسى.

وقوله: **((الهدى))** أي: ما به الهدى, وهذا يشـمل الهـدى الـذي أوتيـه حتى اهتدى والهدى الذي يهتدي به الناس, فيكون موسـى عليـه السـلام هاديا مهديا.

قال المفسر: **" التوراة والمعجزات "** أما التـوراة فظـاهر أنـه هـدى لأنهـا كتـاب شـرعي فيـه الهـدى, وأمـا المعجـزات والصـواب أن يقـال: البينات أو الآيات فإنها هدى لأنه يهتـدي بهـا النـاس, إذ أن النـاس إذا رأوا الآيـات اهتـدوا. **((وأورثنـا بنـي إسـرائيل الكتـاب))** أورثنـا بنـي إسرائيل أي جعلناهم وارثين, ويقول المؤلف: **" أي من بعد موسى "** ويمكن أن نقول: أورثناهم من بعد موسى ومن بعد فرعون, فيكون اللـه تعالى أورث بني إسرائيل الكتاب من بعد نبيهم ومن بعد فرعون كما قال الله تعالى : **((كذلك وأورثناها بني إسرائيل)).**

" ((الكتاب)) التـوراة " وسـميت كتابـا لأنهـا مكتوبـة, وعلـى هـذا فيكون كتاب بمعنى مكتوب, وهذه الصيغة أعني: فعالا, تـأتي فـي اللغـة العربية بمعنى مفعول في مواضع كثيرة مثل: بنا بمعنى مبنـي, وغـراس بمعنى مغروس, وفراش بمعنى مفروش, وهلم جرا.

((وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألبـاب))

هدى: يحتمل أن تكون كما قال المفسر مصدرا بمعنى الحال, أن تكون مصدرا بمعنى اسم الفاعل منصوبا عن الحال, حيث قدرها بقوله: " **هاديا** ", ويحتمل أن تكون مفعولا من أجله, أي: من أجل الهدى, أي: من أجل اهتداء الناس.

" **((هدى وذكرى لأولي الألباب))** تذكرة لأصحاب العقول " فهي هدى وهي تذكرة, هدى يهتدي بها الناس, وتذكرة يتذكر بها, ولكن لا يتذكر بها إلا أولي الألباب, فأولوا الألباب يعني أصحاب العقول, وسمي العقل لبا بمنزلة اللب من الحب, لأنه هو المقصود وهو روح الإنسان.

وقوله: **((وذكرى لأولي الألباب))** اجمعها إلى قوله تعالى : **((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ))** [آل عمران :190] يتبين لك أن الذين ينتفعون بالآيات الكونية كخلق السموات والأرض والآيات الشرعية هم أصحاب العقول, لأنهم ينظرون ويتفكرون ويقيسون الأشياء حتى يهتدوا.

في هذه الآية من الفوائد: منة الله سبحانه وتعالى على موسى صلى الله عليه وسلم حيث آتاه الهدى, وهذه أعظم منة يمن الله تعالى بها على العبد أن يعطيه الهدى يهتدي به بنفسه ويهدي به غيره.

ومنها تأكيد رسالة موسى من قوله: **((ولقد آتينا)).**

وعلى هذا فيجب علينا أن نؤمن بأن موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن إلى قومه, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة)** لكن نؤمن بأنه رسول حق, وأنه جاء بالهدى والنور.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: منة الله على بني إسرائيل حيث قال: **((وأورثنا بني إسرائيل الكتاب))**.

ولكن هل هؤلاء الذين أورثوا الكتاب هل قاموا به ؟ الجواب: لا, ما قاموا به, بل كانوا عتاة ظلمة, بل حتى في عهد نبيهم ما قاموا به, لما قال لهم: **((يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين))** ماذا قالوا ؟ قالوا: **((إن فيها قوما جبارين))** إلى أن قالوا: **((فاذهب أنت وربك فقاتلا))** أما نحن **((إنا هاهنا قاعدون))** مع أنه وعدهم بها قال: **((الأرض التي كتب الله لكم))** لكنهم كذبوا الخبر واستكبروا عن الأمر, فهم أعني بني إسرائيل ولاسيما اليهود منهم أخبث أهل الأرض

وأعتى أهل الكفر, لم يشكروا نعمة الله عليهم بهذه النعمة.
أما هذه الأمة فقال الله تعالى : **((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا))** وهم هذه الأمة **((فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير))** طيب.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن التوراة مكتوبة لقوله : **((الكتاب))** كيف كتابتها ؟ اقرأ قول الله تعالى : **((وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها))**.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن التوراة ذكرى لكن ليس لكل أحد بل لأولي الألباب .
ومن فوائدها أنه لا يتذكر بالآيات الشرعية إلا أولي الألباب وكذلك الآيات الكونية.
ومن فوائد الآية الثناء على العقل لأن أهله هم أهل التذكر الذين ينتفعون بما سمعوا.
والمراد بالعقل هنا هل هو عقل الإدراك أو هو عقل الرشد ؟ الثاني عقل الرشد, أما عقل الإدراك فهو الذي يناط به التكليف الذي تجدونه في كتب الفقهاء من شروط الطهارة العقل, هذا عقل الإدراك الذي يناط به التكليف, أما عقل الرشد الذي به الاهتداء فقل من يحصل عليه.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل من لم يتذكر بآيات الله فإنه ليس ذا عقل.
فإن قال قائل: يرد عليكم أنا نجد في أئمة الكفر من هو على جانب كبير من الدهاء والذكاء ؟
فالجواب أن هناك فرقا بين العقل والذكاء. لأن العقل يعقل صاحبه عما يضره, ولهذا سمي عقلا بمنزلة العقال للبعير, لكن الذكاء ليس كذلك, الذكاء غريزة أو كسب يجعله الله تعالى في الإنسان وربما يكون بعض الحيوانات أذكى من الإنسان, الغراب أذكى من ابن آدم الذي قتل أخاه, لأنه علمه كيف يواري سوءة أخيه؛ في الحيوانات ما هو أذكى من بني آدم, النملة هذه التي تشاهدون من أذكى الحيوانات, إذا كان في أيام الحبوب حفرت لها جحورا وأودعت فيها هذه الحبوب, ولكنها لا تودع الحب على ما هو عليه تأكل رأس الحبة لئلا تنبت, لأنه تعرف أنه إذا بقيت الحبة على ما هي عليه نبتت وخربت على نفسها.

من فوائدها وجوب الإيمان بالبعث لأنه خبر من اللـه مؤكـد, وكـل أخبـار الله تعالى صدق, وكل وعد الله حق.
ومن فوائد الآية الكريمة: النهي عن الارتياب في هذه الساعة لأن قـوله: **((لا ريب فيها))** يحتمـل أن يكـون خـبرا مجـردا للتأكيـد ويحتمـل أن يكون خبرا بمعنى النهـي, أي: فلا ترتـابوا فيهـا نعـم. ونظيـر ذلـك قـوله تعالى : **((ذلك الكتاب لا ريب فيه))** فإن فيه تفسيرين:
الأول: أنه خبر محض, والثاني: أنه خبر بمعنى النهي, أي: لا ترتابوا فيه.
ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة: أن أكـثر النـاس لا يؤمنـون بهـذه السـاعة وينكرونها يقولون: **((من يحيي العظام وهي رميم)) ((ما هــي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: الرد على كلمـة مشـهورة, بـل إبطـال الكلمـة المشهورة وهو أن الإنسان إذا مات قالوا: عـاد إلـى مثـواه الأخيـر, فـإن هذه جملة باطلة لأن القبر ليس المثوى الأخير, المثوى الأخير هـو الجنـة أو النار, أما القبر فإنه زيارة, معبر, كما أن الدنيا معبر كذلك القبر معبر, ولهذا سمع أعرابي قارئا يقرأ قول الله تعالى : **((ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)**) فقال الأعرابي: والله ما الزائر بمقيم, وإن هناك شيئا وراء القبور؛ استنبط من: ((زرتم)) الزائر يبقى مدة ثم يرتحل, طيب.
إذن إذا سمعنا من يقول: إن هذا دفن في مثواه الأخير أو مـا أشـبه ذلـك فإننا ننكر عليه, ونقول: اعدل عن هذه الكلمة, لأنها كلمـة مضـمونها لـو اعتقده القائل لكان كافرا.
ثم قال الله تبارك وتعالى : **((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي ...)**) إلى آخره.
من فوائد الآية الكريمة: إثبات القول لله عز وجل.
وهذا القول هل هو قول نفسي لا يظهر أو هو قول ظاهر ؟ الثـاني, قـول ظاهر, لأن القول النفسي إذا أريد قيـد, كمـا فـي قـوله تبـارك وتعـالى : **((ويقولـون فـي أنفسـهم لـولا يعـذبنا اللـه بمـا يقـول))** **((يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك))** فإذا أطلق القـول صـار المراد به الكلام المسموع, وهذا قول السلف وأئمة الخلف أن الله يتكلم ويقـول بقـول مسـموع وبحـرف. **((ادعوني أسـتجب لكـم))** هـذه كلمات مركبة من حروف أو لا ؟ إذا يتكلم بحرف وصوت عز وجل.
وقول من قال: إن كلام الله هو المعنـى القـائم بـالنفس, وأن مـا يسـمع عبارة عن كلام الله, خلقه الله ليسـمعه النـاس وإلا فـإن كلامـه مـا فـي

نفسه فقط. باطل, أي هذا قول باطل, لأننا إذا فسرنا القـول بهـذا صـار معناه العلم وليس القول. والآن نريد أن نقارن بين قولين:
قول يقول: ما في المصحف فهو كلام الله مخلوق, وقول آخر يقول: مـا في المصحف فهو عبارة عن كلام الله مخلوق, أيهما أقرب إلى الصـواب ؟ الأول قول الجهمية والمعتزلة, والثاني قول الأشـاعرة, فتـبين الآن أن قول المعتزلة والجهمية في كلام الله خيـر مـن قـول الأشـاعرة, مـع أن الأشاعرة يدعون أنهم من أهل السنة والجماعة, وكيف يكون هـذا ؟ إذن نثبـت مـن هـذه الآيـة القـول للـه, والقـول لا يكـون إلا بنطـق مسـموع وبحروف طيب .
ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة: بيـان عظمـة الـرب وتعـاظمه مـن قـوله: **((وقال ربكم))** فإن هذه الصيغة تدل على عظمة القائل عز وجل.
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الربوبية لله, وهي تنقسم إلـى قسـمين: عامة وخاصة.
فالعامة: الشاملة للخلق, وهي تربية الخلق بالنعم, وتغذيتهم بالنعم.
والخاصة: هي تربية عباد الله المؤمنين حيث رباهم الله عز وجل على ما يحب, وقد اجتمع النوعـان فـي قـوله تعـالى عـن السـحرة ـ سـحرة آل فرعون ـ : **((قالوا آمنا برب العـالمين رب موسـى وهـارون))** العامة الأول **((رب العالمين))**, **((رب موسى وهارون))** خاصة طيب.
ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب دعاء اللـه أو اسـتحباب دعـاء اللـه ؟ ... من قوله: **((ادعوني أستجب لكم))** لأنها تتضمن لا تدعوا غيري.
من فوائد الآية الكريمة: أن الله تكفل ووعد الداعي بـأنه مجـاب لقـوله: **((استجب لكم)).**
فإن قال قائل: ندعو كثيرا ولا نرى إجابة, ونعمل كثيرا ولا نحس بقبول ؟
الجـواب أن نقـول: الأسـباب لا تـؤثر إلا إذا وجـدت محلا قـابلا, أرأيتـم السكين إذا قددت بها اللحم ينقطع, إذا قدت بها الحديد لا ينقطع, مع أنها في اللحم بتارة وفي الحديد ما تعمـل شـيئا, فالسـبب لابـد أن يكـون لـه محل قابل وإلا فلا أثر له, ففي العبادة يعبد الإنسان ربه ولا يشعر بقبـول لوجود سبب يمنع ذلك:
إما فوات شرط أو ركـن أو واجـب, أو حـدوث مفسـد, وإلا لـو أنـا أقمنـا العبادات على ما طلب منا لوجدنا لها أثرا **((وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكـر))** مـن منـا يشـعر إذا صـلى بكراهـة

الفحشاء والمنكر ؟ والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر, فلماذا لا نشعر بهذا ؟ لأننا مقصرون.
في الدعاء دائما ندعو الله عز وجل ولا نرى إجابة, فنقول فيها كما قلنا في الأول: إن السبب لا بد له من محل قابل, فإذا دعا الإنسان ربه لكن قد فاته شيء من آداب الدعاء الواجبة أو المستحبة, أو وجد مانع يمنع من قبول الدعاء, فليس الخلل في الدعاء بل الخلل في الداعي والمحل.
ولنضرب مثلا بإنسان دعا وهو لا يشعر بالافتقار إلى الله عز وجل, ولا يشعر بالفرار إلى الله, فهذا دعاؤه ناقص جدا, إذا قلت: رب اغفر لي مثلا, لابد أن تشعر أن هناك ذنوبا تحتاج إلى مغفرة, وأنك في أشد ما يكون من الضرورة إلى مغفرة هذه الذنوب, لأن هذه الذنوب إذا لم تغفر فيا ويلك, ذنب مع ذنب يكون كبيرة, ولهذا نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن محقرات الذنوب وقال : **(إن مثلها كمثل قوم نزلوا أرضا فأتى كل واحد منهم بعود فجمعوا حطبا كثيرا وأضرموا نارا كبيرة)** مع أن الواحد منهم أتى بعود واحد؛ فالمهم أنك لابد أن تشعر حين الدعاء أنك في غاية الضرورة إلى الله عز وجل.
ثانيا: من الآداب التي فقدها سبب لمنع الإجابة أن يكون عندك شك في استجابة الله لدعائك, مثل أن تستعظم المدعو به, تستعظمه تقول: هذا ما هو بحاصل, فهذا غلط, هذا مما يمنع الإجابة, ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قول القائل: اللهم اغفر لي إن شئت وقال : **(فليعزم في المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).**
كذلك أيضا من أسباب منع الإجابة أن يدعو الإنسان بإثم أو قطيعة رحم, فيدعوا بإثم, مثل أن يدعو على شخص لا يستحق الدعاء عليه, فهذا إثم, كأن يدعوا على ولي أمر أساء في مسألة من المسائل, فيقول: اللهم لا توفقه وما أشبه ذلك, اعتداء في الدعاء, إذا رأيت ولي أمر صغيرا كان أو كبيرا أخطأ فليس علاجه أن تقول: اللهم لا توفقه, علاجه أن تقول: اللهم وفقه, يصلح ويصلح الله به, هذا من الاعتداء في الدعاء الذي لا يقبل؛ من الاعتداء في الدعاء أن تدعو بقطيعة رحم, أيضا لا يقبل طيب. دعاء الظالم على مظلومه ؟ ... لأنه إثم.
رابعا: من موانع القبول أكل الحرام, لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب,

كل هذه الوجوه الأربعة من أسباب إجابة الدعاء, ومطعمه حرام, وملبسه حرام, وغذي بالحرام, قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(فأنى يستجاب لذلك).** هذه كلها تمنع أو تحول بين الإنسان وبين قبول دعائه واستجابة الله له.

فإذا لم يوجد موانع, وكان المحل صالحا وقابلا, بقي ما فوق ذلك, السبب الآن وافر ومتوفر, لكن بقي شيء وراء ذلك وهو مشيئة الله عز وجل, قد يدفع الله عن الإنسان من الشر ما هو أعظم مما طلب, وقد يجيب ما طلب, وقد يدخر ذلك له أجرا يوم القيامة كما جاء في الحديث, وإلا فنحن واثقون غاية الثقة من صدق قوله تعالى: **((استجب لكم))** وأنه لا بد أن يكون, نعم.

الطالب : أحسن الله إليكم هل ما يقوم في النفس أو القلب يسمى قولا ؟

الشيخ : لا, إلا إذا قيد, فقيل: قال في نفسه **(ما حدثت به أنفسها)** نعم.

الطالب : قول الأشاعرة: ما يقوم بالنفس, هل كلامهم هذا صحيح ؟

الشيخ : لا هذا غير صحيح, هذا كلام باطل, ولهذا الآن وازنا بين قولهم وبين قول المعتزلة, فصار قول المعتزلة أقرب إلى الصواب منهم, لأنهم يقولون: هذا الذي في المصحف كلام الله مخلوق, وهو كلام الله حقيقة لكنه مخلوق, وأولئك يقولون: مخلوق وهو عبارة عن كلام الله.

الطالب : ... قول عمر رضي الله عنه: لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء ؟

الشيخ : نعم يقصد أن الإنسان قد لا تتوفر له أسباب القبول, وأنتم الآن حاسبوا أنفسكم, هل أنت إذا كنت في الصلاة وقلت: رب اغفر لي وارحمني هل تشعر بأن هناك ذنوبا ثقيلة تسأل الله الخلاص منها ؟ أو أنها كلمة تقولها لتأتي بالواجب, الواقع أننا إذا حاسبنا أنفسنا وجدنا عندنا نقصا عظيما, الإنسان إذا دعا الله عز وجل بمجرد دعاء الله يستنير قلبه لأن الدعاء عبادة, ولكن نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الطالب : ...

الشيخ : لا, لأن هناك ضوابط كما سمعتم, أكل الحرام, إذا دعا بإثم أو قطيعة رحم, إذا كان قلبا غافلا لاهيا, إذا شك في الأمر, هناك ضوابط معروفة من الشرع.

اقرأ التي بعدها: ((**فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**)) ... هل استجاب لله في آداب الدعاء وفي غيره, يجب أن تعلموا جميعا أن الإطلاقات في موضع لابد أن تقيد بما دل على التقييد في موضع آخر, لأن الشريعة واحدة, خرجت من مشكاة واحدة.

الطالب : يعرف أن هذا الشيء صعب عليه ... ؟

الشيخ : هو لو كان سهلا عليه ما احتاج إلى الدعاء يفعله, يدعو إلا الاعتداء في الدعاء هذا ما يقبل, لو قال: اللهم إني أسألك أن تجعلني من الرسل الكرام, هذا اعتداء في الدعاء, اللهم اجعلني لا أذنب ذنبا, عدوان في الدعاء, أو يقول: اللهم إني أسألك أن تقلب هذا المسجد من ذهب وزمرد, الله على كل شيء قدير, كن فيكون, لكن هذا خلاف العادة, وهو أيضا في الغالب لا فائدة منه ... هذا ممكن ما فيه شيء, الله يجعلك كسيبويه في النحو وكابن تيمية في العلم ونحن إن شاء الله. يقولون أنه سمع واحد يطوف بالكعبة فسمعه شخص وهو يقول: اللهم إني أسالك نحوا كنحو ابن هشام وفقها كفقه شيخ الإسلام.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**))[غافر :64].

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : ((**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**)) هذه الآية سبق الكلام عليها, وذكرنا فوائدها إلى ...

قال الله تبارك وتعالى : ((**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**)) في هذا وعد الله سبحانه وتعالى لكل داع أن يستجيب له, ولكن لابد من شروط أظننا ذكرناها .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الذين يستكبرون عن عبادة الله سيدخلون جهنم على وجه الذل والصغار لقوله: ((**سيدخلون جهنم داخرين**)).

ومن فوائدها أن الجزاء من جنس العمل يعني العقوبة تقابل الجرم,

لأنهم لما استكبروا في الدنيا أدخلوا النار صاغرين في الآخرة **((سيدخلون جهنم داخرين))**.
ومن فوائد الآية الكريمة إثبات النار لقوله: **((جهنم))**.
ومن فوائدها أن الدعاء من العبادة لقوله: **((ادعوني))** ثم قال: **((إن الذي يستكبرون عن عبادتي))**.
ثم قال الله تعالى مبينا نعمته على عباده**: ((الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه))** الله: مبتدأ, والذي: خبره, وجعل بمعنى صير, ونصب المفعولين:
الأول: الليل, والثاني: لكم, والجعل هنا جعل قدري وليس جعلا شرعيا, **((جعل لكم))** اللام هنا هل هي للتعدية أو للتعدية مع التعليل ؟ الجواب الثاني. وقوله: **((لتسكنوا فيه))** اللام للتعليل, والسكون ضد الحركة وضد العمل, وهو شامل لسكون الجوارح وسكون القلب وسكون النفس, ولهذا يجد الإنسان إذا تعب ثم نام يجد أن نشاطه يستجد ويزداد, وقوله: **((والنهار مبصرا))** يعني: وجعل النهار مبصرا هذه معطوفة على الليل.
أي جعل النهار مبصرا, وإسناد الإبصار إلى النهار لأنه موضعه, أي: موضع إبصار الناس, ولهذا قال المفسر : **" إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه "** فهو زمن الإبصار, النهار محل عمل وبصر, طيب.
ثم قال تعالى: **((إن الله لذو فضل على الناس))** أكد الله تبارك وتعالى كونه ذا فضل على الناس بـ إن واللام, وذو بمعنى صاحب, **((لذو فضل على الناس))** فضل: بمعنى إفضال, فالله سبحانه وتعالى هو المتفضل على العباد, ومنه أي من فضله جعل الليل سكنا والنهار مبصرا, وقوله: **((على الناس))** عامة تشمل المؤمن والكافر وهذا هو الواقع, لأن الليل سكن للمؤمنين والكافرين, والنهار مبصر للمؤمنين والكافرين.
((ولكن أكثر الناس لا يشكرون)) يعني مع كون الله ذا فضل على الناس أكثرهم لا يشكر والعياذ بالله, أكثرهم كافر, ولهذه الآية نظائر منها قوله تعالى: **((وما أكثر الناس ولو حرص بمؤمنين))**.
وجاءت السنة بمثل ذلك حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله ينادي يوم القيامة يا آدم أخرج من ذريتك بعثا إلى النار, فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين كلهم في النار, من الألف واحد ينجو.

والشكر هو الاعتراف للمنعم بالنعمة بالقلب واللسان والجوارح, قال الشاعر:
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب
يعني أنكم ملكتم مني ثلاثة بسبب نعمائكم: يدي ولساني والضمير المحجب.
أما الشكر بالقلب فهو أن تعترف بقلبك أن كل نعمة بك فإنها من الله كما قال تعالى : ((**وما بكم من نعمة فمن الله**)), وأفضل النعم نعم الدين ثم العقل ثم يتلوه النعم شيئا فشيئا بحسب حاجتها والضرورة إليها.
وأما باليد يعني بالجوراح اليد أو الرجل أو السمع والبصر فاستعمال هذه في طاعة الله, شكر الجوارح بطاعة الله.
اللسان كذلك, شكر الله باللسان أن تعترف بلسانك بأن ما بك من نعمة فمن الله, وأن تحدث بنعمته عليه لا فخرا واختيالا ولكن افتقارا إلى الله عز وجل واعترافا بفضله سبحانه وتعالى لقوله : ((**وأما بنعمة ربك فحدث**)) ثم تستعمل هذا اللسان في طاعة المنعم, إذن صار الشكر في الحقيقة هو الدين كله القلب واللسان والجوارح.
((**ولكن أكثر الناس لا يشكرون**)) ثم إن الشكر يتبعض, قد يشكر الإنسان ربه على نعمة من النعم دون النعم الأخرى, قد ينعم الله عليه بالمال فيشكر, وينفق في سبيل الله, وينعم الله بالعلم فيكفر, وقد ينعم الله عليه بالعلم فينشر العلم, وبالمال فيبخل, فالشكر يتنوع كما أن الكفر يتنوع, ولكن أكثر الناس لا يشكرون.
((**ذلكم الله ربكم خالق كل شيء**)) هذه الجملة نريد أن نعربها, أولا ذا: لا شك أنها مبتدأ, واللام للعبد, والكاف للخطاب, والميم للجمع, الله: هل نقول أنها بدل أو عطف بيان من اسم الإشارة أو أنها خبر ؟ الظاهر الأول, ربكم: خبر مبتدأ, وخالق كل شيء خبر آخر, لأن الخبر يتعدد, إذ أن الخبر وصف للمخبر عنه, وإذا كان وصفا له, فالأوصاف يجوز أن تتعدد قال الله تعالى : ((**وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد**)) كم خبرا عندنا: الغفور, الودود, ذو العرش, المجيد, فعال, خمسة أخبار, الخبر يتعدد, لأن الخبر وصف للمخبر عنه, فإذا قلت: زيد قائم, فمعناه أن وصفه القيام, والأوصاف يجوز أن تتعدد على موصوف واحد. إذن نقول خالق كل شيء خبر ثاني.
((**خالق كل شيء**)) لا يشذ عن هذه الجملة شيء أبدا, كلية عامة,

خالق كل شيء من الأعيان والأوصاف والأحوال, كل شيء فالله خـالقه, العبد مخلوق, أحوال العبد من مرض وصحة وعقل وجنون وما أشبه ذلك مخلوقة, أفعاله مخلوقة, كل شيء فإنه مخلوق لله عز وجل لا يشذ عـن هذه الجملة شيء أبدا, حتى العجز والكيس وهـو مـن الأوصـاف, العجـز يعني أن الإنسان يكون غير حازم, والكيس يكون حازما, طيب.
((لا إله إلا هو)) لما بين أنه خالق كل شيء, وأنه لا خـالق معـه بنـاء على هذه الجملة الكلية, بين أنه لا إله إلا هو, أي: لا معبود حق إلا لله عز وجل, فكما أنه منفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة, طيب.
إله بمعنى مألوه, وفعال تأتي بمعنـى مفعـول فـي اللغـة العربيـة كـثيرا, ومنه غراس بناء فراش كتاب لبـاس وعـد, طيـب. **((لا إله إلا هـو))** طيب. إذا قال قائل : كيف تصح هـذه الجملـة مـع قـوله تعـالى : **((فلا تجعل مع الله إلها آخر))** وقوله : **((فما أغنت عنهم آلهتهم))** فأثبت آلهة دون الله ؟
الجواب: تصح هذه العبارة إذا عرفنا الخبر المقدر, هو: حـق, لا إلـه حـق إلا الله, نعم دليل هذا: **((ذلك بأن الله هـو الحـق وأن مـا يـدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير))**.
((فأنى تؤفكون)) الاستفهام هنا للتعجـب والإنكـار, **((أنـى))** يعنـي: كيف **((تؤفكون))** تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان.
ثم قال تعالى: ((**كذلك يؤفك**)) هذا التركيب يـأتي كـثيرا فـي القـرآن الكريم, وقد مر علينا كيف نعربه, فقلنا أن الكاف اسم بمعنى مثل, وهو مفعول مطلق للعامل بعده, أي: مثل ذلك الإفك يؤفـك, والإفـك بمعنـى الصرف.
((كذلك)) أي مثل ذلك الإفك وهو الإشراك بالله وعدم شـكر النعـم **" ((يؤفك)) أي مثل إفك هؤلاء إفك ((الذين كانوا بآيـات اللـه يجحدون)) "** وقوله: الذين, إعرابها على أنها نائب فاعل.
((الذين كانوا بآيات الله يجحدون)) أي كانوا ينكـرون بآيـات اللـه أي يكفروا, والجحد هنا بمعنى الكفر بدليل أنه تعدى بالباء.
وقول المؤلف: **" ((بآيات الله)) معجزاته "** هـذا لا شـك أنـه خطـأ, بل نقول آيات الله: دلالته التي تـدل علـى كمـاله عـز وجـل واسـتحقاقه للعبودية, فهي آيات وليست معجزات, **((بآيات اللـه))** أي بالـدلالات الـتي تـدل علـى كمـاله وعلـى اسـتحقاقه بالعبوديـة وحـده؛ وآيـات اللـه سبحانه وتعالى نوعان:

كونية وشرعية, فالمخلوقات كلها كونية, آيات تدل على كماله:
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
فكل ما في الكون فإنه شاهد بكمال الله عز وجل وقدرته وعزته وسلطانه وغير ذلك, المهم أن جميع المخلوقات آيات كونية تدل على خالقها, وعلى حكمته ورحمته وغير ذلك من كمال صفاته.
وآيات شرعية: وهي ما جاءت به الرسل من أحكام عادلة وأخبار صادقة وقصص نافعة, هذه آيات شرعية, التكليفات والأوامر والنواهي كلها عادلة, الأخبار كلها صادقة, ما فيها شيء كذب, القصص كلها نافعة : **((نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذه القرآن))** طيب **((كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ))** .
في هذه الآيات فوائد قال الله تعالى : **((الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه))**.
أولا: كمال قدرة الله عز وجل بإيجاد الليل والنهار, فإن هذا من عظيم قدرته جل وعلا, هل يستطيع البشر إذا طلعت الشمس أن يردوها فتغرب ؟ وإذا غابت أن يجروها فترجع ؟ أبدا, ولهذا قال الله تعالى : **((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ))** [القصص 71:72]
طيب فأقول: الليل والنهار الذي جعله الله للعباد لا يمكن لأحد أن يغيره إطلاقا, ثم إذا نظرنا أيضا إلى هذا الليل والنهار وتعاقبه وولوج بعضه ببعض فهو آية أخرى, أحيانا يزيد الليل وأحيانا يزيد النهار, من يستطيع أن يفعل ذلك إلا لله سبحانه وتعالى.
ومن فوائد الآية الكريمة: تعليل أحكام الله القدرية كما هو ثابت في الأحكام الشرعية, يعني أن أحكام الله الكونية لا يمكن أن تكون إلا لحكمة, تؤخذ من: **((لتسكنوا))** واللام قلت لكم أنها للتعليل, إذن جعل الله ذلك لنسكن طيب.
ذكرنا أن أحكام الله الكونية معللة كأحكامه الشرعية, لكن هل يلزم من تعليلها أن نعلم بالعلة ؟ لا يلزم, إن فتح الله علينا ما فتح من ذلك فهذا خير منه وفضل, وإن حرمنا ذلك بذنوبنا فنحن مخطئون, إنما على كل حال ما من شيء إلا وله حكمة طيب.

ومن فوائد هـذه الآيـة الكريمـة: بيـان منـة اللـه سـبحانه وتعـالى بالليـل والنهار حيث جعل الليل سـكنا وجعـل النهـار مبصـرا مـن: **((لتسكنوا فيه والنهار مبصرا))** لولا هذا ما سكن الناس, ولـذلك تجـد الإنسـان بطبيعته إذا جاء الليـل أحـب السـكون, ولـولا أن فـي وقـت عصـرنا هـذا شاعت الأنوار وشاعت الأضواء وصـار الليـل كالنهـار لوجـدت لليـل لـذة عظيمة, ونحن أدركنـا ذلـك, تجـد لـذة ومحبـة للسـكون, وسـكون قلـب وسكون بدن وسكون نفس, ثم إذا طلع الفجر وإذا هو كالرطب يأتي بعد التمر, نفرح به وجاء النهار, الآن ما كأن هناك ليل ولا نهار, ولذلك لا نجـد اللذة التي كنا نعرفها من قبل, ولعل منكم مـن أدرك ذلـك ... نعـم علـى كل حال هذا من فضل الله عز وجل أن جعـل لنـا الليـل للسـكن والنهـار للعمل.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن اللـه ذو فضـل علـى النـاس عمومـا تؤخـذ: **((على الناس))**.

في آية أخرى: **((والله ذو فضل علـى المـؤمنين))** فكيـف نجمـع بين التعميم والتخصيص ؟ أن نقول الفضل نوعان: عـام وخـاص, فالعـام لجميع الناس, والخاص للمؤمنين طيب .

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة: أن أكـثر عبـاد اللـه لا يشـكرون اللـه لقـوله: **((ولكن أكثر الناس لا يشكرون)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير من قيـاس الأحكـام الشـرعية بأعمـال العباد, بمعنى أننا إذا قلنا لشخص هـذا حـرام, قـال: كـل النـاس يفعلـه, فيجعل المعيار أعمال الناس, وهذا خطأ, كل الناس يعمله ليس بحجة **((وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل اللـه))** الحجـة فيما قاله الله ورسوله **((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى اللـه والرسول))** سـواء كـانت الطائفـة الأخـرى أكـثر مـن الـتي قبلهـا أو العكس, إذا لا يجوز أن نجعـل أعمـال النـاس معيـارا للأحكـام الشـرعية طيب.

ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب شكر الله عـز وجـل, والإشـارة إلـى أن يكون هذا الشكر مـن جنـس الفضـل, طيـب. الشـكر يكـون مـن جنـس الفضل, فما شكر صاحب المال ؟ شكره لربه أن ينفقه في سـبيل اللـه, تمام.

ما شكر العلم ؟ بـذله, مـا شـكر مـن أعطـاه اللـه شـجاعة وقـوة بدنيـة والجهاد قائم ؟ أن يجاهد في سبيل الله, إذن الشكر من جنس النعم لأن

اللـه قـال : **((لـذو فضـل علـى النـاس ولكـن أكـثر النـاس لا يشكرون)**) الفضل.

ما شكر العلم ؟ بذله, ما شكر من أعطاه الله شجاعة وقوة بدنية والجهاد قائم ؟ أن يجاهد في سبيل الله, إذن الشكر من جنس النعم لأن الله قال : **((لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)**) الفضل.

ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: ((**ذلكم الله ربكم**)) إثبات ربوبية الله عز وجل على كل شيء, أنه رب كل شيء, لقوله: **((ذلكم الله ربكم)).**

ومن فوائدها الإشارة إلى وجوب طاعته وعبادته لقوله: **((ربكم))** وإذا كان هو الرب فهو السيد, وإذا كان هو الرب فهو الذي له السلطان, وإذا كان هو الرب فهو الذي له الحق أن يعبد, كل ما يثبت الربوبية فهو دليل على وجوب الإلوهية, ولهذا يستدل الله عز وجل على المشركين بكونهم يثبتون الربوبية وينكرون الإلوهية, فكل من أثبت الربوبية لزمه أن يثبت الألوهية, إذا توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية, وتوحيد الإلوهية متضمن لتوحيد الربوبية إذ لا يمكن لأحد أن يعبد الله إلا ويعلم أنه رب أهل للعبادة.

ولهذا لو قال لك قائل: هل التوحيدان متلازمان ؟ فقل أما توحيد الربوبية فمستلزم لتوحيد الإلوهية, وأما توحيد الإلوهية فمتضمن لتوحيد الربوبية, طيب.

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات خلق الله عز وجل لكل شيء, لقوله: **((خالق كل شيء)).**

فلو قال قائل: استثنى العقل نفسه فليس خالقا لها, فهل يصح هذا القول ؟ لا, لأن نفسه لم تدخل أصلا, لأن هناك فاعلا ومفعولا, والفاعل لا يمكن أن يدخل في المفعول حتى يستثنى منه, فنحن نقول: إن الرب عز وجل لم يدخل في قوله: **((كل شيء))** أصلا في هذه الآية لأن الخلق أو إن شئت فقل: لأن المخلوق بائن من الخالق فلا يمكن أن يدخل الخالق في المخلوق حتى نقول استثنى العقل, والاستثناء إخراج الشيء من الشيء وهنا لم يدخل أصلا, طيب.

أقول: **((الله خالق كل شيء))** هل يصلح أن نقول: واستثنى العقل ذاته فليس خالقا لها ؟ نقول: لا, لماذا ؟ لأن الأصل أنه لم يدخل هو في أنه خالق كل شيء, يعني ما دخل في المخلوق هو فاعل وغيره مفعول, فهو لم يدخل أصلا حتى نقول أخرجوا ما يستطيع عقلك في هذا الباب.

استدل الجهمية والمعتزلة بأن كلام الله مخلوق, لأن كلام الله شيء

فيكون داخلا في العموم, نقول: إذن يلزمكم أن تقولوا إن الله مخلوق لأن الله شيء, **((كل أي شيء أكبر شهادة قل الله))** إذن قولوا: إن الله مخلوق أيضا, فإن قالوا: لا يمكن أن نقول لأن الفاعل غير المفعول, قلنا وصفات الفاعل كالفاعل, الصفات يحذى بها حذو الذات, فإذا كان الرب عز وجل خالقا وغيره مخلوق فصفاته أيضا غير مخلوقة, فالقرآن ليس بمخلوق لأنه كلام الله, وكلام الله من صفاته, وصفات الله كلها غير مخلوقة, طيب.

فإن قال قائل: إن الخلق ثابت للعبد قال الله تبارك وتعالى : **((فتبارك الله أحسن الخالقين))** فأثبت أن هناك خالقين, وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في المصورين: **(أحيوا ما خلقتم)** فأثبت أنهم خالقون, فالجواب: أن الخلق الثابت للباري عز وجل ليس كالخلق الذي أثبت للمخلوق, خلق المخلوق للشيء تحوليه من حال إلى حال, وليس إيجاده, فالنجار إذا صنع الخشبة بابا هل يقال إنه خلق الخشبة ؟ حولها من خشبة إلى باب ولم يخلقها, حتى لو قلنا أن صنعه هذا خلق فهو في الحقيقة بمعنى تغيير وتحويل وليس بمعنى الإيجاد, وقد تحدى الله عز وجل الأصنام التي تعبد من دون الله ويدعى أنها آلهة قال : **((إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له))**.

ومن فوائد الآية الكريمة: بناء توحيد الإلوهية على توحيد الربوبية لقوله بعد: **((الله خالق كل شيء)) ((لا إله إلا هو))** أي: لا معبود إلا هو, أي: لا تعبدوا إلا هو لقوله: **((لا إله إلا هو)).**

من فوائد الآية الكريمة: إنكار التعجب على أولئك الذين صرفوا عن الحق مع وضوحه وبيانه لقوله: **((فأنى تؤفكون)).**

ومن فوائد الآية الثالثة: أن المكذبين بآيات الله يصدر منهم ما يقضى به العجب لقوله: **((كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الذنوب تحول بين الإنسان وبين رؤية الحق, لأن هؤلاء لما جحدوا بآيات الله صرفوا عنه, وهذا واقع, الذنوب تحول بين الإنسان وبين رؤية الحق, قال الله تبارك وتعالى: **((إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين))** هل أحد يمكن أن يقول هذا القرآن العظيم أساطير الأولين ؟ يقول الله عز وجل: **((كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون))** من الأعمال السيئة حتى رأوا هذا الحق المنير فجعلوه أساطير, ولهذا يجب أن نعالج أنفسنا إذا

رأينا أننا نقرأ القرآن وكأنه حروف تتلى نرجو بركتها وثوابها, إذا لم تأثر على القلب باللين والخشوع والرجوع إلى الله عز وجل فإن ذلك دليل على مرض القلب, وربما نقول على موت القلب نسأل الله العافية, كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون, نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المؤمنين بآياته المتبعين لمرضاته.

الطالب : شيخ هل ورد لفظ خلق بمعنى التصيير والتحويل في اللغة العربية ؟

الشيخ : أي نعم, منه: **((إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا))** يعني تقولون الإفك؛ ... القرآن عربي, نعم,

الطالب : يدرسون قاعدة في المدراس: أن المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم, فما رأيكم ؟

الشيخ : رأيي أن هذا كفر, الذي يعتقد مدلول هذا كفر, كل شيء فان إلا وجه الله عز وجل: **((كل شيء هالك إلا وجهه))** ومعنى هالك قابل للهلاك, وقد يجعله الله مؤبدا كالجنة والنار, لكن الذي أوجد قادر على الإعدام, والإعدام أهون من الإيجاد, وقولهم أيضا: لا تستحدث, معناه أنهم حكموا بأنها أزلية أبدية, لا يقول هذا مؤمن, وهذه تدرس في المدارس ! ...

تلميذ أعطوه في الاختبار ما حكم فرقعة الأصابع في الصلاة ؟ فقال التلميذ: قال المؤلف رحمه الله تعالى: فصل يكره في الصلاة التفاته ورفع بصره إلى السماء وفرقعة الأصابع وتشبيكها وإقعاؤه ... إلى أن ذكر الفصل كله عشرة صفحات, ثم قال: خذ ما شئت ودع ما شئت؛ أنتم تريدون نروح نقرأ كتب الكيمياء كلها من أجل أن ندور أن المادة لا تستحدث ولا تفنى.

الطالب : الأمم الكافرة يستغلون سكون الليل وإبصار النهار أكثر من الأمة المسلمة, ينامون مبكرين الساعة التاسعة وفي الصباح الباكر الرابعة أو الخامسة ؟

الشيخ : سبحان الله, مع العلم أن هذا هو الشرع, كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل العشاء والحديث بعد العشاء؛ لأن النوم قبل العشاء ربما يستمر, ولأنه يقوم إلى صلاة العشاء بكسل, ولأن بعض الناس إذا نام ساعة أو نصف ساعة إنطرد عنه النوم, وصار ما ينام في كل الليل, ثلاث علل, لكن ليش يجيبون التلفزيونات هذه يخلونها إلى نصف الليل أو أكثر, أو يضحكون علينا ؟ الله المستعان.

الطالب: إذا غربت الشمس يغلقون المحلات.
الشيخ: عجيب, يعني بعد الغروب, يعني في أمريكا في انجلترا في فرنسا, وأنتم أحيانا إلى الثانية ليلا, هم كفار ما لهم أجر, لكن هم أقرب منا للحق في هذه المسألة, النوم المبكر أفضل.
القارئ : **((اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))**.
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((الله الذي جعل لكم الأرض قرارا))** الجملة, الله: مبتدأ, والذي: خبره, يعني: الله هو الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء إلى آخره, جعل لكم هذه من أفعال التصيير أي: صير لكم, وقرارا يعني: ذات قرار أي مستقر, والسماء بناء أي: فوق, وقد بين الله تعالى في آية أخرى أنه سقف؛ فالله جعل الأرض قرارا أي مستقرة.
وهل معنى هذا القرار أنها لا تتحرك أو أنها لا تميد بنا ؟ يقال: القرآن يفسر بعضه بعضا, فقد قال الله تعالى : **((وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا))** فبين أن المراد بالقرار أنها لا تميد بساكنيها أي: لا تضطرب, وليس المعنى أنها قارة لا تتحرك كما سيأتي إن شاء الله في الفوائد.
((والسماء بناء)) أي سقفا عاليا, والمراد بالسماء هنا السماوات ذات الأجرام, وذلك لأن السماء يطلق على معنيين:
المعنى الأول : العلو, والمعنى الثاني : السماء السقف, والذي يعين أحد المعنيين هو السياق, فقول الله تعالى : **((أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها))** المراد بالسماء هنا العلو, لأن المطر ليس ينزل من ذات السماء السقف, بل ينزل من العلو, ويدل لذلك قوله تعالى : **((والسحاب المسخر بين السماء والأرض))** فالسماء هنا بمعنى ذات السقف, والمطر ينزل من السحاب, فإذا كان مسخرا بين السماء والأرض اقتضى ذلك أن لا يكون المطر ينزل من السماء ذات السقف ولكنه ينزل من السماء التي بمعنى العلو نعم, والذي معنا هنا **((والسماء بناء))** المراد به السماء ذات السقف.

((وصوركم فأحسن صوركم)) أي جعلكم على صورة معينة, والصورة هي الشكل, فشكل الآدمي هو أحسن شكل في المخلوقات وأحسنه وأقومه **((لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم))** فلا صورة أحسن من صورة الآدمي, ولا شكل أحسن من شكله, ولهذا قال: **((فأحسن صوركم))**.

((ورزقكم من الطيبات)) فبين الله في هذه الآية أربعة أشياء: الأرض التي هي محل السكنى, والسماء التي هي محل الظل, والتصوير الذي هو الهيكل الإنساني, والإمداد لهذا الهيكل وهو قوله: **((ورزقكم من الطيبات))** رزقكم أي أعطاكم, والطيبات هنا ما طاب ولذ, واعلم أن الطيب تارة يراد به الحلال, وتارة يراد به الحسن, وتارة يراد به اللذيذ, ويعين ذلك السياق فقول الله تعالى : **((ليميز الخبيث من الطيب))** المراد بالطيب هنا الحسن, والمراد بالخبيث الرديء؛ والمراد بقوله تعالى: **((كلوا من طيبات ما رزقناكم))** المراد بها الحلال لقوله: **((واشكروا لله))** لأنه لو قيل المراد اللذيذ لكان قوله: **((واشكروا لله))** لا معنى له, ولا يمكن إقامة الشكر إلا إذا تناول الإنسان الشيء الحلال, والمراد بقوله هنا: **((من الطيبات))** ما طاب ولذ, وإنما قلنا بذلك لأن رزق الله عز وجل بالمعنى العام يشمل الحلال والحرام, ولهذا نقول إن الإنسان إذا اكتسب مالا محرما عن طريق الربا مثلا فإن مرزوق لا شك, لكنه رزق فيه التبعة **((ورزقكم من الطيبات)).**

((ذلكم الله ربكم)) ذلكم الله: اسم إشارة مبتدأ, وما بعده عطف بيان أو نعت, ورب: خبر المبتدأ, يعني هذا الذي أمدكم بهذه الأشياء الأربعة هو الله لا أحد غيره, وقوله: **((ربكم))** يعني أنه جل وعلا رب عباده الذي هو الخالق المالك المدبر, لأن الرب يجمع ثلاثة أوصاف: الخلق والملك والتدبير.

((فتبارك الله رب العالمين)) تبارك: قيل معناه تعالى وتعاظم, وهذا المعنى قريب, لكن فيه أن تبارك أخص من ذلك, ومعنى تبارك أي أنه ذو البركة العظيمة الثابتة, ولهذا لا يطلق على غير الله بهذا المعنى, أي بمعنى أنه ذو البركة العظيمة الثابتة لأن هذا الوصف لا يليق إلا بالله عز وجل, وأما يقوله بعض الناس كما سيأتي إن شاء الله في الفوائد فسنتكلم عليه, وقوله: **((رب العالمين))** رب هذه: عطف بيان أو صفة للفظ الجلالة, والعالمون: كل من سوى الله, كل الخلق عالمون,

وسموا بذلك لأنهم علم على خالقهم, ففي كل الخلق آية من آيات اللــه, كما قيل:
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
والربوبية هنا الربوبية العامة لأنه أضافها إلى العالمين فهي عامة شاملة.
في هذه الآية فوائد:
أولا: أن الله تعالى هــو خــالق الأرض لقــوله: **((هو الــذي جعــل لكــم الأرض)).**
ومن الفوائد نعمة الله عز وجل علينا بكون الأرض ذات قرار أي مستقرة لا تميل .
ومن فوائدها أن الأرض لا تتحرك لقوله: **((قرارا))** هكــذا قــال بعــض العلماء, ولكن إذا قارنا هذه الآية بقوله تعالى : **((وألقى فــي الأرض رواسي أن تميد بكم))** تبين أن الاستدلال بهذه الآية علــى أن الأرض لا تتحرك فيه نظر فيقال إذا:
من فوائد هذه الآية أن نعمة الله عز وجل علينا بكــون الأرض لا تميــد بنــا ولا تضطرب بنا, ومن ثم نعرف الحكم على اختلاف الناس اليوم مــا بيــن مؤيد ومفند هل الأرض تتحرك أو لا تتحرك ؟ فمن المعروف عنــد علمــاء الفلك أنها تتحرك, وهذا عندهم بمنزلة الأمور البديهيات اليقينيات التي لا تقبل الجدل, يقولون إن الأرض تتحــرك وتــدور بــذاتها دورانــا يختلــف بــه الليل والنهار, وتدور دورانا محوريا به تختلف الفصول, وليس عندهم في ذلك شك ولا يجادلون في هذا, ومن العلماء من قال: لا, إنها لا تدور, بــل هــي ســاكنة قــارة وأن اختلاف الليــل والنهــار إنمــا يكــون بســبب دوران الشمس على الأرض لا بسبب دوران الأرض, والذي يظهر لي أن القرآن الكريم ليس فيه شيء صريح بأنها تدور أو لا تدور, وهو إلــى كونهــا تــدور أقرب من كونها لا تدور, لأن نفي الأخص في قوله: **((أن تميد بكم))** يقتضي وجود الأعم, كما قلنا في قوله تعــالى: **((لا تــدكه الأبصــار))** أن هذه الآية تدل على ثبوت رؤيــة اللــه عــز وجــل لأن نفــي الإدراك يــدل على ثبوت أصل الرؤية, نفي الميدان يدل على وجود أصل الحركة.
لكن الأمر الخطير فيما أرى: هل الشــمس هــي الــتي تــدور علــى الأرض عند الطلوع والغروب أو لا ؟ نحن نعتقد أنها هي التي تدور, ولا مــانع مــن أن يكــون هنــاك دوران للأرض ودوران للشــمس, لا مــانع, لأن ظــواهر الكتاب والسنة كلها تدل على أن الشمس هي التي تطلع وتغــرب وتميــل وتزول وتزيغ وما أشبه ذلــك, فقــد قــال اللــه تبــارك وتعــالى: **((وترى**

الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال)) هذه أربعة أفعال كلها أضيفت إلى الشمس, والأصل أن ما أضيف إلى الشيء فهو فعله, وقال الله تبارك وتعالى في سور ص: **((إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب)**) وقال تعالى في سورة الكهف: **((حتى إذا بلغ مغرب الشمس))** **((حتى إذا بلغ مطلع الشمس))** وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: **(أتدري أين ذهبت) قال: الله ورسوله أعلم.**

فكل هذه الأفعال مضافة إلى الشمس نفسها, فكيف نعدل عن ظاهر هذا اللفظ إلى معنى آخر بدون أمر قطعي يكون لنا حجة عند الله عز وجل أن نخالف ظاهر كلامه, لكن من تبين له الأمر تبينا واضحا, ورأى أنه أمر قطعي يقيني بدهي كما يقولون, فإنه يمكن أن تؤول الآيات بأن نسبة الطلوع إلى الشمس والغروب والذهاب باعتبار رأي العين لا باعتبار الواقع, لكني إلى الآن لم يتبين لي أن اختلاف الليل والنهار يكون بدوران الأرض بل هو يكون بدوران الشمس, والله على كل شيء قدير.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن السماء مبني لقوله: **((والسماء بناء))** وهو كذلك قال الله تعالى : **((أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها))** وقال : **((والسماء بنيناها بأييد))** إذن هي أجرام ولا شك في هذا, وهي أجرام محفوظة لا يمكن الولوج إليها إلا بعد إذن, ويدل لهذا أن أفضل الرسل البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وأفضل الرسل الملكية جبريل كلاهما لم يدخل السماء الدنيا وما بعدها إلا بعد استئذان, مما يدل على كمال حفظها.

ومن فوائد الآية الكريمة: منة الله تعالى علينا نحن البشر أن صورنا هذا التصوير البديع الذي هو أحسن الصور فقال: **((صوركم فأحسن صوركم)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: تحريم التصوير, يمكن أن يؤخذ منها ذلك ؟ فنقول إن من صور فقد نازع الله تعالى فيما هو من اختصاصه وهو الخلق, ولهذا جاء في الحديث: **(يقال للمصورين يوم القيامة أحيوا ما خلقتم)**) وهذا هو الصحيح أن التصوير حرام بل هو من كبائر الذنوب, لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فاعله, ولكن هنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الصورة التمثالية, بمعنى أن يخلق الإنسان من الطين أو

الخشب أو الحديد شيئا على شكل صورة, هذه لا شك في تحريمها, ولهذا قال في حديث علي ابن أبي طالب الذي رواه مسلم أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا تدع قبرا مشرفا إلا سويته ولا تمثالا إلا طمسته)** تمثالا, ولا أعلم نزاعا بين العلماء في تحريم ذلك.

الثاني: ما كان بالرقم أي التصوير بالرقم, بمعنى أن الإنسان يصور بيده صورة, فهذه اختلف فيها السلف والخلق, فمنهم من قال إنها لا تحرم, لقوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: **(إلا رقما في ثوب)** وهذا رقم في ثوب فلا يحرم, ولأن هذا ليس شيئا مجسما حتى يطابق ما خلق الله عز وجل, إنما هو شكل فقط, والصورة التي صورها الله هي جسم محسوس ملموس يشاهد بالعين, وأما هذا فهو مجرد تلوين, فلا يدخل في الحديث, ولكن الجمهور على أنه داخل في الحديث, بدليل حديث النمرقة حديث عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء إلى بيته فلم يدخل من أجل صورة كانت في نمرقة جعلتها للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الصحيح أن التصوير برسم اليد حرام وداخل في اللعن ولا يحل لأحد أن يقوم به.

الثالث: ما كان تصويرا بالالتقاط وليس باليد, وذلك ما يعرف بالتصوير الفوتوغرافي الذي ليس للإنسان فيه أي عمل, بل هو شيء يتمثل أمام هذا الضوء المعين فينطبع, وليس للإنسان فيه أي عمل سوى تحريك الآلة التي تقوم بالتقاط هذه الصورة, فهذا مختلف فيه اختلافا كبيرا بين المتأخرين, لأنه لم يظهر إلا أخيرا فاختلفوا فيه, والذي يتبين لي أنه لا يدخل في التصوير, لأن هذا لم يخلق بيده كما خلق الله عز وجل, لم يشكل العين ولا الأنف ولا الشفة ولا أي شيء, غاية ما هنالك أن هذا الضوء انعكس على هذه الصورة فانطبعت, فهو بمنزلة ما لو شاهدت المرآة فرأيت صورتك فيها, إلا أن الفرق أن هذا يثبت وما في المرآة يزول بزواله, ولهذا نسمي صورة الناظر في المرآة نسميها صورة, وهي بالاتفاق لا تدخل في التصوير المنهي عنه.

لكن يبقى النظر لماذا صور هذا الإنسان ؟ يعني الآن تقرر عندي أن هذا التصوير مباح, لكن لماذا صور ؟ نقول: نجري على هذا ما نجريه على سائر المباحات, وهو أنه إذا كان لغرض مقصود فهو مباح, وإذا كان لغرض محرم فهو حرام, فلو أن إنسانا صور صورة امرأة أجنبية من أجل أن يتلذذ برؤيتها كلما سنحت له الفرصة لقلنا هذا حرام لا شك, ولو أراد

أن يصور صورة عظيم ليعلقها في بيته قلنا هذا حرام, ولو أراد أن يصور صورة أبيه أو أخيه أو عمه أو صديقه من أجل أن يتسلى به عند المصائب لقلنا هذا حرام, فيكون هذا المباح حكمه حكم الغرض الذي من أجله صور, هذا ما يظهر لي حول هذه المسألة, والناس فيها بين متهاون وبين متشدد, والذي يظهر لي والله أعلم هو هذا.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة منة الله عز وجل برزقه إيانا من الطيبات لقوله: **((ورزقكم من الطيبات))** ذكرنا أن المراد بالطيبات هنا اللذائذ, ليشمل الرزق العام والخاص, وليعلم أن الرزق ينقسم إلى قسمين:

رزق عام ورزق خاص, فالعام كل ما ينتفع به الإنسان فهو رزق, كما قال السفاريني رحمه لله: **" والرزق ما ينفع من حلال وضده "** وهو الحرام. هذا رزق عام يستوي فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر والمكتسب عن طريق الحلال والمكتسب عن طريق الحرام كل هذا رزق, وعلى هذا فالمسروق بالنسبة للسارق رزق نعم, ولكنه رزق وإن تمتع به في الدنيا فسيكون عليه وبالا في الآخرة.

أما النوع الثاني من الرزق فهو الرزق الطيب الحلال, وهذا هو الرزق الخاص, وهو خاص بالمؤمن, وعلى هذا فالكافر ليس له رزق خاص إطلاقا حتى لو اكتسبه عن طريق حلال فليس رزقا خاصا بل داخل في العموم, لقول الله تبارك وتعالى: **((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة))** ولغير الذين آمنوا ؟ ليست لهم, ولهذا نقول: الكافر يحاسب على كل لقمة أكلها وكل جغمة شربها, يحاسب عليها يوم القيامة.

بل إن من الخطر أن يحاسب المؤمن على الطيبات إلا بالشروط التي ذكر الله: **((ليس على الذين آمنوا جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا))** شروط ثقيلة لحل الرزق مع أنه طيب, نسأل الله أن يعيننا على تحقيق هذه الشروط, إذن الكافر لا يمكن أن يكون في حقه زرق خاص لا يمكن, كل الرزق وإن كان طيبا فهو عام بالنسبة له لأنه يحاسب عليه, أما المؤمن فينقسم الرزق في حقه إلى خاص وعام, فما أثم به فهو من العام, وما لم يأثم به فهو من الخاص .

ومن فوائد الآية الكريمة: بيان أن ربوبية الله عز وجل مبنية على الرحمة

لقوله: **((ذلكم))** أي الذي أعطاكم هذه الأشياء الأربعة **((الله ربكم))** فربوبية الله عز وجل مبينة على الرحمة, ويدل لهذا قوله تعالى في سورة الفاتحة: **((الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم))** فربوبيته عز وجل مبنية على الرحمة والرأفة.

فإن قال قائل: ينتقض عليكم هذا بما يحصل في الحياة الدنيا من المنغصات التي تؤذي الإنسان وربما تضره ؟ قلنا هذه رحمة بالنسبة للمؤمن, لأنها مكفرة للذنوب: **(لا يصيب المؤمن شيء من هم أو غم أو أذى إلا كفر الله به عنه حتى الشوكة يشاكها)** إذا فهي رحمة لأنها تكفر السيئات, ومع احتساب الأجر على الله عز وجل تكون حسنات, لأن ترقب ثواب الله واحتساب الأجر على الله عمل صالح يثاب عليه المرء, وهذا الأذى أو هذا الضرر الذي ينال العبد عرض يزول, ولهذا لو رجعت إلى الوراء في تفكيرك لوجدت أنه مر بك أشياء كثيرة من الأذى وأشياء كثيرة من الضرر فزالت وكأنها لم تكن, إذن الثواب الذي حصل وتكفير السيئات الذي حصل هو خير من هذه الأذية وهذه الأضرار فتكون بذلك رحمة, فلا تخرج عن نطاق الرحمة في الربوبية.

ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: بيان عظمة الله عز وجل في قوله: **((فتبارك الله رب العالمين))** وقد استنبط بعض العلماء من هذا أن اسم الله عز وجل تنال به البركة, واستشهد لذلك بقوله: **(كل أمر ذي بال لا يبدأ ببسم الله فهو أبتر)** وهذا ليس ببعيد وإن كان فيه شيء من الركاكة.

ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: عموم ربوبية الله عز وجل لقوله: **((رب العالمين)).**

ويتفرع على ذلك أنه يجب أن يقوى اعتماد الإنسان على الله في جلب المنافع ودفع المضار, لأنه إذا كان رب العالمين عز وجل فهو مسيطر على كل العالمين, وله السلطان على كل العالمين.

ويتفرع على ذلك أيضا مسألة أخرى: وهي اللجوء إلى الله عز وجل عند حصول المضايقات من بني آدم أو غير بني آدم لأنه سبحانه رب العالمين بيده الأمر, فهو القادر على أن يعصم الإنسان من الأسد الضاري المهاجم وإن كان الإنسان لا يستطيعه بمجرد قدرته لكن الله تعالى قد يصرفه عنه.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الربوبية العامة لقوله: **((رب العالمين))** وهناك ربوبية خاصة وربوبية أخص, وقد اجتمع النوعان في

قوله تعالى عن سحرة آل فرعون: **((قالوا آمنا برب العـالمين رب موسى وهارون))** إذن ربوبية اللـه العامـة شـامله للمـؤمن والكـافر والبر والفـاجر, الربوبيـة الخاصـة للمـؤمنين, الربوبيـة الـتي هـي أخـص للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام, وبهذا نعرف أن من صـفات اللـه سبحانه وتعالى ما يكون عاما وخاصا وأخص.
ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة: أن كـل المخلوقـات آيـة علـى اللـه لقـوله: **((العالمين))** وقد قلنا أنهم سموا بذلك لأنهم علم علـى خـالقهم جـل وعلا, والله أعلم.
الطالب : ... أن الشمس تسجد كل غـروب عنـد العـرش, ثـم بعـد ذلـك تسـتأذن ربهـا فـي أن تشـرق فيـأذن لهـا, ومـا قـرره العلـم الحـديث أن الشمس لا يمكن أن تغرب أبدا, فهي كل لحظة إما أن تشرق على نـاس أو تغرب على آخرين, وأنه في شمال الكرة الأرضية الشمس ستة أشهر كاملة لا تغرب وستة أشهر كاملة غائبة غير موجودة. ؟
الشيخ : أي نعـم, نحـن ذكرنـا قاعـدة أن الأمـور الغيبيـة الـتي لا يـدركها الحس تبقى على ظاهرها, ولا يقال: كيف نجمع ؟ لأن هذا أمـر لا نـدركه حتى نجمع, فنقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنها إذا غربت تسجد, ولم يقل الرسول كلما غربت في أي مكـان, قـد يكـون سـجودها إذا غربت عن هذا الوجه وجه الأرض الـذي فيـه الحرمـان, بخلاف مـا إذا غابت على وجه آخر لا ندري, فنحن نقول كما قال الرسول عليـه الصـلاة والسلام ونقيد الزمن بمـا قيـده الرسـول, يعنـي إذا غـابت عـن المدينـة حصل هذا, وهـذا أمـر ممكـن محتمـل, لأن أفضـل وجـه الأرض هـو هـذا الوجه الذي فيه المسجد الحـرام والمسـجد النبـوي والمسـجد الأقصـى, نعم.
الطالب : ... ؟
الشيخ : من السنة أن ينظر الخاطب إلى مخطـوبته بالشـروط المرعيـة المعروفة عند العلماء, فهل تقوم الصـورة مقـام النظـر؟ لا تقـوم مقـام النظر, ولا فائدة منها:
أولا: لأنك كثيرا ما ترى صورة شخص في مجلة أو صـحيفة ثـم إذا رأيـت الرجل بنفسه وجدته يختلف, وهذا شيء مجرب ومشاهد, هذه واحدة.
الشيء الثاني: ربما تكـون هـذه المـرأة عنـد التقـاط الصـورة لهـا علـى أحسن جمال أو تجميل بمكياج وكحل وما أشبه ذلـك, فتصـور علـى هـذا الوجه وتعطى الخـاطب, فـإذا نظرهـا علـى الطبيعـة كمـا يقولـون وجـد

خلاف ذلك, وجد أنها لا عين.

الشيء الثاني: ربما تكون هذه المرأة عند التقاط الصورة لها على أحسن جمال أو تجميل بماكياج وكحل وما أشبه ذلك, فتصور على هذا الوجه وتعطى الخاطب, فإذا نظرها على الطبيعة كما يقولون وجد خلاف ذلك, وجد أنها لا عين ولا وجه وحينئذ يحصل البلاء, فالذي نرى أنه يحرم أن يتبادل الخطيبان الصور, ... ثم إن هذه الصورة قد تبقى عند الخاطب أو المخطوبة أيضا ولو بعد إطلاق الخطبة يتمتع بالنظر إليها متى شاء, وهي أيضا تتمتع بالنظر إليه متى شاءت.

الطالب : شيخ ذكرتم في موضوع الصور حبس الضوء يعني الكاميرا التي تحبس الضوء وتخرج الصورة فورا ... وهناك عملية يغير فيها المصور من الأوصاف ويجملها ؟

الشيخ : الظاهر أن هذه تدخل في التحريم لأن له عملا في شكل الصورة نعم .

الطالب : ... لماذا لا يقال بالتحريم التصوير سدا للذريعة, ويباح للضرورة مثل البطاقات وما أشبه ذلك ؟

الشيخ : نحن نتكلم عن التصوير من حيث هو تصوير لا عن المصور, المصور هو ونيته, إذا كانت نيته سيئة فهو حرام, إذا كانت غير سيئة فهو حلال.

الطالب : بعض الصغار صغار السن الغير مكلفين يرسمون رسومات لأناس, فهل نقول أن هذا يحرم عليهم كما يحرم على الكبار على القاعدة المطردة ؟

الشيخ : أي نعم, ما حرم على الكبار حرم على الصغار, لكن الصغير لا يؤاخذ عليه وإنما يؤاخذ عليه وليه حيث لم يمنعه منه, ثم هناك أشياء يمكن أن يتسلى بها الإنسان غير صور الحيوان, شجر جبال نجوم شمس أنهار بناء ممكن, لكن بلاء, يعني الشيطان زين للناس سوء العمل, أمرهم أن يصنعوا هذا الشيء المشتبه أو الذي هو محرم بلا اشتباه ويعدل عن شيء مباح, الآن في بعض المصنوعات ما هو جميل والإنسان يتمتع بالنظر إليه وهو مصنوع, سيارة قلم ساعة وغير ذلك, فلماذا نعدل إلى الشيء الذي فيه اشتباه أو إلى شيء محرم لا اشتباه فيه عن شيء مباح.

القارئ : **((هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ**

الْعَالَمِينَ)) [غافر :65]**.**
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((هو الحي لا إله إلا هو))** هذا مبتدأ الدرس, هو الحي: جملة خبرية تفيد الحصر, وهذا الحصر حصر إضافي, لأن المراد بالحي هنا الحي حياة كاملة, أما مطلق الحياة فيكون فيه وفي غيره, كما قال تعالى : **((هو الذي خلق الموت والحياة))** أما الحياة الكاملة فهي لله عز وجل.
((لا إله إلا هو)) لا نافية للجنس, ولا النافية للجنس نص في العموم, وإله: بمعنى مألوه, لأن فعال يأتي بمعنى مفعول في اللغة العربية وله شواهد كثيرة مثل غراس وبناء وفراش وما أشبهها, إذن إله, بمعنى مألوه.
وما معنى المألوه ؟ معناه الذي تألهه القلوب محبة وتعظيما, أي تهواه وتميل إليه محبة له وتعظيما له, فبالمحبة يكون فعل المأمور, وبالتعظيم يكون ترك المحذور.
وقوله: **((إلا هو))** إلا: أداة حصر, والحصر إثبات الحكم في المحصور فيه ونفيه عما سواه, وإذا كان الأمر كذلك بقي فيه إشكال, لأنك إذا قلت: لا إله إلا هو, وقلت إن ذلك للحصر, ورد على قلبك أو أورد عليه أن هناك آلهة دون الله بنص القرآن كما قال تعالى : **((فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله))** وقال تعالى : **((ولا تدع مع الله إلها آخر))**.
والجواب عن ذلك أن يقال: إن خبر لا محذوف وتقديره حق, أي لا إله حق إلا الله, وإذا كان هذا هو التقدير لم يرد الإشكال الذي ذكرنا, لأن الآلهة التي سوى الله كلها باطلة كما قال تعالى : **((ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعونه من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير))** وما قررناه هنا في هذه الكلمة كلمة الإخلاص هو الذي تطمئن إليه النفس, وإلا فقد اختلف فيها العلماء ـ علماء العربية وعلماء التوحيد ـ على أقوال متعددة تبلغ نحو ستة أقوال.
ومما ذكر أن الخبر محذوف تقديره موجود لا إله موجود, وهذا لا شك أنه باطل, لأنك إذا قلت: لا إله موجود إلا الله, لزم من ذلك أن تكون الآلهة التي تعبد من دون الله هي الله, وأن تكون عبادتها حق, وألوهيتها حق, إذن المتعين ما دل عليه القرآن أن الخبر محذوف تقديره حق لقوله تعالى : **((ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل))**.

قال: **((فادعوه مخلصين له الدين))** قال المفسر: **" ((فادعوه)) اعبدوه ((مخلصين له الدين)) "** وهذا التفسير يعتبر قاصرا, لأن المراد بالدعاء هنا دعاء العبادة كما قال المفسر ودعاء المسألة, فالذي يدعى دعاء مسألة هو الله, والذي يدعى دعاء عبادة هو الله, كأن المؤلف رحمه الله اقتصر على العبادة لقوله: **((مخلصين له الدين))** لأن الدين هو العمل, ولكن يقال: إن الدعاء من العمل ولا بد فيه من إخلاص. فالصواب أن قوله: **((ادعوه))** أي اعبدوه واسألوه, فهو دعاء عبادة ودعاء مسألة طيب.

إذا قال قائل: دعاء المسألة واضح أنه دعاء تقول: يا رب اغفر لي, يا رب يسر أمري وإخواننا المسلمين مثلا, هذا دعاء مسألة واضح, لكن كيف كانت العبادة دعاء ؟

الجواب: أن العابد يدعوا الله بلسان الحال, لأنك لو سألته لماذا عبدت الله ؟ لقال: أرجو ثوابه وأخشى عقابه, إذن فهو داع بلسان الحال, فادعوه مخلصين له الدين, مخلصين اسم فاعل وفعله أخلص, ومعنى أخلص أي نقى الشيء من غيره, يعني جعله خالصا لا شائبة فيه, فمعنى إذن مخلصين أي منقين العبادة والدعوة له وحده.

وقوله**: ((له الدين))** الدين: يطلق في القرآن الكريم على معنيين: المعنى الأول العمل, والمعنى الثاني الجزاء.

فمن الأول قوله تعالى : **((لكم دينكم ولي دين))** ومن الثاني قوله تعالى : **((مالك يوم الدين))** لأن يوم القيامة ما فيه عمل, فيوم الدين يعني يوم الجزاء, والمراد به هنا: ((**مخلصين له الدين**)) ؟ العمل, أي: مخلصين له عملكم وهو الدعاء, وقوله: **" من الشرك "** متعلق بمخلصين, أي منقين له من الشرك بحيث لا يكون في عملكم إشراكا.

((الحمد لله رب العالمين)) هذه جملة تتضمن الثناء على الله عز وجل بعموم ربوبيته, والحمد: مصدر حمد يحمد حمدا, وهو أعني الحمد وصف المحمود بالكمال على وجه المحبة والتعظيم.

فقولنا: وصف المحمود بالكمال, خرج به القدح, لأن القدح وصف الموصوف بالنقص.

وقولنا: على وجه المحبة والتعظيم, خرج به المدح, لأن المدح

المجرد قد لا يكون للمحبة ولا للتعظيم, قد يكون للخوف, فربما يمدح الرجل سلطانا جائرا لا لمحبته ولا لتعظيمه ولكن للخوف منه, أما الحمد فلا يصدر إلا عن محبة وتعظيم.
وقوله: **((لله))** اللام هنا للاختصاص والاستحقاق, للاختصاص لأن الحمد المطلق لا يصح إلا لله وحده, والاستحقاق لأن المستحق للحمد حقيقة هو الله عز وجل, المخلوق وإن استحق الحمد لكنه ليس استحقاقا حقيقيا لأن كل شيء يأتيك من المخلوق أو كل كمال في المخلوق فمن الله, فأنا أحمد المخلوق عندما يحسن إلي أو عندما أرى فيه صفات كمال, أحمده لا لأنه هو المستقل بذلك, ولكن لأنه السبب, إذن اللام هنا لله للاستحقاق والاختصاص طيب.
وقوله: **((رب العالمين الرب))** هو الخالق المالك المدبر, يعني كلمة رب المضافة إلى الله عز وجل أو التي وصف بها الله تتضمن ثلاثة معان: الخلق والملك والتدبير, فالله عز وجل هو الخالق لكل شيء, وهو المالك لكل شيء, وهو المدبر لكل شيء, حتى المشركون يقرون بهذا : **((قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله))**.
وقوله: **((العالمين))** قال العلماء: العالم كل من سوى الله, وسموا عالما لأنهم علم على خالقهم جل وعلا إذ أن في كل شيء من هذه المخلوقات آية تدل على عظمة الرب وقدرته وغير ذلك مما تقتضه معاني الربوبية.
في هذه الآية الكريمة فوائد منها: ثبوت الحياة المطلقة لله عز وجل لقوله : **((هو الحي))** وحياة الله تعالى كاملة من كل الوجوه, فهي كاملة لأنها لم يسبقها عدم, كاملة لأنه لا يلحقها فناء, كاملة لأنها متضمنة لجميع أوصاف الكمال, كاملة لأنها منزهة عن كل صفات النقص, فكمالها من وجوه ؟ أربعة, كما قال تعالى: **((الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم))** صفة كمال ونفي نقص.
فإن قال قائل: الحي من الأسماء اللازمة أو المتعدية ؟ الأسماء اللازمة, وقد ذكر العلماء في كتب التوحيد أن أسماء الله عز وجل

إن كانت متعدية فإنه لا يتم الإيمان بها إلا بأمور ثلاثة: إثباتها اسما لله, وإثبات ما دلت عليه من الصفات, وإثبات ما يترتب على هذه الصفة, وأما إذا كان الاسم لازما فإنه يتضمن شيئين: إثبات ذلك الاسم لله عز وجل, والثاني: إثبات ما دل عليه من الصفات فقط.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: انتفاء الإلوهية عما سوى الله لقوله تعالى: **((لا إله إلا هو))** وعرفتم معنى الإلوهية وهي تأله العبد لله عز وجل محبة وتعظيما .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب الإخلاص لله عز وجل في العبادة والدعاء لقوله: **((فادعوه مخلصين له الدين)).**
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات كمال الله عز وجل في ذاته وفي إنعامه لقوله: **((الحمد لله رب العالمين))** فالله أثنى على نفسه بذلك لكمال صفاته.
ومن فوائدها عموم ربوبية الله سبحانه وتعالى لكل شيء لقوله: **((رب العالمين)).**
ومن فوائدها أن المستحق للحمد هو الله عز وجل, والمختص بالحمد المطلق هو الله سبحانه وتعالى.
ثم قال تعالى : **((قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ...))** إلى آخره, قل: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يخاطب المشركين فيقول: **((إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله))**.
وقوله: **((إني نهيت))** الجملة هنا مؤكدة بـ إن, ونهيت: فعل ماض مبني لما لم يسمى فاعله, وحذف الفاعل للعلم به, كما قال تعالى: **((وخلق الإنسان ضعيفا))** حذف الفاعل للعلم به, لأنه لا أحد ينازع في أن الخالق هو الله, وهنا المسألة مسألة شرعية نهي, فلا نزاع في أن الذي له الأمر والنهي هو الله كما أنه الذي له الخلق, إذن يكون الناهي هو الله عز وجل.
والنهي: طلب الكف على وجه الاستعلاء, هذا تعريف النهي في أصول الفقه, **" طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة المضارع المقرون بلا الناهية ",** فقولنا: طلب الكف, خرج به الأمر وخرج به المباح؛ وقولنا: على وجه الاستعلاء, خرج به الدعاء مثل: **((ربنا لا تؤاخذنا))** لأننا لا ندعو الله على وجه الاستعلاء بل على وجه الاستضعاف, نستضعف أنفسنا أمام الله عز وجل؛

وخرج بقولنا: بصيغة المضارع المقرون بلا الناهية, خرج به نحو قولك: انتهي عن كذا اجتنب كذا, هذا نهي لكنه ليس نهيا اصطلاحا, بل هو أمر بالاجتناب.
فلو قال لك قائل: **((اجتنبوا الرجس من الأوثان))** هل هذا نهي عن الرجس من الأوثان أو أمر باجتنابه ؟ نقول: الثاني, أمر باجتنابه, لكن إذا قلت: لا تقرب الرجس من الأوثان, صار نهيا طيب.
((نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)) العبادة: هي التذلل للمعبود محبة وتعظيما.
وقوله: **((الذين تدعون من دون الله))** قال المفسر: **" تعبدون ((من دون الله))** " وهذا أيضا فيه شيء من القصور, والصواب أن المراد: **((تدعون))** أي تعبدون وتسألون, لأن من المشركين من يسألون أصنامهم, ويتذللون لها بالسؤال, فهي أعم مما ذكره المفسر رحمه الله تعالى. **((نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله))** وقوله: **((من دون الله))** أي: من سوى الله.
وقوله: **((لما جاءني البينات من ربي))** لما: ظرف زمان بمعنى حين, ولما: تأتي في اللغة العربية على أربعة أوجه:
الوجه الأول: أن تكون بمعنى حين كما في هذه الآية.
والوجه الثاني: أن تكون بمعنى إلا كما في قوله تعالى : **((إن كل نفس لما عليها حافظ))** معنى: **((لما عليها حافظ))** إلا عليها حافظ.
والمعنى الثالث: أن تكون حرف جزم كقوله تعالى : **((بل لما يذوقوا عذاب))** أي: بل لم يذوقوا عذابي ولكنه قريب.
المعنى الرابع: أن تكون حرف وجود لوجود, كقولك: لما جاء زيد جاء عمرو, نعم ...
((لما جاءني البينات من ربي)) أي: حين جاءني, والبينات صفة لموصوف محذوف للعلم به, والتقدير: الآيات البينات, قال المفسر: **" دلائل التوحيد "** والمعنى أعم مما قال رحمه الله تعالى, بل هي دلائل التوحيد ودلائل القدرة ودلائل السمع والبصر وغير ذلك, المهم أنه جاءه البينات من الله عز وجل, وأنتم ترون في القرآن العزيز كلمة البينات دائما محذوف موصوفها وذلك

للعلم به, والشيء المعلوم يجوز حذفه كما قال ابن مالك في الألفية: **" وحذف ما يعلم جائز ".** وهذه قاعدة عامة في كل شيء ليس في المبتدأ والخبر فقط.
وقوله: **((من ربي))** متعلق بجاء, أي: جاءني من الله عز وجل, ولكنه ذكره باسم الربوبية لأن هذه ربوبية خاصة يربي بها الله عز وجل أنبياءه ورسله, **((وأمرت))** مقابل نهيت، نهيت أن أعبد **((وأمرت أن أسلم لرب العالمين))** من الآمر ؟ الله.
والأمر: **" طلب الفعل على وجب الاستعلاء بصيغة افعل أو غيرها مما يدل على الأمر ".**
وقوله: **((أن أسلم))** أن: مصدرية, وأسلم: فعل مضارع منصوب بها. ومعنى أسلم: أستسلم لرب العالمين, والمراد بالإسلام هنا الإسلام الشرعي, لأنه هو الذي بطاقتنا, وهو الذي يمكن أن نفعله أو لا نفعله, وهو الذي لا يكون إلا من المؤمن, أما الإسلام الكوني فليس بطاقتنا, ولا يمكننا أن ندافعه, ويكون من المؤمن والكافر, إذا يتبين لنا أن الإسلام يأتي على وجهين, أو له معنيين:
المعنى الأول: الإسلام الكوني, والثاني: الإسلام الشرعي, الإسلام الكوني القدري, والثاني الإسلام الشرعي الديني, فمن الأول قوله تعالى : **((أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون))** الإسلام هنا كوني, لأنه قال: **((طوعا أو كرها))** والإسلام الشرعي لا يكون بالإكراه, والإسلام الشرعي لا يكون عاما لكل شيء, فالإسلام هنا كوني قدري, وهنا قوله: **((أن أسلم))** المراد به الإسلام الشرعي الديني, يعني أن أسلم: أي أستسلم تعبدا وتذللا لله عز وجل.
وقوله: **((لرب العالمين))** نقول فيها ما قلنا في الآية السابقة, لكن لو قال قائل: لماذا لم يقل أن أسلم لله ؟ قلنا ليكون ذلك دليلا على وجه الإسلام, يعني لماذا أسلمت ؟ لأن الله رب العالمين, ورب العالمين أحق أن يسلم له وأن يتعبد له عز وجل, فهو كالدليل للحكم السابق الذي هو الإسلام .
في هذه الآية الكريمة فوائد:
أولا: أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد مأمور منهي تؤخذ من: **((أن أسلم))** طيب.

ويتفرع على هذه الفائدة بطلان دعوى من يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم له الأمر والنهي في السماوات والأرض, لأنه لا يمكن أن يكون كذلك وهو مأمور منهي.
من فوائد الآية الكريمة: وجوب الإخلاص لله عز وجل لقوله: **((نهيت أن أعبد)) ((وأمرت أن أسلم))** وهذا حقيقة الإخلاص .
ومن فوائدها الإشارة إلى القاعدة المشهورة وهي أن التخلية قبل التحلية, ليس تحلية الماء, التحلية يعني التزيين, التخلية قبل التحلية, تؤخذ من: **((نهيت أن أعبد))** هذه تخلية **((وأمرت أن أسلم))** هذه تحلية, ووجه كون التخلية قبل التحلية أن التحلية إذا وردت على محل غير نظيف صارت ناقصة متلوثة, فأنت طهر المحل أولا ثم حله ثانيا, وهكذا كلمة الإخلاص لا إله نفي إلا الله إثبات, الأول تخلية والثاني تحلية طيب.
من فوائد الآية الكريمة: بطلان عبادة ما سوى الله, لأن النهي يقتضي البطلان والفساد, فلما نهينا عن عبادة ما سوى الله دل ذلك على أنها باطلة.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كغيره يحتاج إلى العلم لقوله: **((لما جاءني البينات من ربي))**.
فإن قال قائل: في هذا إشكال كبير وهو كيف يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم ببطلان هذه الآلهة إلا حين جاءه النهي مع أن بطلان هذه الآلهة مركوز في الفطر والعقول ؟ أما كونه مركوزا في الفطر فلقوله صلى الله عليه وسلم : **(ما من مولود يولد إلى على الفطرة)** والفطرة هي عبادة الله وحده, وأما العقل فلأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام استدل على بطلان الآلهة بدليل عقلي حين قال لأبيه: **((لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا))** ؟
قلنا: إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم بطلان هذه الآلهة لكنه أسند هذا العلم إلى الآيات البينات لإثبات الرسالة, فتكون الرسالة مؤيدة لما تقتضيه الفطرة ويدل عليه العقل.
من فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو آيات بينات ليس فيها خفاء لقوله: **((البينات))**

والعجب أن المشركين كانوا يترددون إلى منزل الرسول صلى الله عليه وسلم خفية يستمعون القرآن لأنه أخذ بألبابهم وعقولهم, لكنهم والعياذ بالله ينكرون استكبارا ومكابرة.
ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير من خفاء ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى أن الذي لا يرى أن ما جاء به الرسول متضمن للآيات البينات فليعلم أن على قلبه غشاوة, لأن القلب النظيف النزيه لابد أن يعرف أن ما جاء به الرسول حق بين, لكن قد تتراكم الذنوب على القلوب فلا تعرف الحق, قال الله تعالى : **((إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون))** فصاروا يرون هذا القرآن الكريم يرونه أساطير الأولين, نسأل الله ألا يعمي قلوبنا وقلوبكم, فالمسألة خطيرة, إذا لم تجد قلبك مستنيرا بهذا القرآن أو بعبارة أعم بما جاء به الرسول فاعلم أن في القلب بلاء, فداوي القلب ما دام في أول المرض حتى لا يستشري المرض فيقضي على القلب فلا تتمكن من إصلاحه بعد.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عناية الله تعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذلك في إثبات الربوبية الخاصة في قوله: **((من ربي)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإسلام لله عز وجل لقوله: **((وأمرت أن أسلم)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى أنه لابد للقلب من حركة فإما إلى باطل وإما إلى حق لقوله: **((نهيت))** وهذا تفريغ, هذا الفراغ لابد أن يكون له ما يملأه وهو الإسلام, لأن كل شيء إذا لم يكن له بديل سيبقى الأمر خاويا, فإذا خلي المكان من الباطل وجب أن يملأ بالحق, وهكذا أيضا إذا تأملت وجدت كل شيء باطل إذا لم يخلفه حق بقي الأمر خاويا فتذبذب الإنسان, لما قال الله تعالى: **((لا تقولوا راعنا))** ماذا قال ؟ **((وقولوا انظرنا))** لابد من قول, فإذا أبطل الباطل فلابد أن يخلفه الحق.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما سوى الله لا يستحق أن يسلم له لقوله: **((لرب العالمين))** فمن كان رب العالمين فهو الأحق بالإسلام له, ولا يوصف برب العالمين إلا الله عز وجل.
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عموم الربوبية لله لقوله: **((لرب**

العالمين)).
ومن فوائد الآية الكريمة: مراعاة الوصف المناسب وإن كان فيه عدول عن الأشهر لقوله: **((لرب العالمين))** عدولا عن لله, مع أن الله هو الأشهر, لكن اعتبار الوصف المناسب أولى والله أعلم.
الطالب : ...
الشيخ : لا, لأن الأمر بالاجتناب يقتضي الفساد أيضا.
الطالب : شيخ كيف نفرق بين الاسم اللازم والمتعدي ؟
الشيخ : ما تعدى إلى الغير فهو متعدي, وما لا فلا.
الطالب : هل التفريق ليس لغويا ؟
الشيخ : لا, لغوي ومعنوي, إذا قلت: الله هو السميع, معناه لا بد من مسموع, لكن الحي ما يتعدى للغير, حي بنفسه عظيم بنفسه, الأسماء كثيرة: الجليل ...
الطالب : شيخ تفريقنا بين دعاء المسألة ودعاء العبادة أليس الجميع دعاء عبادة ؟
الشيخ : بلى, لكن فرق بين أن أقوم أصلي أو أقول يا رب اغفر لي, الثاني سؤال صريح.
الطالب : لكن كلاهما دعاء ؟
الشيخ : نحن قلنا هكذا, قلنا العبادة لماذا سميت دعاء ؟ لأن العابد يريد الثواب والنجاة من العقاب, فهو داع بلسان الحال, أما الدعاء الصريح فهو بلسان المقال: اللهم اغفر لي وارحمي وما أشبه ذلك.
(الدعاء عبادة) لأنك تتعبد لله وتذل له بالسؤال, والعبادة معروفة, وكلها أيضا يسمى مسألة لأن العابد سائل .
الطالب : شيخ الحمد هو وصف المحمود بالكمال على وجه التعظيم والمحبة, وقلنا هذا أبلغ من المدح, في قوله عليه الصلاة والسلام: **(ليس أحد أحب إليه المدح من الله)** المدح ليس محبة وتعظيما كما في تفسيرها اللغوي, فكيف هذا الإيراد ؟
الشيخ : المراد بالمدح هنا الحمد .
الطالب : شيخ بعضهم فسر: **((لا إله إلا هو))** قال التقدير: أحق, وقال أن الإله في اللغة العربية لا تأتي للآلهة الباطلة, وورودها في القرآن من باب التنزل مع الخصم. ؟
الشيخ : خطأ, ليس بصحيح, لأن هؤلاء المشركين يتعبدون لهذه

الأصنام كما يتعبد المؤمنون لله, يعظمونها في نفوسهم, ألم تسمع قول أبي سفيان يوم أحد: أعل هبل.
الطالب : من باب المشاكلة ؟
الشيخ : أبدا ولا مشاكلة, الأصل الحقيقة.
الطالب : ... بعض السلف استحسن إذا قلت: لا إله إلا الله مخلصين له الدين, زيادة: ولو كره الكافرون.
الشيخ : هذا ليس بصحيح, استحسان في غير محله, لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في أذكار الصلاة : **(لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين),** الحمد لله رب العالمين أو ولو كره الكافرون ؟ ... لا نقول إنها مشروعة.
الطالب : ذكرتم في الآية أن مطلق الحياة يكون على الله وعلى غيره, أشكل علي قوله تعالى: **((خلق الموت والحياة))** أليس هناك تقدير محذوف: وخلق الحياة ؟
الشيخ : بلى, وخلق الحياة, والحياة المخلوقة حياة المخلوق, إذن مطلق الحياة يكون لله ويكون للمخلوق، واضح ؟ أنا أردت أن أستدل بهذه الآية عدولا عن قوله: **((يخرج الحي من الميت))** لأن هذه صريحة في أن الحياة مخلوقة, ولا يمكن أن تكون حياة مخلوقة إلا حياة المخلوق.
الطالب : النهي يكون بدخول لا الناهية على صيغة المضارع, طيب صيغة الماضي ؟
الشيخ : ما يمكن ترد النهي بصيغة الماضي, ... هذه ليست صيغة نهي, لا هي نهي لا شك, النهي المعنوي غير النهي الاصطلاحي, **((اجتنبوا الرجس من الأوثان))** هذا نهي, وليس نهيا اصطلاحا, النهي في الاصطلاح هو: طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة هي المضارعة المقرونة بلا الناهية, أما النهي بالمعنى العام حتى الاستفهام بمعنى الإنكار يدل على النهي, حتى لو قلت لمن فعل شيئا غير مرغوب فيه تقول: أتفعل هذا ؟ مستفهم الآن لكنه متضمن للنهي, تعريفه اصطلاحا هو هذا, ولسنا نتكلم عما يفيد النهي, فاجتنبوا الرجس لو قلت أن هذا نهي قلنا غلط, بل نقول هذا أمر بالاجتناب, نهيت هذه صيغة فعل ماضي لكن ما هي صيغة نهي, إخبار بأنه نهي, فما صيغة النهي ؟ لا تعبد الذين يدعون من دون الله هذا معناها.

الآن التبس على الأخ النهي بالمعنى والنهي بالصيغة, النهي بالصيغة المصطلح عليه هو: طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة المضارع المقرون بلا الناهية, هذا النهي, وأما ما دل على النهي بغير هذه الصيغة فإنه لا يسمى نهيا اصطلاحا وإن كان نهيا بالمعنى, لكن ليس نهيا بالاصطلاح .

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ))**

الشيخ : هذه آية, ((**تُشْرِكُونَ**)) هي آخر الآية ؟ رؤوس الآي يوقف عليها وإن تعلق ما بعدها بها, يعني يجوز أن تقول: **((فويل للمصلين))** وتقف ثم تقول: **((الذين هم عن صلاتهم ساهون)).**

((أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ)) ((**مِنْ دُونِ اللَّهِ**)) متعلق بها. لكن إن كانت رأس آية فهو توقيفي يوقف عليه.

القارئ : **((ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ))**. .

الشيخ : أعوذ بالله ما الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة .))** إلى آخره؛ خلقكم: أي ابتدئ خلقكم, والخلق بمعنى الإيجاد مع التقدير, قال الشاعر:

ولأنت تخلق ما تقول وبعض الناس يخلق ثم لا يفري

فهو إيجاد بتقدير.

((من تراب)) قال: **" بخلق أبيكم آدم منه "** فالأصل أننا من تراب, من هذه الأرض : **((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى))** فالأرض هي الأول والآخر بالنسبة لبني آدم إلى يوم البعث.

" ((ثم من نطفة)) مني " وهذا باعتبار نسل آدم عليه الصلاة

والسلام **((ثم من علقة))** هذا الطور الثالث, والثاني باعتبار نسل آدم, والعقلة قال: **" دم غليظ "** مثل الخيط **((ثم يخرجكم طفلا))** وطوى الله تعالى ذكر المضغة وإنشاء الخلق الآخر إلى قوله: **" ((ثم يخرجكم طفلا)) بمعنى أطفالا "** وإنما قال: بمعنى أطفالا, لأنها حال من الكاف في يخرجكم, وهي جمع, وطفل مفرد, وعلى هذا فيتعين أن يكون طفل بمعنى أطفالا, وقيل إن طفلا بمعنى المفرد وأن المعنى: ثم يخرج كل واحد منكم طفلا, فيكون يخرجكم جمعا باعتبار المجموع, أي: أن كل واحد منا يخرج طفلا, وعلى هذا فلا حاجة إلى تأويل طفل بمعنى أطفال.

((ثم لتبلغوا أشدكم)) قال: **" ((ثم)) يبقيكم ((لتبلغوا)) "** وإنما قدر ذلك لأن اللام تحتاج إلى متعلق, وعلى هذا فمتعلقها محذوف والتقدير: ثم يبقيكم. **" ((لتبلغوا أشدكم)) تتكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين "** هذا بلوغ الأشد, أقوى ما يكون الإنسان من ثلاثين سنة إلى الأربعين, ثم يبدأ بالانحدار شيئا فشيئا, ولكن قد يكون هناك عوامل توجب أن تبقى قوته مدة من الزمن أكثر, وقد تكون هناك عوامل توجب أن تنهدم قوته قبل تمام الأربعين, لكن في الأصل أنه إذا تم الإنسان أربعين سنة بدأ في الضعف.

" ((ثم لتكونوا شيوخا)) بضم الشيء وكسرها " يعني شِيوخا وشُيوخا والقراءتان سبعيتان, وهذه طريق المؤلف إذا ذكر الوجهين جميعا فمعناه أن القراءتان سبعيتان, ثم لتكونوا شيوخا يعني كبارا تبلغوا سن الشيخوخة.

قال: " ((ومنكم من يتوفى من قبل)) أي قبل الأشد والشيخوخة, فعل ذلك بكم لتعيشوا ((ولتبلغوا أجلا مسمى)) " والمفسر يقدر ذلك لوجود حرف العطف وهو قوله: **((ولتبلغوا أجلا مسمى))** ولعل أجلا مسمى وقتا محدودا, والمسمى بمعنى المعين, وهو بمعنى المحدود.

((ولعلكم تعقلون)) أي تكونوا من ذوي العقول وتفهموا حكمة الله عز وجل في تقديره وتشريعه, فأنتم ترون الآن أن القدر يكون فيه المقدر شيئا فشيئا حتى يكبر, وهكذا الشرع تكون فيه الشرائع شيئا فشيئا حتى تكمل, وهذه من سنة الله تعالى الكونية وسنته الشرعية أن الأمور لا تأتي دفعة واحدة, بل تتطور حتى تبلغ الكمال, وهذا من الحكمة البالغة.

وقـوله: **((لعلكم تعقلـون))** ليـس المـراد بـذلك عقـل الإدراك بـل المراد بذلك عقل التدبير والرشد, لأن العقل عقلان:
عقل إدراك تتوقف عليه التكـاليف الشـرعية, ولهـذا يقـال: مـن شـروط صحة الصلاة العقل, والمراد به عقل الإدراك. وعقل تـدبير ورشـد: وهـو حسن التصرف, ولهذا نقول أن الكفار لا يعقلون مع أنهم بالنسـبة لعقـل الإدراك أقوياء أشداء أذكياء, لكن عقل التدبير والتصرف هم خالون منـه ((ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون)).
في هذه الآيات بين الله تعالى منشأ بني آدم وغايـة بنـي آدم, ففيهـا مـن الفوائد:
أولا: بيان أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنـا وحـده وأنـه لا خـالق إلا الله, وقد قال الله تبارك وتعالى في سورة الطـور: **((أم خلقـوا مـن غير شيء أم هم الخالقون))** ما الجواب ؟
الجواب: أنه لم يخلقوا من غير شيء, وليسوا هـم الخـالقين, إذن فلهـم خالق .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن أصل بني آدم هـو الـتراب لقـوله: **((من تراب))** والتراب معروف أنه يختلف, ومـن ثـم اختلفـت طبـائع بني آدم, واختلفت ألوان بني آدم, واختلفت ألسنة بني آدم, كمـا اختلـف أصلهم, فالتراب كما تعرفون منه الرمل والطين والسباخ وغير ذلك .
ومن فوائد الآية الكريمة: انتقال هـذا الأصـل إلـى أصـل آخـر وهـو المـاء النطفة المني: **((فلينظر الإنسان مما خلق خلق من مـاء دافـق يخرج من بين الصلب والترائب))** وفـي آيـة أخـرى: **((مـن مـاء مهين))** يعني غليظ لا يندفع ولا يجـري لأنـه غيـر سـائل, ليـس كالمـاء المائع الذي يسيل, بل هو ماء مهين أي ضعيف لا يتحرك.
ومن فوائد الآية الكريمة: تطور خلق الإنسـان فـي بطـن أمـه, وهنـا لـم يذكر الله عز وجل إلا النطفة والعلقة, لأن النطفة هـي الأصـل, والعلقـة هي أصل مادة الحياة, إذ أن الحياة لا تكون إلا بالـدم وهـو أصـل المـادة, ولهذا لو تفرغ دم الإنسان لهلك.
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان قدرة الله عز وجل أنه بعد هذه الحال فـي بطن أمه يخرج طفلا متكاملا .
ومن فوائد الآية الكريمة: أيضا أن الله قسم الناس بعد خروجهـم أطفـالا إلى أقسام:
القسم الأول: أن يبلغ الإنسان أشده ثم يموت.

والثاني: أن يبلغ الشيخوخة.
والثالث: أن يموت قبل ذلك, أي قبل بلوغ الأشد وقبل الشيخوخة.
وعلى أي أساس يكون هذا ؟ نقول: هذا محض مشيئة الله عز وجل, ليس له أساس معلوم, لكنه محض المشيئة, لكن مع كونه محض المشيئة قد يقدر الله تعالى أسبابا كونية وأسبابا شرعية بها يطول العمر وتبقى الصحة, وقد يقدر الله أسباب على العكس من ذلك.
فمن الأسباب الشرعية ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : **(من أحب أن ينسأ له في أثره ويبسط له في رزقه فليصل رحمه)** هذا دليل على أن صلة الرحم من أسباب سعة الرزق وطول العمر, فييسر الله تعالى لهذا العبد أن يصل رحمه فيطول عمره, وهذا شيء مكتوب, ولكننا لا علم لنا به, فحثنا النبي صلى الله عليه وسلم عليه بهذه الطريقة, وأما الأسباب الكونية فهو توقي الأسباب الضارة في الصحة, وهذا شيء لا نهاية له وهو أمر معلوم, وأكثر من يعرفه الأطباء, فييسر الله تعالى للإنسان من أسباب الصحة من دواء وغذاء وهواء ما يكون به طول العمر .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأجل مهما طال بالإنسان فإنه محدود له غاية, مع أن الإنسان في نفسه يمد أملا بعيدا جدا, يظن أنه سيبقى عشرات المئات, ولكنه في الواقع مهما بلغ فإن الأجل محتوم, والشيء المحدود المعدود غايته النهاية, لأن كل يوم يمضي ينقص العمر, قال الشاعر:
والمرء يفرح بالأيام يقطعها وكل يوم مضى يدني من الأجل
وهذا صحيح, المرء يفرح بالأيام يقطعها, يقول: ما شاء الله عمرك طويل ومتعت كثيرا, لكن وكل يوم مضى يدني من الأجل, إذا يطول من وجه ويقصر من وجه آخر؛ ثم عند انتهاء الأجل: **((كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها))** وقس ما يستقبل بما مضى, الآن منا من عمر ستين سنة أو خمسين سنة أو عشرين سنة أو ما أشبه ذلك, هذه الأيام التي مضت كأنها ساعة, يعني الآن أنت اليوم كأنت بالأمس, وأنت بالأمس كأنت قبل أمس, كأنها ساعة كأنها أحلام, ولذلك قال: **((ولتبلغوا أجلا مسمى)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: بيان نعمة الله عز وجل علينا بالعلم والبيان لأن ذلك سبب لبلوغ الغاية في العقل وذلك لقوله: **((ولعلكم تعقلون)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات تعليل أحكام الله, أي أن أحكام الله

تعالى معللة بحكمة.
وهل هذا مقتصر على الأحكام الشرعية أو على الأحكام الشرعية والكونية ؟ الجواب: الثاني, فكل أحكام الله الكونية والشرعية كلها معللة كلها لحكمة, لكن هذه الحكمة قد تكون معلومة لنا, والناس يختلفون في هذا اختلافا عظيما متباينا, منهم من يطلعه الله عز وجل على أسرار خلقه وأسرار شرعه, ومنهم من لا يطلعه, ومنهم من بين ذلك.
وكذلك أحكام الله الشرعية كلها لحكمة كلها معللة, وما يذكره الفقهاء من أن هذا الحكم تعبدي لا يعنون بذلك أنه ليس له علة, وإنما يعنون بذلك أن علته غير معلومة لنا, فنحن ليس لنا إلا مجرد التعبد, ولهذا لما **سألت المرأة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت : (كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)** هذه الحكمة, إذن الحكمة شرع الله, شرع الله كله حكمة, لكن لو أراد إنسان أن يلتمس لذلك حكمة معقولة فلا حرج عليه طيب .
ومن فوائد الآية الكريمة: الثناء على أهل العقل, أي : العقلاء لأن الله تعالى جعله غاية فقال: **((ولعلكم تعقلون))** طيب.
ذكرنا الآن أن أحكام الله الكونية والشرعية لها حكمة, فإن قال قائل: ماذا تجيبون عن قوله تعالى: **((لا يسئل عما يفعل وهم يسألون))** ؟ الجواب: أنه لا منافاة, لأن الله لم يقل لا حكمة لما يفعل, بل قال لا يسئل عما يفعل, لأن كل ما يفعله فهو حكمة لا يسأل عنه, نعلم أنه ما فعله إلا لحكمة فلا يسأل.
ثم قال تعالى : **((هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون))** هذا كالأول جملة استئنافية تبين كمال قدرة الله عز وجل **((هو الذي يحيي ويميت))** أي يجعل الحياة في الميت والموت في الحي **((هو الذي يحيي ويميت))** وحده أو مع غيره ؟ وحده لا أحد يحيي ويميت, ولهذا قال إبراهيم للذي حاجه في ربه قال إبراهيم: **((ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب))** فلا يمكن أن يحيي أحد ميتا ولا أن يميت حيا؛ فإن قيل أليس عيسى ابن مريم يحيي الموتى ؟ قلنا: بلى, ولكن بإذن الله, بنفس الآية: **((يحيي الموتى بإذن الله)).**

فإن قيل: أليس الرجل يقتل الآخر وهو حي فيموت ؟ قلنا: بلى, ولكن ما فعله هو سبب الموت وليس هو الإماتة, وكثيرا ما تقطع أوداج الإنسان ويشق بطنه ثم يبقى حيا ويحيى, فالحاصل أن الإحياء والإماتة بيد الله عز وجل.

" ((فإذا قضى أمرا)) أراد إيجاد شيء ((فإنما يقول له كن فيكون)) " أمرا: هنا بمعنى شأنا, أي فهو واحد الأمور وليس واحد الأوامر, أي إذا قضى شأنا من الشؤون وقدره فإنه لا يعجزه أن يوجده بالكلمة كن فيكون: **((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون))** ولهذا يوصف عيسى بأنه كلمة الله, أي كان بكلمته, فالحاصل أنه إذا قضى أمرا وقدره قال له كن فيكون.

وهل المراد الموجودات أو المعدومات أو الكل ؟ الكل, حتى لو أراد إعدام شيء قل له كن فينعدم, فقول المؤلف : **" إيجاد شيء "** لو زادها أو إعدامه لكان خيرا, لأنه إذا قضى أمرا من إيجاد أو إعدام قال له كن فيكون؛ غير الله عز وجل لو أردت أن تهدم بيتا تبقى أياما وأنت تهدمه, لكن الله إذا أراد أن يهدم هذا البيت أو القرية كلها بكاملها يقول كن فيكون تنهدم, تكون هباء, فإذا نقول إذا قضى أمرا بإيجاد شيئا أو إعدامه فإنما يقول له كن فيكون؛ قال الله تبارك وتعالى : **((إنا كل شيء خلقناه بقدر))** كل شيء بقدر الصغير والكبير المتعلق بأفعاله وأفعال عباده, كل شيء خلقه فهو بقدر **((وما أمرنا إلا واحدة))** ويتأخر المأمور ؟ لا, ما هو: **((كلمح بالبصر))** لمح البصر ليس شيء أسرع منه, واحد بدون تكرار, كون فيكون, الفاء للتعقيب؛ وقال تعالى في بعث الناس: **((فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساحرة))** سبحان الله ما أعظم الله, كلمة واحدة بها تكون الأشياء كلها كما أراد الله عز وجل, تكون كما أراد الله, وإن كان هذا المأمور لا يعلم به, لكن لابد أن يكون كما أراد الله, لما قال القلم: رب ماذا أكتب ؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة, فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة مع أنه لا يعلم, لكن أمر فلابد أن يمتثل, **((ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتينا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين))** ما فيه إكراه, طوع.

إذن: **((إذا قضى أمرا))** أي: بإيجاد شيء أو إعدام شيء **((فإنما يقول له كن فيكون))** الفاء في قوله فإنما رابطة لجواب إذا, وهي

تدل على التعقيب, وقوله: **((كن فيكـون))** بـدون تـأخير, لأن الفـاء هذه للتعقيب.
قـال: **" بضم النـون وفتحهـا بتقـدير أن "** إذن فيهـا قراءتنـا: كـن فيكونُ, كن فيكونَ, فعلى القراءة الأولى تكون الفاء للاسـتئناف, وعلـى الثاني تكون الفاء فاء السببية التي ينتصب بعدها الفعـل, وهـي معروفـة في علم النحو.
قـال: **" بتقـدير أن, أي يوجـد عقـب الإرادة الـتي هـي معنـى القول المـذكور "** اللهـم اعـف عـن هـذا المؤلـف, يقـول: **" عقـب الإرادة التي هي بمعنى القـول المـذكور "** يريـد أن ينفـي بـذلك القول, يعني أن قوله: **((إنما يقول له كن))** إنما يريد أن يقول, لأنه ـ عفا الله عنه ـ يريد أن ينفي قـول اللـه عـز وجـل, فـإن مـذهبه مـذهب الأشاعرة الذين يقولون إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس, وليس شيئا يسـمع, وليـس توجيهـا يصـدر إلـى المـوجه إليـه؛ مـع أن الآيـة صـريحة: **((إنما يقول له))** قول صريح مصدق **((كن فيكون))**.
معنى: **((يقول له))** على كلامه أي يريد أن يكون فكـان, ولا شـك أن هذا تحريف للكلم عن مواضعه, نسأل الله تعالى أن يعفـوا عمـن حرفـه بحسن نية, والمؤلف لا نعتقد فيه إن شاء الله إلا الخير, لكنـه أخطـأ فـي هذا, والصواب أنه يقول قولا مسموعا يسمعه الموجه إليـه فيمتثـل أمـر الله عز وجل.
في هذه الآية الكريمة: بيان أن الله تعالى هو الذي يحيـي ويميـت, وهـذا من تمام ربوبيته.
ومن فوائدها أن الإحياء والإماتـة ليسـت بصـعبة عليـه لقـوله : **((فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون))**. ومن فوائـدها الـرد علـى منكري البعث الـذين قـالوا: **((من يحيـي العظـام وهـي رميـم))** وجهه ؟ أنه إذا قضى العبث يقول كن فيكون, ولهذا قال تعالى: **((أو ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنـا مثلا ونسـي خلقـه قـال مـن يحيـي العظـام وهـي رميـم قـل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليـم الـذي جعـل لكم من الشجر الأخضر نارا))** إلى أن قـال : **((فإنما يقـول لـه كن فيكون))**.
ولنأتي على بيان الأدلة الدالة على قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى في هذه الآيات, لقد ذكر الله تعالى ثمانية أوجه على قـدرته علـى إحيـاء

الموتى:
الوجه الأول قوله : **((قل يحييها الـذي أنشـأها أول مـرة))** وجـه الدلالة ؟ لأن الذي قدر علـى إنشـائها أول مـرة قـادر علـى إعادتهـا, لأن الإعادة أهون **((وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه))** طيب.
الدليل الثاني: **((وهو بكل خلق عليم))** وجـه الدلالـة ؟ يعنـي هـو لا يخفى عليه الخلق, فإذا كان لا يخفى عليه الخلق فما الذي يعجـزه ؟ هـو على كل شيء قدير.
((الذي جعل لكم مـن الشـجر الأخضـر نـارا)) وجـه دلالـة هـذه الجملة على قـدرة اللـه علـى إحيـاء المـوتى ؟ الـذي جعـل مـن الشـجر الأخضر نارا قادر على أن يحيي الموتى, فيه شجر معـروف فـي الحجـاز إذا ضربته بالقدح هكذا اشتعل نارا, فخرجت النار من ضده, فالذي أخرج الضد من ضده قادر على أن يحيي الموتى, الشجر الأخضر فيه الرطوبـة والـبرودة والنـار فيهـا اليبوسـة والحـرارة, فيخـرج هـذه المـادة الحـارة اليابسة من مادة رطبة باردة, وهذا من تمام القـدرة, وقـوله: **((فـإذا أنتم منه توقدون))** هـذا للتوكيـد, تأكيـد أنـه خـرج هـذا وأوقـدتموه, طيب.
((أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلـق مثلهم بلى)) وجه الدلالـة ؟ يقـدر علـى إعـادة الإحيـاء أو علـى إحيـاء الموتى ؟ لأن خلق السـماوات والأرض أكـبر مـن خلـق النـاس, فالقـادر على الأكبر قادر على ما دونه.
((وهو الخلاق العليم)) ؟ فإذا كان الخلاق العليم فهو قادر علـى أن يخلق كل شيء, ومنه إعادة الموتى, هذا دليل خامس.
((إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)) وجه الدلالـة ؟ أن شيئا نكرة في سياق الشرط فتعم كل شيء حتى إحياء المـوتى, ((**أن يقول له كن فيكون))** لا يحتاج إلى أعوان ولا تردد.
((فسبحان الذي بيده ملكـوت كـل شـيء)) هـذه الجملـة وجـه الدلالة منها ؟
الطالب : **((فسبحان الذي بيده ملكوت كل شـيء))** مـن عمـوم كل, فإذا كان مالكا لكل شيء فالبعث يدخل ضمن العموم.
الطالب : وجه آخر: ((**فسبحان**)) تنزيه الله عن النقائص ومنها العجز عن الإحياء.

الشيخ : طيب هذان وجهان.
الطالب : وجه ثالث, كون اللـه تعـالى مالـك كـل شـيء فهـو خـالق كـل شيء, فخالق الشيء مالك له.
الشيخ **: ((وإليه ترجعون))** هذا الثامن.
نقول: **((وإليه ترجعون))** لولا هذا الرجوع لكان الخلق عبثـا, فكوننـا لابد أن نرجع إلى الله إذا لابد من إحياء, وإلا لكانت الحياة كلها عبثا.
فانظر إلى تقرير الله عز وجل الإحياء بعد الموت لأنه ينبني عليه العمـل, لو أن أحدا لا يؤمن بيوم الحساب لم يعمل، يعمل لأي شيء ما دام ليـس فيه إلا الحياة الدنيا نموت ونحيا ؟ إذا الإنسان يعمل للدنيا ينهـب ويسـرق ويزني ويشرب الخمر ويعمل كل شيء لأنه ليس وراء هذه الدنيا شـيء, فلا يمكن أن نستقيم إلا بالإيمان باليوم الآخر, ولهذا تجدون الله عز وجل يقـرن الإيمـان بـاليوم الآخـر بالإيمـان بـه فـي مواضـع كـثيرة, ربمـا لـو أحصيناها لوجدناها أكثر من الإيمان به وبرسله, لأن الإيمان باليوم الآخـر عليه أساس العمل, ونحن لولا أننا نعتقد ونؤمن بـأن أعمالنـا أمامنـا يـوم القيامة ما حرصنا على العمـل الصـالح لأنـه يـذهب هبـاء, فلهـذا الإيمـان باليوم الآخر من أعظم الباعث علـى الاسـتقامة, أمـا مـن لا يـؤمن بـالله واليوم الآخر ولا بالبعث فهذا سيكون عمله كله هباء.
طيب وقفنا على قوله : **((ألم تر إلى الذين يجادلون))**.
السائل : ...
الشيخ : هل هذه من الأمور الغيبية أو الأمور الحسية ؟ طيب مـن الأمـور السمعية أو العقلية ؟ إذن نقف على ما جاء به السـمع كـن فيكـون, اللـه أعلم .
السائل : شيخ بالسنة لبعـض الـذين يعتقـدون فـي المشـايخ يقولـون أن الشيخ ينفع ويضر ولكن بإذن الله تعالى وإرادته, فنريد ردا حاسم عليهـم لأنه تشكل هذه المسألة ؟
الشيخ : نقول أين الدليل على أن الله أذن لهم ؟
السائل : يقولون الدليل الحس, كثرة حصول هذا الشيء.
الشيخ : طيب كثرة حصول هذا الشيء إمـا أن يكـون شـيء يـدركه كـل إنسان فلا ميزة للمشايخ, مثل الـدعاء, يـدعوا فيسـتجيب اللـه, وإمـا أن يكون شيئا لا يدركه الإنسان فهو من الشياطين, الشياطين تخـدم هـؤلاء الشيوخ لأنهم يضلون عن سبيل الله, والشيطان لا يريـد منـا إلا أن يوقـع بيننا العداوة والبغضاء ويصدنا عن ذكر الله.

فنقـول هـذا, وإلا لا شـك أنهـم يغـرون العـوام, يقـول: تعـال تـب أخلـي حمارك حصانا, ثـم يـدعو اللـه عـز وجـل ظـاهرا والشـيطان يحـول هـذا الحمار إلى حصان بالرؤية, وإلا حقيقـة يـروح ... لصـار الحصـان حمـارا, يعني نوع من السحر والتمويه, وهم يأكلون أموال الناس بالباطل.
أنا سمعت من بعض الجهات في أفريقيا المشايخ يقولـون: إنـه قـد رفـع عنا التكليف, لا حاجة أن نصوم ولا نصلي ولا نزكي ولا شـيء, ورفـع عنـا كل المحرمات, ولهذا يكـون الواحـد منهـم مثـل الـتيس يـتزوج خمسـين امرأة أو أكثر بعقد نكاح شرعي عنده, هـو ولـي مرفـوع عنـه التكـاليف, ويقول: هذه التكاليف ما هي إلا وسائل حتى تصل إلى الغاية؛ إذا وصـلت للغاية خلاص بطلت التكاليف, كالرجل يتأهب للسفر ويركب السـيارة أو يأخـذ عصـا الجمـل, فـإذا وصـل إلـى البلـد رماهـا, نسـأل اللـه العافيـة, والشياطين تخدمه, حتى ذكر شيخ الإسلام أن بعـض النـاس يقـول: إنـي رأيتك أنت في عرفة ـ أنت يا ابن تيمية ـ وهو في الشام ما حج, قال هـذا الشيطان يتمثل بي ويقول: أنا ابن تيمية ويقـول الـذي يريـد ويقـول هـذا حلال وهذا حرام.
الطالب : الخلاق من أسماء الله ؟ والخالق ؟
الشيخ : نعم, والخالق من أسماء الله, مثل الغفور وغافر الذنب والغفار.
الطالب : ... من يقول: سبحان من أمره بين الكاف والنون ؟
الشيخ : ما هو بصحيح هذا, من أمره بعد الكاف والنون, كـن, يعنـي أمـر هنا بمعنى مأمور, فإن كان الأمر الـذي هـو فعلـه يعنـي أمـره فهـو قبـل الكاف والنون, وإن كان الأمر الذي هو مأموره فهو بعـد الكـاف والنـون، ليس جائزا, جائز وهو ليس بصـحيح !. بعـد أو تقـول: مـن أمـره بالكـاف والنون, أو لا تقل هذه كلها ...
القارئ : أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم: **((أَلَمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْـرَفُونَ * الَّـذِينَ كَـذَّبُوا بِالْكِتَـابِ وَبِمَـا أَرْسَـلْنَا بِـهِ رُسُـلَنَا فَسَـوْفَ يَعْلَمُـونَ * إِذِ الأَغْلالُ فِـي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِـلُ يُسْـحَبُونَ * فِـي الْحَمِيـمِ ثُـمَّ فِـي النَّـارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِـنْ دُونِ اللَّـهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّـا نُرِيَنَّـكَ بَعْـضَ الَّـذِي**

نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)). [غافر]
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: نبتدأ دراستنا في حلقات الصيف لهذا العام 1416 في هذا اليوم السبت العاشر من شهر صفر من هذا العام, ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.
وإني أقول لكم إن العلم يحتاج إلى مكابدة وإلى مصابرة وإلى دأب, وكلما عود الإنسان نفسه على ذلك اعتاده وصار أمرا سهلا عليه, أما إذا ركن إلى الكسل والدعة والسكون فإنه يصعب عليه جدا أن يكون مجتهدا, لأن النفس وما تعودت, والإنسان في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله في إعداد العدة, لأن الله تعالى جعل الجهاد في سبيل الله والعلم عديلين حيث قال تعالى: **((وما كان المؤمنون لينفروا كافة))** يعني لا يمكن أن يخرجوا جميعا في الجهاد **((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة))** يعني وقعدت طائفة **((ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون))** ليتفقهوا: الفاعل هم الفرقة الباقية, **((يتفقهوا في الدين وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون))**.
بل قال بعض العلماء: إن طلب العلم أوكد من الجهاد في سبيل الله, لأن طلب العلم ينبني عليه الجهاد والعلم لا ينبني على الجهاد, بل إن المجاهد لا يمكن أن يجاهد على الوجه الصحيح إلا بطلب العلم, فلهذا كان أوكد, إذن فبقاء الإنسان يطالع ويراجع ويذاكر ويحفظ في العلم الشرعي هو كالمجاهد في سبيل الله سواء بسواء.
ولو سئلنا أيهما أفضل الجهاد في سبيل الله أو طلب العلم ؟ قلنا: لا يمكن أن نفضل أحدهما على الآخر على الإطلاق, فمن الناس من نقول له: طلب العلم في حقك أفضل.
ومن الناس من نقول: الجهاد في حقك أفضل, ولهذا تجدون أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم في التفاضل بين الأعمال أنه يخاطب كل إنسان بما تقتضيه حاله, وبهذا ينفك الإشكال الذي يرد على النفس حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث أفضل الأعمال كذا وكذا, وفي بعضها أفضل الأعمال كذا وكذا, فيقال أن هذا الاختلاف هو على حسب حال المخاطب, نقول: بعض الناس طلب العلم أفضل في حقه, وبعض الناس الجهاد في حقه أفضل, فمن كان وعاء للعلم حفاظا فاهما مكابدا للعلم فهذا طلب العلم في حقه أفضل لأنه ينتج أكثر.

ولهذا تجدون أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم في التفاضل بين الأعمال أنه يخاطب كل إنسان بما تقتضيه حاله, وبهذا ينفك الإشكال الذي يرد على النفس حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث أفضل الأعمال كذا وكذا, وفي بعضها أفضل الأعمال كذا وكذا, فيقال أن هذا الاختلاف هو على حسب حال المخاطب, نقول: بعض الناس طلب العلم أفضل في حقه, وبعض الناس الجهاد في حقه أفضل, فمن كان وعاء للعلم حفاظا فاهما مكابدا للعلم فهذا طلب العلم في حقه أفضل لأنه ينتج أكثر وينفع المسلمين أكثر, ومن كان على غير هذه الحال, قليل الحفظ قليل الفهم ولكنه شجاع قوي بطل فهنا الجهاد في حقه أفضل, ولكل درجات مما عملوا.

يقول الله عز وجل: **((ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون))** ألم تر: هذا الاستفهام للتقرير, لأن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي صارت مقررة له, فمعنى ألم تر: أي رأيت, والخطاب إما للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل ما يصح أن يتوجه إليه الخطاب, وهذا الخطاب يرد كثيرا في القرآن, وقد بينا أن الخطاب الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الذي ظاهره أنه موجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما هو مختص به قطعا, والقسم الثاني: ما هو عام له وللأمة قطعا, والقسم الثالث: ما لا يتبين فيه هذا ولا هذا.

أما الأول وهو الخاص بالرسول قطعا فهو خاص به ولا إشكال في ذلك مثل قوله تعالى: **((ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك))** **((ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى))** وما أشبهها الخطاب هنا للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة ولا يشمل الأمة.

وأما الذي له ولغيره قطعا فمثل قوله تعالى : **((يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقهن))** لم يقل إذا طلقت النساء, فدل هذا على أن الخطاب الخاص به له وللأمة, لأنه خاطبه أولا بالنداء ثم وجه الخطاب إلى الأمة عموما فقال: **((إذا طلقتم))** فدل هذا على أن الخطاب الخاص به بالنداء ليس خاصا به بل هو له وللأمة.

ما ليس كذلك, يعني ما ليس هذا ولا هذا اختلف فيه العلماء رحمهم الله هل هو خطاب خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا يشمل الأمة إلا حكما على سبيل التأسي به أو أنه عام للرسول عليه الصلاة والسلام ولغيره, ويكون الخطاب فيه لمن يصح خطابه ؟ والخلاف في مثل هذا

يكاد يكون لفظيا لأن الجميع متفقون على أن هذا الحكم ثـابت للرسـول ولغيره, لكن إذا قلنا أنه خاص بـه صـار بالنسـبة لغيـره عامـا علـى وجـه التأسي والقدوة, لكن الحكم لا يختلـف فـي الواقـع, لأنـه إن لـم يشـمل الأمة لفظا فقد شملها حكما للأمر بالتأسي به صلى الله عليه وسلم.
فهنا: **((ألم تر إلى الذين يجادلون))** من أي الأقسام الثلاثـة ؟ هـذا مما يدخله الاحتمال أنه خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام أو عام لكل من يتوجه إليه الخطاب.
((أم تر إلى الـذين يجـادلون فـي آيـات اللـه) قـال المؤلـف : **" القرآن "** وهذا التفسير يعتبر قاصرا, لأن آيـات اللـه أعظـم مـن كونهـا كونيـة أو شـرعية, وأعظـم مـن كونهـا بـالقرآن أو التـوراة أو الإنجيـل أو غيرها من الكتب المنزلة على الرسل, فالصواب أن نقول: في آيات الله الكونية والشرعية, وأولى ما يدخل فيها القرآن.
والمجادلة هي المنازعة مع الخصم من أجل صـرفه عمـا كـان عليـه مـن المخاصمة, مأخوذة من الجدل وهو فتل الحبل حتى يحتكم ويكون قويـا, هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله يجادلون الرسل وأتباعهم, فالمجادلـة بين الرسل وأتبـاعهم كـانت منـذ أن أرسـل الرسـل إلـى يومنـا هـذا, ولا تستغرب أن يوجد من يجادل في آيات الله عز وجل فـي هـذا الزمـن لأن هذا هو سنة الله عز وجل منذ أرسل الرسل قال الله تعالى: **((وكذلك جعلنا لكـل نـبي عـدوا مـن المجرميـن))** كـل نـبي لـه عـدو مـن المجرمين, وإذا كان له عدو من المجرمين فلابد لهـذا العـدو أن يجـادل, وبالتالي أن يجالد بالسيوف.
المجادلة في آيات الله الكونية أن ينكر أن يكـون اللـه هـو الخـالق, وقـد وجد هذا فعلا, وجد من ينسب ما يحدث في الكون إلـى الأمـور الطبيعيـة دون أن يكون لها مدبر, وقال: هذه طبيعة تتفاعل وينتج منها مـا يشـاهد؛ يوجد من يجادل في آيات الله الكونيـة بـالأمور الـتي دون ذلـك, مثـل أن يثبت شيئا من الأسباب لم يجعله الله سببا كما يحدث لأهل الجاهلية مـن التشاؤم بالطيور والأماكن والأزمان وما أشبه ذلك, فهـم يتشـاءمون مثلا في الأزمان بشهر صفر, يقولون أن هذا الشهر شهر شر يتشـاءمون بـه, يتشاءمون أيضا بالطيور بنوع الطيـر أو بكيفيـة طيرانـه أو باتجـاهه أو مـا أشبه ذلك, يتشاءمون أيضا بالأشخاص يرى الإنسان الرجل أول مـا يـراه فيتشاءم به, حتى كان هذا موجود إلى عصرنا فيما يظهـر, بعـض النـاس في جهة ما من المملكة إذا أتى ليفتح دكانه ثم قابله شخص قبيح المنظر

مثلا قال: خلاص اليوم شؤم ما فيه بيع ولا شراء, هذا تشاؤم بالأشخاص, هذا أيضا من المجادلة في آيات الله الكونية.
أما المجادلة في آيات الله الشرعية فحدث ولا حرج, يكذبون بآيات الله الشرعية ينكرونها يجادلون في بعض الأمور فيها, يقولون فيها تناقض, وفيها كذا وكذا, وأنواع الجدل كثيرة.
يقول: " ((أنى)) كيف ((يصرفون)) عن الإيمان " يعني كأن هذا استفهام تعجب وإنكار كيف يصرفون عن الإيمان مع أنه واضح بين فهم يصرفون عنه ويجادلون فيه.
ثم قال : **((الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا))** هذا بدل من قوله: **((الذين يجادلون))** أو عطف بيان, والفرق بينهما أن عطف البيان يشبه الصفة في بيان المبدل منه, وأما البدل فقد يكون بدلا مجردا عن الصفة, فمثلا إذا قلت جاء زيد أخوك، أخوك هنا بدل لم نستفد منها شيئا كثيرا, لكن إذا جاء عطف البيان مثل هذه الآية: **((الذين كذبوا بالكتاب))** فقد استفدنا منها معنى هو إلى الصفة أقرب منه إلى البدلية, فلهذا يسمونه عطف بيان.
((الذين كذبوا بالكتاب)) أي قالوا إنه كذب, والكتاب هنا محلى بأل كما تعلمون فهل هي للعهد أو للاستغراق أو للجنس ؟ أقرب شيء أنها للجنس, والمؤلف جعلها للعهد فقال: **" القرآن "** ولا شك أنه لا يجوز العدول عن الجنس أو بيان الحقيقة, لا يجوز العدول عن ذلك إلا بدليل انتبه.
فما هو الأصل في الـ أن تكون لبيان الحقيقة أو لبيان الجنس أو للعهد ؟ نعم لبيان الجنس, لأن بيان الجنس يعني الاستغراق وهذا هو الأصل, فإذا جعلتها للعهد فقد عدلت بمعناها العام إلى معنى الخاص وكذلك إذا جعلتها للحقيقة, ونحن نضرب ثلاثة أمثلة ليتبين الأمر:
إذا قلت: الرجل خير من المرأة, هل هي للعموم ؟ لا, لأن من النساء من هو خير من الرجال إذن هذا لبيان الحقيقة, إذا أورد عليك مورد: **((وخلق الإنسان ضعيفا))** لأي شيء هذا ؟ للجنس يعني العموم, يعني خلق كل إنسان ضعيف طيب. إذا أورد عليك قول الله تعالى: **((كما أرسلنا إلى آل فرعون رسول فعصى فرعون الرسول))** للعهد الذكري. **((يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم))** هذا أيضا للعهد الذهني.
هنا المؤلف رحمه الله حمل قوله: **((الكتاب))** على العهد الذهني

وقال أنه القرآن, والصواب أنه عام وأن المراد به جنس الكتاب, وذلك لأن التوراة كذب بها أناس, والإنجيل كذب به أناس, وكذلك الزبور, وبقية الكتب, وآخرها القرآن.
" ((وبما أرسلنا به رسلنا)) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ((فسوف يعلمون)) " وبما أرسلنا به رسلنا عطفها على قوله: **((بالكتاب))** بإعادة العامل, لأن العطف يكون بإعادة العامل وبغير إعادة العامل, فتقول: مررت بزيد وعمرو, هذا عطف بدون إعادة العامل, مررت بزيد وبعمرو هذا عطف بإعادة العامل, ويفيد إعادة العامل استقلال المعطوف عن المعطوف عليه, لأنه ليس تابعا له من كل وجه بدليل إعادة العامل, فقوله: **((وبما أرسلنا به رسلنا))** يدل على أن ما أرسلت به الرسل كأنه مستقل عن الكتاب, ولهذا كانت السنة بمثابة الكتاب في الدلالة ووجوب العمل بها.
((وبما أرسلنا به رسلنا)) قال المؤلف: **" من التوحيد والبعث وهم كفار مكة "** التوحيد يعني توحيد الله عز وجل بما يستحق من الأسماء والصفات والعبادة والربوبية, وأما البعث فهو إخراج الناس من قبورهم يوم القيامة, وقوله: **" وهم كفار مكة "** هذا لا وجه له لأن هذا الوصف التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به الرسل لا يختص بأهل مكة, هم وغيرهم, فالأولى أن يجعل هذا عاما في كل من كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم, بل نقول عاما في كل من كذب الرسل انتبه.
لكن إذا قال قائل: **((فسوف يعلمون))** ألا تدل على أن المراد بذلك الكفار الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب: لا, لأن قوله: **((فسوف يعلمون))** تهديد لما سيكون في الدنيا وما سيكون في الآخرة بدليل قوله : **((إذا الأغلال في أعناقهم))** والأغلال لا تكون في الأعناق إلا يوم القيامة.
قال تعالى: **" ((فسوف يعلمون)) عقوبة تكذيبهم ".**
" ((إذ الأغلال في أعناقهم)) إذ بمعنى إذا ((والسلاسل)) عطف على الأغلال فتكون في الأعناق, أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره ((يسحبون)) أي يجرون بها ". قوله : ((فسوف يعلمون)) هو تهديد بلا شك كقوله تعالى : **((كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون))** سوف يعلمون إذا الأغلال في أعناقهم, فيقول المؤلف: **" إذ بمعنى إذا "** ومن المعلوم أن إذ تأتي بالحاضر وتأتي للماضي, وإذا تكون للمستقبل, فما الذي

جعل المؤلف رحمه الله يصرف معناها إلى المستقبل ؟ جعله يصرف ذلك إلى المستقبل لأن الأغلال لا تكون إلا يوم القيامة وهو مستقبل, ولكننا نقول: لا حاجة إلى ذلك بل هي إذ على بابها, ولكنها حكاية حال, وحكاية الحال هي التي تجعل المستقبل كأنه حاضر, وهذا أبلغ في التهديد, يعني كأن الأغلال الآن حاضرة لأنها أمر مؤكد ولابد أن يكون.
الأغلال تكون في الأيدي كما قال الله تعالى: **((غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا))** والسلاسل تكون في الأرجل كما قال الله تعالى : **((مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران))** لكن هنا يقول الله: **((إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل))** تقتضي أن تكون السلاسل في الأعناق في محل الأغلال, ولكن فيه احتمال آخر بينه رحمه الله بقوله: **" عطف على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم "** وعلى هذا إذا كانت مبتدأ تقول: الواو للاستئناف, والسلاسل مبتدأ, وخبره محذوف أي في أرجلهم.
" أو خبره ((يسحبون)) " ويكون العائد محذوفا والتقدير يسحبون بها, والسلاسل يسحبون بها, فهنا صار إعراب السلاسل ثلاثة أوجه:
الوجه الأول: أنها معطوفة على الأغلال, فتكون السلاسل في الأعناق, يعني معناه أنه تغل أيديهم إلى أعناقهم بسلاسل.
والثاني: أن تكون السلاسل بالأرجل والخبر محذوف أي في أرجلهم.
والثالث: أن تكون السلاسل في الأرجل والخبر قوله: **((يسحبون))** والمعنى أنهم يسحبون بهذه السلاسل, وهذا المعنى هو أقربها لظاهر القرآن كما قال الله تعالى : **((يوم يسحبون في النار على وجوههم))** فهم إذا سحبوا على وجوههم ستكون السلاسل في الأرجل, فهذا أقرب الاحتمالات التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى.
وقوله: **" ((في الحميم)) أي جهنم "** ووصفت بذلك لأنها شديدة الحرارة **" ((ثم في النار يسجرون)) يوقدون "** لأن النار وقودها الناس والحجارة.
في هذه الآيات فوائد كثيرة:
أولا: العجب من حال هؤلاء المكذبين بالكتاب وبما جاءت به الرسل لقوله: **((ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله))** وهم والله عجب كما قال تعالى : **((وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد))** .
ومن فوائد هذه الآيات أن الإنسان يصرف عن الحق مع بيانه ووضوحه.

وهذا يؤدي إلى فائدة أخرى وهي خوف الإنسان من أن يصرف عن الحق.
وينتج عن ذلك فائدة ثالثة: وهو سؤال الإنسان ربه دائما أن يثبته, ولهذا كان من دعاء المؤمنين: **((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا))** فينبغي للإنسان أن يكون دائما على خوف وأن يسأل الله الثبات دائما.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تهديد هؤلاء المكذبين بهذه العقوبة أن تغل أيديهم يوم القيامة, وأن تسلسل أرجلهم, وأن يسحبون في النار على وجوههم, وكل هذا يوجب للإنسان أن يصدق بالكتب وبما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.
ومن فوائد هذه الآيات أن الإنسان لا يعلم علم اليقين حتى يشاهد ما أخبرت به الرسل لقوله: **((فسوف يعلمون إذ الأغلال))** وفي ذلك الوقت يقرون بالحق ويقولون: **((قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل))** لكن هذا لا يمكنهم, ولا يمهل لهم في ذلك, بل قال الله تعالى : **((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه))** .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات النار وأنها في أشد ما يكون من الحرارة لقوله: **((في الحميم ثم في النار يسجرون)).**
هذا العذاب لا يخفى علينا جميعا أنه عذاب بدني جسدي, هناك عذاب قلبي بينه في قوله: **" ((ثم قيل لهم)) تبكيتا ((أين ما كنتم تشركون من دون الله)) معه, وهي الأصنام "** والاستفهام هنا لا شك أنه للتوبيخ والتنديد والتعجيز كلها يتضمنها هذا الاستفهام, وهذا ألم قلبي لأن الإنسان يندم أشد الندم إذا كانت هذه الأصنام التي كان يعبدها لتقربه إلى الله عز وجل كما يدعي ثم تضل عنها الآن ولا توجد, كما لو أمسكت عبدا مثلا وعذبته وقلت: أين سيدك الذي تدعي أنه يحميك ؟ أليس هذا يكون أشد ندما له ؟ بلى, إذن فهؤلاء يندمون هذا التنديم فيقال: **((أين ما كنتم تشركون من دون الله))** أي مع الله وهي الأصنام, وحينئذ يتحسرون حسرة ليس فوقها حسرة.
ولهذا يقولون ـ إقرار المكره في الواقع ـ: **" ((قالوا ضلوا)) غابوا ((عنا)) فلا نراهم "** إذن عرفوا أنها لن تنفعهم, وأنها غابت عنهم في أشد ما يحتاجون إليها فيه بل قالوا : **((بل لم نكن ندعو من قبل شيئا))** سبحان الله يعني أنكروا أن يكونوا أشركوا كما قال الله تعالى في آية أخرى**: ((ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا**

ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)) فالحاصل أنهم يندمون هذا الندم العظيم ثم ينكرون.
يقول عز وجل : **((بل لم نكن ندعو من قبل شيئا))** نـدعو بمعنـى نعبد, لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة ودعاء عبادة, وكلاهما متلازمان, فدعاء المسألة عبادة كما جاء في الحديث: **(الدعاء عبــادة)** ودعاء العبادة أيضا دعاء مسألة, لأنك لـو سـألت العابـد: لمـاذا عبـدت الله ؟ لقال: رجاء ثوابه وخوف عقابه, فهو داعي بلسـان الحـال, ولـذلك صار الدعاء بمعنى العبادة والعبادة بمعنى الـدعاء وانظـر إلـى ذلـك فـي قـوله تعـالى: **((وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّـذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))** [غـافر :60] لكن دعاء المسألة دعاء صريح في السؤال يقول القائـل: رب اغفـر لـي وارحمني إلى آخره, ودعاء العبادة دعاء بـاللازم, لأن الإنسـان إنمـا يعبـد الله خوفا من عقابه ورجاء لثوابه, دعـاء المسـألة دعـاء عبـادة صـريح أو باللازم ؟ عبادة باللازم, لأن السائل متذلل للمسئول فهو متعبد له.
قال: " ((بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا)) أنكـروا عبـادتهم إياها ثم أحضرت فقال الله تعالى : ((إنكم ومـا تعبـدون مـن دون الله حصب جهنم)) أي وقودها " تمـام الآيـة: **((أنتـم لهـا واردون لو كان هؤلاء آلهة مـا وردوهـا وكـل فيهـا خالـدون))** فهؤلاء أنكروا, كذبوا على أنفسـهم, ظنـوا أن هـذا سـينفعهم كمـا لـو أن الجاني في الدنيا أنكر جنايته ربما ينفعه ذلـك, لكـن فـي الآخـرة لا ينفـع, حتى أنهم إذا أنكروا ختم على أفواههم فتتكلم الأيـدي والأرجـل والجلـود والألسن بما تعمل, وحينئذ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.
في هذه الآية أيضا من الفوائد أن هـؤلاء المكـذبين بالكتـاب وبمـا أرسـل الله به الرسل يعذبون عـذابا جسـديا بالسلاسـل والأغلال والسـحب فـي النار, ويعذبون عذابا قلبيا بالتوبيخ والتقريع والتنديم فيقـال: **((أين مـا كنتم تشركون من دون الله)).**
ومن فوائد هذه الآية إثبات القول لله عز وجل, هـل يمكـن أن تأخـذ مـن الآية ؟ الآية لا تدل على هذا لأن القائل لم يبين **((قيل لهـم))** ولكنهـا في آيات أخرى تدل على أن اللـه يقـول لهـم ذلـك: **((ويوم ينـاديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمـون))** الـذي ينـاديهم اللـه لأنه قال: **((أين شركائي الذين كنتم تزعمون))** ويمكن أن يقـال أنهم ينادون من قبل الله وينادون أيضا مـن قبـل الملائكـة الـذين وكلهـم

الله عز وجل, أو يقال أن الملائكة تناديهم ولكن منادتهم أضيفت إلى الله لأنه الآمر بها, كما أضاف اللـه الوفـاة إليـه مـع أن الـذي تتـوفى الأنفـس مباشرة هي الرسل, ولكن نقـول هـذه الاحتمـالات لا نوردهـا مـع وجـود الظاهر, لأن الكلام يحمل على ظاهره حتى يقوم دليل على صـرفه عـن الظاهر فإذا كان الله يقول : **((ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون))** صريح بأن المنادي هو الله فيبقى على ما هـو عليه, ويحمل ما كان مبنيا للمفعول على أن المنادي هو الله عز وجل.

الطالب : **((والسلاسل يسحبون))** ما فيه عائد يا شيخ ؟

الشـيخ : مـا فيـه عائـد ؟ ذكرنـا العائـد, قلنـا العائـد محـذوف والتقـدير: يسحبون بها, حذف العائد يجوز, كل ما يعلم فحذفه جائز.

الطالب : فسرتم الاستفهام أنه استفهام تقريري, ثـم قلتـم مـن فوائـده التعجب ؟

الشيخ : أيهم ؟ **((ألم تر))** نعم . لقوله: **((أنى يصرفون))**

الطالب : إذا التعجب ليس من الاستفهام ؟

الشيخ : لا من **((أنى يصرفون))** استفهام.

القارئ : أعوذ بالله من الشـيطان الرجيـم **((ثُمَّ قِيـلَ لَهُـمْ أَيْـنَ مَـا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُـنْ نَـدْعُوا مِـنْ قَبْـلُ شَـيْئًا كَـذَلِكَ يُضِـلُّ اللَّـهُ الْكَـافِرِينَ ذَلِكُـمْ بِمَـا كُنْتُـمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ وَبِمَـا كُنْتُـمْ تَمْرَحُـونَ ادْخُلُـوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْـسَ مَثْـوَى الْمُتَكَبِّرِيـنَ))** [غـافر : 75]

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيـم قـال الله تعالى: **((ثم قيل لهم أين ما كنتم تشـركون مـن دون اللـه))** من القائل ؟ القائل هو الله.

ما هو الدليل مـن القـرآن ؟ قـوله تعـالى: **((فيقول أيـن شـركائي الذين كنتم تزعمون))** طيب.

هل يحتمل معنى آخر أن القائل غير الله أيضا ؟ ويمكن أن تكون الملائكة أيضا, وينسب إلى الله لأنه الآمر, الآية التي ذكرها صريحة, لكـن م ا فـي القرآن آية تدل على أن الملائكـة تـوبخهم أيضـا ؟ إذا كـان فيـه فلا مـانع, تكون هذه الآية بنيت لما لم يسم فاعله لهذا السبب طيب.

ما المراد بهذا القيل ؟ ما هو الغرض من هـذا ؟ التوبيـخ والتنـديم طيـب. إذن يكون جمع لهم بين العذاب القلبي والبدني, لأن تنديمهم وتنويمهم لا

شك أنه يؤثر عليهم.
قال الله تعالى: **((كذلك يضل الله الكافرين))** كذلك: الكاف حرف ولكنها اسم في الواقع, فهي مفعول مطلق, وتقدير الكلام: مثل ذلك الإضلال يضل الله الكافرين, فهي حرف صورة, لكنها بالمعنى اسم, هذا الاسم محله من الإعراب مفعول مطلق للفعل الآتي بعده, وكما تعلمون أن مثل هذا التعبير يأتي كثيرا في القرآن, وإعرابه كما سمعتم أن الكاف حرف بمعنى مثل, وأن إعرابها مفعول مطلق للفعل الذي بعدها, والتقدير في كل سياق بحسبه, لكن في الآية التي معنا: مثل ذلك الإضلال يضل الله الكافرين.
وقوله: **((كذلك يضل الله الكافرين))** أي يجعلهم في ضلال, يقول المفسر: **" ((كذلك)) أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ((يضل الله الكافرين)) ".**
قال: **" ويقال لهم أيضا ((ذلكم)) العذاب ((بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق)) "** ذلكم: المشار إليه العذاب, والمخاطب أولئك الكافرون, ولهذا جاءت الكاف بضمير الجماعة, وجاءت اسم الإشارة بالإشارة لمفرد مذكر لأن العذاب مفرد مذكر.
واعلم أن اسم الإشارة وكاف الخطاب تارة يتفقان وتارة يختلفان, فاسم الإشارة يكون بحسب المشار إليه, وكاف الخطاب بحسب المخاطب, فإذا قيل لك: أشر إلى مفرد مذكر مخاطبا جماعة نساء ؟ ((فذلكن الذي لمتنني فيه)).
أشر إلى مثنى مذكر مخاطبا مثنى مؤنث ؟ ذانكما طيب.
أشر إلى مفرد مؤنثة مخاطبا جماعة ذكور ؟ في القرآن **((وتلكم الجنة التي أورثتموها)).** المشار إليه مفرد مؤنث والمخاطب جماعة ذكور,
المهم هذه القاعدة: اسم الإشارة بحسب المشار إليه, وكاف الخطاب بحسب المخاطب قد يتفقان وقد يختلفان طيب.
وقوله: **((ذلكم بما كنتم))** الباء للسببية, وما مصدرية, وعلامة ما المصدرية أن يصح تحويل ما بعدها إلى مصدر, فمثلا قوله: **((ذلكم بما كنتم))** إذا حولنا ما بعدها إلى مصدر يكون التقدير: ذلكم بكونكم تفرحون في الأرض بغير الحق.
وقوله: **((بما كنتم))** معلوم أن كان هذه للماضي أي قبل الموت **((تفرحون في الأرض بغير الحق))** أي تفرحون بالباطل, وذلك

أنهـم يفرحـون بالشـرك والكفـر وكـل مـن شـاركهم فـي إثمهـم فـإنهم يفرحون به.
وقـوله: **((بغير الحـق))** قـال المفسـر : **" مـن الإشـراك وإنكـار البعث "** وهذا في الواقع قصـور إلا إذا كـان يريـد بـه التمثيـل, وإلا فـإن قوله: **((بغير الحق))** أعم من الشرك وإنكار البعث فهم يفرحون في الأرض بغير الحق من الشـرك وإنكـار البعـث والعـدوان وتحليـل الحـرام وتحريم الحلال كالسائبة والوصيلة والحام وما أشبه ذلك, المهم أن قـول المؤلف: **" بالإشراك وإنكار البعث "** هذا قصور ما لـم يـرد التمثيـل, فإن أراد التمثيل فإن التمثيل لا يفيد الحصر.
" ((وبما كنتم تمرحون)) توسعون فـي الفـرح " الـواو حـرف عطف, والبـاء للسـببية, وهـذا الجملـة معطوفـة علـى مـا قبلهـا بإعـادة العامل وهو الباء, والعطف بإعادة العامل يعنـي أن الثـاني مسـتقل عـن الأول, فهم يعذبون بالأمرين جميعا, يعذبون عـذابا خاصـا بـالفرح وعـذابا خاصا بالمرح, وبالباء للسببية, وبما كنتم تمرحون توسعون في الفرح .
((ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها)) ادخلوا فعل أمر, والآمر هم الملائكة, والأمر يراد به الإهانة ليس أمر إكرام ولكنه أمر إهانـة, وإلـزام لأنه لابد أن يدخلوا, وقوله: **((أبواب جهنم))** جمع, عددها سبعة كمـا قال الله تعالى : **((لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم))** وجهنم اسم من أسماء النار, وسميت بذلك لأنهـا ذات جهمـة إذا قلنـا أن جهنم اسم عربي زيدت به النون, وإن قلنا أنه اسم غير عربـي ولكنـه عرب فلا حاجة أن نقول إنه مشتق من الجهمة التي هي الظلمة والقعـر, وأيا كان فهو اسم من أسماء النار أعاذنا الله وإياكم منها.
((خالدين فيها)) خالدين هذه حال من الفاعل في قوله: **((ادخلوا))** وهذا الخلود هل هو طول المكث أو هو التأبيـد ؟ نقـول اللغـة العربيـة يأتي فيها الخلود مرادا به طول المكث, ويأتي مرادا بـه التأبيـد, والمـراد به هنا الثاني, يعني أنهم خالـدون فيهـا أبـدا, ودليـل ذلـك أن اللـه تعـالى صرح في القرآن الكريم بأن أهل النار خالدين فيها أبدا في ثلاثة مواضع:
الموضع الأول قول الله تعالى : **((إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقـا إلا طريـق جهنـم خالـدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا))**.
والآية الثانيـة قـوله تعـالى : **((إن الله لعـن الكـافرين وأعـد لهـم سعيرا خالدين فيها أبدا))**.

والآية الثالثة قول الله تعالى : **((ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا))**.
وبهذه الآيات الثلاث يتبين ضعف بل بطلان قول من يقول إن النار ليست مؤبدة وأنها تفنى, فإن هذا القول منكر لأنه مخالف لصريح القرآن, ولا يمكن لإنسان يخالف صريح القرآن لمجرد تعليلات يعللها مثل أن يقول إن رحمة الله تعالى سبقت غضبه وأن هؤلاء مآلهم إلى أن يفنوا هم والنار.
يقال: نعم رحمة الله سبقت غضبه لكن وعد الله حق, أليس كذلك ؟ وإذا كان وعد الله حقا فإنهم يخلدون فيها أبدا.
وإذا قال قائل: التخليد الأبدي في هذا العذاب الأليم كيف يكون جزاء لإنسان لم يبقى في الدنيا إلا مائة سنة أو ألف سنة ؟ فيكون هنا العذاب أكثر من زمن العمل, لأنه ما فيه أحد بقي في الدنيا أبد الآبدين, فيقتضي هذا أن يكون فيه ظلم, لأن الجزاء صار أكثر من العمل بكثير ولا ينسب له, كما قلت لكم لنفرض أن أحد من الناس عاش ألف سنة أو عشرة آلاف سنة لكنه عاش إلى أمد ثم نقول عذابه مؤبد يكون هذا ظلما ؟
فيقال: إن هذا أمضى حياته الدنيا كلها في محادة الله ورسله فيمضي حياته الأخرى كلها في العذاب, وهذا عدل, ثم أن هذا الذي عذب أبدا قد قيل له في الدنيا وبين له أن جزاءه العذاب الأبدي فلماذا يقدم على شيء يعرف أن هذا جزاؤه, وحينئذ لا ظلم ولا عذر للكافرين, فالمهم أن قوله تعالى: **((خالدين فيها))** يشمل الخلود للأبد.

فالمهم أن قـوله تعـالى: **((خالدين فيها))** يـراد بـه الخلـود الأبـدي **((فبئس مثوى المتكبرين))** هـذه الجملـة جملـة إنشـائية يـراد بهـا الذم, ويقابل هذا في المدح **((نعم دار المتقين))** فـبئس هنـا فعـل إنشائي يرد به الذم, والمعنى أن هذه الدار دار كلهـا دم كلهـا بلاء, ولهـذا وصفت بأنها بئس مثوى المتكبرين .

الطالب : حديث: **(نية الكافر شر من عمله)** ما مراده ؟

الشيخ : أولا هذا ليس حديثا صحيحا عن الرسـول, وثانيـا مـراد قـائله أن الإنسان يدرك بنيته ما لا يـدرك بعملـه هـذا المعنـى, فالإنسـان المريـض الذي يتمنى أنه صحيح يقوم بما أوجب الله عليه هـذا أدرك بالنيـة مـا لـم يدرك بالعمل, وكذلك أيضا بالنسبة للشـر, الإنسـان إذا نـوى الشـر وهـو عاجز عنه يعاقب معاقبة الفاعل لكن بالنية, دليل ذلك قـول النـبي عليـه الصلاة والسلام في الرجل الفقير الذي ليس عنده مال وكان هناك رجـل آخر ينفق المال في غير مرضاة الله**, فقال هذا الرجل: لـو أن لـي مال فلان لعملت به عمـل فلان قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: (فهو بنيته فهما في الوزر سواء).**

الطالب : شيخ بارك الله فيكم حصرنا أبواب جهنم بسبعة للآية مع أنه مر معنا فـي أسـماء اللـه عـز وجـل **(إن لله تسعة وتسـعون اسـما)** وكذلك في أبواب الجنة الثمانية قلنـا أنـه لا يـدل علـى الحصـر, مـا وجـه الحصر في هذه الآية ؟

الشيخ : هذا يسأل يقول: إنكم قلتم أن العدد لا مفهوم له في قوله صلى الله عليه وسلم : **(إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)** قلتم هـذا العـدد لا يـدل علـى الحصـر, وأن للـه أسـماء أخـرى, فلماذا نقول بالحصر أو بإفـادة العـدد الحصـر فـي أبـواب جهنـم وأبـواب الجنة ؟

الجواب أن نقـول: أمـا الأول وهـو قـوله : **(إن لله تسـعة وتسـعين اسما)** فإنما قلنا أنها ليست للحصر بدليل حديث عبد اللـه بـن مسـعود حديث الغم قال : **(أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسـك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت بـه فـي علم الغيب عندك)** وإذا كان الله مسـتأثرا بعلـم الغيـب عنـده فـإنه لا يمكن للإنسان أن يدركه لأن اللـه اسـتأثر بـه, فمـن ثـم قلنـا أن العـدد لا مفهوم له في قوله: **(إن لله تسعة وتسعين اسما)** وأن المعنى أن من أسماء الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة.

الطالب : قلنا أن القول بأن النار ليست مؤبدة خلاف صريح القرآن, فإن قال هذا القائل أن هذا وعيد وإخلاف الوعيد جائز ؟
الشيخ : نقول هذا لا يمكن, لأننا لا نقول إخلاف الوعيد جائز إلا في أمر ضروري لابد منه مثل: **((ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه))** هذه بعض الأجوبة التي أجيب عن هذه الآية بها أن هذا وعيد وإخلاف الوعيد كرم وهو ثناء ومدح للمخلف, لكن هذا الجواب في الواقع جواب يهز ليس جوابا راسخا, لأننا نقول إن الله لا يخلف الميعاد أي ما وعد به من عقوبة أو كرامة, وأما الآية **((خالدا فيها))** في آية القتل يحمل الخلود على المعنى الثاني وهو المكث الطويل, وبهذا ليس هناك تناقض .
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ))**.
الشيخ : الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين قول الله تبارك وتعالى في أهل النار يقال لهم: **((ادخلوا أبواب جهنم))** ما هو المراد بهذا الأمر ؟ الإهانة؛ وقوله تعالى في أهل الجنة: **((ادخلوها بسلام آمنين))** ما المراد بالأمر ؟ الإكرام طيب. نأخذ من هذا أن الكلمات يختلف معناها باختلاف السياق, وهذه فائدة عظيمة لطالب العلم أن الكلمات يختلف معناها باختلاف السياق, فكم كلمة كان لها معنى في سياق ولها معنى آخر في سياق آخر طيب.
هل أهل النار يخلدون فيها أبدا ؟ نعم أبدا. دليل هذا ؟ في سورة الأحزاب, والثاني **((إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا))** في سورة النساء, وفي سورة الجن.
ثم نبدأ درسنا اليوم إن شاء الله قال الله تبارك وتعالى : **((فاصبر إن وعد الله حق))** اصبر: الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وعلى آله

وسلم.
قوله تعالى: **((كذلك يضل الله الكافرين))** يستفاد منها أن الله تعالى يضل الكافر لكفره, وجه الدلالة أن الحكم إذا علق على وصف كان ذلك الوصف علة له, فالذي علق على الكفر هنا الإضلال, إذن الكفر سبب للإضلال, ويؤيد هذا قول الله تعالى : **((فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم))**.
يتفرع على ذلك أن الضال إذا ضل فإنه هو السبب في ضلالهم, لأن الله تعالى لو علم فيه خيرا لأسمعه, ولهذا يقول الله عز وجل : **((الله أعلم حيث يجعل رسالته))** وهذه الآية تعني أن الله أعلم حيث تكون الرسالة في شخص معين, وكذلك حيث يكون أثر الرسالة في شخص معين, وأثر الرسالة الهداية.
ومن فوائد الآية الكريمة الرد على القدرية: **((كذلك يضل الله الكافرين))** وجه ذلك ؟
الطالب: القدرية يقولون أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله سبحانه وتعالى.
الشيخ: ولا علاقة لله بها.
الطالب: لكن الآية تدل أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يضلهم.
الشيخ: نعم, فيكون بذلك رد على القدرية.
ينبغي بهذه المناسبة وإن لم يكن الدرس درس عقيدة أن نقول إن الناس انقسموا في هذا الباب إلى طرفين ووسط أي في أفعال العباد:
فمنهم من يقول أفعال العباد مخلوقة لله, والعبد مجبور عليها, وليس له إرادة, لأن الله خالق كل شيء, وإذا كان الله هو الخالق فالإنسان ليس له تدبير.
ومنهم من قال بالعكس إن الإنسان فاعل باختياره وليس لله علاقة به هذان طرفان.
ومنهم من قال إن الإنسان فاعل باختياره لكن فعله مقرون بمشيئة الله, وهذا هو الوسط.
واعلموا أن أسباب الضلال في مثل هذه الأمور أن من الناس من ينظر إلى النصوص من زاوية واحدة, بمعنى أنه يأخذ نصا ويدع نصا, فالجبرية رأوا عموم مشيئة الله وعموم خلق الله وأن الإنسان فقير إلى الله وما أشبه ذلك, فقالوا: إذن الإنسان ليس له إرادة ولا اختيار وفعله على وجه الإجبار.

والقدرية رأوا أن الإنسان يفعل ولا يحس أن أحدا مكره له, والله تعالى قد أضاف الفعل إليه, فقال أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فهو مستقل بعمله ليس لله فيه علاقة, فأخذوا من جانب وتركوا من جانب آخر, وهكذا جميع خلاف العلماء إذا رأيتهم مختلفين على طرفين ووسط فاعلم أن الطرفين كل واحد منهما أخذ بجانب من الأدلة وترك جانبا آخر.

ثم قال عز وجل : **((ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق))** إلى آخره.

في هذه الآية الكريمة إثبات الأسباب يؤخذ من قوله: **((بما كنتم تفرحون))** لأن الباء هنا للسببية.

واعلم أيضا أن الناس اختلفوا في الأسباب على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط.

طرف من الناس أثبت الأسباب وأنها فاعلة بنفسها يعني أنه إذا وجد السبب لزم وجود المسبب ولابد.

وطائفة أخرى أنكرت تأثير الأسباب وقالوا الأسباب لا تؤثر, لأنك لو جعلت هذا متأثرا بسبب لأثبت لله شريكا في الإيجاد وهذا شرك, إذن هنا طرفان:

طرف يثبت الأسباب وأنها مؤثرة بنفسها بمعنى أنه متى وجد السبب لزم وجود المسبب فالسبب مؤثر بذاته.

وطائفة أخرى تقول لا تأثير للأسباب, لأنك لو جعلت للأسباب تأثيرا أشركت مع الله حيث جعلت موجدا مع الله عز وجل.

الطائفة الثالثة قالت الأسباب مؤثرة لا شك لكن لا بنفسها لكن بما أودع الله فيها من القوى التي صارت بها مؤثرة, ولو شاء الله تعالى لسلب تلك القوى فلم تؤثر, وهذا قول وسط وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهو الذي يوافق السمع والعقل.

أضرب لك مثلا: رجل رمى زجاجة بحجر فانكسرت؛ مثبتو الأسباب يقولون الذي كسرها الحجر بذاته, ونافو الأسباب يقولون الحجر لم يكسر الزجاجة لكن انكسرت الزجاجة عند رميها بالحجر, وليس بالحجر, وإنما الحجر أمارة فقط, أمارة حصل الشيء عندها, وكذلك بقية الأسباب, والوسط يقولون الحجر كسر الزجاجة فهو السبب بما جعل الله تعالى في الحجر من قوة, وبما جعل في الزجاجة من قابلية, تقبل الانكسار, وهذا هو الحق.

في النار ألقينا في النار ورقا فاحترق؛ مثبتو الأسباب الذين يقولون أن الأسباب تؤثر بنفسها يقولون: النار أحرقت الورقة ولابد, ونافو الأسباب يقولون أن النار لم تحرف الورقة ولكن احترقت الورقة عند إلقائها في النار لا بالنار, والوسط يقولون: احترقت الورقة بالنار بما جعل الله تعالى في النار من قوة إحراق, وبما جعل في الورق من قابلية ذلك, ولهذا يوجد الآن مواد تضاد النار, تلقى في النار ولا تحترق, لأن هناك مانعا يمنع من تأثير السبب وهذا القول هو الراجح.

ألم تروا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار العظيمة التي لم يستطع ملقوه أن يقربوا منها حتى ألقوه في المنجنيق ورموه فيها رميا, لم يحترق مع أن النار سبب للإحراق, لكن الله قال لها: **((كوني بردا وسلاما على إبراهيم))**, فكانت بردا وسلاما عليه, قال العلماء: لو قال الله تعالى كوني بردا ولم يقل سلاما لكانت بردا مهلكة, لكن الله قال بردا وسلاما, فكانت بردا وسلاما وكأنه لم يكن في نار, إذن نقول: الأصح من أقول العلماء في تأثير الأسباب أنها مؤثرة لا لذاتها ولكن بما جعل الله تعالى فيها من القوى المؤثرة في المحلات القابلة.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الفرح بغير الحق سبب للعذاب والإضلال من: ((تفرحون في الأرض بغير الحق)).

ومن فوائدها أن الفرح بالحق محمود, ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)** وقال الله تعالى: **((قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون))** فالفرح بالحق محمود, والفرح بغير الحق مذموم, والفرح بما ليس حقا ولا باطلا ليس محمودا ولا مذموما لأنه من اللغو, ولكن عباد الرحمن إذا مروا باللغو مروا كراما.

ثم اعلم أن الفرح يكون طبيعيا, الإنسان إذا أتاه ما يسره لابد أن يفرح, ينفعل بدون إرادة, ومعلوم أن هذا لا يؤاخذ به الإنسان إلا إذا كانت طبيعته منحرفة بحيث يفرح بالسوء دون الخير .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأسباب تتوارد بمعنى أنه قد يرد على الشيء سببان تؤخذ من قوله: **((وبما كنتم تمرحون))** والمرح أشد الفرح.

وهكذا الأسباب الشرعية تتوارد بمعنى أنه قد يكون في الإنسان سببان واحد منهما يوجب الحب فإذا اجتمعا صار كل واحد يقوي الآخر؛ فإن اختلف موجب السببان فهل نقول أننا نأخذ بأحد السببين دون الآخر أو

نأخذ بالسببين ونعمل بموجبهما ؟ الثاني, ما لم يكن أحدهما أقوى فيدرج به الأصغر طيب.
إذا اجتمع سببان واختلف موجبهما أخذنا بموجب كل منهما ما لم يكن أحدهما أقوى فيؤخذ بالأقوى.
مثال ذلك: ابن عم هو زوج ماتت امرأته, هنا اجتمع في حق هذا الزوج جهة فرض وجهة تعصيب فهل يرث بالفرض أو بالتعصيب أو بهما ؟ بهما, فنقول: هذا الزوج له النصف فرضا والباقي تعصيبا, فهنا ورث بالفرض وبالتعصيب.
رجل ملك أمة ثم تزوجها فهل يصح هذا الزواج ليملك بضعها أو لا يصح ؟ لا يصح, لأن الملك أقوى, ولهذا لا يصح للسيد أن يعقد النكاح على أمته لكن يستمتع بها بملك اليمين.
المهم أنا أخذنا من الآية الكريمة أنه قد يجتمع سببان, رجل بال وتغوط هنا سببان موجبان للوضوء, هل نأخذ بكل واحد منها ؟ هنا لم يختلف الموجب, لأن الموجب هو الوضوء فلا يختلف, لكن يقوى الموجب بتعدد الموجب, لكن لما لم يختلف لا نقول يأخذ بهما جميعا لأن لا فائدة من ذلك طيب.
إذن إذا اجتمع موجبان فإن اتحد موجبهما أخذنا بواحد وكفى, وإن اختلف الموجب أخذنا بهما ما لم يكن أحدهما أقوى فيؤخذ بالأقوى ويترك الأضعف.
يقول: **((ادخلوا أبواب جهنم))** يستفاد منها إهانة الكفار وهو عذاب قلبي, لأن العذاب القلبي قد يكون أشد من العذاب البدني.
من فوائد الآية الكريمة أن لجهنم أبوابا لقوله أبواب وقد جاء في القرآن الكريم: **((لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم))**.
ومن فوائد الآية الكريمة: خلود أهل النار فيها لقوله: **((خالدين فيها))** والصواب الذي لا شك فيه أن الخلود مؤبد بالآيات الثلاث التي سقناها قبل قليل.
ومن فوائد الآية الكريمة: ثناء القدح على نار جهنم لقوله: ((فبئس مثوى)).
ومن فوائد الآية الكريمة: التحذير من التكبر لقوله: **((فبئس مثوى المتكبرين))** ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر)** فالكبر والعياذ بالله سبب لدخول النار.

لكن قد يكون سببا لدخولها مع الخلود, وقد يكون سببا لدخولها للتطهير فقط, فإن كان هذا التكبر تكبر عن الحق وردا له فهذا سبب لدخول النار على التأبيد. وإن كان التكبر دون ذلك مثل أن يتكبر على الخلق مع القيام بحق الخالق أو يتكبر عن بعض الأشياء, ولا أظن أحدا يتكبر عن أمر من أمر الله إلا وهو كافر كفرا مطلقا, لأن إبليس تكبر عن شيء واحد وكفر وهو السجود, لكن من تكبر على الخلق دون الحق فهذا لا يخلد في النار, يعاقب بمثل ما فعل من ذنب.
وأحب من طالب العلم أن يكون قويا في استنباط الأحكام من الأدلة, لأن القادر على استنباط الأحكام من الأدلة يحصل على علم كثير من أدلة قليلة, كم من إنسان يستنبط من آية واحدة عشرين فائدة, ويأتي إنسان آخر لا يستنبط إلا خمس فوائد مثلا, الأول حصل على ثلاثة أضعاف ما حصل عليه الثاني وذلك بالاستنباط, ولكن هنا مسألة لا تفرط في الاستنباط لأنك إن أفرطت فيه حملت النصوص ما لا تحتمل, فكن وسطا, وإذا دار الأمر بين أن يكون الحكم مستنبطا من آية أو حديث أو لا يكون فالسلامة ألا يكون طيب.
إن قلت ألا يكون قال لك الآخر: السلامة أن يكون حتى لا نبطل دلالة النص. لكن نقول: الأول أرجح لأنك إذا لم تتيقن أن الآية دلت عليه وسكت فقد سلمت, لأنك ما نفيت, انتبه السكوت درجة بين النفي والإثبات, فأنت إذا سكت لم تكن قلت على الله بغير حق, لكن إذا أثبت في النص ما لم يدل عليه فقد قلت على الله بغير حق, إذا فالسلامة فيما إذا شككت هل النص دل على هذا أو لا السلامة أن تسكت, ولكن لا تنفي, فقد يكون دالا عليه في نفس الأمر ولكن فهمك لم يدركه.
الطالب : في الآية الأولى قوله تعالى: **((ادخلوا أبواب جهنم))** قلنا أن: ادخلوا, جاءت هنا بمعنى الإهانة وفي الآية الأخرى للإكرام, هل في هذا رد على من قال بالمجاز في القرآن, فنقول لا مجاز إنما الكلمة يحمل معناها في كل سياق بحسب المعنى. ؟
الشيخ : هذا يقول إذا قلنا: ادخلوا تأتي للإهانة وتأتي للإكرام أفلا يكون فيها رد على من قال أن القرآن فيه مجاز ؟ وذلك لأننا نقول كل كلمة في موضعها فهي حقيقة فيه ؟
الجواب: نعم ربما يكون في ذلك دلالة على نفي المجاز, ولهذا كان الصواب ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا مجاز في اللغة ولا في القرآن, وأنتم تعرفون أن العلماء اختلفوا في هذا على

أقوال:
فمنهم من قال: لا مجاز في القرآن ولا غيره.
ومنهم من قال: لا مجاز في القرآن ويجوز في اللغة.
ومنهم من قال: المجاز في القرآن واللغة.
ومنهم من قال: كل الكلام مجاز, وأظن هذا رأي ابن جني أن جميع الكلام كله مجاز, حتى إذا قال: ضربت زيدا, قال: هذا مجاز, قلت: خيرا, قال: خير هذا مجاز, وهكذا, لكن الراجح ألا مجاز, وذلك لأن الذي يعين معنى الكلمة هو السياق والقرائن.
ولهذا: **((ادخلوا أبواب جهنم))** القرينة تدل على أن الأمر للإهانة **((ادخلوها بسلام آمنين))** القرينة تدل على أنه للإكرام.
الطالب : أحسن الله إليك قلنا الفرح بالحق ممدوح فما ضابط الحق ؟
الشيخ : إذا فعل الإنسان خيرا هذا حق, فإذا فرح بذلك فهو حق, إذا فرح بالمطر هذا حق, إذا فرح بأن الله أيده بشيء هذا حق, ولهذا فرح ابن عباس رضي الله عنهما حين أفتى الرجل بالتمتع في الحج فرأى في منامه ـ أي الرجل ـ أن رجلا يقول له: عمرة متقبلة وحج مبرور, فأخبر بذلك ابن عباس ففرح بهذا وقال: **" انتظر حتى نعطيك من العطاء "** أو كلمة نحوها.
الطالب : شيخ بارك الله فيكم فرح قارون الذي ذم عليه هل هو بالبغي أو بالمال الذي أوتيه ؟
الشيخ : فرح بكلا الأمرين.
الطالب : يعني الفرح بالمال ليس مذموما ؟
الشيخ : لا, قد يكون مذموما وقد يكون ممدوحا, إذا فرح بالمال ليستعين به على حق يعني إنسان يريد أن يشتري كتبا وليس عنده مال, فرزقه الله المال يفرح ليشتري الكتب, لكن إنسان يريد أن يشتري آله لهو وليس عنده مال, فرزقه الله المال فاشترى به آلة لهو, فالفرح هنا مذموم.
الطالب : إذا فرح الإنسان هل يثاب عليه ؟
الشيخ : أي نعم, لأنه يدل على حسن نية وقصد, إذا فرح بالحق فإنه يثاب على ذلك لأنه يدل على أنه مريد للحق.
القارئ : **((ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي**

نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ))[غافر :77].
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتهينا عن الكلام عن الفوائد حتى قوله تعالى: **((فبئس مثوى المتكبرين))**.
وذكرنا أن النار مثوى الكافرين وأن الجنة مثوى المؤمنين, وأن ذلك هو المثوى الأخير, ونبهنا سابقا على ما يطلقه بعض الناس الآن إذا مات الميت قالوا: إنه انتقل إلى مثواه الأخير, وقلنا أن هذا لو صدر عن عالم بما يقول مريدا لما يقول كان ذلك كفرا, ذكرنا أن الإنسان الذي يطلق هذا الكلام إذا كان عالما به مريدا له كان هذا كفرا, لأن مضمونه إنكار البعث, إذ أننا إذا جعلنا المثوى الأخير هو القبور فمقتضاه ألا بعث, وهذه خطيرة وهي متلقاة من غير المسلمين, إما من ملاحدة لا يؤمنون بالبعث, وإما جهال لا يدرون ما يقولون, على كل حال يجب صرف النظر عنها وألا يعبر بها, وأن يقال: انتقل إلى القبول وسيبعث يوم القيامة أو لا يقال سيبعث, المهم ألا يكون دالا على أن هذا هو آخر مرحلة لبني آدم.
ثم قال تعالى: **((فاصبر إن وعد الله حق))** اصبر فعل أمر, والأمر الأصل فيه الوجوب كما سيأتي.
فما معنى الصبر لغة ؟ معنى الصبر الحبس, ومنه قولهم: قتل فلان صبرا أي حبسا, أي أمسك ثم قتل؛ لكنه في الاصطلاح الشرعي أخص من مطلق الحبس فهو: حبس النفس عما يسخط الله تعالى فيما يرضي الله.
ومن ثم قال العلماء إن الصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله وهو أعلى الأقسام, وصبر عن معصية الله وهو الثاني في المرتبة, وصبر على أقدار الله المؤلمة وهو الثالث في المرتبة أيضا.
الأول: صبر على طاعة الله بأن يصبر الإنسان نفسه على طاعة الله فيقوم بالواجب ويكمل ذلك بالمستحب, وهذا يحتاج إلى صبر وإلى عناء ولاسيما مع ضعف الإيمان, فإن ضعيف الإيمان يشق عليه فعل الطاعات فيحتاج إلى أن يصبر ويحبس نفسه على فعل الطاعة, ويعدها بالخير والثواب, ويقول إن الوقت ماشي وذاهب, فإما أن يكون في طاعة الله, وإما أن يكون في معصية الله, وإما أن يكون لغوا, فيحملها ذلك على القيام بطاعته, والصبر على طاعة الله شاق من وجهين:
من وجه إلزام النفس بالقيام به, ومن وجه تعب البدن بالقيام به, فهنا عناءان: الأول مع النفس, والثاني مع الجوارح, ولهذا كان هو أعلى أقسام الصبر, مثال ذلك: الصبر في الجهاد, هذا صبر على طاعة الله,

وهو أشق أنواع الطاعة التي يصبر عليها, ولهـذا جعلـه النـبي صـلى اللـه عليه وسلم ذروة سنام الإسلام, لأنه أشق ما يكون.
الثاني: صبر عن معصية الله, يعني أن الإنسان قد يهوى المعصية, ولكـن يحبس نفسه عنها, فهذا صبر عن معصية اللـه عـز وجـل, ويتضـمن هـذا الصبر حبس النفس مع الكف, ففيه عناء واحـد وهـو حبـس النفـس عـن المعصية, لكن ليس فيه تعب بدني إذ أنه كـف بلا فعـل, وهـو أهـون مـن الفعل, ما فيه مشقة بدنية, غاية مـا فيـه معانـاة قلبيـة للصـبر عـن هـذه المعصية.
والقسم الثالث: الصبر على أقـدار اللـه المؤلفـة, أقـدار اللـه عـز وجـل المؤلمة هي التي لا تلائم النفس إما بفوات محبوب وإما بحصول مكروه, فيحبس الإنسان نفسه في هذا الأمر, وهو أقل أقسام الصـبر رتبـة, لأنـه يأتي بغير اختيـار الإنسـان, الصـبر علـى الطاعـة باختيـار الإنسـان وعـن المعصية باختيارك, لكن على الأقدار ؟ لا, ليس بملكك أن تمنـع مـا قـدر الله عليك من فوات محبوب أو حصول مكروه.
ولهذا قال بعض السلف عند حلول المصائب: إما أن تصـبر صـبر الكـرام وإما أن تسلو سلو البهائم, وقس نفسك, تأتيك المصيبة اليـوم أكـبر مـن الجبال وأحر من النيران ثم تخف شيئا فشيئا حتى لا تكاد تـذكرها طيـب.
إذن إما أن تصبر وتحتسب, وإما أن تسلو حتى لو تسخطت فالمـآل إلـى نسيان, أن يسلوا الإنسان سلو البهائم, هذا القسـم الثـالث مـن أقسـام الصبر يكون بالأمور الآتية:
حبس اللسان عن التسخط, لا يتسخط يقول أصابني الله بكذا ولم يصب فلانا, أصابني بالفقر والناس أغنيـاء, أصـابني بـالمرض والنـاس أصـحاء, وما أشبه ذلك, لا يقـول هكـذا, لا يقـول: وا ويلاه, وا ثبـوراه, وا انقطـاع ظهراه, ومـا أشـبه ذلـك, لا يقـول هكـذا, لأن هـذا منـاف للصـبر, طيـب الإخبار بما أصاب الإنسان من مصيبة دون التشكي أيجوز هذا أو لا ؟ .

طيب الإخبار بما أصاب الإنسان من مصيبة دون التشكي أيجوز هـذا أو لا ؟

يجوز هذا, وقع هذا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : **(بل أنـا وا رأساه)** ولا حرج, يعني هنـاك فرقـا بيـن شـخص يتكلـم بمـا أصـابه تسخطا أو شكاية لمخلوق وبين شخص يخبر عما أصابه فقط مجرد خبر, والأعمال بالنيات.

الثاني : حبس الجوارح عند المصيبة عن فعل ما لا يجوز, ومـا ينـبئ عـن الغضب, مثل شق الجيوب, لطم الخدود, نف الشعور, ومـا أشـبه ذلـك, هذا أيضا مناف للصبر, ولهذا تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم مـن فـاعله فقال : **(ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعـا بـدعوى الجاهلية)**

الثالث: وهو حبس القلب عن كراهة ما قدر الله عز وجل, وهذا أعظمهـا وأدقها, قد ير الإنسان الضعيف المخلوق المملـوك المـدبر, قـد يـرى أن ربه ظلمه والعياذ بالله دون أن يتكلم ودون أن يفعـل, لكـن قلبـه مملـوء على الله من السخط ورؤية أن الله تعالى ظلمه أو مـا أشـبه ذلـك, هـذا يجب أيضا أن يتخلى القلب عنه, وهـذا أخطـر مـا يكـون بالنسـبة للصـبر على الأقدار.

اتل قول الله عز وجل : **((ومن الناس من يعبد الله على حرف))** حرف يعني طرف, ما هي عبادة راسخة **((فإن أصابه خيـر اطمـأن به وإن أصابته فتنة انقلب علـى وجهـه خسـر الـدنيا والآخـرة ذلك هـو الخسـران المـبين))** وهـذا يشـمل فتنـة المصـائب وفتنـة الشبهات, من الناس من يؤمن بالله واليوم الآخر لكنـه علـى طـرف, إن أصابه خير ولا ناقشه أحد ولا جادله أحد مشي, وإن جاء أحد يشككه فـي هذا الأمر شك, فانقلب على وجهه, خسر الدنيا والآخرة, من الناس أيضا من يكون في نعمة قد أنعم الله عليه بالأموال والأولاد وما يحتاج إليه من الدنيا أو يكملها, فأصيب بحادث فقد أهله بـه كلهـم, مـن النـاس مـن إذا كان يعبد الله على حرف يسخط على الله, يكره قضاء الله كراهة سخط ما هو كراهة أنه يتمنى أنه لم يصبه, لا يتسخط على ربه, وهذا مـن جهـل الإنسان, أنت ملـك للـه عـز وجـل, هـذا الـرب الكريـم الـذي إذا أصـابك بسراء فشكرت أثابك, وإن أصابك بضراء فصبرت أثابـك, كيـف تسـخط على هذا الرب الكريم وأنـت ملكـه وعبـده يتصـرف فيـك بمـا شـاء ولـه الحكمة فيما فعل ؟ وظيفتك الصبر عند البلاء, والشكر عند الرخاء.

فالمهم أن الصبر الآن تبين أنه ثلاثة أقسام: الأول أعلاها وأتمها وهو الصبر على طاعة الله, الثاني الصبر عن معصية الله, والثالث الصبر على أقدار الله, وأفضلها الأول ثم الثاني ثم الثالث.
يوسف عليه السلام أصيب ببلاء في خلقه وبلاء في جسده, صبر على هذا وهذا, دعته امرأة العزيز في مكان مغلق وهي امرأة العزيز عندها من الحلي والزينة وربما الجمال ما ليس عند غيرها وهو فتاها أيضا, ما هو أكبر منها شرفا عندها, دعته إلى نفسها في مكان خال, وهم أن يفعل لأن النفس البشرية قد يغيب عنها ملاحظة أمر الربوبية, فهم بها لكن هي السابقة همت به وهم بها, لكن بعد أن هم رأى برهان الله عز وجل, أراه الله البرهان الآية كأنها رؤيا عين فامتنع, وقال: **((رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه))** هذا صبر عن المعصية, وصبر عظيم, فتى شاب مع سيدته الجميلة في مكان لا يطلع عليه أحد, ومع هذا كف عنها, وأوذي في جسده حبس سجن, لبث في السجن بضع سنين ومع ذلك صبر, حتى إن الملك لما قال ائتوني به أبى أن يخرج حتى تسأل النسوة ماذا حصل ؟ ليتبين براءته قبل أن يخرج, وهذا لا شك صبر عظيم, لكن أي الصبرين أعظم ؟ الأول, الصبر عن المعصية, لأن السجن حاصل حاصل صبر أو ما صبر وليس باختياره.
قول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: **((فاصبر))** يتضمن كل الأقسام, ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم أصبر الناس في أحكام الله وأصبر الناس على أحكام الله, وقوله: **((إن وعد الله حق))** هذه جملة مؤكدة بأن وعد الله حق.
ويقول المؤلف رحمه الله تعالى: **" ((إن وعد الله)) بعذابهم ((حق)) "** وهذا قصور من المؤلف رحمه الله تعالى, بل إن وعد الله بعذابهم ونصرك حق, بل لو قلنا بأنه أعم من ذلك أيضا لولا أنه في سياق المحاجة مع الكفار لقلنا أنه أعم **((إن وعد الله حق))** في كل شيء, في عذاب هؤلاء ونصرك وفي الجنة وفي كل شيء.
وقوله: **((حق))** أي أمر ثابت واقع, فكل ما وعد الله به فهو حق ثابت واقع لكمال صدقه وكمال قدرته؛ لماذا قلنا هذا ؟ لأن إخلاف الوعد يأتي من أحد أمرين: إما كذب الواعد وإما عجزه عن تنفيذ ما وعد به, والله عز وجل لا يخلف الميعاد لكمال صدقه وكمال قدرته.
((إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون)) **((فإما نرينك))** يقول المؤلف في إعرابها: **"**

فيه إن الشرطية مدغمة وما زائـدة تؤكـد معنـى الشـرط أول الفعل والنون تؤكد آخره " إلى آخره؛ ((فإمـا نرينـك)) الفـاء هـذه عاطفة, وإن شرطية, وما زائدة للتوكيد وهي كزيادتها فـي قـوله تعـالى: **((أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى))** أياما: مـا زائـدة لـو حـذفت وقيل: أيا تـدعوا, لاسـتقام الكلام, لكـن يـؤتى بحـروف الزيـادة للتوكيـد **((إما نرينك))** لو حذفت ما وقال: إن نرينك, استقام, لكنهـا تـأتي مـا للتوكيد.

((إما نرينك)) نري فعل مضارع لكنه بني على فتح آخـره وهـي اليـاء لاتصاله بنون التوكيد, والنون للتوكيد, والكاف مفعول به طيـب. التوكيـد هنا في آخر الكلام, و (ما) في أولـه فصـار هـذا الفعـل الـذي هـو الإراءة مؤكدا بمؤكدين: ما الزائدة في أولـه ونـون التوكيـد فـي آخـره؛ والكـاف هذه مفعول أول وبعض مفعول ثان, ونري هنا من باب كسـا, لأن الرؤيـة هنا بصرية, لكن لما دخلت عليها التعدية صارت ناصبة مفعـولين, تقـول: فلان رأى النجـم, نصـبت واحـد؛ فلان أريتـه النجـم, مفعـولين مـن أجـل دخول الهمـزة علـى رأى, هـذه مثلهـا لأن نـري ربـاعي أصـلها أرى يـري ونري.

((فإما نرينك بعض الذي نعـدهم)) يعنـي فـأنت تـراه **" ((فإمـا نرينك بعض الذي نعدهم)) به من العذاب في حياتـك وجـواب الشرط محذوف أي فذاك "** جـواب الشـرط إن فـي قـوله: **((إمـا نرينك))** يعني إن أريناك بعض الذي نعدهم فقد رأيته بعينـك وأقـر اللـه عينك به, وهذا هـو المطلـوب **((أو نتوفينك))** يعنـي قبـل أن نرينـك **((فإلينا يرجعون))** وسنريك بهـم, هـذا تهديـد عظيـم وقـوله: **((أو نتوفينك))** هذه معطوفـة علـى نرينـك, وهـي قسـيم قـوله: **((فإما نرينك))** يعني إما أن ترى العذاب قبل موتك وإما أن نتوفاك ثم نعذبهم بعد الرجوع إلينا, وهذا أشد فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى, ولهذا جاء في الحديث أن الله سبحانه وتعالى إذا أحب شخصـا عجـل لـه بالعقوبـة فـي الدنيا بماله أو بـدنه أو أهلـه أو مجتمعـه, وإلا تركـه حـتى يـوافي بـه يـوم القيامة.

" ((أو نتوفينـك فإلينـا يرجـون)) فنعـذبهم أشـد العـذاب, فالجواب المذكور للمحذوف فقط " أيـن المحـذوف ؟ أو نتوفينـك يعني: إذا توفيناه فإلينا يرجعون.

في هذه الآية الكريمة وجوب الصـبر لأن اللـه تعـالى أمـر بـه فـي قـوله:

((فاصبر)) ووجه كونه واجبا لأن الأصل في الأمر الوجوب.
وهذه المسألة اختلف فيها الأصوليون هل الأصل في الأمر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الوجوب أو الأصل الندب ؟
إن قلنا: الأصل الوجوب كان هذا المأمور به ملزما به, وإذا قلنا الندب صار الإنسان بالخيار, إن فعله فهو خير وإن تركه فلا شيء عليه, وهذا عند التطبيق محل إشكال, وعند التدليل أيضا فيه نظر, وهذه مسألة من أصول الفقه نبحثها ...
الأصوليون اختلفوا في الأمر هل هو للوجوب أو الندب ؟ والمراد الأمر المطلق المجرد عن القرينة, أما ما دلت عليه القرينة فالأمر فيه واضح, إن دلت على الوجوب فهو واجب, وإن دلت على الاستحباب فهو مستحب, وإن دلت على الإباحة فهو مباح, وإن دلت على التهديد فهو للتهديد: **((اعملوا ما شئتم))** المعنى ؟ التهديد, **((فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)).**
لكن المراد الأمر المجرد عن كل قرينة هل هو للوجوب أو للاستحباب ؟ من العلماء من قال أنه للوجوب, ولهم أدلة, ومنهم من قال أنه للاستحباب ولهم أدلة.
القائلون بالوجوب يستدلون بمثل قوله تعالى : **((فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم))** قالوا هذا يدل على الوعيد فيمن خالف أمر الله عز وجل, فيدل إذن على أن الأمر للوجوب, وقالوا أيضا إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **(ما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)** وهذا أيضا يدل على الوجوب لأنه قال: **(ائتوا ما استطعتم)** ومثل هذا التعبير إنما يكون في الواجب **(وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)** ولأنه يقبح عادة أن يقول السيد لعبده افعل كذا ثم يخالفه, فتكون مخالفة الأمر قبيحة والقبيح منهي عنه مكروه.
أما القائلون بأن الأصل في الأمر الاستحباب فيقولون: إن كونه مأمورا به يدل على فعله, والأصل براءة الذمة, فلا نأثم الإنسان إذا ترك ما أمر به إلا بدليل, ولأننا وجدنا مسائل كثيرة وأدلة كثرة فيها الأمر أجمع العلماء على أنها للاستحباب, وهذا يوهن القول بأن الأمر للوجوب.
توسط قوم فقالوا: إذا كان الأمر في عبادة فهو للوجوب وإذا كان في آداب فهو للاستحباب, وهذا أقرب من الإطلاق بأنه للوجوب أو الإطلاق بأنه للاستحباب, يعني هذا التفصيل هو أقرب ما يكون ومع هذا فليس

بمنضبط, بل قد تأتي أوامر في الآداب وهي واجبة.
فعلى كل حال نقول: أقرب ما يقال في هذه المسألة أن الأصل في الأوامر في التعبد الوجوب لأنا خلقنا للعبادة وأمرنا بها فنتعبد, والأصل في الأوامر في غير العبادة كالآداب مثلا هذا للاستحباب, ومثل ذلك يقال في النهي هل هو للتحريم أو للكراهة.
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات وقوع وعد الله عز وجل, وأنه حق ولابد أن يقع, لقوله : ((**إن وعد الله حق**)) وهذه جملة مؤكدة بـ إن تدل على أن وعد الله لابد أن يقع طيب.
هل وعيده كذلك ؟ نعم, حتى وعيده حق ولابد أن يقع, إلا أن يمن الله عز وجل بالعفو, وإلا فالأصل أن وعيده واقع, لا يقال كما قال بعض الناس: الوعيد ليس بواقع وليس بحق وأما الوعد فهو حق؛ نقول كله حق, لكن الوعيد قد يعفو الله سبحانه وتعالى عنه والعفو كرم.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات كلام الله أن الله يتكلم, تؤخذ من: ((**إن وعد الله**)) لأن الوعد يكون بالقول, ولا شك أن الله تعالى يتكلم, وأنه لا نفاذ لكلماته قال الله تبارك وتعالى: ((**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي**)) البحر اسم جنس يعم كل البحار, لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله ـ سبحان الله ـ لو كان حبر يكتب به, البحار كلها لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله, وقال تعالى: ((**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ**)) يعني لو أن الذي في الأرض من الشجر كان أقلاما ((**وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**)) يعني وكتب بالأقلام بمداد البحر ((**مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**)) [لقمان :27] وهذا يدل على عظمة الرب عز وجل لأنه مدبر الكون, وإذا أراد أمرا إنما يقول له كن فيكون, ولا منتهى لإرادة الله طيب.
وهل قول الله عز وجل قول مسموع يعني بصوت أو بلا صوت ؟ بصوت, لأن الله تعالى قال : ((**وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا**)) ولا نداء ومناجاة إلا بصوت, وورد الصوت صريحا فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يوم القيامة: (**يا آدم فيقول: لبيك وسعديك, فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا من النار قال: يا رب وما بعث النار**) إلى آخره؛ هذا صريح بأن الله يكلم بصوت.
وهنا في هذه المسألة مذاهب نذكر منها المذاهب المشهورة الثلاثة:

أنه يتكلم بصوت مسموع وحرف غير مخلوق لأنه كلام,ه وهذا مذهب السلف وأئمة الخلف, فكلامه عز وجل هو اللفظ والمعنى.
والقول الثاني: أن الله تعالى يتكلم بصوت مسموع وحرف مخلوق, والكلام كلامه, وهذا مذهب الجهمية الذين يقولون: إن القرآن كلام الله لكنه مخلوق, لأن كل كلام الله عندهم مخلوق.
والثالث من يقولون أنه لا يتكلم بصوت ولا بحرف مخلوق, إنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه, لكن يخلق شيئا يعبر عن هذا الذي في نفسه, فيسمع هذا المخلوق ويضاف إلى الله عز وجل إضافة تكريم وتشريف, وهذا مذهب الأشاعرة الذين هم أهل الكلام, والذين يقولون أنهم هم الذين دافعوا المعتزلة عن الباطل, وهم الذين انتصروا للإسلام, وهم في الحقيقة لا للإسلام انتصروا ولا لحرب الإسلام كسروا.
بل قد نقول قولهم في الكلام شر من قول الجهمية, لأنهم اتفقوا على أن ما يسمع من كلام الله مخلوق, وعلى أن القرآن مخلوق, لكن الجهمية يقولون مخلوق وهو كلام الله, وهؤلاء يقولون مخلوق وليس كلام الله بل هو عبارة عنه, وين كلام الله ؟ قالوا هو المعنى القائم بنفسه.
والحقيقة أن المعنى القائم بالنفس ليس كلاما وإنما هو علم، علم بما سيخلق من كلام فيقولون هذا هو كلامه, والعجيب أنهم استدلوا بآية وشعر:
أما الآية فقالوا إن الله تعالى يقول : **((ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول))** فأثبت القول النفسي.
أما الشعر فقالوا إن الشاعر قال:
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليل
الفؤاد يعني القلب.
فنقول لهم : أما الآية فلا دلالة فيها لكم بل هي على رؤوسكم, لأن الله تعالى لم يطلق القول بل قيده فقال : **((ويقولون في أنفسهم))** وهذا كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها)** وحديث النفس لا يمكن أن يقال إنه حديث ولا أن يقال أنه قول إلا بقيد, ولهذا لو حذفت في أنفسهم وقيل: ويقولون لولا يعذبنا الله, فيفهم منه كلام باللسان, لكن هم بأنفسهم يقدرون يقول الواحد منهم: لولا يعذبنا الله بما نقول, إذن ما نقوله حق لأن الله لم يعذبنا, هذا يقدره الإنسان في نفسه.

أما الشعر: **" إن الكلام لفي الفـؤاد "** فهـو قـول الأخطـل الشـاعر النصراني, قاله بعد تغير الألسن, وعلى فرض أنه موافـق فـإنه يجـب أن يحمل على أن المعنى إن الكلام المعتبر هو ما يقـدر أولا فـي الفـؤاد ثـم ينطق به اللسان, ولهذا يعتبر الكلام الـذي يسـبق علـى اللسـان لا يعتـبر كلاما ولا يؤاخذ به, فالكلام الحقيقي الرصين المعتبر هو الـذي يكـون أولا في القلب ثم يعبر عنه باللسان, هذا معنى البيت الذي لا يحتمل غيره.

الطالب : التسخط القلبي من أشد الأمور يقول بعضهم أن هذا أمر خارج عن طاقتي فأنا أكره هذا, لكن أجد في نفسي وأدافعه ومع هذا أجده ؟

الشيخ : هناك فرق بين كراهة المقدور وكراهة التقدير, كراهـة المقـدور من طبيعة الإنسان, كل يكره أن يصاب بأذى, لكن كراهة التقدير هذا هو المراد, أن تكره تقدير الله من حيث هو فعل اللـه, فيولـد لـك ذلـك أنـك ربما تبغض الله عز وجل ـ أعوذ بالله ـ يقول : ما هذا الرب ؟ كيـف يقـدر علي هذا التقدير ؟

أما كراهة المقدور فلابد منه, كل إنسان يصاب بما لا يلائم طبعـه سـوف يكره هذا الشيء.

لا تفكر أن إنسانا مؤمنا يكره ما قدر الله من حيث هـو تقـدير للـه, أبـدا, ألست أنت مملوكا لله كيف تكره هذا الشيء ؟ ألست أنت تذبـح بعيـرك وتأكله والبعير يكره هذا الشيء ؟ لكن هو ملكك, احذر أن تكـره تقـديره من حيث هو تقدير, أما من حيث هو مقدور فهذا شيء لابد منه.

الطالب : هل ما وقع في بدر يعتبر مما أراه الله لنبيه قبل موته ؟

الشيخ : نعم أراه قبل موته أشياء كثيرة, لكن الله عز وجل سلى رسوله قال: لابد أن يقع بهم ما وعدناك.

الطالب : هل يصح أن يقال أن الله قبل أن يخلق العـالم لـم يكـن يتكلـم لأنه لم يوجد مخاطب ؟

الشيخ : لا يجوز أن نقول هكذا, نقـول إن اللـه تعـالى لـم يـزل ولا يـزال متكلما, وهل يلزم أن يتكلم بمخاطبة مخلوق ؟ لا, قد يتكلم بما يثنـي بـه على نفسه, مثل أن يقول: أنا الله الواحد الأحد وما أشبه ذلك, كما يقول الله عز وجـل يـوم القيامـة: **((لمن الملك اليـوم))** مـا يجيبـه أحـد فيقول: **((لله الواحد القهار))** ...

نقول: الكلام صفة كمال, والله تعـالى موصـوف بالكمـال أزلا وأبـدا, ولا يلزم من هذا أن يكون هناك مخاطب, وكذلك الأفعال فالـذين مثلا أثـاروا مسألة التسلسل وما أشبه ذلك, هم بعيدون عـن النصـوص فـي الواقـع,

وإلا لو علموا أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا وأنه لم يكن فـي وقـت من الأوقات معطلا عن الفعل, ولا يلزم من الفعل المفعول, حتى فينـا لا يلزم من فعلنا أن يكون هناك مفعول, قد يتحرك الإنسان ولا ينتـج شـيئا, لكن الفعل يقال لا يمكن أن يمر على الله تعالى زمان مـن الأزمنـة وهـو معطل عن الفعل.

لأنه إما أن يقال تعطله هذا عن عجز أو عن غير عجز, فإن قلنا عن عجـز فهذا بلية, وإن قلنا عن غير عجز نقول: مـا الـذي يمنعـه, إذا فالتسلسـل ليس بممنوع في الماضي كما أنه ليس ممنوعا في المسـتقبل, مـع أنـي أنا أكره أن يتكلم الناس في هذا لأنه كلام لا فائدة منه, ولم يكن السـلف يقولون به, لكن جاءنا أهل الكلام وأدخلونا فـي هـذه المعمعـة وصـار مـا كان.

الطالب : ... ؟

الشيخ : يجوز هذا وهذا, قدَّر الله هذا فعل ماضي, وقدُر اللـه خـبر مبتـدأ محذوف, والتقدير هذا قدر الله.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِـيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الأَنْعَـامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَـا وَمِنْهَـا تَـأْكُلُونَ * اللَّـهُ الَّـذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الأَنْعَـامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَـا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ))**.

الشيخ : أعوذ بالله مـن الشـيطان الرجيـم قـال اللـه تعـالى : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَـنْ لَـمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ))**.

((فاصبر إن وعد الله حق)) .من فوائد الآية الكريمة: أن وعـد اللـه حق ثابت لا بد أن يقع وهو كذلك, وقد صرح الله بذلك فـي قـوله: **((إن الله لا يخلف الميعاد)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: تهديد هؤلاء المكذبين للرسـول عليـه الصـلاة والسلام بأحد أمرين: إما بعقوبة عاجلة قبل أن يتوفى, وإما بعقوبة آجلـة فـي يـوم القيامـة لقـوله : **((فإمـا نرينـك بعـض الـذي نعـدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون))** .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن مرجع الأمور كلها إلى الله, وليست باختيـار

أحد فهو الذي يقدر ما شاء سواء في الدنيا أو في الآخرة لقوله: **((فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك)).**
ومنها أن عذاب العدو يشفي غليل عده لقوله: **((فإما نرينك بعض الذي نعدهم))** فإن الإنسان إذا رأى عذاب الله تعالى لعدوه فلا شك أنه يشفي غليله.
ومن فوائدها أنه لا بأس أن نفرح إذا أصاب الله عدونا بمصيبة, لأن الظاهر أن قوله تعالى: **((فإما نرينك بعض الذي نعدهم))** لأجل أن تقر عينه بذلك, فإذا أصيب أعدائنا بخسف أو صواعق أو فيضانات أو ما أشبه ذلك وفرحنا بهذا فلا لوم علينا لأنهم أعداءنا يفرحون بما يصيبنا فالجزاء من جنس العمل.
ومنها إثبات رجوع الخلق إلى الله لقوله: **((فإلينا يرجعون))** وهذا عام في كل شيء في الأحوال والأوقات وفي كل شيء, المرجع إلى الله وحده.
ثم قال عز وجل : **((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك))** الجملة هذه مؤكدة بثلاثة مؤكدات: اللام وقد والقسم المحذوف, والتقدير: والله لقد أرسلنا رسلا من قبلك, والرسول: هو بشر يوحى إليه بشرع ويؤمر بتبليغه, ولهذا سمي رسولا, أي: مدفوعا من قبل الله عز وجل ليبلغ, وأما النبي فإنه بشر أوحي إليه بشرع ولكن لم يكلف بتبليغه, بمعنى أنه يجدد شرع من قبله ـ إن كان قبله رسول ـ حتى يحيي همم الناس فيقتدوا به؛ وإذا لم يحتج الناس إلى رسول لم يرسل إليهم أحدا, فإن آدم عليه الصلاة والسلام فإنه كان نبيا ولم يكن رسولا, هو نبي يتعبد لله تعالى بما أوحاه الله إليه, ولكن لم يرسل لأن الناس لم يختلفوا بعد كما قال الله تعالى : **((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه))** فالرسل إنما أرسلوا بعد الاختلاف, ولهذا قال بعض أهل العلم أن تقدير الآية الكريمة: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين, وقال: إن في الآية إيجاز حذف, أي حذف منها ما دل السياق على حذفه, على كل حال الرسول: بشر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.
((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك)) وهؤلاء الرسل كانوا يرسلون إلى أممهم فقط كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث جابر: **(وكان**

النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) ((ومـا من أمة إلا خلا فيها نذير)) كما قال الله عز وجـل, كـل أمـة أرسـل الله إليها رسولا لتقوم الحجة **((منهم مـن قصصـنا عليـك ومنهـم من لم نقصص عليك))** من: هـذه تبعيضـية, أي: بعضـهم قصصـناهم عليك وأخبرناك بهم, وبعضهم لم نقصص عليك, قـال أهـل العلـم: وإنمـا قص الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من كانوا مـن الجزيـرة ومـا حولها, لأن أخبار هؤلاء له بقية في العرب, فلهذا قصه الله, أما من كانوا في أمريكا أو في شرق آسيا أو ما أشبه ذلك من الأماكن البعيـدة فهـؤلاء لم يقص علينا من نبئهم شيء.

" ((منهم من قصصنا عليك ومنهم مـن لـم نقصـص عليـك)) روي أنه تعالى بعـث ثمانيـة آلاف نـبي: أربعـة آلاف مـن بنـي إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس " وجـدير بـالمؤلف رحمـه الله أن يقول روي بصيغة التمريض, لأن هذا لا يصح, كيف يكون من بنـي إسرائيل وهم متأخرون عن أمم كـثيرة أربعـة آلاف, ومـن سـائر النـاس أربعة آلاف, هذا بعيد, بل إن الله أرسل في كل وقت وحين مـا تقـوم بـه الحجة.

وهل لنا أن نبحث عن عدد هؤلاء ؟ لا, وإن قلنا لنا فإنه ليس علينـا, يعنـي لو قيل: لنا أن نبحث للاطلاع لم يكن سائغا أن نقول علينا أن نبحـث؛ بـل نقول: آمنا بالله وبرسله, من علمنا منهم ومن لم نعلم.

قال : " **((وما كان لرسول)) منهـم ((أن يـأتي بآيـة إلا بـإذن الله))** **لأنهم عبيد مربوبـون "** قـوله: **((ومـا كـان))** مـا: نافيـة, وكان: فعل ماضي ناقص, ولرسوله: خبره, وأن يـأتي بآيـة: اسـم كـان, أي: وما كان إتيان أحدهم بآية إلا بإذن الله نعم.

((وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله)) يعني أن الرسـل عليهم الصلاة والسلام آتاهم الله آيات, لكن هل هم الذين يملكون هـذا ؟ لا, هذا من عند الله, ولكن الله تعالى بين أنه ما من رسول إلا وأوتي آية: **((لقد أرسلنا رسلنا بالبينات))** يعني بالآيات البينـات, حـتى يـؤمن البشر, وحتى لا يكون لهم حجة عند الله, لأن الله لـو بعـث رسـولا هكـذا إلى الناس, وقال: إني رسول الله, ولم يأتي بآية, فإن الناس لـن يقبلـوا منه, وإلا لأمكن لكل كاذب أن يدعي الرسالة, لكن لابد م ن آيـات, آيـات بينات أيضا, واضحة على أنه رسول, ومع هذا لا يمكـن لرسـول أن يـأتي بآية إلا بإذن الله.

((**إلا بإذن الله**)) الإذن الكوني, إذا أذن الله كونا أن يأتي الرسول بآية أتى بآية, والرسول قد يأتي بآية ابتداء, وقد يأتي بآية بطلب من المرسل إليهم, كما جاء في الحديث الصحيح أن قريشا قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: أرنا آية, فأشار إلى القمر فانفلق فلقتين إحداهما على الصفا والثانية على المروة, وشاهد الناس ذلك, ولكن مع ذلك: **((إن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر))** قالوا: إن محمد سحرنا والقمر لم يتصدع, ولكن لما لم يعينوا الآية التي طلبوها لم يآخذوا بالعقاب, لأن الأمم إذا عينوا الآية التي طلبوها ثم لم يؤمنوا عاجلهم الله بالعقوبة.

((وما كان لرسول أن يأتي بآية)) إلا بإذن الله)) أي علامة على صدقه وهنا قال: آية ولم يقل: بمعجزة, وقد جرى على ألسنة كثير من العلماء رحمهم الله تسمية آيات الأنبياء بالمعجزات, ولكن هذه التسمية غير سديدة, بل الأولى أن نعبر بآية, نقول: آية النبي ولا نقول معجزة:

أولا: لأن هذا هو التعبير القرآني.

وثانيا: لأن المعجزة تأتي من الرسول, وتأتي من الساحر, وتأتي من الشياطين, يأتي من هؤلاء ما يعجز عنه البشر, فالتعبير السليم أن نعبر بآية:

أولا: لموافقة القرآن.

والثاني: لأن المعجزة تكون من الرسول وغيره.

والثالث: أن كلمة آية فيها إشارة إلى أن ما جاء به هذا الرسول مما يعجز البشر آية علامة, فهذه ثلاثة أشياء تبين رجحان التعبير بآية على التعبير بمعجزة.

فهذه الثلاثة أشياء تبين رجحان التعبير بآية على التعبير بمعجـزة, التعـبير بآية خير من التعبير بمعجزة من ثلاثة أوجه:
أولا: أن القرآن جاء بتعبير آية دون معجزة.
ثانيا: أن المعجزة تكون من غيـر النـبي, تكـون مـن السـاحر والمشـعوذ والشياطين.
ثالثا: أنه ليس المقصود مجرد الإعجاز, المقصـود أن تكـون علامـة علـى صدق النبي.
قال الله عز وجل: " ((فإذا جـاء أمـر اللـه)) بنـزول العـذاب على الكفار ((قضي)) بين الرسل ومكذبيها ((بالحق وخسر هنالك المبطلون)) أي ظهر القضاء والخسران للناس, وهـم خاسرون في كل وقت قبل ذلك " إذا جاء أمر الله تعـالى الكـوني, لأن أمر الله ينقسم إلى قسمين: كوني وشرعي كما سنذكره.
((فإذا جاء أمر الله)) بنزول العذاب على الكـافرين, ونـزول النصـر للرسول وأتباعهم **((قضي بـالحق))** والقاضـي هـو اللـه عـز وجـل, وحذف الفاعل هنا للعلم به, لأن الله تعالى هو الذي يقضي بـالحق, كمـا قال تعالى: **((والله يقضي بالحق والـذين يـدعون مـن دونـه لا يقضون بشيء))** ويحـذف الفاعـل أحيانـا للعلـم بـه كمـا فـي قـوله: **((وخلق الإنسان ضعيفا))** وكما في هذه الآية؛ وقد يقال أنه حـذف الفاعل هنا للتعميم, ليكون القاضي هو الله, وكذلك القاضي بـالحق هـم الرسل وأتباعهم, لأنهم قضوا بالحق بالانتصار علـى عـدوهم, لكـن الأول أولى أن يكون الفاعل واحدا لكن حذف للعلم به.
((قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)) هنا الخسـران: فـوات الربح, وهنا: اسم إشارة للمكان, والمراد به الزمان, ولهذا قال المؤلف**: " في كل وقت "** المعنى: خسر في ذلك الوقت المبطلون.
فإذا قال قائل: ألستم تقولون إن هنا إشارة للمكان ؟ قلنا: بلى, لكن قد تستعار إشارة للزمان, واللام فـي قـوله: **((هنالك))** للبعـد, والكـاف حـرف خطـاب, المبطلـون: أي الـذين وقعـوا فـي الباطـل, لأن القضـاء بالحق يقتضي زوال الباطل, وإذا زال الباطل خسر أهلـه, والباطـل ضـد الحـق, ويفسـر فـي كـل موضـع بحسـبه, فالباطـل فـي الكلام الخـبري الكذب, والباطل في الحكم الجـور, والباطـل فـي المعاملـة الغـش ومـا أشبه ذلك, المهم أن الباطل يفسر في كل موضع بحسبه.
وقـول المؤلـف: **" وهم خاسـرون فـي كـل وقـت "** احـترازا مـن

الإشارة في قوله هنالك لئلا يظن ظـان أنهـم خاسـرون فـي حـال نـزول العذاب فقط, مع أنهم خاسرون كل وقت, وقـد يقـال: لا حاجـة إلـى مـا قال المؤلف, لأن المقصود وخسـر هنـاك أي ظهـرت خسـارتهم وبـانت, لأنهم قبل أن يأتوا بالعذاب ربما يقول القائل أنهـم ربحـوا, كمـا قـال أبـو سفيان في يوم أحد قال: يوم بيوم بدر والحرب سـجال, فظـن أنـه ربـح في ذلك اليوم.

فـالأولى أن تبقـى الآيـة علـى ظاهرهـا وألا يسـتدرك القـرآن, فيقـال: **((خسر هنالك))** أي ظهر خسرانهم وبان, أما خسـرانهم قبـل نـزول العذاب فهو ليس ببين, إذ قد يقول القائل: إنهم يربحون فيمـا إذا أدالهـم الله تعالى على الإسلام إدالة غير مستقرة, لأنه لا يجوز لنا أن نعتقد بـأن الله يديل الكفر على الإسلام إدالة مستقرة, بل من ظن بـالله هـذا فقـد ظن به ظن السوء, لكـن اللـه يقـول: **((وتلك الأيـام نـداولها بيـن الناس)).**

مـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة: أولا إثبـات الرسـل السـابقين لقـوله: **((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك)).**

ومن فوائدها عدل اللـه عـز وجـل فـي عبـاده حيـث لـم يعـاقبهم إلا بعـد إرسال الرسل وتكذيب هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم.

ومن فوائد الآية الكريمة الإشارة إلـى أنـه لا رسـول بعـد محمـد لقـوله : **((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك))** ولم يقل: سنرسل, وهذه الفائدة في الواقع ليست بتلك القويـة, يعنـي مأخـذها مـن الآيـة لـولا الواقـع مـا أخذناه من الآية لأن الله إنما يتحدث عن شيء مضى.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن من الرسل من قصه الله على محمد صـلى الله عليه وسلم ومنهم من لـم يقصـه لقـوله: **((منهم مـن قصصـنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)).**

ومن فوائد الآيـة الكريمـة: أن اللـه تعـالى يتكلـم يعنـي إثبـات كلام اللـه لقوله: **((منهم من قصصنا))** والقص في الأصل تتبع الأثر وأمـا فـي الكلام فهو ذكر أخبار من سلف, وهذا يدل على أن الله يتكلم عـز وجـل, وهذا هو ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف.

ولكن هل يتكلم بصوت يسمع أو لا ؟ نعم يتكلم بصوت يسمع .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات حكمة الله عز وجل في حديثه عن الأمـم السابقة حيث قسم مـن قـص علينـا نبـأهم ومـن لـم يقـص ومـا ذلـك إلا لحكمة عظيمة بالغة .

ومن فوائد الآية الكريمة أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أيدهم الله تعالى بالآيات لقوله : **((وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله))**.
ومن فوائدها أن الرسل لا يملكون إيجاد الآيات مهما بلغت منزلتهم فإنهم لا يملكون أن يأتوا بآية واحدة لقوله: **((وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام فإن الكفار يطلبون منه آيات ولكن الله تعالى يقول : **((وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إن الآيات عند الله))** يسلي الرسول عليه الصلاة والسلام وأن هذا الأمر ليس إليك بل هو إلى الله, إذا شاء أن يؤتيك آية آتاك وإلا فهو الحكيم .
ومن فوائد الآية الكريمة إثبات الإذن لله عز وجل. والإذن نوعان: إذن شرعي وإذن كوني.
فالإذن الكوني ما يتعلق بالمخلوقات وإيجادها وإعدامها وتغييرها وما أشبه هذا.
والإذن الشرعي ما يتعلق بالمشروعات, فلننظر إلى قوله تعالى : **((قال آلله أذن لكم أم على الله تفترون))** شرعي, ولا يصح أن يكون كونيا لأننا نعلم أنه إذا فعلوه فقد أذن الله فيه. وقوله تعالى: **((أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله))** شرعي, أي لم يأذن به شرعا ولا يجوز أن يكون إذنا كونيا لأنه وقع, فقد أذن الله تعالى فيما شرع هؤلاء إذنا كونيا, وقال الله تعالى: **((من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه))** الشفاعة يطلب من الله عز وجل أن يخفف العذاب عن شخص أو ما أشبه ذلك أو يرفع درجاته, وهذا إذن كوني لا شك.
ومن فوائد هذه الآية إثبات أفعال الله الاختيارية, يعني أن الله تعالى قد يحدث من أمره ما شاء لقوله: **((فإذا جاء أمر الله))** وإذا هنا شرطية للمستقبل, إذن الأمر لم يأتي بعد, وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى متصف بالأفعال الاختيارية خلافا للأشاعرة ونحوهم الذين قالوا: إن الله تعالى لا يوصف بالأفعال الاختيارية, كيف يوصف بالأفعال الاختيارية ؟ إذا قلنا يوصف قالوا هذا يقتضي أحد أمرين:
إما أن يكون الله حادث, وإما أن يكون ناقصا, أما كونه يستلزم أن يكون الله حادثا فلأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث, فإذا أثبتم أن الحوادث تقوم

به لزمكم أن يكـون اللـه حادثـا, لأن الحـوادث لا تقـوم إلا بحـادث, هـذه واحدة.
أما النقص فنقول إذا كان هـذا الفعـل الـذي فعلـه الآن كمـالا فلمـاذا لـم يتصف به من قبل ؟ وإن لم يكن كمالا فهو نقص يجب أن ينزه الله عنــه, وهذا لا شك أنه تلبيس:
أما الأول: فقولهم أن الحوادث لا تقوم إلا بحادث نقـول: مـن أيـن أتـاكم هذا ؟ أمن جيوبكم أم من آرائكم الفاسدة ؟ من قال أن الحوادث لا تقوم إلا بحادث, الحوادث منا الآن تحدث قبل أن تكون, ونحن سابقون عليهـا, فكذلك ما يحدثه الله عز وجـل يحـدثه وهـو سـابق عليـه, وسـبقه أزلـي, فدعواكم هذه باطلة تحتاج إلى دليل ولا دليل, بل الدليل على نقضها.
وأما قولكم إن كان كمالا فلماذا لم يتصـف بـه مـن قبـل ؟ وإن لـم يكـن كمالا فهو نقص يجب نفيه, نقول: هذا أيضا باطل لأننا نقول أن فعل اللـه الذي يحدثه هو كمـال حـال إحـداثه, وليـس كمـالا حـال عـدمه, لأن اللـه تعالى متصف بالكمال, ففي حال عدمه لا يكون كمالا, وفي حال وجـوده يكون هو الكمال, وهذا واضح, فعل الإنسـان وهـو الإنسـان أحيانـا يكـون مناسبا وفي محله وأحيانا يكون غير مناسب, وتكون الحكمة ألا يفعله.
وبذلك نعرف أن الرجوع إلى العقل فيما يتعلق بـالله باطـل وضـلال, لأن العقل قد يزل وقد يهم, فالرجوع فيما يتعلق بالله إلى الكتاب والســنة لا ثالث لهما, اللهم إلا أن يقال إجماع السلف أيضا يرجع إليه فيكون مصدر التلقي في العقيدة وفيما يتعلق بـذات اللـه عـز وجـل وأسـمائه وصـفاته ثلاثة: القرآن والسـنة وإجمـاع السـلف, لكننـا نقـول لا حاجـة إلـى قـول إجماع السلف لأن إجماع السلف لا يكون إلا عن كتاب أو سنة طيب .
من فوائد الآية الكريمة: تهديد هـؤلاء المشـركين الـذين كـذبوا الرسـول عليه الصلاة والسلام لقـوله: **((إذا جاء أمـر اللـه قضـي بـالحق))** ووجه التهديد أن علمـاء البلاغـة يقولـون: إن إذا تفيـد وقـع الشـرط فـي المستقبل. كما إذا قلت لك: إذا جاء زيد فأكرمه, تفهم من ذلـك أن زيـدا سوف يأتي, لكنه متأخر, بخلاف إن فإن إن شـرطية لكـن للمحتمـل, إن جـاء زيـد فـأكرمه, مجيئـه ليـس محقـق, لكـن إذا جـاء فـأكرمه, يكـون المجيء محققا لكنه مربوط بزمن مستقبل, هذه: **((إذا جاء أمر اللـه))** يفيد أن أمر الله لابد أن يأتي طيب.
أمر الله ينقسم إلى قسمين: كوني وشرعي فقوله تعــالى : **((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها))** شرعي, لأنه لو كـان كونيـا

لكان كل الناس يؤدون الأمانة إلى أهلها إذن هو شرعي, **((إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون))** كوني, فصار الأمر الآن يكون كونيا ويكون شرعيا .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما قضى الله من عقاب أو عذاب فإنه حق لقوله: **((قضي بالحق))** وعلى هذا فينتفي بذلك أن يكون الله تعالى ظالما لمن عاقبه.
فإن قال قائل: أليست العقوبة تنزل بالأمة وفيهم الصالحون ؟ الجواب: بلى, تنزل العقوبة على الأمة وفيهم الصالحون لكنها تكون عقوبة على المسيء ورفعة درجات وتكفير سيئات على الصالح, ولهذا لما قالت إحدى أمهات المؤمنين: أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : **(نعم إذا كثر الخبث)** فإذا غلب الخبث على الطيب حلت العقوبة بالجميع.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن المبطل خاسر إذا نزل به العذاب لقوله : **((خسر هنالك المبطلون))**.
وإذا كان المبطل خاسرا فالمصلح رابحا, ولهذا قال تعالى : **((وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون))** ولهذا إذا كان الأهل مصلحون فإن الله لا يهلك الأمة, لكن إذا كانوا صالحين فقد تهلك الأمة إذا كثر الخبث, وهذه نقطة قد لا يتفطن لها كثير من الطلبة, انتفاء الإهلاك إذا كان الأهل مصلحين ومحاولين الإصلاح, أما إذا كانوا صالحين فإنه قد يقع الإهلاك إذا كثر الخبث, أما مع الإصلاح ولو كثر الخبث ما دامت الأمة تحاول الإصلاح وتسعى به فإنها لن تهلك, وهذه نقطة كما قلت لكم قد لا يتفطن لها كثير من الناس.
الطالب : ... فهل يعذرون بجهلهم هذه الأيام ؟
الشيخ : قد يعذرون بجهلهم, لأن من العوام من لا يعرف الحق إلا عن طريق أناس معينين, وهؤلاء الأناس المعينون منحرفون, فيعذرون, وربما أناس في الغابات البعيدة لا يسمعون إذاعات ولا يقرؤون صحفا ولا يعرفون شيئا.
الطالب : أورد بعض المستشرقين على قوله الله تعلى **((وإن من أمة إلا خلا فيها نذير))** على أنه هناك فترات ما بين الأنبياء ... ؟
الشيخ : لا هذا غلط, لأنه إذا جاء النذير ليس معناه أن النذير يبقى نذيرا ما دام حيا فقط, قد تبقى رسالته, أليست رسالة إسماعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بقيت في العرب إلى قرب بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم, أول ما دخل الشرك على العرب من عمرو بن لحي,

متأخر.
الطالب : النصارى قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم هناك فترة يكاد ينقطع الوحي ... ؟
الشيخ : هذه الفترة لحكمة, يعني معناه امتداد ما بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام لحكمة حتى يعرف الناس شدة ضرورتهم إلى الرسالة.
الطالب : تعريف النبي أنه الذي أوحي إليه ولم يأمر بالتبليغ كيف نوفق بينها وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما من نبي بعثه الله إلا كان حقا عليه أن يبين لأمته خير ما يعلمه)** ؟
الشيخ : هذا المراد بالنبي الرسول, المراد به الرسول, ولهذا تجد في القرآن الكريم أنبياء هم رسل, ولكن تذكر بلفظ الأنبياء : **((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)**) ثم قال في الأخير : **((رسلا مبشرين ومنذرين)) ((إنه كان صديقا نبيا)).**
الطالب : هل يصح أن نطلق لفظة: (الدلائل) على آيات الأنبياء ؟
الشيخ : أي نعم, لأن الدليل ما يهدي إلى غيره, ولهذا يسمى الرجل الذي يدلك الطريق يسمى هاديا, فالآيات لا شك أنها دليل وبينات.
نحن نقول الآية دليل, واللغة مترادفة, فما دام اللفظ مرادفا للآخر ولا يتضمن محذورا ليس فيه مانع أن نعبر به.
الطالب : هل في دليل على عدد الأنبياء والرسل ؟
الشيخ : فيه حديث أبي ذر أنهم كانوا أربعة وعشرين ألفا منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا رسولا والباقي أنبياء, لكن الحديث بعض العلماء قال أنه غير صحيح, وإن كان ابن حبان صححه فالله أعلم, ما هناك شيء يركن إليه الإنسان في العقيدة بأن عددهم كذا وكذا, لا الأنبياء ولا الرسل.
الطالب : شيخ هل القول بأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ؟
الشيخ : صحيح.
الطالب : ما هي ضوابط المعجزة والكرامة ؟
الشيخ : عندنا معجزة وكرامة وشعوذة, المعجزة هي آيات الأنبياء, وكما سمعت أننا نسميها آية ولا نسميها معجزة؛ الكرامة كل أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد متبع الرسول؛ أما السحر والشعوذة فهو كل خارق للعادة يظهر على يد مخالف الرسول.
وقد أنكرت المعتزلة الكرامات وقالوا: لو أنا أثبتنا الكرامات لاشتبه النبي

بالولي, والولي بالساحر.
فيقال: هذا مغالطة, لأن النبي يقول أنه نبي, والذي ظهرت الكرامة على يده يقول أنه ولي وليس بنبي؛ والساحر ليس نبيا ولا وليا معروف بأنه فاسق مخالف للشرع, فلا يمكن أن يكون التباس.
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ))**. .
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : " **((الله الذي جعل لكن الأنعام)) قيل الإبل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم** ".
((الله الذي جعل لكم الأنعام)) جعل : أي صيرها مسخرة لكم, والجعل هنا جعل كوني, لأن الجعل المضاف إلى الله عز وجل يكون كونا, ويكون قدرا, يعني يكون جعلا كونيا, ويكون جعلا شرعيا, ففي قوله تعالى : **((ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام))** هذا الجعل شرعي, وفي قوله تعالى : **((وجعلناكم أكثر نفيرا))** هذا جعل كوني, وفي قوله تعالى هنا : **((الله الذي جعل لكم الأنعام))** جعل كوني, والأنعام جمع نعم؛ قال المفسر: " **قيل الإبل خاصة والظاهر والبقر والغنم** " بل والظاهر ما هو أعم من ذلك, وهو ما أنعم الله به علينا من الحيوان الذي سخره لنا من إبل وبقر وغنم وفيلة وغيرها, كل شيء.
وقوله: **((لتركبوا منها ومنها تأكلون))** قسم الله سبحانه وتعالى هذه الأنعام إلى قسمين: قسم تركب وقسم تؤكل يعني ولا تركب, وعلى هذا تكون من في الموضعين للتبعيض, وعلامة من التي للتبعيض أن يحل محلها كلمة بعض, فهنا احذف من وقل: لتركبوا بعضها وبعضها تأكلون, يستقيم الكلام, فهذه علامة من التبعيضية أن يحل محلها كلمة بعض, وقوله: **((ومنها تأكلون))** هذا التقسيم لا يعني الانقسام, بمعنى أنه يمكن أن يوجد من الأنعام ما يأكل وما يركب مثل: الإبل فإنها تؤكل وتركب **((لتركبوا منها ومنها تأكلون)).**
" **((ولكم فيها منافع)) من الدر والنسل والوبر والصوف** " يعني والشعر, وغير ذلك من المنافع, كنقل البضائع وغيرها, ولهذا جاءت كلمة منافع جمع منفعة بصيغة منتهى الجموع, وصيغة منتهى الجموع ما

كانت على وزن مفاعل أو مفاعيل.
((ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم)) هي حمل الأثقال إلى البلاد ((وعليها وعلى الفلك تحملـون)) " قـوله: **((ولتبلغـوا عليها حاجة في صدوركم))** فسـرها المؤلـف بأنهـا حمـل الأثقـال, ولكن الذي يظهر أنها غير ذلك وأنها قوله تعالى : **((ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلـد))** يعنـي ما يكون في قلب الإنسان من محبة الفخـر والخيلاء وغيرهـا, وإن كـانت هذه الأمور قد تكون ممنوعة كالفخر والخيلاء, لكن لا شك أن هذه حاجـة لكل إنسان, أنه يجد فرحا وسرورا إذا غنم كثيرا من المواشي مـن الإبـل والبقر والغنم والظبي والأرانب وغيرهـا, يجـد الإنسـان لهـذا طعمـا فـي نفسه, ويمكن أن يقال أيضا: ومن الحاجات في النفس الاتجار بهـا, فـإن بعض الناس يتجر بهذه الأنعام, والله سبحانه وتعالى لم يذكر نوع الحاجة فيشمل كل ما يقع في القلب من مثل هذه الأمور.
((ولتبلغوا عليهـا حاجـة فـي صـدورك وعليهـا وعلـى الفلـك تحملون)) " ((وعليها)) في البر ((وعلى الفلك)) السـفن في البحر ((تحملون)) " بين الله عز وجـل أن هـذه الأنعـام نحمـل عليها وكذلك السفن كما في قوله تعالى : **((وجعل لكم مـن الفلـك والأنعام ما تركبون لتسـتووا علـى ظهـوره ثـم تـذكروا نعمـة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون))**.
في هذه الآية من الفوائد بيان نعمة الله علينا بهذه الأنعام حيث جعلها لنـا مسخرة مذللة.
ومن فوائد هذه الآية جواز ركوبها وأكلها, ومن المعلوم أن هذا ليس على إطلاقه, فإن الذي يركب لا يركب على وجه يشق عليه, لـو أراد الإنسـان أن يركب على بهيمة وهي لا تطيق أكثر من واحد, فأردف عليها قلنا هـذا لا يجوز لما في ذلك من المشقة, وكذلك أيضـا منهـا تـأكلون ليـس علـى إطلاقه, إذ من هذه الأنعام ما لا نأكله مثل الحمـر, فإنهـا لا تؤكـل ولكنهـا تحمل عليها وتركب.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأصل جواز كل ما ينتفع به من وجوه الانتفاع في هذه الأنعام, **((ولكم فيهـا منـافع))**, وبنـاء علـى ذلـك يجوز أن يركب ما لا يركب عادة إذا لم يشق عليه, لأن ذلك من المنـافع, فلو كان مع الإنسان بقرة واحتاج إلى أن يركب عليها قلنا لـه اركـب, لأن

هذه من المنافع, والله تعالى أطلق المنافع, ما لم يشق عليها فإن شق عليها كان ممنوعا لأن إيذاء الحيوان محرم.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز ما يقع في قلب العبد من الفرح والسرور بهذه الأنعام بشرط ألا يؤدي ذلك إلى الكبرياء والخيلاء, فما دام هذا الفرح في نطاق الأمر المباح فإن الإنسان لا يلام عليه بل هو مما جعله الله له.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان نعمة الله عز وجل بحملنا على هذه الأنعام وعلى الفلك, يعني أن الله سخر لنا ما نركبه في الماء وما نركبه في البر, وهنا تسخير ثالث حدث بعد نزول القرآن, وهو ما نحمل عليه في الجو, فيكون الله عز وجل أنعم علينا بمراكب برية وبحرية وجوية.
قال تعالى: **((ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون))** يريكم: أي يظهرها لكم حتى تروها, وعلى هذا فيري من الرباعي لا من الثلاثي, لأنه من أرى يري, أي أظهر الشيء حتى يراه الإنسان, وقوله: **((آياته))** جمع آية, والآية هي العلامة على الشيء, كما قال تعالى : **((وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون))** وقال تعالى : **((أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل))** أي علامة, فما هي العلامة ؟ الآية علامة على ما يختص بها من صفة, فمثلا إذا نزل الغيث وأنبتت الأرض فهو آية على رحمة الله عز وجل, إذا اهتزت الأرض بأهلها أو خسفت بأهلها فهو آية على سخط الله وعقابه, وعلى قدرته حيث يزلزل هذه الأرض الكبيرة العظيمة فيكون هذا آية على ما يختص به, فالآيات إذن آيات على ما تختص به من صفة, لا نقول إنها كلها آية على شيء واحد, بل منها ما يكون آية على الرحمة, وآية على العزة, وآية على الحكمة, وآية على القدرة, وهلم جرا.
إذا آيات جمع آية وهي ؟ العلامة, هذه الآية هل كلها تدل على شيء معين من الآيات أو لكل آية ما يختص بها ؟ لكل آية ما يختص بها.
((فأي آيات الله تنكرون)) أي: هنا استفهامية منصوبة على أنها مفعول مقدم لقوله: **((تنكرون))** وأسألكم لو كانت الآية تنكرونها أو تنكرونهم فهل ننصب أي أو نرفعها ؟ نرفعها, ويجوز النصب, لأن هذا يكون من باب الاشتغال.
وأضرب لكم مثلا من عندي حتى لا نتصرف في كلام الله, لو قلت: زيدا أكرمت, هنا يتعين النصب على أنه مفعول مقدم, ولو قلت: زيد أكرمته, فهنا يجوز الوجهان والرفع أرجح لأنه الأصل, وأما النصب فيكون على

سبيل الاشتغال, وعليه فإذا جاء معمول مقدم وعامل مؤخر لم يستوفي عمله فإنه يجب أن يكون هذا المعمول السابق حسب ما يقتضيه هذا العامل,
" ((فأي آيات الله)) الدالة على وحدانيته ((تنكرون)) " يعني لو قال المؤلف ما هو أعم لكان أحسن, لأنه ليست آيات دالة على الوحدانية فقط, بل على الوحدانية, وعلى ما يختص بتلك الآية.
" ((تنكرون)) استفهام توبيخ وتذكير " يعني قوله: **((أي آيات الله تنكرون))** وهو أيضا استفهام تحدي, فهو جامع بين التوبيخ والتحدي, يعني هذه آية ظاهرة لا يمكنكم أن تنكروها.
قال: " وتذكير أي أشهر من تأنيثه " لأنه يقال أية, ويقال أي, وعلى كلام المؤلف يكون التذكير أشهر من التأنيث ولو كان المشار إليه مؤنثا, ولهذا قال: **((فأي آيات الله))** وآيات مؤنث, ولم يقل: فأية آيات الله, لكن في غير القرآن لو قيل: فأية آيات الله لكان هذا سائغا إلا أنه مرجوح.
من فوائد هذه الآية الكريمة: نعمة الله سبحانه وتعالى على عبادة بإراءتهم الآيات الدالة عليه, ولو شاء الله لأخفى عنا ذلك ووكلنا إلى ما في نفوسنا وفطرنا, ولكن من رحمته أنه يظهر الآيات حتى يكون هذا عونا على ما في الفطرة من معرفة آيات الله عز وجل.
ومن فوائد الآية الكريمة : جواز تحدي الإنسان بما يعترف به لولا الجحد لقوله: **((فأي آيات الله تنكرون))** وهل تعرف أن أحدا جحد الآيات بعد تيقنه بها ؟ فرعون وقومه, فإنهم جحدوا بآيات الله مع أن أنفسهم مستيقنة بها.
ثم قال: **((أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة))** إلى آخره **((أفلم يسيروا في الأرض))** هذا الاستفهام يحتمل أن يكون للحث, وعليه فيكون بمعنى الأمر, أي سيروا في الأرض, ويؤيد هذا قوله تعالى: **((قل سيروا في الأرض))** ويحتمل أن يكون للتوبيخ, أي توبيخ هؤلاء على عدم السير في الأرض.
والسير هنا يشمل السير بالقدم, والسير بالقلب, أما السير بالقلب فمرجعه إلى الأخبار الصادقة, بحيث يقرأ الإنسان عن الأمم السابقة, ولا شيء أصح من كتاب الله عز وجل في الحديث عن الأمم السابقة, لقول الله تبارك وتعالى: **((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح**

وعاد وثمود والذي من بعدهم لا يعلمهم إلا الله)) فلا شيء أصح في الأخبار مما جاء به الكتاب العزيز وصحت به السنة, هذا سير بالقلب. السير بالقدم أن يمشي الإنسان لينظر ما صنع الله تعالى بالمكذبين, مثال ذلك أن يسير الإنسان إلى ديار ثمود لينظر ماذا صنع الله بهم, ولكن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يجوز أن يدخلها إلا وهو باك خوف أن يصيبه ما أصاب هؤلاء المكذبين؛ وأما من ذهب إليها للتنزه والفرجة فإن ذلك لا يجوز, كما يصنع كثير من الناس اليوم, يذهبون إليها لا على سبيل العظة والاعتبار, ولا أن يدخلها وهم باكون, بل على سبيل الاطلاع فقط على آثار السابقين وعلى سبيل النزهة, وهذا حرام ولا يحل.

وقوله: **((أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة))** إعراب الجملتين أن نقول: إن لم حرف نفي وجزم وقلب, حرف نفي لأنها تنفي, جزم لأنها تجزم, قلب لأنها تحول المضارع إلى الماضي.

والفاء في قوله: **((أفلم يسيروا))** عاطفة لا شك, لكن هل هي عاطفة على مقدر محذوف أو عاطفة على ما قبلها من الجمل, في ذلك قولان:

القول الأول: أنها عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة, ويقدر بما يناسب المقام, وعلى هذا فترتيبها بعد الهمزة ترتيب طبيعي.

والثاني: أنها عاطفة على الجملة السابقة, وبناء على ذلك تكون الفاء هنا مزحلقة عن موضعها إذ أن موضعها يكون قبل الهمزة. والقولان معروفان لأهل العلم بالنحو؛ على التقدير الأول أنها عاطفة على مقدر بعد الهمزة يكون المعنى: أغفلوا فلم يسيروا في الأرض.

وقوله: **((فينظروا))** الفاء عاطفة على يسيروا, وعلى هذا يكون المعنى: أفلم يسيروا فلم ينظروا, ويحتمل أن تكون منصوبة بعد فاء السببية, أي: انتفى سيرهم فينظروا, كما تقول: لم تزرني فأكرمك, وما أشبه ذلك من الكلام.

وقوله: **((كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** كيف: هذه للاستفهام وهي في محل نصب خبر ثاني مقدما, وعاقبة: اسمها, **((عاقبة الذين من قبلهم))** فما هي العاقبة ؟ العاقبة ذكرها الله تعالى في سورة القتال في قوله: **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا))** [محمد :10] هذا هو فائدة النظر, أن هؤلاء

القوم المكذبين كانوا أشد مـن هـؤلاء قـوة, ومـع ذلـك دمرهـم اللـه عـز وجل, كانوا أكثر منهم أي في العدد, وأشد قوة أي في الكيفيـة, فصـاروا متميزين عنهم في العدد والكيفية, وآثارا في الأرض من مصانع وقصور.

وقوله: **((فينظروا))** الفاء عاطفة على يسيروا, وعلى هذا يكون المعنى: أفلم يسيروا فلم ينظروا, ويحتمل أن تكون منصوبة بعد فاء السببية, أي: انتفى سيرهم فينظروا, كما تقول: لم تزرني فأكرمك, وما أشبه ذلك من الكلام.
وقوله: **((كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** كيف: هذه للاستفهام وهي في محل نصب خبر ثاني مقدما, وعاقبة: اسمها, **((عاقبة الذين من قبلهم))** فما هي العاقبة ؟ العاقبة ذكرها الله تعالى في سورة القتال في قوله: **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا))** [محمد :10] هذا هو فائدة النظر, أن هؤلاء القوم المكذبين كانوا أشد من هؤلاء قوة, ومع ذلك دمرهم الله عز وجل, كانوا أكثر منهم أي في العدد, وأشد قوة أي في الكيفية, فصاروا متميزين عنهم في العدد والكيفية, **((وآثارا في الأرض))** من مصانع وقصور.
((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) ما نافية, وأغنى فعل ماضي, وما كانوا يكسبون: ما, اسم موصول فاعل, وكانوا يكسبون صلة الموصول, ويحتمل أن تكون ما استفهامية, والمعنى: فما الذي أغنى عنهم ما كسبوا, والاستفهامية أبلغ لأنها تتضمن النفي مع التحدي, أي: أي شيء أغنى عنهم كسبوا حين دمرهم الله ؟ إن كانت نافية فالمعنى: ما أغنى عنهم كسبهم شيئا, وإن كانت استفهامية فالتقدير: ما الذي أغنى عنهم ما كانوا يكسبون, ونظير ذلك قوله تعالى : **((أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون))** أي: أي شيء أغنى عنهم, أو أن المعنى نفي الإغناء.
الطالب : من ذهب إلى ديار ثمود للعبرة ولكنه لم يستطع أن يبكي فهل يتباكى ؟
الشيخ : لا أعرف في الحديث إن لم تبكوا فتباكوا, قال: **(لا تدخلوها إلا وأنتم باكون)** ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بها قنع رأسه يعني غطاه وخفضه وأسرع
الطالب : إذا نقول ابكي أو ارجع ؟
الشيخ : نعم, نقول: إما أن تبكي وإما أن ترجع, فإن لم تبكي ومررت بالبلد فعجل, وقنع رأسك كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

الطالب : بهذا نقول بعدم جواز من يصور هذه الصور ويريها الناس ؟
الشيخ : أي نعم, الظاهر أنه للمنع أقرب, وذلك لأنه إنما يريهم إياها لبيان قوة القوم لا لبيان أن الله أهلكهم مع قوتهم, هذا هو الظاهر من هؤلاء المصورين .
الطالب : هل يشمل هذا كل الآثار القديمة أم فقط الذين عذبوا ؟
الشيخ : نحن قرأنا آية تدل على المراد: **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا))**.
الطالب : قلنا إذا كان للإنسان بقرة يجوز أن يركبها وفي الحديث: **(إنا لم نخلق لهذا)** ... ؟
الشيخ : هذا الجمع بينهما أن هذه البقرة كلفت ما لا تطيق, أو كان يشق عليها أن تركب, لأن بعض الحيوانات الذي لم يعتد أن يركب يشق عليه هذا حتى وإن كان يستطيع أن يحمله.
الطالب : بعض الناس يستخدمون هذه الأنعام في السحر ... وما أشبه ذلك ؟
الشيخ : استعمال هذه الحيوانات فيما هو محرم قصدا أو ذاتا هذا لا يجوز, حتى لو ركب هذه الأنعام ليصل إلى بلد يفعل فيه الفواحش أو يلعب فيه القمار فإن هذا حرام .
الطالب : بعض القوم السابقين دمرهم الله سبحانه وتعالى خارج ديارهم مثل الفراعنة هل نقول لا ندخل آثارهم قياسا على ديار ثمود ؟
الشيخ : لا, وعلى هذا نقول لنا أن ندخل المكان الذي أغرق فيه فرعون ولنا أن ندخل مصر أيضا, لأنه لم يهلك فرعون في مصر.
القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ))** .
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تبارك وتعالى : **((أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين**

كانوا من قبلهم)) ذكرنا في هذا التركيب أفلم يسيروا وما أشبهها إعرابين ؟ يقدر المحذوف بحسبه, الوجه الثاني ؟ ... وتكون الجملة معطوفة على ما سبق.
الثاني أسهل لأن الأول قد يتعسر تقدير المحذوف, فأما هذه فهي سهلة ليس فيها سوى مجرد زحلقة الفاء عن موضعها.
وقوله: **((أفلم يسروا في الأرض))** أي على الأرض, لأن في للظرفية, ولو جعلنا في للظرفية في هذا السياق لكان معنى الآية : أن يدخلوا في جوف الأرض, وهذا غير مراد قطعا, فتكون في بمعنى على كقوله تعالى : **((أأمنتم من في السماء))** أي من على السماء, وليس المراد أن الله في جوف السماء, لأن ذلك مستحيل, وقد وسع كرسيه السماوات والأرض, وقوله: **((أفلم يسيروا في الأرض))** يشمل السير بالقدم والسير بالقلب, أما السير بالقدم فمعروف, وأما السير بالقلب فمعناه أن يتفكر الإنسان فيما مضى من تاريخ الأمم, وأصح مرجع نرجع إليه فيما مضى من سير الأمم هو القرآن الكريم.
وقوله: **((فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** هذه معطوفة على يسيروا, يعني أن الله وبخهم على أمرين: عدم السير وعدم النظر, فهم لم يسيروا ولم ينظروا **((فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** والنظر هنا هل هو نظر البصيرة أو البصر ؟ إن قلنا أن قوله: **((يسيروا))** سير القدم فالنظر نظر البصر, وإن قلنا يسيروا سير القلب فالنظر نظر البصيرة, **((كيف كان عاقبة الذين من قبلهم))** أعربنا كيف على أنها خبر مقدم لكان, وهنا يتعين التقديم, لأن كيف اسم استفهام والاستفهام له الصدارة, فعليه تكون خبرا مقدما لكان, وعاقبة اسمها **((عاقبة الذين كانوا من قبلهم))** يعني من الأمم. فما هي العاقبة ؟ العاقبة أشار الله إليها في سورة القتال في قوله تعالى : **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا))**
ثم شرح الله حال أولئك السابقين فقال: **((كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض))** أكثر منهم عددا, وكثرة العدد توجب القوة في الكمية, وأشد منهم قوة هي القوة بالكيفية ثم قال : **((وآثارا في الأرض))** يعني من العمران والقصور وغيرها, ومع ذلك لم تنفعهم هذه الكثرة ولا هذه القوة؛ يقول: **" من مصانع وقصور "** هذه تفسير

لقوله: **((وآثارا في الأرض)).**
((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)) ما أغنى: ما يحتمل أن تكون نافية, أي: فلم يغني عنهم ما كسبوا, ويحتمل أن تكون استفهامية, والمعنى: فما الذي أغنى عنهم ؟ والاستفهام هنا أشد وقعا لأنه مشرب بالتحدي, أي شيء أغنى عنهم ؟ الجواب: لا شيء؛ **((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون))** أي ما كانوا يكسبون من القوة والآثار في الأرض وغير ذلك, لأن الله تعالى دمرهم ودمر قوتهم.
((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات)) هذا الذي أتى بعد ذكر تدميرهم هو في الحقيقة عود إلى شرح ما حصل, فإن الله أرسل إليهم الرسل بالبينات الواضحة, وأنزل الكتب, ولكن لما جاءتهم رسلهم بالبينات قال المؤلف : **" المعجزات الظاهرات "** والصواب أن يقول: الآيات البينات, هو رحمه الله جعل البينات بمعنى الظاهرات وهذا حق, وجعل البينات صفة لموصوف محذوف تقديره المعجزات, وهذا فيه نظر, بل يقدر الآيات, وذلك لأن المعجزات لم ترد في الكتاب والسنة محل الآيات أبدا, وأيضا المعجزات تكون من الرسل ومن غير الرسل, فالسحرة مثلا تأتي لهم الشياطين بالمعجزات, لكن الآيات يعني العلامات الدالة على صدقهم هذه أبلغ, ولهذا إذا وجدتم في الكتب وما أكثر ما تجدون المعجزات أو معجزة الأنبياء أو ما أشبه ذلك فاضربوا عنها صفحا, وقولوا بدلها الآيات كما قال الله عز وجل الآيات, والآيات كما قلت لكم أدق من كلمة المعجزات, لأن المعجزات يدخل فيها ما يعجز البشر مما تصنعه الشياطين مع السحرة وغيرهم.
" ((فرحوا)) أي الكفار ((بما عندهم)) أي الرسل ((من العلم)) فرح استهزاء وضحك منكرين له " ((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا)) الواو فاعل, فمن الفارح ؟ يقول: **" أي الكفار "** وهذا صحيح فرح الكفار بما عندهم من العلم, وقوله: **((بما عندهم))** الضمير يعود على الرسل على حد تفسير المؤلف, بما عند الرسل من العلم, أي: بما جاءوا به من البينات؛ لكن هل هذا الفرح فرح استبشار أو فرح استهزاء ؟ يقول المؤلف أنه فرح استهزاء وضحك وسخرية.
ولكن هذا التفسير إذا تأملته وجدته تحريفا وليس تفسيرا, لما فيه من البعد المعنوي واللفظي, أما البعد اللفظي فلأن فيه تشتيت الضمائر, لأن قوله: **((فرحوا))** الواو للكفار **((بما عندهم))** الهاء للرسل,

هذا تشتيت للضمائر؛ والهاء في قوله: **((بما عندهم))** إذا جعلنا الكلام نسقا واحدا لا شك أنها تعود على الكفار, أي بما عند الكفار من العلم.
وأما المعنى فلأن الفرح في الأصل استبشار, فإذا صرفناه عن معناه الظاهر إلى أن يكون فرح استهزاء كان هذا إخراجا للمعنى عما يدل عليه ظاهر اللفظ, والحاصل أن هذا التفسير الذي ذكره المؤلف تفسير ضعيف جدا بل هو تحريف؛ والصواب أن المعنى: فرح الكفار بما عندهم ـ أي بما عند الكفار من العلم ـ وقالوا نحن أعلم بما يصلحنا وما يصلح دنيانا وديننا الذي نحن عليه, فأنتم أيها الرسل سحرة مجانين كما قال تعالى : **((كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون))** وإذا كانوا يعتقدون بقلوبهم أو يقولون بألسنتهم ما لا يعتقدون من أن الرسل سحرة مجانين فإنهم لا شك سيجعلون ما عندهم من العلم هو العلم الحقيقي فيفرحون به, وعلى هذا فنقول الفرح هنا فرح بطر واستبشار فيما يظنون, أنهم على علم أعلى من علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **((فرحوا بما عندهم من العلم))** ويعجب الإنسان أحيانا فيما يذهب إليه بعض العلماء من تفسير الآيات أو الأحاديث.
الآن لو قرأت هذه الآية على إنسان عامي: **((فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم))** فعلى أي شيء يتنزل الضمير في قوله: **((بما عندهم))** عند هذا العامي ؟ على الكفار, فرحوا بما عندهم, والإنسان يفرح بما عنده لا بما عند غيره.
((فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)) ((حاق)) يقول: **" نزل "** لكنها أعنى حاق ليست كنزل من كل وجه, لأن نزل تكون بالخير وبالشر **((نزل به الروح الأمين على قلبك))** هذا خير, لكن حاق لا تأتي إلا بالشر, فلا يقال حاق به القرآن أو حاق عليه القرآن كما يقال نزل عليه, فحاق هنا بمعنى نزل لكن لا تستعمل إلا في نزول الشر, وهو شر بالنسبة لمن نزل به, وقد يكون خيرا بالنسبة لغيره, **((وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون))** ما: فاعل حاق, كانوا به يستهزئون: يعني فيما سبق, أي أنهم لما جاءهم بأس الله عز وجل ونزل بهم **((حاق بهم ما كانوا به يستهزئون))** فيما سبق حيث كانوا يستهزئون بالرسل وبما جاءوا به وبالشرائع, بل ربما يستهزئون بالله عز وجل, انظر إلى قول الله تعالى :

((قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)) يتبين لك أن الكفار يستهزئون بالله ويستهزئون بآيات الله ويستهزئون بالرسل.
" ((وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)) أي العذاب " يعني حاق بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به حين توعدتهم الرسل به فجعلوا يستهزؤون إيش العاب الذي تقولون ؟ أين هو ؟ يستفهمون استهزاء.
((فلما رأوا بأسنا)) أي شدة عذابنا, رأوا: بمعنى بأبصارهم, يعني رأوه رؤيا العين, والبأس: أشد العذاب.
((قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين)) قالوا آمنا بالله وحده: أي دون شركاءنا, ودون ما كنا نعبده وهذا غاية الإخلاص, ثم أكدوا هذا بقولهم: **((وكفرنا بما كنا به مشركين))** بما: الباء حرف جر متعلقة بكفرنا, وبه: يحتمل أن تكون للسببية أي بما كنا بسببه مشركين, وأن تكون متعلقة بمشركين تعلق الجار بعامله, المعنى: أنهم لما رأوا عذاب الله آمنوا ولكن هل ينفعهم هذا الإيمان ؟ لا, إن فرعون لما غرق وأدركه الغرق قال : **((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل))** لكن قيل له: **((ءآلئن))** يعني أتؤمن الآن **((وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين))** فلم ينفعه إيمانه.
وقال الله تعالى**: ((وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ))** [النساء :18] هذا لا تنفعه التوبة لأنه رأى وشاهد, شاهد ما كان غيبا يكفر به, والإيمان عن مشاهدة لا يفيد, لأن كل إنسان يؤمن بما يشاهد ولو كان أكفر الناس, وإنما الذي يحمد عليه الإنسان وينجيه من عذاب الله أن يؤمن بالغيب كما قال تعالى: **((الذين يؤمنون بالغيب)).**
((قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين)) قال الله تعالى : **((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا))** لم يك: أصلها لم يكن, لكن حذفت النون تخفيفا, وقد جاء الحذف والإبقاء في آيتين من كتاب الله فقال تعالى في إبراهيم: **((ولم يكن من المشركين))** وقال: **((ولم يك من المشركين))** وهي جملة واحدة حذفت فيها النون وأبقيت, وهذا الحذف تخفيف وله شروط معروفة في كتب النحو.
((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)) إيمان هل تعربونها على أنها اسم يك مؤخرا أو على أنها فاعل ينفع واسمها مستتر ؟ الثاني, والتقدير على هذا : فلم يك إيمانهم ينفعهم, أما على الأول فيكون : فلم

يك ينفعهم إيمانهم فيكون اسمها ضمير الشأن, اسم يكن محذوفا ضمير الشأن.
وقوله : **((لما رأوا بأسنا))** لما: هنا ظـرف بمعنـى حيـن, واعلـم أن لما تأتي في اللغة العربية على أوجه:
الأول: أن تكون ظرفا بمعنى حين كما في هذه الآية, فإن معنى: **((لما رأوا بأسنا))** أي حين رأوا بأسنا.
وتأتي جازمة مثل قوله تعالى: **((بل لما يذوقوا عذاب)).**
وتأتي شرطية كقوله تعالى: **((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)).**
وتأتي بمعنى إلا كما فـي قـوله تعـالى : **((إن كل نفـس لمـا عليهـا حافظ))** وكذلك قوله : **((وإن كل لما جميع لدينا محضرون)).**
فهذه أربعة معاني في **(لما)** المعنى الأول ؟ بمعنى حيـن كمـا فـي هـذه الآية: **((فلم يك ينفعهـم لمـا رأوا بأسـنا))** أي حيـن رأوا بأسـنا, الثـاني ؟ بمعنـى إلا مثـل : **((إن كل نفـس لمـا عليهـا حـافظ)).** شـرطية مثـل ؟ **((فلمـا رأوا بأسـنا قـالوا آمنـا بـالله وحـده))** وكذلك: **((فلما جاءهم مـا عرفـوا كفـروا بـه))**. جازمـة مثـاله ؟ **((بل لما يذوقوا عذاب))** وهـي للنفـي أيضـا, جازمـة ونافيـة؛ لكـن الفرق بينها وبين لم أن لما تفيد قرب مدخولها **((لمـا يـذوقوا عـذاب))** ولكن سيذوقونه قريبا, بخلاف لم فتأتي للنفي المطلق.
((لما رأوا بأسنا)) قال الله تعالى : **((سنة الله التي قـد خلـت في عباده))** سنة يقول المفسر: " نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه " سنة بمعنى طريقة أي: هذه طريقة الله.
وسنة في مثل هذا التركيب يجوز أن تكون مرفوعـة أي سـنة اللـه علـى أنها خبر مبتدأ محـذوف, أي: هـذه سـنة اللـه؛ ويجـوز أن تكـون منصـوبة والمؤلف يقول أنها منصوبة بفعـل مقـدر مـن لفظـه أي: سـن اللـه بهـم سنته.
((سنة الله)) ويجوز أن تكون مصدرا عامله محذوف لكنه مقـدر مـن الجملة التي قبلها, لأن هذه العبارة بمعنى ما قبلها تماما, يعني سنة الله بمعنى ما قبلها وهي أخذ المكذبين بالعـذاب, فتكـون منصـوبة بمضـمون الجملة لا بفعل مقدر, وما ذكره المؤلـف رحمـه اللـه وجـه لا شـك فيـه, والمهم أن السنة بمعنى الطريقة. فما طريقة الله ؟ طريقـة اللـه تعـالى إهلاك المكذبين وتعذيبهم, وأنهم لو آمنوا بعد نزول العذاب لم ينفعهم **" ((الـتي قـد خلـت فـي عبـاده)) فـي الأمـم أن لا ينفعهـم**

الإيمـان وقـت نـزول العـذاب " هـذه واحـدة, والثانيـة أن يعـذب المكـذبين, فالسـنة الـتي اسـتفدناها مـن هـذه الآيـة شـيئان: أولا إهلاك المكذبين, والثاني أنه لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب.
قال: **((وخسر هنالك الكافرون))** خسر فسرها المؤلف بمعنـى: **" تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك "** خسر هنالك الكافرون معلوم أن هنالك ظرف مكـان هـذا هـو الأصـل, فهي اسم إشارة إلى المكان, وقد تستعار إشارة للزمـان فتقـول هنالـك أي في ذلـك الـوقت, ومنـه هـذه الآيـة, الآن إذا قلـت: فلان هنـاك, هـذا ظرف مكان, وهذا هو الأصل, ولو قلت مثلا: قدم فلان هناك, تشير إلـى الوقت صارت إشارة.

وقد تستعار إشارة للزمان فتقول: هنالك أي في ذلك الوقت, ومنه هـذه الآية, الآن إذا قلت: فلان هناك, هذا ظرف مكان, وهذا هـو الأصـل, ولـو قلت مثلا: قدم فلان هناك, تشير إلى الوقت صارت إشارة للزمـان لكـن هذا خلاف الأصل, بقي علينا أن يقال: خسر في ذلك الـوقت الكـافرون, أليس الكافرون خاسرين في كل وقت ؟ بلى, لكن تبين خسرانهم وظهر لأنهم كانوا قبـل أن ينـزل عليهـم العـذاب يظنـون أنهـم رابحـون, ولهـذا فرحـوا بمـا عنـدهم مـن العلـم, لكـن إذا نـزل بهـم العـذاب ظهـر لهـم الخسران.

من فوائد هذه الآيات الحث على النظر في أحوال الأمـم السـابقة تؤخـذ من: **((أفلم يسيروا في الأرض))** وجه الدلالة أن الله وبخهم علـى عدم السير.

ومن فوائـدها أيضـا أن السـير فـي الأرض بالقـدم إذا لـم يصـحبه النظـر والاعتبار فإنه لا ينفع لقوله: **((أفلم يسيروا فينظروا))** طيب.

يتفرع على هذا ما يفعله كثير من الناس اليوم من السير إلـى ديـار ثمـود حيث يسيرون بأبدانهم لكن لا يسيرون بقلوبهم ولا يعتبرون, بل يـذهبون إلى هنالك للاطلاع على مآثر القوم بل على آثار القوم الدالة على قوتهم وهذا لا يجوز, الواجب على من سار إلى تلك الديار أن يدخلها وهـو بـاك, لقول النبي صلى اللـه عليـه وسـلم : **(فإن لـم تكونـوا بـاكين فلا تدخلوها)** ولا ينفـع التبـاكي لقـوله : **(فإن لـم تكونـوا بـاكين فلا تدخلوها)** ولم يقل فتباكوا, إذن من لم يوطن نفسه على هذا الوصـف الذي رخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم في الدخول فـي ديـار ثمـود فإنه لا يجوز أن يدخل, وغـالب النـاس الـذين يـذهبون الآن إنمـا يـذهبون للفرجة والنزهة فقط وهذا حرام .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من الأمم من هو أشد قـوة وآثـارا ممـا كانت عليه قريش لقوله: **((كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض)).**

ومن فوائد الآية الكريمة: أن اللـه تعـالى لا يعجـزه قـوة العـدو ولا كـثرة العدو, فإن الله تعالى أهلكهم مع كثرتهم وقوتهم طيب.

وهل الله عز وجل إذا أراد إهلاكهم يكون إهلاكهم ممتدا لمدة من الزمـن حتى يقضي عليهم ؟ لا, قال الله تبارك وتعالى : **((إنا أرسلنا عليهـم صيحة واحدة فكانوا كهشـيم المحتظـر)**) المحتظـر يعنـي الـذي أحاط أرضه بحظار, والحظار كما تعرفون مركب من أعواد خفيفة أو من

سعف النخل وتأكله الشمس والهواء بسرعة.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن قوة الإنسان وكثرة عدده لا تغني عنه شيئا من عذاب الله لقوله الله تعالى : **((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون))**.
ومن فوائد هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بالآيات البينات الدلالة على صدقه.
ويتفرع على هذا فائدتان وهما: رحمة الله بالعباد وحكمة الله تعالى في فعله.
أما رحمة الله بالعباد فلأن الله تعالى لو أرسل إليهم رسلا بدون آيات لكان في ذلك تكليف بما لا يطاق, لأن الإنسان لا يمكن أن يصدق برسول بدون آيات تدل على صدقه, وإلا لأمكن كل كاذب أن يقول إنه رسول.
وأما الحكمة فظاهرة أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل الرسل لم يتركهم هملا بل أعطاهم ما على مثله يؤمن البشر كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **(أن الله ما بعث رسولا إلا آتاه ما يؤمن على مثله البشر)** والذي أتيه الرسول عليه الصلاة والسلام هو الوحي القرآن ولهذا قال : **(فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)** لأن القرآن آية باقية إلى يوم القيامة أو إلى أن يأذن الله تعالى بفساد العالم, أما آيات الرسل فغالبها تنقضي في زمانها, لكن آية الرسول باقية .
ومن فوائد الآية الكريمة: أن آيات الرسل بينة لا تحتمل الشك لقوله: **((بينات))** ويتفرع على ذلك أنه ينبغي للعالم الذي ينشر شريعة الله عز وجل إذا نشرها بين الناس أن يكون نشره إياها على وجه بين لا اشتباه فيه, أولا: اقتداء بالرسل.
وثانيا: ليزداد المخاطب طمأنينة لأن الطمأنينة لها أثر في قبول ما يلقى وفي القيام به, فإن الإنسان إذا لم يبين له الحق على وجه تحصل به الطمأنينة تجده يمشي أو يأخذ بالحق وهو متردد لكن إذا زيد طمأنينة انتفع بذلك.
الطالب : ... ؟
الشيخ : لا أنا ما قلت هل أنا قلت هذا ؟ الرسول قال: **(والنبي وليس معه أحد).**
الطالب : شيخ بارك الله فيكم قلنا أن الهلاك يكون مرة واحدة أليس

هذا بحسب الأمم, ففي عاد الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم العذاب في سبه نحسات ... ؟
الشيخ : لا عاد الله سبحانه وتعالى أمد لهم في العذاب لأنهم يقولون من أشد منا قوة, فأرسل الله عليهم الريح التي هي أخف وألطف ما يكون فأهلكتهم, قال : **((سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية))** في هذه المدة, قد يكون بعضهم هلك في أول بعضهم في ثاني يوم, تبعا لما يكون من الملاجئ أو غيرا. أرسل عليهم العقوبة على هذا الشكل ... لأن هذا هو الأصل, ويقال أن هذه وإن امتدت فهي من حين ابتدأ العذاب هلك من هلك.
الطالب : ...
الشيخ : ويحتمل أنها آلات ويحتمل أنها لكثرتهم كل واحد مسك عمل ويقوم به, وتعرف أن الإنسان إذا اعتاد على عمل معين ولو كان شاقا صار سهلا عليه نعم.
الطالب : في آخر السورة قال: **((وخسر هنالك الكافرون))** ... ؟
الشيخ : الفائدة من هذا أن بيان أن كل كافر فهو مبطل ليس معه حق, وكل مبطل لا يقول إلا الباطل فهو كافر, يعني المبطل في كل أحواله هذا كافر, يعني ليس معه شيء من الحق, والكافر مبطل ليس معه شيء من الحق أيضا, فاختلاف التعبير لزيادة المعنى.
كما يكون أيضا في اختلاف القراءات أحيانا, كقول الله تعالى : **((لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا))** وفي قراءة أخرى: تستأذنوا. **((إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا))** في قراءة: فتثبتوا؛ فتكون القراءة هذه مفسرة للقراءة الثانية.
الطالب : **((سنت الله))** التاء مفتوحة وفي سورة تكون بهاء التأنيث, ما السبب في هذا ؟
الشيخ : يقول: **((سنت))** التاء فيها مفتوحة والقاعدة أنها مربوطة لأنها لمفرد, فيقال أن الرسم العثماني ليس على القواعد المعروفة الآن بل هو توقيفي, وقد اختلف العلماء رحمهم الله هل يجب أن يرسم القرآن بالرسم العثماني أو لا يجب أو يفصل بين أن يلقن التلاميذ الصغار أو الكبار على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أنه لا يجوز أن يرسم القرآن إلا بالرسم العثماني على كل حال حتى وإن كنت تعلمه الصبيان فعلى الرسم العثماني فتكتب: **((إن**

الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)) تكتب الصلاة بـالواو, حتى وإن كنت تدرس صـبيا إتباعـا للرسـم, **((أقيموا الصـلاة وآتـوا الزكاة))** الصلاة بالواو والزكاة بالواو لأن هذا هو الرسم العثماني.
وقـال بعضـهم بـل لا يجـب لأن الرسـم العثمـاني حيـن رسـم المصـحف صادف أنه على هذا الـوجه, ولـو كـان الرسـم العثمـاني علـى غيـر هـذه القاعدة لكتب بحسب القاعدة التي كـانت فـي ذلـك الـوقت, فالمسـالة ليست توقيفية لكن صادف أن الرسم في ذلك الوقت علـى هـذا الـوجه, فرسم القرآن عليه, وذلك لأن القرآن لم ينزل مكتوبا حتى نقول لابـد أن يكون كما كتب بل نزل مقروء, وقاعدة الرسم تختلـف مـن حيـث لآخـر, وهذا القول له وجه قوي لأنا نعلم علم اليقين أنه لو كانت قاعدة الرسـم على غير هذا الوجه في ذلك العهد لكتب بمقتضى القاعدة المعروفة في ذلك العهد.
والقول الثالث يقول: إن كان القرآن مكتوبا للصبيان للتعلم فـاكتبه علـى القاعدة المعروفة بينهم, وإن كان للكبار يعنـي يكتـب الإنسـان مصـحف فليكتبه على حسب الرسم العثماني, وهذا فيه جمع بين القولين لأنك لـو ترسم القرآن للصبي على حسب الرسم العثماني لحرفـه, لأن القواعـد التي بين يديه تخالف الرسم فيحرفه, فيقرأ مثلا: الزكاة الزكوة, الصـلاة الصلوة, الربا الربو, وهلم جرا, واضح.
فأنا أميل إلى أنه لا بأس أن يكتب بمقتضـى القاعـدة الحاضـرة بالنسـبة للمتعلم لا شك في ذلك, بالنسبة لغيره فيه احتمال ولكـن القـول بـالمنع فيه نظر .
القارئ : أعوذ بالله من الشـيطان الرجيـم بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم: **((حم تنزيل مـن الرحمـن الرحيـم كتـاب فصـلت آيـاته قرآنـا عربيا لقوم يعلمـون بشـيرا ونـذيرا فـأعرض أكـثرهم فهـم لا يسمعون))** .
الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قبل أن نبدأ درسنا اليـوم نرجـع إلى الدرس الماضي من أجل أن نكمل الفوائد, وصـلنا إلـى ؟ قـال اللـه تعالى : **((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِـنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** هذه أخذنا فوائدها ؟.
من فوائد هـذه الآيـة : **((فَلَمَّا جَـاءَتْهُمْ رُسُـلُهُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ))** بيـان حكمة الله عز وجل ورحمته, إثبات حكمة الله ورحمته, وذلـك أنـه جعـل الآيات التي تأتي بها الرسل آيات بينات حتى لا يبقى حجة.

ومن فوائدها أن الكفار يفخرون بما عندهم من العلم ولو كان باطلا لقوله: **((فرحوا بما عندهم من العلم))** وهذا الذي كان فيما سبق موجود الآن فإن بعض أولئك القوم الذين آتاهم الله من علم الدنيا ما آتاهم تجدهم يفرحون بها ويقولون هي خير من علم أولئك المقوقعين على أنفسهم ويعنون بهم علماء الشريعة.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير البالغ من رد ما جاءت به الرسل لقوله : **((وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون))**.
ثم قال تعالى : **((فلما رأوا بأسنا ...))** إلى آخره.
من فوائد هذه الآية الكريمة: أن أولئك القوم المكذبين للرسل إذا رأوا العذاب قالوا آمنا, والمثال على ذلك فرعون لما أدركه الغرق قال: **((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل)).**
ومن فوائدها أن هؤلاء الذين يؤمنون بعد أن نزل بهم العذاب لا يستفيدون من إيمانهم شيئا لقوله: **((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)).**
ومن فوائد الآية الكريمة: أن سنة الله عز وجل في العباد واحدة فإنه لا يحابي أحدا لغناه أو لفقره أو لغير ذلك, بل إن أكرم الخلق عند الله أتقاهم لقوله : **((سنت الله التي قد خلت في عباده))** .
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير من تكذيب الرسل وأن من كذب الرسل فإنه سينالهم ما نالهم من العذاب, أي ما نال الأمم السابقة من العذاب.
ومن فوائدها أيضا ظهور الخسران لهؤلاء المكذبين قبل أن يموتوا لقوله: **((وخسر هنالك))** أي حين جاءهم البأس تبين لهم الخسران **((وخسر هنالك الكافرون)).**
ثم قال تبارك وتعالى: **((بسم الله الرحمن الرحيم))** إلى آخره, البسملة تقدم الكلام عليها كثيرا وبينا أنها آية من كتاب الله ولكنها ليست آية تابعة للسورة التي بعدها ولا التي قبلها, بل هي آية يؤتى بها لابتداء السور ما عدا سورة براءة.
أما معناها فإن الإنسان يقول: ابتدأ بكل اسم من أسماء الله, وإنما جعلنا المعنى بكل اسم من أسماء الله لأن اسم مفرد مضاف والمفرد المضاف يفيد العموم, كل مفرد مضاف إلى معرفة فإنه يفيد العموم, ألم تروا إلى قول الله تعالى : **((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها))** نعمة الله: لو نظرنا إلى لفظها لقلنا أنها واحدة لكنها كثيرة لا تحصى,

فيكون هذا المفرد الذي أضيف يكون للعموم, وهـذه هـي القاعـدة: كـل مفرد مضاف لمعرفة فإنه مفيد للعموم, ولهذا قلنا: بكل اسم من أسماء الله.
والرحمن الرحيم صفتان للفظ الجلالة, لكن الأولى روعي فيهـا الوصـف والثانية روعي فيها الفعـل وهـو إيصـال الرحمـة, أمـا متعلـق هـذا الجـار والمجرور فإنه محذوف ويقدر مؤخرا مناسبا للمقام, فإذا كنـت تريـد أن تقرأ فقلت بسم الله الرحمن الرحيم قدر أقرأ, وإنما اختير ذلك أي اختير أن يكـون فعلا لأن الأصـل فـي العمـل الأفعـال, ولهـذا يعمـل الفعـل بلا شرط, والأسماء التي تعمل عمل الفعـل لابـد لهـا مـن شـروط كمـا هـو معروف في علم النحو, وإنما اخترنا أن يكون متأخرا لفائدتين:
الفائدة الأولى تيمنا بذكر اسم الله.
والفائدة الثانية إرادة الحصر, لأنه إذا تأخر العامل كان ذلك حصـرا, فـإذا قلت: زيدا أكرم, المعنى لا تكرم غيره, لكـن لـو قلـت: أكـرم زيـدا, لـم يمتنع عن تكريم غيره, إذن أخرناه لفائدتين: الفائـدة الأولـى تيمنـا بـذكر الله عز وجل, والثاني الحصر,
وقدرناه مناسبا لأنه أبين المقصود, فلو قال قائل: بسم اللـه ابتـدأ, قلنـا صحيح, لكن لا تـبين المـراد مثـل مـا تـبينه: باسـم اللـه أقـرأ, وذلـك لأن الابتـداء يكـون للقـراءة ولغيـر القـراءة, ولهـذا اخـتير أن يكـون مناسـبا للمقام, والخلاصة الآن أن متعلق الجـار والمجـرور هـو محـذوف, فعـل, متأخر مناسب للمقام.
قال الله تعالى **((حم))** وقال المفسـر: **" الله أعلـم بمـراده بـه "** وهذا هو الأدب مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن الذي لا تعرف معناه قل الله أعلم بمراده به لقول الله تعـالى : **((وَلا تَقْـفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِـكَ كَـانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))** [الإسراء :36].
ولكن قد يقول قائل: إننا نعلم أنه لا معنى لهـذه الحـروف الهجائيـة الـتي توجد في كثير من السور, نعلم ذلك بدلالة القرآن, فقد قال الله تعـالى : **((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)** واللسان العربي لا يكون التعبير بمثل هـذه الحـروف لـه معنى في حد ذاته, لو قلت: أ ب ج ح خ ما لها معنـى, فـإذا لـم يكـن لهـا معنى بمقتضى اللسان العربي قلنا أن قوله: ((حم)) ((والم)) ((والر)) وما أشبهها ليس لها معنى في حد ذاتها.

يرد على هذا إذا لم يكن لها معنى صارت لغـوا, وكلام اللـه تعـالى لا لغـو فيه, فيقال: إنهـا ليسـت لغ وا, وإنمـا المـراد إقامـة الحجـة علـى أولئـك المشركين حيث عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ولا بآية واحدة, عجــزوا, مع أن هذا القرآن هل أتى بحروف لا يعرفونها حتى يعتـذروا ويقولـوا أنـه جـاء بحـروف ليسـت معروفـة لنـا ؟ الجـواب: لا, القـرآن جـاء بحـروف يعرفونها.

قال شيخ الإسلام رحمه اللـه تعـالى : **" ولذلك لا تكـاد تـرى سـورة مبدوءة بهذه الحروف إلا وبعـدها ذكـر القـرآن "** وابـدأ مـن أول البقرة إلى أن تأتي إلى آخر السور المبدوءة بهذه الحروف تجد أن بعدها ذكر القرآن, إشارة إلى أن هذا القرآن الذي أعجزكـم يـا معشـر العـرب كان من هذه الحروف التي تكونون منها كلامكم, وهـذا الـذي ذهـب إليـه شيخ الإسلام رحمه الله واضح جدا, وأما القول بأنه ليس لها معنـى فقـد قاله مجاهد بن جبر أعلم التابعين بكتاب الله عز وجل.

قال : **((تنزيل من الرحمن الرحيم كتـاب فصـلت آيـاته))** قـال المؤلف رحمه الله المفسر**: " ((تنزيل)) مبتدأ ((كتاب)) خـبره "** ولو قيل بالعكس لكـان أوضـح لـو قيـل: **((كتاب فصـلت آيـاته)) ((تنزيل من الرحمن الرحيم))** لأنه يخـبر بـالمعنى عـن الـذات ولا يخبر بالذات عن المعنى هـذا الأصـل, فتقـول: زيـد قـائم، قـائم خـبر ولا تقول زيد خبر, لكن ما ذهب إليه المؤلف من الإعراب له وجه يعني ليس باطلا, لكن لو قيل إن (تنزيل) هو الخبر مقدم و (كتاب) مبتـدأ مـؤخر لكان أوضح وأبين.

((تنزيل من الرحمن الرحيم)) يعني به الرب عز وجل, أي: تنزيـل من الله الرحمن الرحيم, لكنه أتى بهذين الاسمين الكريمين إشـارة إلـى أن القرآن رحمة, لأن إنزاله من مقتضى رحمة الله عز وجل.

أليس من الممكن أن يقال: تنزيل من الله ؟ نعم, كما جاء في آية أخـرى لكنه قال: ((مـن الرحمـن الرحيـم)) إشـارة إلـى أن هـذا القـرآن نـزل بمقتضى رحمة الله عز وجل, وأن الله رحم به العباد.

والرحمن الرحيم اسمان من أسماء اللـه, مـن أشـرف أسـماء اللـه عـز وجل, ويأتيان مقترنين ويأتيان منفصلين بعضهما عن بعض, فـإن انفصـلا فكل واحد متضمن معنـى الآخـر فقـوله : **((الرحمن علـى العـرش استوى))** هذا منفرد عن الرحيم فيتضمن الصـفة والفعـل, أي أن اللـه تعـالى موصـوف بالرحمـة الواسـعة, وهـو سـبحانه وتعـالى يرحـم بهـذه

الرحمة من شاء من عباده.
وفي قوله : **((وهو الغفور الرحيم))** أيضا نقول الرحيم هنـا تشـمل الوصـف والفعـل لأنهـا انفـردت عـن الرحمـن, أمـا إذا اجتمـع الرحمـن والرحيم كانت الرحمن للصـفة والرحيـم للفعـل, ولهـذا جـاءت الرحمـن على وزن فعلان, وهذا الوزن في اللغة العربية يقتضي الامتلاء.